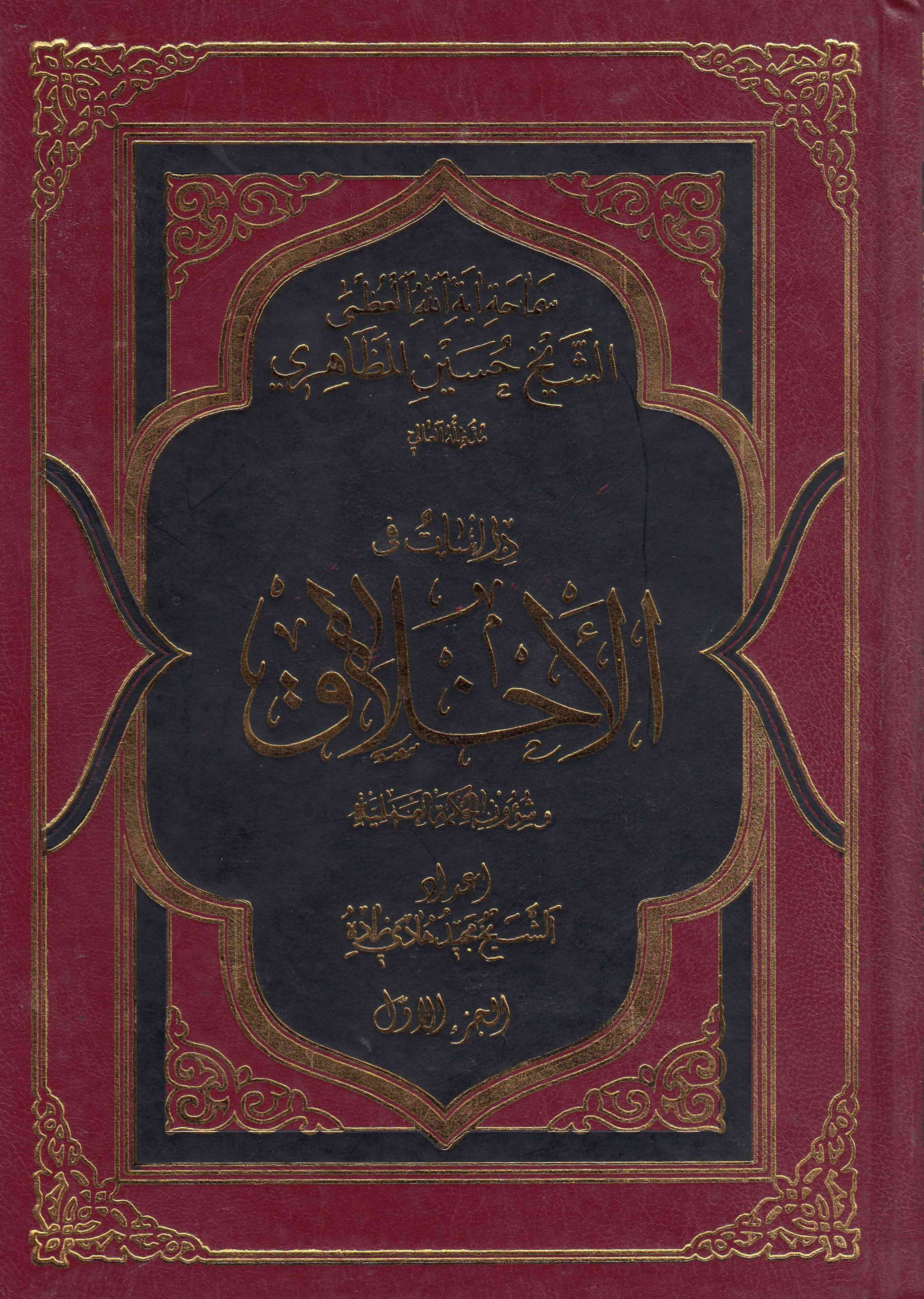

سماحة آية الله العظمى
الشيخ حسين المظاهري
مد ظله العالي
دراسات في
الأخلاق
وشؤون الحكمة العملية
إعداد
الشيخ محمد هادي زادة
الجزء الأول

سماحة آية الله العظمى
الشيخ حسين المظاهري
مدّ ظلّه العالي

دراسات في الأخلاق

وشؤون الحكمة العملية

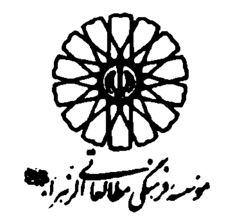
اعداد
الشيخ مجيد هادي زاده

الجزء الأوّل

فهرست‌نویسی پیش از انتشار: کتابخانه ملّی ایران

سرشناسه	:	مظاهری، حسین، ۱۳۱۲ -
عنوان و نام پدیدآور	:	دراسات فی الأخلاق و شؤون الحکمة العملیّة / حسین المظاهری
مشخصات نشر	:	اصفهان: مؤسّسه فرهنگی مطالعاتی الزّهراء و دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم، شعبه اصفهان، ۱۳۸۹ -
مشخّصات ظاهری	:	ج
فروست	:	مجموعه آثار؛ ۲۲، ۲۳، ۲۴. اخلاق؛ ۳، ۲، ۱
شابک	:	(دوره) ۱-۲۴-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸: ۲۱۰۰۰۰ ریال؛ ج ۱: ۸-۲۵-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸؛ ۷۰۰۰۰ ریال؛ ج ۲: ۵-۲۶-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸؛ ج ۳: ۲-۲۷-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸
وضعیّت فهرست‌نویسی	:	فیپا یادداشت: عربی.
موضوع	:	اخلاق اسلامی شناسه افزوده: حوزه علمیّه قم. دفتر تبلیغات اسلامی.
رده‌بندی کنگره	:	BP ۲۴۷/۸/م۶۲۵د۴ ۱۳۸۹ رده‌بندی دیویی: ۲۹۷/۶۱
شماره کتابشناسی ملّی	:	۲۲۵۶۵۶۲





دراساتٌ في الأخلاق و شُؤون الحِكْمة العَمَليَّة (المجلّد الأوّل)

سلسلة المؤلّفات ـ ۲۲، الأخلاق / ۱

تأليف : سماحة آية الله العظمى المظاهري «مدّ ظلّه العالي»

اعداد و نشر : «مكتب الإعلام الإسلامي التابع لحوزة قم العلميّة ـ فرع إصفهان» و «مؤسّسة الزهراء الثقافيّة الدراسيّة»

الطبعة : الأولى ـ ۱۴۳۲ هـ ق / المطبعة: القلم

الكميّة المطبوعة : ۱۰۰۰ نسخة / ثمن الدورة: ۲۱۰۰۰ تومان

شابك (الدورة): ۱-۲۴-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸ شابك ج ۱: ۸-۲۵-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸

التوزيع: ۱) مكتب الإعلام الإسلامي ـ فرع إصفهان؛ الهاتف: ۲۲۰۸۰۰۵ - ۰۳۱۱

۲) مؤسّسة الزهراء الثقافيّة الدراسيّة؛ الهاتف و فكس: ۴۴۶۳۶۷۱ـ ۰۳۱۱

Internet: www.al_zahra.ir

بسم الله الرّحمن الرّحیم

نخستین بارقه‌ی وحی - که سرآغاز تمدن شکوهمند اسلامی بود - سخن از خواندن داشت؛ و خداوند آموزشگر »، که قلم در کار می‌کند، تا آدمی را بیاموزاند.

وحی « بیان » بود، و سخن و سیره‌ی معصومان - علیهم السّلام، که همانا پاکان و باورمندان اتمند - « تبیین » آن. و چنین شد که هر چند عصر « بیان » کوتاه بود، امّا دوره‌ی « تبیین » - که اصالةً عصر معصومان را در برداشت - ، به دلالت و امر همانان، تا روزگار ما و تا روز بازپسین ، ادامه خواهد داشت.

تلاش‌ها و تکاپوهای فکری / فرهنگی دانشیان مسلمان، از این رهگذر - که نشان از علم جویی و حقیقت طلبی آنان دارد - ، بسیار ارزشمند است؛ و از آن رهگذر - که نشانگر امتداد عصر تبیین است - ، بسیار مقدّس، چه براین باور، تبیین - و به دیگر سخن: پژوهش - در چشم کردن توتیای غباری است، که از کوی معصومان برخاسته و در فضای فرهنگی مسلمین، پراکنده شده است.

« مرکز مطالعات اسلامی » وابسته به پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامی ، و سامان یافته در معاونت پژوهش دفتر تبلیغات اسلامی حوزه‌ی علمیّه‌ی قم، شعبه‌ی اصفهان، بر همین اساس همگام با دیگر مراکز پژوهشی ایران اسلامی، با تعریف ماموریّت و تبیین مخاطبین خود، سلسله‌ای از طرح‌های پژوهشی را به اجرا گذارد؛ تا در غنای بیشتر دانش مایه‌ی مسلمین بکوشد، و در این راه پرشکوه نصیبی فراسم خود آورد.

آنچه هم اکنون در قالب این دفتر فراروی خواننده‌ی ارجمند است، یکی از ثمرات آن کوشش است؛ و امید تا قبول نظر مردم صاحب نظر شود.

والسلام علیکم و رحمة الله و برکاته

مرکز مطالعات اسلامی

كلمةٌ عن هذه الطبعة

بسم اللّٰه الرَّحمن الرَّحيم

الحمد للّٰه باسط النِّعمة؛ والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه وأهل بيته أصحاب الحكمة والرَّحمة.

وبعد؛ فقد أخبر العزيز في آي من التَّنزيل المبارك أنَّه لانعمة تفضَّل بها على العباد أكرم من بعثه مُتَتمِّم الخُلْق الحسن صلى الله عليه وآله، فامتَنَّ به عليهم، وجعَلَهم مرحومين به!.

ومن نَعمائِه ـ عزَّ وعلا! ـ على الأمَّة المرحومة الرَّشيدة، أنْ بعثَ في كلِّ عصرٍ رجالًا من خيار عباده، يزيلون عنهم رذائل الصِّفات ويَبُثُّون فيهم فضائلها؛ وذلك بتبيينهم المكارم وما يضادُّها، وتثبيتهم إيَّاها في نفوسهم؛ فهم مُعلِّموا الأُمَّة وورثة أهل العصمة الكبرىٰ عليهم السلام بلامُدافعٍ.

وقد سلك في عصرنا هذا المسلك جمٌّ من أصحاب النُّفوس المهَذَّبَة البالغين أعلىٰ مراتب السَّداد، منهم شيخنا الأستاذ الفقيه الوَرِع آيةاللّٰه العظمىٰ الشَّيخ حسين مظاهريُّ ـ جعله اللّٰه في رعيه وبلَّغه مناه وأقصىٰ ما يتمنَّاه! ـ، فقام بهذا الأمر الخَطِر الهامِّ في حِقلَي التَّدريس والتَّأليف المباركين منذ خمسين سنةٍ خلَتْ، وهو مجِدٌّ فيهما بما هو فوق الجِدِّ والاِجتهاد. وقد أحسن وأجاد حيث ألقىٰ على مستفيديه دوراتٍ كاملة من مباحث هذا

العلم الَّذي يُعدُّ أشرف العلوم من غير ريبٍ وارتيابٍ.

هذا من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أخرىٰ ألَّف بين حينٍ وحينٍ في ساحات هذا العلم الشَّتيتة رسائل وكتباً كثيرةً، بين الصِّغار والكبار، عالج فيها كثيراً من المسائل المبحوث عنها فيه.

ثمَّ إنَّه ـ أطال اللَّه بقاءَه! ـ ركَّز حينًا من دهره على مشروع تدوين مجموعةٍ علميَّةٍ تحتوي على جميع ما يتعلَّق بالأخلاق الإسلاميِّ السَّامى، وذلك بأُطرُوحةٍ تبلغ عشر مجلَّداتٍ، تجمع بين الأخلاق و بين الأخلاقيَّات ـ حسب ما اصطلح عليه الشَّيخُ الأستاذ ـ و بين أسرار العبادات وبين تدبير المنزل وسياسة المُدُن؛ مُجتنِبًا فيها عمَّا اصطلحت عليه الحكماء فوجد سبيله إلى مسفوراتِ الأخلاقيِّين، وما ذلك إلَّا ليكون نفعها أعمَّ. فيستفيد منها كلُّ من يتمكَّن من الاِستضاءة من هذه المتون وأشباحها.

ثمَّ إنَّه ـ متَّعنا اللَّه بطول حياته! ـ قد فرغ عن جزءٍ من هذا المشروع قبل أن يلقَ عَصَا التِّرحال في أصفهان ـ صينَتْ عن الحدَثان! ـ وحوزتها المباركة العلميَّة؛ فقام ولدُه العزيز أخونا في اللَّهِ ذوالفَضائلِ والمكارمِ الشَّيخُ محمَّدحسن مظاهري ـ زيَّنه اللَّه بألطافه! ـ بهمَّة تحقيق الكتاب وإخراج الجزء الأوَّل منه إلى النُّور، ليُزيِّن عالَمَ النَّشر به؛ فللَّه درُّه وعليه أجره!.

وبعد أن هاجر سماحة الشَّيخ الأستاذ إلى بلدتنا المباركة، حالت بينه و بين إتمام هذا المشروع عوائقُ، منها بحوثه في مختلف العُلُوم الإسلاميَّة ودراساته العُليا في مجالَي الفقه وأصوله؛ فلم يخرج من قلمه الشَّريف أزيد من مباحث الأخلاق، وبقي ما يرجع إلى الأخلاقيَّات وأسرار العبادات على عاتق التَّوفيق؛ لعلَّ العزيز الأعلىٰ يوفِّقه لإتمام هذا الكتاب القيِّم ـ وما ذلك على اللَّه بعزيزٍ! ـ.

ثمَّ إنَّه تعالى قد وفَّق أصحاب الفضل والفضيلة في مكتب الإعلام الإسلامي التَّابع لحوزة قم العلميَّة ـ حرَّسها اللَّه عن نوائب الزَّمان! ـ فرع أصفهان ليقوموا بنشر ما خرج من

هذا الكتاب من قلم المؤلِّف الشَّريف إلى الأوساط العلميَّة؛ فوافق الشَّيخ الكريمُ هذا الطَّلب وأجابهم بالقبول. فطلب إليَّ صديقاي الفاضلان ولدُ الأستاذ الشَّيخ محمَّدحسن مظاهري ومدير مكتب الإعلام الإسلاميِّ فرع أصفهان الشَّيخ حبيب‌رضا أرزاني ـ حفظهما اللَّه ـ، أن أنظر في الكتاب؛ كما وقد أجاز الشَّيخ الأستاذ أن أُجدِّد عباراته حسب ما يختلج ببالي القاصر، فجال فيه نظري؛ وله الحمد ـ سبحانه و تعالى! ـ وحده حيث وفَّقني للاِستنارة من أنوار هذا الدُّرِّ اليتيم قبل أن ينسلك في سلك المطبوع.

ثمَّ يَجدُر بي أن أُشيرَ إلى أنِّي تَرجَمتُ الكتاب إلى اللُّغة الفارسيَّة مُهذِّبًا ومُلخِّصًا، وذلك خدمةً لأبناء لغتنا الكريمة، فجاء في مجلَّدٍ كبيرٍ، عسى اللَّه أن يُوفِّقني لنشره.

وهناك أبحاث تتعلَّق بهذا الكتاب، كمنهجيَّة الأستاذ وعيونه فيه، وقيمته بين أترابه، وما ذكره جمعٌ من الأعلام حوله بعد أن طُبِع المُجلَّد الأوَّل منه، وإشارةٍ خاطفةٍ إلى ما بقي من أبحاث الكتاب و ... ، أشرنا إليها في التَّقديم على النَّصِّ الفارسيِّ.

والآن وأنا أفرغ من هذا العمل، أَبتَهِل إلى اللَّه ـ سبحانه و تعالى! ـ وأدعوه ليطول في حياة شيخنا الأستاذ، ويجعله في حفظه ورعيه، ويُوفِّقنا لنرتوي من معين علمه الفذِّ؛ إنَّه خيرُ مُوفِّقٍ ومعينٍ!.

وسلامٌ على جميع عباد اللَّه الصَّالحين

أقلُّ تلامذة الشَّيخ الأستاذ

مجيد هادي‌زاده

ـ آتاه اللَّه الحُسنىٰ وزيادة! ـ

٢٥ / ١١ / ١٣٨٩

المدخل

أهميّة علم الأخلاق

تطوّر التّأليف الأخلاقيّة في الثّقافة الإسلاميّة

سيرة التأليف في مصادر الأخلاق

حاجة الفنّ إلى كتاب حديث ...

أهمّ مميّزات هذا الكتاب ...

أسلوب الكتاب و محتواه

أَهمّيّة عِلم الأخلاق

إنَّ أهميّة الأخلاق في الاسلام ممّا لا شكّ فيه، لأنه ـ مضافاً علىٰ ركنيّته في الاسلام في عرض العقائد و الأحكام ـ اسباب صلة الإنسان بربّه الكريم و إنَّ هذه الصّلة هي الغاية المتوخّاة من أصل وجود الإنسان لانُه أعظم الكمالات و أتمّها و لا يكمّل الإنسان ـ كماله المقدَّر له ـ إلّا إذا سار على الخطّ الّذي رسَّمه الله تعالى له في تشريعه العظيم و السبيل الّذي جهد الأنبياء و أوصياؤهم و تابعوهم في الأُسرة و الأَحوال الشخصيّة بعموم، أَم في الاقتصاد، أَو السياسة و غير ذلك ممّا يحتاج إليه، لا يتمّ إلّا بالطريقة الأخلاقيّة الّتي تتبنّاها هذه الشريعة القويمة.

و نستطيع أَن نفهم ذلك من أمثال قول الرّسول الكريم صلّى الله عليه و آله و سلّم **«إنّما بعثت لأُتمّمَ مكارم الأخلاق»**[1]

هذا و لو كان شيءٌ أعظم عند الله من الأخلاق لا ختصّ به نبيّه العزيز، سيّد الكائنات و أشرف الخلائق حين اثنىٰ عليه في كتابه، فقد أظهر أهمّيّة الأخلاق و قيمتها حين امتنَّ على رسوله الكريم بقوله **﴿وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عظِيم﴾**.[2]

---

١ ـ مستدرك الوسائل، ١ /٢٨٢، ابواب جهاد النفس.

٢ ـ القلم / ٤.

وَ بِما أنَّ علم الأخلاق من العلوم الّتي تهتمّ بالإنسان و دراسة أحواله المختلفة و ما يتّصل بذلك من معارف و علوم أُخرىٰ، يبحث عن الفضائل و كيفيّة اقتنائها و جعل النّفس تتحلّىٰ بها، و يبحث أيضاً عن ما يقابلها من الرذائل و كيفيّة توقّيها و جعل النّفس تنفر عنها، ممّا له أثر كبير في تطبيق شرعة الدّين الحنيف و ما يتّصل بذلك من معالجة المظاهر الإجتماعيّة و الإقتصاديّة و الثقافيّة و السياسيّة المختلفة. و من ثم تكتسب الأخلاق أهمّيّة فائقة في ديننا الاسلامى الأصيل، سيّما و إنَّ رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يُعد المعلّم الأوّل للأخلاق و المثال الّذي يقتدي به، قال تعالىٰ ﴿لَقَد كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كانَ يَرجُوا ٱللهَ وَ ٱليَومَ ٱلأَخِرَ وَ ذَكَرَ ٱللهَ كَثِيراً﴾.[1]

و كذلك كان الأئمة الهداة عليهم السلام من بعده نماذج حيّة زيّنت صفحات التاريخ الاسلامي بالأخلاق القويمة و السيرة الرشيدة الفاضلة، الّتي تحكي سيرة جدّهم صلى الله عليه وآله وسلم و لا ريب في ذلك، لأنه قال تعالىٰ: ﴿إِنَّما يُرِيدُ ٱللهُ لِيُذهِبَ عَنكُم ٱلرِّجسَ أَهلَ ٱلبَيتِ وَ يُطَهِّرَكُم تَطهِيراً﴾[2]

و ممّا يؤسّف عليه إنّه مع أهمّيّة هذا العلم و ما له من تأثيرات إيجابيّة في تهذيب النّفس و تقويمها تكاد حوزاتنا العلميّة و المجامع الثقافيّة تخلو من هذه الدراسات البنّاءة، و يكاد يكون الإهتمام بهذا العلم مفقوداً، بل صار هذا الفنّ الفريد في عصرنا الحالي يتيماً مجهولاً، و لقد اجاد ابو حامد الغزالي في مقدّمة «إحياء علوم الدين» حيث يقول: «فامّا علم طريق الآخرة و ما درج عليه السلف الصالح ممّا سمّاه الله سبحانه ـ في كتابه: فقهاً و حكمة و علماً و ضياءً و نوراً و هدايةً و رشداً، فقد أَصبح من بين الخلائق مطويّاً و صارَ نسياً منسيّاً».[3]

و مع انتصار الثورة الإسلاميّة المباركة في ايران الإسلامي، أضحىٰ الاهتمام بهذا العلم كأحد العلوم الاساسيّة الّتي أوّلتها الثورة الإسلاميّة جانباً كبيراً من الأهمّيّة. لأنّ ثورة

---

١ ـ الأحزاب / ٢١.　　٢ ـ الأحزاب / ٣٣.　　٣ ـ إحياء علوم الدين، ١ / ٢، المقدّمة.

شعبنا المسلم المظفرة لم تتناول تغيير الجوانب المادّيّة فقط بل تغيير النهج الثقافي و التربوي و البنيان الفكري الأخلاقي هو الغرض العظيم الآخر في ظلّ هذا التحوّل العميق.

و يعدُّ قائد الثورة الاسلاميّة الكبير، العارف الفقيد، السيّد الامام الخميني (اعلى الله كلمته و درجته) مثالاً للأخلاق الكريمة في عصرنا هذا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ﴾.[١] بل و إنّه ﷺ من أعظم أساتذة هذا الفنّ و أجلّهم في هذا القرن، جزاه الله تعالى عن هذا العلم خير الجزاء و أتمّه.

و الإمام (رضوان الله عليه) الّذي ما انفكّ يُوصي بهذا العلم و يهتمّ بمريديه و يشجّع على إنتشاره في حياته، لم ينس ذلك حتّى في وصيّته الإلهيّة السياسيّة حيث يقول: «إنَّ الإهتمام بالعلوم المعنويّة الروحيّة من قبيل علم الأخلاق و تهذيب النّفس و السّير و السلوك إلى الله تعالى (رزقنا الله و إيّاكم) يُعدّ من الجهاد الأكبر، و من صميم احتياجات الإسلام العزيز و الدّولة الاسلاميّة، و يجب وضع البرنامج اللازمة لتحقيق هذا الهدف، و إعداد المعلّمين المقتدرين من خيرة أبناء الحوزات العلميّة لتعليم هذه العلوم و تعلّمه».[٢]

و من هنا تظهر أهمّيّة الحديث عن الأخلاق و الدّعوة إليها خصوصاً في عصرنا هذا، الّذي طغت فيه الدّعوات المادّيّة الماكرة، و ضاعت الفضائل الإنسانيّة النيّرة، و ابتعد النّاس رويداً رويداً عن دينهم، و جهلوا صلتهم بخالقهم العظيم غاية الجهل، فوَقعت نتيجة لذلك الفجائع العظيمة الثقافيّة و ظهرت مظاهر الظلم و الاستبداد و التفرقة العنصريّة و عمّت الجهالة و فشت الضلالة.

هذا كلّه لبُعد النّاس عن الأخلاق القويمة و تزكية النفوس و تهذيبها، فلا حياة لنا في هذا العصر و لا سعادة نرجوها و لا خير نأمله إلّا في إعادة أواصل الصِلة بالله تعالى و بمبادىء ديننا الحنيف و التمسك بالأخلاق الالهيّة و العمل بما تستوجبه لإيجاد المدينة

---

١ ـ فاطر / ٢٨.　　٢ ـ ترجمة الوصيّة الالهيّة السياسيّة.

الفاضلة و تهيئة مقدّمات الفرج.

تطوّر التّآليف الأخلاقيّة في الثّقافة الإسلاميّة

بما تظهر من اهمّيّة الحديث عن هذا العلم الإلهى، قد انتشرت في العالم الإسلامى، مصنّفات وموسوعات هامّة في الأخلاق و تزكية النفس، و هي كثيرة يصعب استقصاؤها في مثل هذه المقدّمة الموجزة، و لكن في هذا الموقف نذكر سيراً مخلّصاً لأهمّ التّآليف الأخلاقيّة لنتبيَّن موقع هذا الكتاب من بينها تاركين القسم الأكبر منها للمعاجم المختصّة بهذا الموضوع.

١ ـ رسائل اخوان الصّفا و خِلّان الوفاء: كان في القرن الرّابع من الهجرة جماعة مجهولوا الهويّة على ميولهم، باسم «اخوان الصّفا» صنّفوا رسائل تشتمل علىٰ خلاصة جلّ علوم زمانهم و مقصدهم علىٰ ما بيّنوه تصفية الشريعة من الأوهام و الأباطيل.

و إنّهم قد درسوا الأخلاق إلىٰ جانب تفكراتهم العقليّة و لذا قد بحثوا فيها من وجهة النظر العقليّة و الاذواق العرفانيّة.

٢ ـ السعادة و الأسعاد في السّيرة الإنسانيّة: إنّ الشيخ أباالحسن العامري النّيسابوري (م ٣٨١ ﻫ) من أوّل المحقّقين الّذين ألّفوا تأليفاً مستقلّاً في الأخلاق و في كتابه هذا اقتبس المفاهيم الأخلاقيّة من كتب افلاطون و ارسطو و مَزَج هذه المفاهيم بالنكات العقليّة و الأوامر الحكميّة.

٣ ـ تهذيب الأخلاق و تطهير الاعراق: كان الشيخ ابو على مسكويه (٤٢١ ـ ٣٢٥ ﻫ) من أفضل الحكماء الإسلاميين، فهو من أوّل مَن بحث الأخلاق من وجهة النظر العقليّة الصِرفة.

إنَّ موضوع كتابه هذا «السعادة» و قد نظمه في سبعة أبواب و هو مجموعةٌ من الآراءِ الأخلاقيّة لأفلاطون و أرسطو و جالينوس و أحكام الشريعة الإسلاميّة و علىٰ رأيه أَنَّ الأخلاق صادرةٌ من النّفس و لذا قد بحث في صدر كتابه عن معرفة النّفس و القوى النفسيّة. له بعض التآليف الأخلاقيّة الأُخرى كـ«الفوز الأكبر» و «الحكمة الخالدة».

٤ ـ إحياء علوم الدّين: و هو موسوعة أخلاقيّة للشيخ ابى حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسي (٥٠٥ ـ ٤٥٠ هـ) و أهمّ كتبه و تآليفه و قد سلف كلامه المبيِّن عن غرضه من تصنيف كتابه هذا و أسَّسه علىٰ أربعة أرباع و هى: ربع العبادات، و ربع العادات، و ربع المهلكات، و ربع المنجيات و صدّره بكتاب العلم، ثمّ انّه لخَصَّ هذا الكتاب بإسم «كيمياي سعادت».

٥ ـ المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء: إنَّ هذه الموسوعة لأعظم الحكماء الإلٰهيين و المحدثين، محمد بن المرتضى، المدعوّ بالمولىٰ محسن الفيض الكاشانى (١٠٩١ ـ ١٠٠٦ هـ)، من تلامذة صدر متألهة الإسلام أعلم الحكماء و الفلاسفة، المولىٰ صدر الدين الشيرازي و صهره.

إنَّ كتابه هذا بمنزلة التنقيح و التصحيح لإحياء الغزالى، قال (رحمه الله) في بيان غرضه من تأليفه:

«... كان أكثر الأخبار المرويّة فيه (أي إحياء علوم الدّين) مسندة عن المشهورين بالكذب و الأفتراء على الله و رسوله ممّن لا وثوق بأقوالهم مع وجود ما يطابق العقل منها و الدين، في أحاديثنا المرويّة عن أهل العصمة و الطهارة و أهل بيت الوحى و السفارة (صلوات الله عليهم أجمعين) ببيان أحسن و طريق اتقن و كان فيه من الحكايات العجيبة و القصص الغريبة المرويّة عن الصوفيّة... إلى غير ذلك من الأمور الّتي كان تشمئزّ عنها قلوب أهل الحقّ من الفرقة الناجيّة الاماميّة... فرأيتُ أَن أهذِّبه تهذيباً يزيل عنه ما فيه من

الوصمة و العيب و أبنى مطالبه كلّها علىٰ أصول أصليّة محكمة لا يتطرّق إليها شكّ و لا ريب و أضيف إليها في بعض الأبواب ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام و شيعتهم في ذلك الباب من الاسرار و الحِكَم المختصة بهم...»[١]

٦ ـ جامع السعادات: للشيخ الجليل و الحكيم المتأله، المولىٰ محمد مهدي النّراقي (١٢٠٩ ـ ١١٢٨ هـ)، و هو أحسن الكتب الّتي عرضناها و أتمّها في موضوع الأخلاق، قال في الذريعة: «هو أجمع كتاب أخلاق للمتأخّرين و ترجمه إلى الفارسيّة مع بعض تغييرات قليلة ولد المؤلّف المولى أحمد بن مهدي النّراقي (م ١٢٤٥ هـ) و سمّاه معراج السعادة».[٢]

قال النّراقي في مدخل هذا الكتاب: «و نذكر أوّلاً بعض المقدّمات النافعة في المطلوب، ثمّ نشير إلى أقسام الأخلاق و مباديها من القوى و نضبطها باجناسها وأنواعها و نتائجها و ثمراتها، ثم إلى المعالجة الكلّيّة لذمائم الأخلاق و الجزئيّة لكلّ خُلق مذموم ممّا له اسم مشهور و ما ينشأ عنه من الأفعال المذمومة و في تلوه نذكر ضدّه المحمود و ما يدلّ على فضله عقلاً و نقلاً، لأنّ العلم بفضيلة كلّ خلق و المداومة علىٰ آثاره أقوى علاج لإزالة ضدّه و لا نتابع القوم من تقديم الرذائل بأسرها على الفضائل، بل نذكر أوّلاً ما يتعلّق بالقوّة العقليّة من الفضائل و الرذائل على النّحو المذكور، ثمّ ما يتعلق بالغضبيّة، ثمّ ما يتعلّق بالشهويّة، ثمّ ما يتعلّق باثنتين منها أو ثلاث، لأنّ ذلك أدخل في ضبط الأخلاق، و معرفة أضدادها، و العلم بمبادئها و اجناسها، و هو من أهمّ الأمور لطالبي هذا الفنّ. و ما تعرّضتُ لتدبير المنزل و سياسة المُدن، لأنّ غرضنا في هذا الكتاب إنّما هو مجرّد إصلاح النّفس و تهذيب الأخلاق و سمّيته بجامع السعادات و رتّبتُه على ثلاثة أبواب...»[٣]

و قال الشيخ الأستاذ محمد رضا المظفّر عميد كلّيّة الفقه في النجف الأشرف، في مقدّمته

---

١ ـ المحجّة البيضاء، ١/١ و ٢.

٢ ـ الذّريعة، ٥ / ٥٨.

٣ ـ جامع السعادات، ١/ ٣.

هذا الكتاب: «و امّا أسلوبة العلمي، فقد بناه مؤلّفه من أوّله إلى آخره على نظريّة الوسط و الاطراف في الأخلاق، تلك النظريّة الموروثة من الفلسفة اليونانيّة و قد بحث عنها المؤلّف في الجزء الأوّل ـ ص ٥٩ ـ، و ليس من حقّنا أن نناقشها و لا يمتازبها هذا الكتاب وحده، فإن شأنه في الإعتماد علىٰ هـذه النـظريّة الأسـاسيّة شأن سـائر كـتب الأخـلاق الإسـلاميّة العلميّة».[١]

و من مميّزات هذا الكتاب، جعل أساس تقسيمه فيه على القوى الثـلاث العـاقلة و الشهويّة و الغضبيّة و قد علّلها بأنّ: «جميع الفضائل و الرذائل لا تخرج عن التعلّق بالقوى الثلاث »[٢]

ثم ذكر لكلٍ من القوى ما يتعلّق بها من اجناس الرذائل و الفضائل ثم ذكرأنواعها و طبّق علىٰ كلّ نوع نظريّة الوسط و الاطراف، و هذا أمر لم يسبقه أحدكما أدّعىٰ نفسه، فقال: «اعلم انّ احصاء الفضائل و الرذائل و ضبطها و إدخال البعض في البعض، و الإشارة إلى القوّة الموجبة لها على ما فصّلناه، ممّا لم يتعرّض له علماء الأخلاق بل إنّما تعرّضوا لبعضها و يظهر من كلامهم في بعض المواضع المخالفة في الإدخال»[٣].

سيرة التأليف في مصادر الأخلاق

ممّا سبق من ذكر تطوّر التآليف الأخلاقيّة الإسلاميّة نستطيع أن نقسّم مصادر علم الأخلاق إلى أربعه مجاميع متميّزه:

المجموعة الأولى: الكتب الأخلاقيّة الفلسفيّة: من أمثلة هذه المجموعة «السعادة و

---

١ ـ جامع السعادات، ١ / ٧١.
٢ ـ جامع السعادات، ١ /٦٦.
٣ ـ جامع السعادات، ١ /٧٢.

الاسعاد» و «تهذيب الأخلاق» و غيرها.

و الملاحظ علىٰ هذه المجموعة ما يلي:

الف ـ التأثّر بالآثار اليونانيّة، ممّا أدّى اضمحلال الاستفادة من المسائل المعنويه و الاخرويّة، ذات الأثر القيّم في تربية النّفس و تزكيتها، و قد أصبح الأساس الّذي ترتكز عليه هذه الكتابات هو المنافع المادّيّة و المعايير العقليّة و القيّم الاجتماعيّة و حسب.

ب ـ أنّ الإطار الفكري للفيلسوف و الحكيم يتناول الإنسان كمتفكّر و عالم، و لذا فإنّ تعامل الفيلسوف و الحكيم مع الإنسان ينحصر بالكمال الفكري له فقط، و هذه الطريقة ليست إلّا نظرة ناقصة للإنسان.

صحيحٌ أنّ للكمال العقلي أصالة متميزة، و لكن يجب أن لا تكون على حساب سائر الكمالات الإنسانيّة الأُخرى، بحيث تهمل و لا يُعتنى بها، و يبحث عن كمالات الإنسان من خلال زاوية ضيّقة هي الكمال العقلي فقط. فهذا النوع من أسلوب اللامبالاة و التقصير في مراعاة سائر الجوانب الكماليّة للانسان هو بلا شكّ أسلوب ناقص في الدراسات الأخلاقيّة.

ج ـ يعتبر تهذيب النّفس و بناؤها من التمارين الشّاقّة الّتي تتطلّب هِمّة عالية و جُهداً منقطع النظير و تربية طويلة الأمد. و أقلّ ما ينتظر من مصنّفات الأخلاق في هذا السبيل هو أن تكون دليلاً و برنامجاً يعين الإنسان على تخطّي صِعاب و مشاقّ العمليّة التربويّة.

و ممّا يؤسف عليه أنّ الكتب الأخلاقيّة الفلسفيّة تنقصها هذه الخصوصيّة، فهي غير كفؤةٍ في هذا الجانب، و غير قادرةٍ على احتواء قلب الإنسان وفكره، و بالنتيجة لم تترك أيّ أثرٍ إيجابي في بناء الإنسان و تقويم خلقه.

د ـ أنّ هذه المجموعة من التصانيف الأخلاقيّة تزخر باصطلاحات و مطالب علميّة و فنّيّة كثيرة، و قد صُنّفت بطرازٍ خاصٍ يصعب معه إدراك مضامينها بسهولة، بل لم يكن ذلك متيسّراً لكلّ الفئات و الطّبقات الإجتماعيّة ذات الثقافات المتباينة، و لهذا لم تجد لها طريقاً

بين عامّة النّاس، بل انحصرت بفئةٍ إجتماعيّة خاصّة، و انحرمت منها كثير من الفئات.

المجموعة الثانية: الكتب الأخلاقيّة العرفانيّة: من أمثلة هذه المجموعة «أوصاف الأشراف» و «رسالة السير و السلوك»[1] و «مثنوي معنوي»[2] و «تذكرة المتّقين»[3] و غيرها.

و هذه المجموعة من الآثار الأخلاقيّة تحتوي علىٰ جوانب عمليّة و عرفانيّة تكشف عن صِلة الإنسان مع نفسه و مع العالم المحيط به و مع خالقه. و تعتمد علىٰ أفكار و أقوال السالكين، و تبيّن طبيعة و أخلاق و قواعد العظماء من العلماء المتعبّدين، الذين عُرفوا بين النّاس بأنّهم أهل سير و سلوك عرفاني خاصٍّ.

و من الطبيعي أنَّ هذا القسم من العرفان، و الّذي يُسمّىٰ السير و السلوك لا يتناقض مع الأخلاق الإسلاميّة.

ولكن من الملاحظ علىٰ هذه المجموعة ما يلي:

الف ـ هذه الكتب تشتمل علىٰ طُرق العرفاء العمليّة و الأخلاقيّة لأجل السير و السلوك و تخلو من المباحث العلميّة و النظريّة في مورد الأخلاق و الفضائل و الرذائل و طريقة كسب الفضائل و طرق معالجة الرذائل.

ب ـ يُستفاد من هذه الكتب و الرسائل لأُولئك الذين طووا بعض المراحل من منازل تزكية النّفس و السّير، و قطعوا شوطاً فيها، لأنَّها تشتمل على مباحث أخلاقيّة صعبة و رياضات طويلة شاقّة لتهذيب النّفس و تزكيتها و لهذا فإنَّ هذه المجموعة من الكتب و الرسائل أيضاً لم تكن صالحة لاستفادة كلّ الطبقات، سيّما عامّة الناس، الّذين هم أحوج

---

١ ـ للعارف العميد، السيد بحر العلوم، (م ١٢١٢ هـ).

٢ ـ للمولىٰ جلال الدين محمد بن بهاء الدين البلخي الرّومي (م ٦٧٢ هـ).

٣ ـ للعارف المتأخّر، الشيخ محمد البهاري الهمداني، (م ١٣٢٥).

أفراد المجتمع إلى دروس الأخلاق، لأنّهم لم يكونوا قد أمضوا شيئاً من مراحل و منازل تزكيّة النّفس و السير، أو مقدّماتها.

المجموعة الثالثة: الكتب الأخلاقيّة الرّوائية: من أمثلة هذه المجموعة «أصول الكافي، كتاب الايمان و الكفر»[١] و «مكارم الأخلاق»[٢] و «المواعظ» و «الخصال»[٣] و «بحار الأنوار، كتاب الإيمان و الكفر»[٤] و «تحف العقول »[٥] و «المحاسن»[٦] و غيرها.

و في تطوّر التآليف الأخلاقيّة لم نذكر هذه الكتب بين مصنّفات الفنّ، و ذلك لأنّها لم تكن خاصّة بموضوع الأخلاق و حسب، كما أنّها لا تنضوي تحت منهجٍ علميٍّ مرتّبٍ خاصٍّ لائقٍ بالأخلاق، و إنّما ألّفت وفق ذوق و طريقة المؤلف الشخصيّة.

الف ـ أنّها تخلو من البحث العلمي و النّظري في باب الأخلاق و الفضائل و الرذائل، و جلّ ما تحويه هو إيراد الرواية و بعض بيانات أو توضيحات المؤلفين.

ب ـ أنّها بحاجةٍ إلىٰ تحليلٍ و شرحٍ و توجيه، و ذلك لأنّ بعض الرّوايات مَثارٌ للجدل و النّقاش، و بعضها الآخر متشابه أو متناقض.

المجموعة الرابعة: الكتب التلفيقيّة

و المراد منها الكتب الّتي جمعت الأساليب المختلفة، الفلسفيّة و العرفانيّة و الروائيّة و لفقت بينها، و امتازت بخصوصيات معينة.

و من أمثلة هذه المجموعة «رسائل إخوان الصفا» و «إحياء علوم الدين» و «المحجة

---

١ ـ لثقة الإسلام الكيني، (م ٣٢٩).

٢ ـ للشيخ ابى‌نصر بن على الطبرسى (من اعلام القرن السّادس).

٣ ـ كلاهما للشيخ الجليل الصدوق (م ٣٨١).

٤ ـ للعلّامه الجلسى، (م ١١١٠).

٥ ـ للشيخ الأقدم ابو محمد ابن شعبة الحرّانى، (من اعلام القرن الرّابع).

٦ ـ للشيخ الثقة أبو جعفر البرقى، (٢٧٤ او ٢٨٠).

البيضاء» و «جامع السعادات» و «كيمياي سعادت» و «معراج السعادة» و أَنّ كتابنا هذا من هذه المجموعة أيضاً.

و أُسلوب التلفيق في هذه المصنّفات إمّا أن يكون بطريقٍ روائي فلسفي، أو روائي عرفانى، أو روائي فلسفى عرفاني.

و قد شاعت أمثال هذه المصنّفات في القرن الخامس الهجري و ما بعده حيث إنّ التطوّر و التكامل الّذي حصل في العلوم الإسلاميّة المختلفة امتدّ ليشمل علم الأخلاق أيضاً، و كانت هذه الطّريقة أي التلفيق مِن مبتكرات تلك المرحلة، و أمّا فترة ما قبل القرن الخامس الهجري فقد كانت تزخر بالأساليب الروائيّة الفلسفيّة أو العرفانيّة.

و رغم أنّ كلّ مجموعة من مجاميع المصادر الأخلاقيّة يتمتّع بامتيازات خاصّة و له نهجه الخاصّ، إلّا أنَّ المجموعة الرابعة من المصادر (الكتب التلفيقيّة) تعتبر الأنسب من بين مناهج مصنّفي المجاميع الروائيّة و الفلسفيّة و العرفانيّة، و ذلك بسبب التنوّع في أُسلوبها.

حاجّةُ الفنّ إلى كتاب حديث و باسلوب جامع

ما أحوجنا في هذا العصر إلى كتاب مفصّل و منظّم في علم الأخلاق ! تعنى بشؤون الحكمة العمليّة. و قد تصدّى لهذا الأمر، استاذ الفنّ، سماحة آية الله الشيخ حسين المظاهري ـ دام فضله و توفيقه ـ لتنظّم موسوعة علميّة حديثة لهذا العلم، باسم «الأخلاق» و من ثمَّ أَنشأ «مركز الدراسات و البحوث الأخلاقيّة».

و قد حالت موانع كثيرة دون اصدار مجلّدات هذه الموسوعة القيّمة في وقت متقدّم، و قد تذلّلت بعض الصعوبات و تهيّأت الفرصة بحمد الله و منّه لنشر المجلّد الأوّل منها و سيتلوه باقى المجلّدات بإذن الله و توفيه.

أهمّ مميّزات كتاب «الأخلاق» و النواحي الفنّيّة فيه

في هذا الموقف نتعرّض لبيان أهمّ مميزاتها لكى تعرفوها بشيء من الاختصار.

الأوّل: كما قد بيّنّاه آنفاً: يطغى علىٰ بعض الكتب الأخلاقيّة، طابع البحث النظري و الفلسفى مع إهمال الجوانب الأُخرىٰ ذات الأثر الإيجابى في تهذيب الأخلاق، و يطغى على الآخر منها، طابع البحث العلمي و الديني مع إهمال الجوانب الأُخرىٰ، كما يغلب علىٰ بعضٍ منها المباحث العمليّة الصِرفة و يهمل الجوانب الأخرىٰ.

ولكنّ في كتاب «الأخلاق» يضمّ هذه الجوانب المختلفة جنباً إلىٰ جنب، فهو يشتمل على بحث الأخلاق النظريّة و العمليّة، و المراد بالقسم النّظري: تبيين الفضائل و الفرق بين المشابهات منها و الاستدلال على حسن الفضائل و قبح الرذائل، و المراد من القسم العملي: تبيين كيفيّة تهذيب النّفس و بيان مراتب السير إلى الحقّ تعالى و بيان الوصايا و الإرشادات الكلّيّة و الجزئيّة لتهذيب الأخلاق و تزكية النفوس و تصحيح الأفعال و الأقوال.

الثّانى: من أهمّ ما يؤاخذ على المصنّفات الأخلاقيّة، هو عدم التميز بين الأخلاق و الأخلاقيّات، و الفضائل و الرذائل لكلٍّ منهما ولكن في هذا الكتاب فرّق بينهما و لم يسبقه إليه أحد فيما نعلم. و أشار المصنّف الاستاذ إلى ذلك بقوله: «المراد من الفضائل الأخلاقيّة و الرذائل الأخلاقيّة هي صفات الفصيلة و صفات الرّذيلة و المراد من الفضائل الأخلاقيّات و الرذائل الأخلاقيّات هي الأعمال الحسنة و الأعمال القبيحة. و تقدّم الأخلاق على الأخلاقيّات، لأَنّ الأخلاق بمنزلة المعدن و العين للأخلاقيّات، لأنّ الأخلاقيّات كلّها تنبع

منها، قال الله تعالى ﴿قُل كُلٌّ يَعمَلُ عَلىٰ شَاكِلَتِهِ﴾.[1]

الثالث: في حين يخلو أغلب مصنّفات الأخلاق من أبحاث تدبّر المنزل و سياسة المُدن و يتوجّه إلى إصلاح النّفس و تهذيب الأخلاق و حسب، ولكن هذا الكتاب اشتمل على هذه الأبحاث و غيرها في القسم الثاني منهاي الأخلاقيّات.

و من ثمّ فإنَّ هذا الكتاب، كتاب الأخلاق بالمعنى العامّ لأنّ الأخلاق قد وَرد بمعنيين، المعنى العامّ و هو الحكمة العمليّة و المعنى الخاصّ و هو علم تهذيب الأخلاق.

و علىٰ تعبيرٍ آخر، فإنّه يشتمل علىٰ تمام أركان الحكمة العمليّة، فهو يحتوي علىٰ تهذيب الأخلاق و تدبير المنزل و سياسة المُدُن.

الرّابع: قد سبق في تضاعيف توضيحاتنا على جامع السعادات: أنّ بناية النّراقى فيه على نظريّة الوسط و الإفراط و التفريط في الأخلاق، تلك النظريّة الموروثة من الفلسفة اليونانيّة، ولكن ناقشه المصنِّف في هذا الكتاب و أثبت أنّ الفضائل و الرذائل لا تكون من صنف واحد بل الرذائل أضداد الفضائل و يمكن أَن توجد فضيلة بلا عِدّ و ضِدّ.

الخامس: قد سبق أيضاً في تلك التوضيحات انّ أساس تقسيمه للكتاب على القوى الثّلاث العاقلة و الشّهويّة و الغضبية، و لكن لم يعتمد المصنِّف مسألة إرجاع و تقسيم القوى، بل تناولها بالمناقشة و البحث.

السادس: مما يؤاخَذ علىٰ كتب الأخلاق اعتياد أكثر مصنّفيها على المراسيل من الأخبار و الأحاديث و نقل المنقولات غثها و سمينها مهما كانت طرفها، دون الإشارة إلىٰ مصادرها، و لقد أجاد الشيخ الاستاذ المظفّر في مقدّمته على جامع السعادات: «... انّها لا يختصّ بهذا الكتاب وحده من بين كتب الأخلاق الإسلاميّة بل هذا ديدنها و كأَنّ هَمّ أصحابها من الاستشهاد بالمنقولات نفس أداء الفكرة فإذا كانت بحسب نظرهم صحيحة مقبولة في

---

١ ـ الاسراء / ٨٤.

نفسها فلا يجب عندهم أن يكون الحديث الّذي يتضمّنها صحيحاً مقبولاً في عرف أهل الحديث ... و لعلّ هذا التسامح عذراً مقبولاً في مذهبهم علىٰ ما قدّمنا، لو لم تكن فيه إساءة إلىٰ أمانة النّقل في أهمّ تراث إسلامي دينى في حين كان من الممكن تحاشيها بقليلٍ من التحقيق و البحث، علىٰ انّ في الثابت الصحيح عن آل البيت عليهم السلام ما فيه الكفاية للالمام بنواحى الأخلاق المطلوبة و ما في الكافي كاف وحده في هذا الباب»[١].

امّا في هذا الكتاب قد وردت الرّوايات و الأخبار من طُرُق الشيعة الإماميّة و إنّ لم يهتمّ باعتبار بعضها اهتماماً أشدّ.

أُسلوب الكتاب و محتويٰه

بدأ الاستاذ المصنّف كتابه بمقدّمة تشتمل علىٰ معنى الأخلاق و فلسفتها و ما يتعلّق بها في خمسة فصول.

ثم شرع في القسم الأوّل منه و هو البحث عن الأخلاق، أَمّا القسم الثاني فيشتمل على الأخلاقيّات، و قسّم كلّ قسم إلى عدّة فصول و في كلّ فصلٍ يتناول الفضيلة و ضدّها أو أضدادها و يتعرّض البحث في محتواها و أطرافها، مع بيان الفرق بين الفضائل و طُرق كسبها و معالجة الرذائل، و يعضد بحثه بالآيات القرآنيّة الشريفة و الرّوايات المأثورة الّتي تنطوي علىٰ نكاتٍ أخلاقيّة شيّقَة، في ختام كلّ بحث.

و يشتمل هذا المجلّد علىٰ عشرة فضائل و عشرة رذائل في ضمن عشرة فصول و يتلوها البحث عن باقى الفضائل و الرذائل في ضمن فصول أُخر في المجلّدات الآتية الّتي سننشرها قريباً، بإذن الله و توفيقه.

---

١ ـ جامع السعادات ١ / ق.

دعاء و استدعاء

و أخيراً نتمنّىٰ من كلّ المعينين بهذا الفنّ الفريد و جميع أصحاب الفِكرة و الثقافة، سيّما أساتذة الحوزات و المجامع العلميّة، التفضّل علينا بنظراتهم لغرض النهوض بهذا السفر الجليل و تكميلها في المجلّدات التّالية أو بترجمتها الفارسيّة الّتي سننشرها قريباً، إن شاء الله تعالى.

هذا و نسأل الله سبحانه الكريم أن يأخذ بأيدينا لما فيه الخير من ديننا و دنيانا و رضا سيّدنا و مولانا صاحب الأمر بقيّة الله الأعظم ـ أرواحنا و أرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء ـ و الله ولىّ التوفيق.

و ذلك فضل الله يؤتيه من يشا ... و يرجى لعبد قارع الباب لازم
فيا ربّ وفّق واْعف و افتح و عافنا ... و صلّ على المختار من آل هاشم

و آخر دعوانا أنّ الحمدلله ربّ العالمين و صلّى الله علىٰ محمّد و آله الطاهرين.

محرم الحرام ۱۴۱۳ ـ مرداد ۱۳۷۱

مؤسسة الزهراء عليها السلام الثقافية

مركزالدراسات والبحوث الاخلاقيّة[1]

---

۱ ـ قم المقدّسه، صندوق البريد ۹۳۳ ـ ۳۷۱۸۵.

خطبة الكتاب

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين و صلّى الله على خير خلقه الّذي وصفه في التنزيل العزيز بقوله: ﴿و انّك لعلى خلق عظيم﴾،[1] محمّد و آله الطّاهرين الوصوفين في الكتاب بقوله تعالى: ﴿انّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس اهل البيت و يطهّركم تطهيراً﴾[2]، سيّما بقيّته في أرضه المنعوت بقوله: ﴿و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر انّ الارض يرثُها عبادي الصّالحون﴾[3] و لعنه الدائم على أعدائهم الّذين هم ﴿الشّجرة الملعونة في القران﴾[4]، و قد أنزل فيهم: ﴿و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الارض مالها من قرار﴾[5] كما و قد أنزل فيهم: ﴿أذلك خير نزلا ام شجرة الزّقّوم إنّا جعلناها فتنة للظّالمين إنّها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانّه رؤس الشياطين﴾.[6]

قبل الورود في صلب البحث نأمّله سبحانه و تعالى الّذي هو مستجمع لجميع الصّفات الكماليّة المقدّر للخير كما أخبر عنه في الذكر الحكيم بقوله: ﴿و إن من شيء إلّا عندنا خزائنه

---

١ ـ القلم / ٤. ٢ ـ الاحزاب / ٣٣. ٣ ـ الانبياء / ١٠٥. ٤ ـ الاسراء / ٦٠.

٥ ـ ابراهيم / ٢٦. ٦ ـ الصّافات / ٦٢ ـ ٦٣.

و ما ننزله إلّا بقدر معلوم﴾[١] أن يوفقنا لأتمام هذا الأثر الثّمين بحسب الموضوع و العلم الّذي لا يمكن الورود فيه و الخروج عنه إلّا بفضله و كرمه.

قال تعالى: ﴿و لولا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من احد ابداً ولكنّ الله يزكّي من يشاء﴾[٢] بحقّ من قال في حقّهم: ﴿ضرب الله مثلاً كلمة طيّبة كشجرة طيّبة اصلها ثابت و فرعها في السّماء تؤتى اكلها كلّ حين باذن ربّها﴾[٣] الّذين هم وسائط فيضه المنعوتون بقوله: ﴿و جعلناهم ائمّة يهدون بامرنا﴾[٤] و هم محمّد و آله الطّيّبون المعصومون الطّاهرون صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين.

١ـالحجر / ٢١. ٢ـالنّور / ٢١. ٣ـابراهيم / ٢٤. ٤ـالانبياء / ٧٢.

مقدّمة الكتاب

الفصل الأوّل

تعريف علم الأخلاق

تعريف علم الاخلاق

الأخلاق جمع الخُلْق ـ بضمّ الخاء و سكون اللّام ـ السيرة و السّجايا كما انّ الخَلْق ـ بفتح الخاء و سكون اللّام ـ الصّورة الظاهريّة و الشكّل.

قال الرّاغب في المفردات: «الخَلق و الخُلق في الاصل واحد كـالشّرب و الشّرب و الصوم و الصوم، لكن خصّ الخَلق بالهيئات و الاشكال و الصّور المدركة بالبصر، و خصّ الخُلق بالقوى و السّجايا المدركة بالبصيرة».

و في اصطلاح علم الأخلاق اعمّ منه و من الاخـلاقيّات اي الافـعال و الاقـوال و الافكار النّاتجة عن تلك الصّفات، فضيلة كانت تلك الصّفات ام رذيلة.

فبناءً عليه علم الأخلاق هو علم يبحث فيه عن الصّفات الكامنة في النّفس، و عن الافعال و الاقوال و الافكار الناتجة عنها، و عن كيفيّة تهذيب النّفس عن الرذائل، و تحلّيها بالفضائل و عن طرق السعادات الابديّة و ارائتها و عرضها و...

الأخلاق من الفطرّيات

يظهر من القرآن الشريف انّ حسن الفضائل و قبح الرذائل يُـعدّ مـن الفـطريات و

الوجدانيات و النّفس تدركه فطرة من غير حاجة إلى تعلّم أنّ الظّلم قبيح و العدل حسن.

قال تعالى: ﴿**و نفس و ما سوّيها فالهمها فجورها و تقويها**﴾.[۱]

و «فجور النفس» هو الرّذائل و «تقويها» هو الفضائل.

فادراك حسن الفضائل و قبح الرّذائل كادراك وجود واجب الوجود و صفاته العليا و اسمائه الحسنى، فكما انّ الإنسان لو كشفت له الغطاء و زالت عنه الغفلات يدرك فطرة و يجد و يرى بقلبه أنّ هناك ذاتاً جامعة للصّفات الكمالية، قال الله تعالى: ﴿**فأذا ركبوا في الفلك دعو الله مخلصين له الدّين**﴾[۲]، فهو يراه و يدعوه، و يدرك وحدته فلايلتفت إلّا اليه، و يرى انّه سميع، عليم، قدير، جواد، رئوف، و .... فيدعوه و يطلب منه انجاءه من المهالك و حوائجه و ... فكذلك يجد و يرى بقلبه و فطرته حسن الفضائل و قبح الرّذائل.

و هذا معنى قولنا انّ الأخلاق من الفطريات.

فحسن العفّة و الشجاعة و العدالة لا يحتاج إلى دليل و برهان، كما انّ قبح الشّره و التّهوّر و الظّلم و الخمود و الجبن و الانظلام ايضاً كذلك.

الأخلاق من العلم الحضورى

ينقسم العلم إلى حصوليّ و هو حصول صورة الشّئ في النّفس، و حضوريّ و هو حصول نفس الشّيء عند النّفس و الأوّل نظير العلم بالاشياء الخارجيّة و الثّاني هو علم النّفس بمعلوماته.

إذا عرفت ذلك فاعلم انّ الفضائل و الرّذائل من القسم الثّاني، إذ الفضائل و الرّذائل كلّها ملكات موجودة في النّفس، فهما من باب حضور الشّئ عند الشّئ، ضرورة انّ الفضائل كلّها و الرّذائل كلّها في النّفس بل الأفكار و الأقوال و الأعمال ناشئة منها.

---

۱ ـ الشّمس / ۷ و ۸.   ۲ ـ العنكبوت / ٦٥.

قال تعالى: ﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾[١].

قال في المفردات: «و قوله قل كلّ يعمل على شاكلتهاي على سجيّته» بل على مقتضى قاعدتي انّ النّفس في وحدتها كلّ القوى، و اتّحاد العاقل و المعقول الحِكْميّتين، انّ بين النّفس و بين الفضائل و الرّذائل نحو اتّحاد. لكنّ المقام خارج عن تفصيل مثل هذه المطالب.

العقل النظري و العقل العملى

انّ من المدركات ما لايكون تحت خيار المرء و هو خارج عن حيطة العمل، فالعقل بهذا الاعتبار يطلق عليه العقل النظرى، و منها ما يكون تحت خياره و مرتبط بالعمل، فالعقل بهذا الاعتبار يطلق عليه العقل العملى، فالاوّل نظير العلم بالمبدء و المعاد و الثّانى نظير العلم بتهذيب النّفس.

و بما ذكرنا يظهر انّ نسبة النظري و العملى إلى العقل من باب نسبة الصّفة إلى متعلّق الموصوف حيث إنّ نسبة النّظري و العملى إلى المدركات لا إلى العقل و لكنّهما من المصطلح عليهما في هذا العلم منذ قديم الزمن.

الأخلاق النّظري و الأخلاق العملي

كما انّ العقل ينقسم إلى النّظري و العملى، كذلك الأخلاق ينقسم إلى الأخلاق النظري و الأخلاق العملى.

و المراد من الأخلاق النظري تبيين الفضائل عن الرّذائل، و بتفصيل أدقّ تبيين الفضائل و بيان الفرق بين المشابهات منها، و كذلك تبيين الرّذائل و بيان الفرق بين المشابهات منها، و الاهتداء إلى حسن الفضائل و قبح الرّذائل.

---

١ ـ الاسراء / ٨٤.

و المراد من الأخلاق العملى تبيين كيفية تهذيب النّفس و بيان مراتب السّير إلى الحقّ تعالى و عرض الوصايا الكلّيّة او الجزئيّة لتهذيبها و للسّير من منزل إلى منزل آخر.

و هذا الاصطلاح ايضاً هو من قبيل تعلّق الصّفة بحال متعلّق الموصوف، لانّ هذه كلّها ترتبط بعلم الأخلاق لا بنفس الاخلاق، لانّ الأخلاق هي الصّفات الكامنة في النّفس من الفضائل و الرّذائل، و تلك الصّفات ليست نظريّه و لا عمليّة فالنّظريّة من المدركات العقليّة، و العمليّة من الافكار و الاقوال و الاعمال، بل انّها من جهة من المدركات العقليّة ايضاً.

نسبيّة الأخلاق و اطلاقها

هل الأخلاق نسبي او مطلق؟

الحقّ انّه مطلق و ذهب شر ذمة إلى نسبيته و هو خطأٌ فاحش.

توضيح ذلك: انّ المراد بالنّسبيّة هو انّ الأخلاق يختلف حسنه و قبحه بالنّسبة إلى الازمنة و الامكنة و الافراد و الاقوام و الحالات الشتيتة. و المراد من كونها مطلقاً انّه لايختلف حسنه و قبحه بحسب العوامل و الممهّدات اصلاً، و ما يكون من الفضائل فهى فضيلة عند الكلّ في كلّ زمان و مكان و حالةٍ. و ما يكون قبيحاً فقبحه كذلك.

و حيث انّا اثبتنا في صدر الفصل الأوّل كونه من الفطريات و انّه من العلم الحضوري فكونه مطلقاً لا يحتاج إلى برهان آخر، و يكفيك برهاناً درك الفطرة إيّاه و امضاء القرآن له.

قال تعالى: ﴿و نفس و ماسوّيها فألهمها فجورها و تقويها﴾.[١]

و ممّا يوجب أن يتوّهم نسبيّتها ما يترائى من تجويز العقل بل الزامه بعض القبائح كارتكاب الكذب لحفظ نفس محترمة او أكل مال الغير او التّصرّف فيه لحفظ النّفس او

---

١ ـ الشّمس / ٧ و ٨.

حفظ النّظام.

ولكن يرد هذا الوهم اولاً بانّ هذه الامثلة كلّها من الاخلاقيّات لا من الأخلاق، فلو سلّم صحّة الكلام فالنّسبيّة و الاطلاق ترجعان إلى الاخلاقيّات اي الافعال و الاقوال، لا إلى الفضائل و الرّذائل.

و ثانياً انّ الّذي يسهّل الخطب انّ إلّامثلة كلّها من باب الاهمّ و المهمّ و تقديم الاهمّ على المهمّ و هو أيضاً من الفطريات.

توضيح ذلك: انّ الكذب قبيح و لا يتغيّر عن قبحه اصلاً ولكنّ العقل و امضاء الشّرع قد يجوّزان بل يوجبان ارتكابه كما إذا توقّف حفظ نفس محترمة مثلاً عليه، فهذا ليس من باب نسبيّة الأخلاق و تبديل القبح بالحسن، بل من باب تقديم الاهمّ على المهمّ و ارتكاب قبيح للتّخلّص من الاقبح.

ملخّص الكلام انّ فطرة كلّ انسان ترى حسن الفضائل كلّها كالعفّة مثلاً و ذلك الحسن لا يتبدّل و لا يتغيّر في زمان او مكان او عند قوم أو فرد، و كذلك الرذائل بلا فرق أو تفاوت، و كذلك الاخلاقيّات. و امّا لو ترى جواز قبيح عقلاً او وجوبه فهو من باب الاهمّ و المهمّ لا من باب نسبيّة الأخلاق أو الاخلاقيّات.

الأخلاق وسيلة إلى الله تعالى

انّ تهذيب النّفس و التّخلّق بالفضائل و إن كان من اوجب الواجبات العقليّة و الشّرعيّة حيث به يصل السالك إلى المقام المحمود، و انّ علمه أشرف العلوم إلّا انّه ليس إلّا وسيلة للوصول إلى مقام العبوديّة. فكما انّ العبادات كلّها قد شرّعت و النّواهي كلّها قد وضعت للوصول إلى مقام القرب و العبوديّة فكذلك التّهذيب عن الرّذائل و التّخلّق بالفضائل لهما نفس الغاية و الغرض.

فلذا يُرى انّ الواصلين إلى مقام اللقاء عدّوا التّهـذيب و التـخلّق مـن المـقدمات و المنازل، قالوا: انّ المنازل للوصول إلى القرب خمسة: التّوبة و اليقظة و التّخليه و التّحلية و التّجلية.

و مرادهم من التّوبة الرّجوع من التقصير و القصور و نبذ المعاصي و الخطايا إلى الله تعالى، و الانابة و التّضرّع إليه، و استشعار النّدم و الحياء، و الاقرار بانّه ـ اي التائب ـ فقير كلّ الفقر و لا مؤثّر في الوجود إلّا هو تعالى حتّى يتبدّل السّيّئات بالحسنات.

قال تعالى: **﴿إلّا من تاب و أمن و عمل عملاً صالحاً فـاولئك يـبدّل الله سـيّئاتهم حسنات﴾**[1].

و المراد من اليقظة هو التّنبّه و التّقيّد بظواهر الشّرع من الواجب و المندوب و اجتناب المحرّمات؛

قال تعالى: **﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فنحيينّه حيوة طـيّبة و لنجزينّهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾**.[2]

و المراد من التّخلية تهذيب النّفس عن الرّذائل؛

قال تعالى: **﴿قد افلح من زكّيها و قد خاب من دسّيها﴾**.[3]

و المراد من التّحلية التّخلّق و التّحلّي بالفضائل و الوصول إلى مقام الأمن و الاطمينان؛

قال تعالى: **﴿ألا انّ اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾**.[4]

و المراد من التّجلية تنوير القلب بنور المعرفه؛

قال تعالى: **﴿أو من كان ميتاً فاحييناه و جعلنا له نوراً يمشي به في النّاس كمن مثله في الظّلمات ليس بخارج منها﴾**.[5]

---

١ ـ الفرقان / ٧٠.　٢ ـ النّحل / ٩٧.　٣ ـ الشّمس / ٩ و ١٠.　٤ ـ يونس / ٦٢.

٥ ـ الانعام / ١٢٢.

ثمّ إنّهم ذهبوا إلى انّ طيّ هذه المنازل يوصل السّالك إلى مقام اللّقاء بمراتبه؛

قال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربّه احداً﴾.[١]

و مرادهم من اللّقاء و مراتبه ليس إلّا مقام القرب و العبوديّة و حكم الله تعالى و سلطانه على القلب.

هذا غيض من فيض أقوالهم، و تفصيل ذلك سيأتى إن شاء الله تعالى.

---

١ ـ الكهف / ١١٠.

الفصل الثّاني

موضوع علم الاخلاق

موضوع علم الاخلاق

موضوع علم الأخلاق و إن كان في بادىء النّظر هو الفضائل و الرّذائل إلّا انّه في الواقع هو الإنسان من حيث اتّصافه بهما، كما انّ كثيراً من العلوم كالطّبّ و علم الاجتماع كذلك، مثلاً علم الطّبّ و إن كان في باديْ الرأي موضوعه هو الصّحّة و السّقم إلّا انّ الموضوع في واقع الامر هو الإنسان من حيث اتّصافه بهما، و كذلك سائر العلوم المرتبطة بالانسان.

الإنسان ما هو؟

حقيقة الإنسان في غاية الخفاء و لا يعرفه إلّا صانعه و خالقه، و انّ التّعرّف عليه و كشف هويّته منذ قديم الزمن و لا يزال محور كثير من العلوم القديمة منها و الحديثة.

و نحن نبحث عنه و نحاول انّ نتعرّف عليه في محور الاخلاق، و مبادىء هذه المعرفة مأخوذةٌ من القرآن الكريم الّذي هو كتاب الاخلاق، و من المعلوم انّ البحث هو عن آثاره لا عن حقيقته.

يظهر من الذكر الحكيم انّ الإنسان عصيرة عالم الوجود و خلاصته بل و قد انطوى فيه جميع ما في العوالم من الكمال و لله درّ من أنشد:

دوائك فيك و ما تشعر و دائك منك و ما تبصر

و أنت الكتاب المبين الّذي بأحرفه يظهر المضمر
و تزعم انّك جرم صغير و فيك انطوى العالم الاكبر[1]

و يظهر من القرآن الكريم:

الف ـ انّه خليفة الله في الارض، قال تعالى: ﴿انى جاعل في الارض خليفة﴾.[2]

ب ـ انّه مظهر الاسماء و الصّفات كلّها، قال تعالى: ﴿و علّم آدم الاسماء كلّها﴾.[3]

ج ـ انّه روح الله تعالى، قال: ﴿فاذا سوّيته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾.[4]

د ـ انّه مسجود الملائكة، قال تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلّهم اجمعون﴾.[5]

هـ ـ انّه أمين اللّه تعالى، قال: ﴿انّا عرضنا الامانة على السموات و الارض و الجبال فأبين أن يحملنها و اشفقن منها و حملها الإنسان انّه كان ظلوماً جهولاً﴾.[6]

و الظاهر انّ المراد من الامانة هو القلب الّذي هو عرش الرّحمن، و هذه الدّرجة هي أشرف واعلى درجات الإنسان، فلذا وصفه تعالى في آخر الآية بقوله: ﴿بانّه كان ظلوماً جهولاً﴾. امّا كونه ظلوماً فلانّه لا يعرف قدره ليستفيد من منزلته، و امّا كونه جهولاً فلانّه لايعرف قدر ما كمن فيه من الامانة الّتي توصله إلى مقام لقاء الله بمراتبه.

هذا نموذج من الكلام في علوّ رتبة الإنسان و قدره و منزلته، و الخوض في تفاصيله أكثر من ذلك يخرجنا من اطار هذا العلم إلى موضوع اخر.

و ما يرتبط بالمقام انّ الإنسان بتحمّل المشاق و ترويض نفسه يقدر أن يصل إلى تلك المنازل، قال تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾.[7]

---

١ ـ تفسير الصافي، ج ١، ص ٥٨، عن اميرالمؤمنين عليه السلام. ٢ ـ البقرة / ٣٠.

٣ ـ البقرة / ٣١. ٤ ـ الحجر / ٢٩. ٥ ـ الحجر / ٣٠. ٦ ـ الاحزاب / ٧٢.

٧ ـ السّجدة / ١٧.

خلق الإنسان لماذا؟

هذا السؤال ايضاً من الاسئلة العويصة المثيرة للجدل إلّا انّ القرآن الكريم اجاب عنه في آيات عدة نكتفى ببيان بعضها:

فنها ما يشير إلى أنّ عالم الوجود بشراشره خُلق لأجل الإنسان؛ منها قوله تعالى: ﴿ألم تروا انّ الله سخّر لكم ما في السّموات و ما في الارض و اسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة﴾.[1] و منها قوله تعالى: ﴿لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلوا عليهم آياته و يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة﴾.[2] و دلالة الآيتين و امثالها على كون عالَمي التكوين و التشريع كلّها للانسان لا يقبل الانكار.

و قد أخبر الذكر الحكيم عن الإنسان تارةً بأنّه خلق للعبودية، قال تعالى: ﴿و ما خلقت الجنّ و الانس إلّا ليعبدون﴾.[3] و المراد هو الوصول إلى مقام العبوديّة فلذا قد فسّر الإمام عليه السلام جملة «ليعبدون» بقوله اي ليعرفون.[4]

و تارةً أخرى أخبر عنه بأنّه خلق للوصول إلى مقام القرب، قال تعالى: ﴿و أصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة و اصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة و السّابقون السّابقون اولئك المقرّبون﴾.[5]

و ثالثةً أخبر عنه بأنّه خلق للاستكمال، قال تعالى: ﴿انّا خلقنا الإنسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾.[6]

و رابعة أخبر عنه بأنّه خلق للوصول إلى مقام اللّقاء، قال تعالى: ﴿يا ايّها الإنسان انّك

---

١ ـ لقمان / ٢٠.　٢ ـ آل عمران / ١٦٤.　٣ ـ الذاريات / ٥٦.

٤ ـ علل الشرائع، ١ / ٩، باب ٩، حديث ١.　٥ ـ الواقعه / ٨ ـ ١١.　٦ ـ الإنسان / ٢.

كادح إلى ربّك كدحاً فملاقيه﴾.[١]

و خامسة أخبر أنّه تعالى خلقه برحمته و لرحمته، قال: ﴿إلّا من رحم ربّك و لذلك خلقهم﴾.[٢]

و سادسة أخبر عنه بأنّه خلق للوصول إلى اعلى مراتب الدّنوّ إليه العليّ، قال تعالى: ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنة ارجعى إلى ربّك راضية مرضية﴾.[٣]

و سابعة يقول مخاطباً لموسى عليه السلام: ﴿و اصطنعتك لنفسي﴾[٤] اي انّه خلق الإنسان ليخصّه بنفسه تعالى خاصّة.

و من تتبّع الذكر الحكيم و أمعَن النّظر في مثل هذه الآيات يعرف صدق ما ورد في القدسيّات: «خلقت الاشياء لأجلك و خلقتك لأجلي».[٥]

هذا و إن كان في غاية الخفاء إلّا انّه في غاية الجلاء و الوضوح ايضاً سيّما لاهله فمثل هذه اللّطائف الدّقيقة نظير وجوده سبحانه و تعالى في غاية الخفاء و الجلاء معاً، و لله درّ من قال:

مفهومه من أعرف الأشياء   و كنهه في غاية الخفاء

و ملخّص الكلام انّ هذه الآيات و نظائرها ترشدنا إلى انّ عالِمي الوجود من التّكوين و التّشريع خلق للانسان و امّا الإنسان فقد خلق لله تعالى. و هذا لعمري غاية ممتازة يليق أن يفخر الإنسان بها.

فمن سلك المنازل و طواها و منها التّخلية و التّحلية يصل إلى هذه الرّتبة الّتي لا يمكن الوصول إليها إلّا الذي حظٍّ عظيم.

---

١ ـ الانشقاق / ٦.   ٢ ـ هود / ١١٩.   ٣ ـ الفجر / ٢٧ و ٢٨.   ٤ ـ طه / ٤١.

٥ ـ الجواهر السنية: ٣٦١.

التّوفيق بين الآيات الّتي تخصّ الانسان:

انّ للذكر الحكيم لسانين بالنّسبة إلى الإنسان، لسان المدح من جانبٍ حتّى يعدّه أتمّ و أشرف من سائر المخلوقات كما تشير إليه هذه الآية: ﴿**فاذا سوّيته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين**﴾.[١] و لسان الذمّ من جانب آخر حتّى يقول: ﴿**والعصر انّ الإنسان لفي خسر**﴾.[٢] فمن نظر إلى الآية الاولى و أمثالها له أن يقول انّ الإنسان سعيد بالفطرة، و من نظر إلى الثّانية و أترابها له أن يقول انّه شقي بالفطرة، ولكن التّحقيق انّ الإنسان مركّب من الرّوح و الجسد، فهو من حيث الرّوح سعيد في غاية السعادة كما قال تعالى: ﴿**و نفس و ما سوّيها فألهمها فجورها و تقويها**﴾.[٣] كما انّه من حيث الجسد شقّي جداً، قال تعالى: ﴿**انّ النّفس لامّارة بالسّوء إلّا ما رحم ربّى**﴾.[٤]

و قد جمع الله تعالى جانبى المدح و الذّم في آية واحده و هي شاهدة للجمع بين الآيات كلّها و هو قوله تعالى: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثمّ رددناه أسفل سافلين**﴾.[٥]

فمن وفقه تعالى و أيّده حتّى سلّط على النّفس الامّارة و روّضها أصبحت تلك النّفس براقاً لمعراجه و هذا سرّ ما يُرى في غالب الآيات الذّامّة للانسان انّه قد استثنى هؤلاء الافراد بقوله تعالى: ﴿**إلّا الّذين آمنوا و عملوا الصالحات**﴾[٦] و من لم يوفّقه الله و لم يروّض نفسه فيسقط درجة درجة حتّى يصل إلى اسفل سافلين فتشمله هذه الآية: ﴿**انّ شرّ الدّوابّ عند الله الصّمّ البكم الّذين لا يعقلون**﴾.[٧]

فللانسان و بفضل التدرّج في المنازل من التّوبة و اليقظة و التّخلية و التّحلية و التّجلية أن يصل إلى مقام اللّقاء الّذي جاء ذكره في التنزيل العزيز أكثر من عشرين مرّة.

يظهر من القرآن انّ النّظم و هيمنة الإرادة الالهيّة تسود عالم الوجود، قال تعالى:

---

١ ـ الحجر / ٢٩. ٢ ـ العصر / ١ ـ ٣. ٣ ـ الشّمس / ٧ و ٨. ٤ ـ يوسف / ٥٣.
٥ ـ التّين / ٤ و ٥. ٦ ـ العصر / ٣. ٧ ـ الانفال / ٢٢.

﴿فقال لها و للارض ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا اتينا طائعين﴾.[١] و قال تعالى في الملَك خاصّة: ﴿لا يعصون الله ما امرهم﴾.[٢] و في الحيوانات: ﴿ما من دابّة إلّا هو اخذ بناصيتها﴾.[٣]

ولكنّ الإنسان و إن كان خاضعاً للنظم المشار إليه آنفاً من حيث الجسم إلّا انّه من حيث الرّوح استثنى عن الموجودات و قد قال تعالى في حقّه: ﴿انّا هديناه السّبيل امّا شاكراً و امّا كفوراً﴾.[٤] فهو المخيّر لاختيار السّعادة او الشّقاء، فله أن يصعد في المنازل الصّعوديّة حتّى يصل إلى ما لا يعلمه إلّا الله تعالى وإلى مقام لا يرى فيه سواه، و ذلك كله بارادته من غير جبر فيه.

و قد أحسن الشّيخ السعدي حيث قال:

رسد آدمى بجايى كه بجز خدا نبيند،

بنگر كه تا چه حدّ است مقام آدميّت

اگر اين درنده خويى ز طبيعتت بميرد

همه عمر زنده مانى به روان آدميّت

طيران مرغ ديدي تو ز پاي بند شهوت

بدر آي تا ببينى طيران آدميّت

كما له أن يسقط في المنازل النّزوليّة حتّى يصير مصداقاً لقوله تعالى: ﴿اولئك كالانعام بل هم اضلّ﴾.[٥]

و هذا الاختيار هو الّذي يجعله موضوع علم الأخلاق كما يجعله مكلّفاً بالتّكاليف الشّرعيّة و العقلانيّة و العرفيّة.

---

١ ـ فصّلت / ١١.　　٢ ـ التّحريم / ٦.　　٣ ـ هود / ٥٦.　　٤ ـ الإنسان / ٣.

٥ ـ الاعراف / ١٧٩.

ما الفرق بين الإنسان و الملك و الحيوان؟

إنّ الفرق بين الإنسان و الملك إنّ الملك ليس له غير بعده المعنوي المجرّد بخلاف الإنسان الّذي له بعد معنوي و روحي إلى جانب بعده المادّي النّاسوتي المطلق عليه في مصطلح الذكر بالنّفس الأمّارة.

و امّا الفرق بينه و بين الحيوان انّ الحيوان له بعد مادّي فقط و ليس له بعد معنوي، فللملك و الحيوان بعد واحد، بخلاف الإنسان الّذي هو ذو بعدين.

و هذا النّحو من الوجود يعاضده لأن يستكمل شيئاً فشيئاً بخلاف الحيوانات بل الملائكة، قال تعالى مخبراً عن الملك بقوله: ﴿و ما منّا إلّا له مقام معلوم﴾.[1] و قال جبرئيل لسيّدنا احمد صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لو دنوت أنملة لا حترقت».[2] و لله درّ الشّاعر:

گفت جبريلا بيا اندر پيم   گفت رو رو من حريف تو نيم

و هذا الميز ايضاً يوجب أن يكون الإنسان محور علم الأخلاق و موضوعه.

و موضوع علم الأخلاق هو كلّ ما يتعلّق بالتّكاليف الشّرعيّة و العقليّة و العرفيّة.

الفرق بين الفضائل و الرّذائل

ظهر من المباحث السّابقة انّ حسن الفضائل و قبح الرّذائل فطري، قال تعالى: ﴿و نفس و ما سوّيها فالهمها فجورها و تقويها﴾.[3] كما ظهر انّ درك الفضائل و الرّذائل من العلم الحضوري لا الحصولي، فحينئذ يظهر انّ الفرق بين الفضائل و الرّذائل واضح لا لبس فيه.

١ـ الصافات / ١٦٤.   ٢ـ بحار الانوار، ج ١٨، باب اثبات المعراج، ص ٣٨٢، ح ٨٦.

٣ـ الشّمس / ٧ و ٨.

ولكن قد يتشابه بعض الفضائل ببعض، فيقع السالك من هذه الناحية في غلطٍ لاتخلّص له عنه إلّا بتنبيهه عليه كاشتباه صفة التوكّل بالتفويض مثلاً، و اشتباه التّوكّل بالانقطاع إلى الله، كما يتشابه بعض الرّذائل ببعض الفضائل كالحسد مع الغبطة او المنافسة و التّسابق و كالبخل مع القناعة، كما يتشابه بعض الأخلاقيّات ببعض آخر كمواضع الانفاق و الاسراف و التّزهد و الانعزال و الالفة.

فعلم الأخلاق دوّن لبيان هذه المواضع و الأمور لئلّا يقع المرء في الخطأ و سيأتي إن شاء الله تعالى توضيح ذلك مفصّلاً في محله.

نقد على نظريّة علماء الاخلاق

قد اشتهر في علم الأخلاق انّ للانسان قوى ثلاث و هي القوى: الفكريّة و الشهويّة و الغضبيّة، و انّ حدّ الوسط في تلك القوى الثلاث هو اصول الأخلاق الفاضلة، كما انّ طرفي الافراط و التّفريط في تلك القوى هما اصول الرّذائل الخلقيّة.

و سمّى حدّ الوسط في القوّة الفكريّة بالحكمة، و الافراط فيها بالجربزه، و التفريط فيهما بالبلادة.

و سمّى حدّ الوسط في القوّة الشّهويّة بالعفّة، و طرف الافراط بالشّره، و التّفريط فيهما بالخمود.

و سمّى حدّ الوسط في القوّة الغضبيّة بالشجاعة و الجانبان منها بالتّهوّر و الجبن.

و تحصّل من اجتماع هذه القوى الثّلاث اي الحكمة و العفّة و الشّجاعة قوّة رابعة سمّيت عندهم بالعدالة و الجانبان منها بالظلم و الانظلام.

و قيل: انّ الفضائل كلّها ناشئة من تلك الاصول الاربعة كما انّ الرّذائل كلّها ناشئة من تلك الاصول الثّمانيّة الواقعة في طرفي الافراط و التّفريط.

هذا خلاصة القول في مبنى القوم هيهنا، و من اراد التّفصيل فليرجع إلى مثل تهذيب الأخلاق لابن مسكويه و غيره من مسفورات القوم المفصّلة.

و يرد على هذا ايرادات كثيرة، نذكر بعضها على مايلي:

الف ـ انّ الإنسان مركّب من الرّوح و هو النّفس النّاطقة ـ **﴿و نفس و ما سوّيها فالهمها فجورها و تقويها﴾**.[1] و من الجسم و هو النّفس الامّارة ـ **﴿انّ النّفس لامّارة بالسّوء إلّا ما رحم ربّى﴾**.[2] فهو من حيث الرّوح في غاية العلوّ و من حيث الجسم في غاية التّداني و السّقوط ؛ قال الله تعالى: **﴿لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم ثمّ رددناه اسفل سافلين﴾**.[3] فبمقتضى قاعدة التّسانخ القائلة بأنّ السّنخيّة علّة الانضمام، انّ الفضائل كلّها تنشأ من الرّوح كما انّ الرّذائل كلّها تنشأ من الجسم.

و بهذا البيان يجمع بين نظائر قوليه تعالى: **﴿فاذا سوّيته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾**.[4] و: **﴿انّ الإنسان لفى خسر﴾**.[5]

فالانسان الّذي هو خليفة الله ـ **﴿انّى جاعل في الارض خليفة﴾**.[6] ـ يشابهه تعالى من حيث الرّوح فكلّ الخيرات و الفضائل تنشأ و تصدر منه من تلك الجهة، و من حيث الجسم يشابه الطّاغوت، و كلّ الشّرور و الرّذائل تنشأ منه من جهته.

لّان الخيرات كلّها لله و منه و إليه، و كلّ الشّرور للطّاغوت و منه و إليه، قال تعالى: **﴿ما اصابك من حسنة فمن الله و ما اصابك من سيئة فمن نفسك﴾**.[7]

نعم على مقتضى قاعدة انّ النّفس في وحدتها كلّ القوى الحكميّة، فكل الخيرات و الشّرور منها، كما انّ التوحيد الافعالي يقتضي ذلك الله تعالى ايضاً، قال تعالى: **﴿قل كلّ من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾**.[8] ولكن هذه اللطيفة الدّقيقة و

---

١ ـ الشّمس / ٧ و ٨. ٢ ـ يوسف / ٥٣. ٣ ـ التّين / ٤ و ٥. ٤ ـ الحجر / ٢٩.

٥ ـ العصر / ٢. ٦ ـ البقرة / ٣٠. ٧ ـ النّساء / ٧٩. ٨ ـ النّساء / ٧٨.

أضرابها خارجة عن ما نحن فيه.

فما قيل: انّ العفّة و الشّجاعة و العدالة من النّفس الامّارة، و انّ الجربزه و البلادة من النّفس النّاطقة فهو في غاية السّخف و الانحطاط.

ب ـ انّ الفضائل كلّها ملكات ذات تشكيك موجودة في النّفس النّاطقة بالقوّة ثمّ تظهر و تتبلور مرتبة بعد أخرى حتّى يتخلّق الإنسان باخلاق الله بالممارسات الدّينيّة و الرّياضات العمليّة المشروعة ـ ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنّة ارجعي إلى ربّك﴾.[١] ـ فليست تلك الخلقيات من باب حدّ الوسط بين الافراط و التّفريط ، بل كلّما سمت رتبة و قوّت ظهوراً و تبلوراً ازدادات حسناً و فضلاً، و كلّما نقصت لاتخرج عن كونها عن فضيلة، بل هي فضيلة كامنة في النفس غير ظاهرةٍ فيها.

كما انّ الرّذائل كلّها ملكات ذات تشكيك موجودة في النّفس الامّارة بالقوّة ثمّ تظهر فيها مرتبة بعد أخرى حتّى يتخلّق الإنسان باخلاق البهائم و السّباع ـ ﴿انّ شرّ الدّوابّ عند الله الصّمّ البكم الّذين لا يعقلون﴾.[٢] ـ و ذلك بالممارسات الشّيطانيّه و التّلهيّات النّفسانيّة البهيميّة.

فبينهما بون بعيد و كلّ واحد منهما يضادّ الآخر بحيث لا يمكن أن يجمعهما موضوع واحد.

فما قيل: انّ التّهوّر افراط الشّجاعة و الجبن تفريطها، ليس بشيءٍ مقبول.

ج ـ انّ النّفس النّاطقة تستقوي بالعبادات الدّينيّة و ممارسة الرّياضات المشروعة فتتمكّن من السّلطان على النّفس الامّاره لتمنعها عن الافراط و التّفريط و تعديله، فهذه هي التّقوى الّتي هي مشككة أيضاً. و بذلك تحصل للنّفس ملكة العدالة فتقدر بها على اتيان الواجبات العقليّة و الشرعيّة و الاجتناب عن المحرّمات كذلك.

---

١ ـ الفجر / ٢٧ و ٢٨. ٢ ـ الانفال / ٢٢.

فهذه كلّها امور لا غبار عليها ولكنّها غير ما سلكه علماء الاخلاق، لانّ السلطة على القوّة الشّهويّة هو غير ملكة العفّة كما انّ السلطان على القوّة الغضبيّة هو غير ملكة الشّجاعة و على قوى البهيميّة و الانسانيّة غير ملكة العدالة، و كأنّهم وقعوا في الخلط بين التّقوى و الملكات الفاضلة حين سمّى الأوّل بالثانى بينما انّ بينهما فرق واضح بالضّرورة.

هذه نبذة موجزة من مفصّل و الاسهاب فيه يوجب الملل فلانطول الكلام بتفصيله.

الحسن و القبح العقليان

قد يقال الحسن و القبح و يراد بهما كمال النفس و نّقصانها، كما يقال العلم حسن و الجهل المركّب قبيح، العدل حسن و الظّلم قبيح .

لا اشكال في انّ الحسن و القبح بهذا المعنى من الواقعيات و الأمورالنّفس الامرّية. و بعبارةٍ أخرى انّهما من باب الإخبار عن الواقع، و انّهما بهذا المعنى موضوع علم الاخلاق.

و قد يقال الحسن و القبح و يراد بهما ملائمة النّفس و منافرتها، كما يقال انّ الجمال او الصّوت الحسن حسن و انّ قبح المنظر و الصّوت النّكير قبيح.

لا اشكال في انّهما بهذا المعنى ايضاً موضوع علم الاخلاق. انّما الكلام في انّهما من الواقعيات و الإخبار عنها او من الا عتباريات و ليس لهما ازاء في الواقع؟

و قد يقال انّهما من الا عتباريات معلّلاً بانّ الاذواق مختلفة فلا محالة ما يعدّ عند قوم حسناً يمكن أن يكون قبيحاً عند آخرين.

ولكن هذا التّعليل واه عليل، لانّ الملائمة و المنافرة هنا ملحوظةٌ على نحو القضايا الطّبيعيّة لا الحقيقيّة، فالافراد و حكمهم فيها غير دخيلٍ في حقيقتها.

و نحو هذا الاشكال قد ذُكر في الفطريات ايضاً، و الجواب ههنا هو نفس الجواب هناك.

فتلخّص انّ الحسن و القبح بهذا المعنى ايضاً من الواقعيّات، بل هما إخباران وصفيّان

عن الواقع و نفس الامر.

و قد يقال الحسن و القبح و يراد منهما المدح و الذّم، فيقال الخلق الحسن حسن ممدوح، الشّجاعة ممدوحة و الجبن مذموم.

لا اشكال في انّهما بهذا المعنى ايضاً موضوع علم الاخلاق، كما لا اشكال في انّهما بهذا المعنى من الاعتباريّات و الانشائيّات و ليس بازائهما في الخارج شيءٌ، بل هناك احكام عقليّة يقصدها المتكلّم حين أن استعملها بهذا المعنى. و بعبارةٍ أخرى انّ العقل يحكم بانّ الشّجاعة ممدوحة و ينبغى أن يتّصف المرأ بها و انّ الجبن مذموم و لا ينبغي أن يتّصف به.

و قد يقال الحسن و يراد منه المصلحة و يقال القبح و يراد منه المفسدة، كما يقال انّ اعانة الفقراء حسن إذ فيها مصلحة و انّ اكل مال الغير قبيح إذ فيها مفسدة. ولكنّ الظّاهر انّ هذا القسم ليس قسماً برأسه، بل يرجع إلى احد الاقسام الثّلثة.

ضرورة انّ اعانة الفقراء حسن، لان فيها الكمال و انها ملائمة للطّبع و انّها ممّا يمدحها العقل و يوجب لها المثوبة و يحكم بانّه ينبعي أن يفعل، و انّ اكل مال الغير هو النّقص و انّه منافر للنّفس و انه ممّا يستقبحه العقل و يوجب له العقوبة، فتأمّل. و امّا لو فرض انّ لهما معنى رابعاً فهما بهذا المعنى ايضاً موضوع علم الاخلاق.

فملخّص الكلام انّ موضوع علم الأخلاق هو ما يستحسنه العقل و العقلاء بما له من المعنى الحسن من الفضائل او ما يصدر عنها، و بعبارةٍ أخرى هو الأخلاق و الاخلاقيّات و كذلك هو ما يقبّحه العقل و العقلاء بما له من المعنى القبيح للرّذائل او ما ينشأ عنها.

هذا ولكن قد مرّ انّ موضوع علم الأخلاق هو الإنسان بما له من الفضائل و الرّذائل، فوضوع علم الأخلاق هو الإنسان المتّصف بالصفات الكماليّة او النّقيصة و المتّصف بالصفات الملائمة للطّبع او المنافرة له و المتّصف بالصفات الممدوحة او المذمومة و المتّصف بالصفات ذات المصلحة او المفسدة.

الحركة إلى الحقّ تعالى

انّ للانسان سيراً إلى الله تعالى؛

قال تعالى: ﴿يا ايّها الإنسان انك كادح إلى ربّك كدحاً فملاقيه﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿انّ إلى ربّك الرّجعى﴾[٢] و ﴿و انّ إلى ربّك المنتهى﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿انّا لله و انّا إليه راجعون﴾.[٤]

و هو في هذا السّير يحتاج إلى براقٍ به يرتقي في سماء الكمال، و هو جسمه و بعده المادّي شريطة تسلّطه عليه و جعله مركباً ذلولاً له كما هو بحاجة إلى الزّاد و الرّاحلة و هو التّوبة و اليقظة قال تعالى: ﴿و تزوّدوا فانّ خير الزّاد التّقوى﴾.[٥]

و إلى السّراج ايضاً و هو القرآن؛

قال تعالى: ﴿هذا بصائر من ربّكم﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿قد جائكم من الله نور و كتاب مبين﴾.[٧]

و إلى رفع الموانع و ليس مانع أشدّ من الرّذائل و أقبح منها؛

قال تعالى: ﴿و قد خاب من دسّيها﴾.[٨]

و قال تعالى: ﴿انّا جعلنا في اعناقهم اغلالاً فهى إلى الاذقان فهم مقمحون و جعلنا من بين ايديهم سدّاً و من خلفهم سدّاً فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾.[٩]

كما يحتاج الإنسان في سيره هذا إلى الهادي و هو الامام في القرآن. و هذا هو الأهمّ من جميع ما مرّ ذكره، و سيأتى البحث عنه على التفصيل إن شاء الله تعالى، و هنا نتمثّل بقول

---

١ ـ الانشقاق / ٦. ٢ ـ العلق / ٨. ٣ ـ النّجم / ٤٢. ٤ ـ البقرة / ١٥٦.

٥ ـ البقرة / ١٩٧. ٦ ـ الاعراف / ٢٠٣. ٧ ـ المائده / ١٥. ٨ ـ الشّمس / ١٠.

٩ ـ يس / ٨ و ٩.

الشاعر:

طی این مرحله بی همرهی خضر مکن ظلمات است بترس از خطر گمراهـی

قال الله تعالى: ﴿و جعلناهم أئمّةً يهدون بأمرنا﴾[١].

و المراد بالامر ليس إلّا افاضات الحقّ تعالى على عباده، كما انّ المراد بضمير «هم» في «جعلناهم» ليس إلّا الوسائط في الفيض.

و ملخّص الكلام انّا نحتاج في كلّ أمر إلى وسائط الفيض سيّما في السّير إلى الحقّ تعالى، و لا يعقل التّهذيب و التّخلّق بالفضائل إلّا بالتّمسك بالعروة الوثقى الّتي هي الولاية، فان قلنا انّ التّهذيب و التّخلّق بالفضائل يتوقّف على وسائط الفيض لسنا مجازفاً في القول.

و في الزيارة الجامعة الكبيرة: «بكم فتح الله و بكم يختم و بكم ينزّل الغيث و بكم يمسك السّماء أن تقع على الارض إلّا باذنه و بكم ينفّس الهمّ و يكشف الضّرّ».[٢]

و ورد في وصف بقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشّريف و روحى و ارواح العالمين لتراب مقدمه الفداء «بيمنه رزق الورى و بوجوده ثبتت الارض و السّماء».[٣]

هذه قطرة من بحر هذا المعنى اقتصرنا عليها، و أرجو من الله تعالى أن يوفّقنا للاغتراف منها، بمنّه و كرمه.

---

١ ـ انبياء / ٧٣. ٢ ـ بحار الانوار، ١٠٢ / ١٣٢.

٣ ـ مشارق انوار اليقين للحافظ البرسى: ١٥٧.

الفصل الثّالث

فوائد علم الأخلاق

فوائد علم الاخلاق

لعلم الأخلاق و تهذيب النّفس و التّخلّق بالفضائل و العمل بالاخلاقيّات فوائد هامّة و لا اشكال في انّ سعادة الدّارين موقوفةٌ عليها رهينةٌ بها. و نحن نذكر هنا بعض فوائدها الهامّة:

الفائدة الاولى: تجسّم العمل

يظهر من القرآن و الرّوايات انّ الملكات، رذيلة كانت او فضيلة، تحصل من الافعال و الاقوال و الافكار، و هويّة الإنسان و حقيقته تحصل من تلك الملكات. فالعفّة و الشّجاعة و العدالة تتوقّف على الاعمال، كما انّ ضدّها من الشّره و التّهوّر و الطّغيان يكون كذلك. و تلك الملكات، رذيلة كانت او فضيلة، لها تأثير بالغٌ في هويّة الإنسان و حقيقته. فحقيقة الإنسان و هويّته تتصوّر بما يناسب تلك الملكات.

فمن يتخلّق بما يليق بالإنسان من السّجايا الفاضلة فيرتقي درجة درجة إلى مكانة الإنسان الكامل و مرتبته و يتعالى و يسمو حتّى يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿انّي جاعل

في الارض خليفة﴾[١] فيصل إلى مقام الخلافة الالهية. و بعبارةٍ أخرى يتوغّل في الانسانيّة حتّى يكون كالقمر يوم القيامة.

و امّا من يتخلّق بالأخلاق البهيميّة و السّبعيّة فيتنزّل درجة درجة حتّى يخرج عن الانسانيّة و مراتبها بتلك الأخلاق و يتصوّر بصورة سبع او بهيمة او غيرهما من صورٍ تناسب تلك الملكات.

فربّ انسانٍ بحسب الظّاهر ولكنّه ليس إلّا كلباً بحسب الهويّة و الحقيقة، و اهل البصيرة يروا تلك الصّور و لو لم يرها غيرهم. و يوم تنكشف الاغطية و تصير الابصار حديدة و تظهر الحقائق و الهويّات، فيرى نفسه كما يراه غيره كلباً.

قال تعالى: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد﴾.[٢]

و هذه اللّطيفة الدّقيقة الواضحة عند أهلها أُقيمت عليها البراهين و نحن نكتفي بالبرهان الأعظم و هو الذكر و الحديث.

امّا القرآن فيظهر من آيات كثيرة انّ الملكات توجد بالافعال و الاقوال و الافكار و تنشأ منها؛

قال تعالى: ﴿ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشدّ قسوة﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلّا قليلاً﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و نقلّب افئدتهم و ابصارهم كما لم يؤمنوا به اوّل مرّة و نذرهم في طغيانهم يعمهون﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿و امّا الّذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم و ماتوا و

---

١ ـ البقرة / ٣٠. ٢ ـ ق / ٢٢. ٣ ـ البقرة / ٧٤. ٤ ـ النّساء / ١٥٥.

٥ ـ الانعام / ١١٠.

هم كافرون﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و من اظلم ممّن ذكّر بايات ربّه فأعرض عنها و نسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنّة أن يفقهوه و في اذانهم و قراً و أن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً ابداً﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿انّا جعلنا في اعناقهم اغلالاً فهي إلى الاذقان فهم مقمحون و جعلنا من بين ايديهم سدّاً و من خلفهم سدّاً فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿افرأيت من اتّخذ الهه هواه واضلّه الله على علم و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكّرون﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿فلمّا زاغوا ازاغ الله قلوبهم و الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿و إذ تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاوّلين كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلّا انّهم عن ربّهم يومئذٍ لمحجوبون﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿و ننزّل من القران ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين و لا يزيد الظّالمين إلّا خساراً﴾.[٧]

و هذه الآيات و نظائرها الكثيرة جدّاً لها إشارة إلى شيء واحد و هو انّ الذّنوب الّتي تصدر من الإنسان توجب أن تحصل للقلب ملكة تحول بينه و بين إقباله إلى الحقّ و قبوله إيّاه. فالقلب المريض يجد الحقّ مرّاً، بل ليس له أن يرى الحقّ و يسمع ندائه او يفهمه، بل القرآن الّذي هو شفاء كلّ همّ وداء لا يزيده إلّا خساراً.

قال الراغب في المفردات: فقوله: ختم الله على قلوبهم، و قوله تعالى: قل ارايتم إن اخذ الله سمعكم و ابصاركم و ختم على قلوبكم، اشارة إلى ما اجرى الله به العادة انّ الإنسان إذا

١ـ التوبة / ١٢٥. ٢ـ الكهف / ٥٧. ٣ـ يس / ٧ و ٨. ٤ـ الجاثية / ٢٣.
٥ـ الصّفّ / ٥. ٦ـ المطفّفين / ١٣ ـ ١٥. ٧ـ الاسراء / ٨٢.

تناهى في اعتقاد باطل او ارتكاب محظور و لا يكون منه تلفّت بوجه إلى الحقّ يورثه ذلك هيئة تمرّنه على استحسان المعاصي و كانّما يختم بذلك على قلبه. و على ذلك: اولئك الّذين طبع الله على قلوبهم و سمعهم و ابصارهم. و عل هذا النّحو استعارة الاغفال في قوله عزّ و جلّ: و لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا. و استعارة الكنّ في قوله تعالى: و جعلنا على قلوبهم اكنّة أن يفقهوه. و استعارة القساوة في قوله تعالى: ﴿و جعلنا قلوبهم قاسية﴾.[1]

و جملة القول انّ مثل هذه الآيات كلها قريبة المخرج لها معنى واحد، لانّ القسوة بمعنى الصّلابة، و الزيغ بمعنى الميل عن الاستقامة، و الرّين بمعنى الصّداء و هو ضدّ الجلاء، و الختم و الطّبع بمعنى السّدّ، و الكنّ بمعنى الحجاب، و الغشاوة ايضاً كذلك. و كلّها ـ كما اشار إليه الرّاغب ـ كناية و اشارة إلى ميل القلب عن الاستقامة و حصول ملكة الطّغيان له.

و هذه الملكة كما صرّح به الذكر الحكيم تحصل بالافكار الفاسدة و الافعال الرّدية، و هذا هو مرادنا من انّ الافكار و الاقوال و الافعال توجد بالملكات. و هو واضحٌ.

هذا كلّه يتعلّق برذائل الملكات و هذا الحكم يجري في فضائلها أيضاً. و قد صرّح بذلك التنزيل المبين ايضاً في آيات كثيرة، نورد بعضها هيهنا:

﴿يا أيّها الّذين امَنوا استجيبُوا لله و لِلرّسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.[2]

﴿أوَ مَنْ ميتاً فَأَحْيَيْناه و جَعَلْنا لَهُ نوراً يَمْشى به في الناس كمن مَثَلُهُ في الظّلمات ليس بخارج منها كذلك زيّن للكافرين ما كانوا يعملون﴾.[3]

﴿افمن شَرَحَ الله صدره للاسلام فهو علىٰ نورٍ من ربّهِ فويل للقاسيةِ قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلالٍ مبين﴾.[4]

﴿فمن يرد اللهُ أن يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً

---

١ ـ المفردات، ص ١٤٣، ذيل كلمة ختم. ٢ ـ الانفال / ٢٤. ٣ ـ الانعام / ١٢٢.

٤ ـ الزّمر / ٢٢.

حرجاً كأنّما يصّعّدُ في السّماء كذلك يجعل الله الرجس على الّذين لا يؤمنون﴾.[١]

﴿ما اصاب من مصيبة إلّا بإذن الله و من يؤمن بالله يهد قلبه و الله بكل شيء عليم﴾.[٢]

﴿الّذين امنوا و تطمئنّ قلوبهم بذكر الله إلّا بذكر الله تطمئّن القلوب﴾.[٣]

﴿الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله ....﴾.[٤]

﴿انّما المؤمنون الّذين إذا ذُكرَ اللهُ و جلت قلوبهم و إذا تليت عليهم اياته زادتهم ايماناً و علىٰ ربّهم يتوكّلون﴾.[٥]

﴿يا أيّها الّذين آمنوا إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾.[٦]

﴿ياايّها الناس قد جاءتكم موعظة من ربّكم و شفاء لما في الصدور و هدىً و رحمة للمؤمنين﴾.[٧]

هذا قسم من الآيات الدالّة على المقصود و قد وردت روايات بلغت حدّ التّواتر المعنوي تدلّ على المقصود ايضاً منها:

عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام قال كان أبي عليه السلام يقول: «ما من شيء افسد للقلب من خطيئة، إنّ القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتّى تغلب عليه فيصيرا علاه اسفله»[٨]

عن أبي بصير قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: «إذا اذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء فان تاب انمحت و إن زاد زادت حتّى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها ابداً».[٩]

---

١ ـ الانعام / ١٢٥. ٢ ـ التغابين / ١١. ٣ ـ الرّعد / ٢٨. ٤ ـ الزّمر / ٢٣.

٥ ـ الانفال / ٢. ٦ ـ الانفال / ٢٩. ٧ ـ يونس / ٥٧.

٨ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب الذنوب، ح ١ (ص ٢٦٨).

٩ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب الذنوب، ح ١٣ (ص ٢٧١).

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «ما من عبد إلّا و في قلبه نكتة بيضاء فاذا اذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فان تاب ذهب ذلك السواد، و إن تمادي في الذنوب زاد ذلك السواد حتّى يغطّى البياض فاذا لم يرجع صاحبه إلى خير ابداً، و هو قول الله عزّ و جلّ: كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون».(١)

قال اميرالمؤمنين عليه السلام، «لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب».(٢)

عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أربع يمتن القلب: الذنب على الذنب، و كثرة مناقشة النساء يعنى محادثتهنّ، و مماراة الاحمق تقول و يقول و لا يرجع إلى خير، و مجالسة الموتى فقيل له: يا رسول الله و ما الموتى؟ قال: كلّ غنى مترف».(٣)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عباد الله احذروا الانهك في المعاصى و التهاون بها، فان المعاصي تستولي الخذلان على صاحبها حتّى توقعه في ردّ ولاية وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و دفع نبوّة نبيّ الله، و لا تزال ايضاً بذلك حتّى توقعه في دفع توحيد الله و الالحاد في دين الله».(٤)

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «من كثر كلامه كثر خطاؤه، و من كثر خطاؤه قلّ حياؤه، و من قلّ حياؤه قلّ ورعه، و من قلّ ورعه مات قلبه، و من مات قلبه دخل النار».(٥)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يستقيم ايمان عبد حتّى يستقيم قلبه، و لا يستقيم قلبه

---

١ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب الذنوب، ح ٢٠ (ص ٢٧٣).

٢ ـ اصول الكافى، ج ٧٣، باب ١٣٧، ح ٢٥ (ص ٣٤٢). باب كافي ٢/٢٧٥ حديث ٢٨.

٣ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب الذنوب، ح ٤٥ (ص ٣٤٩). خصال: ٢٢٨ حديث ٦٥.

٤ ـ اصول الكافى، ج ٧٣، باب ١٣٧، ح ٨٣ (ص ٣٦٠).

٥ ـ اصول الكافى، ج ٧١، باب ٧٨، ح ٤١ (ص ٢٨٦).

حتّى يستقيم لسانه».[۱]

عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام: «من زهد في الدنيا أثبت الحكمة في قلبه و أنطق بها لسانه و بصرّه عيوب الدنيا داءها و دواءها و اخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام».[۲]

عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ما أخلص عبد لله عزّ و جلّ أربعين صباحاً إلّا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».[۳]

عن أبان بن سويد عن أبي عبدالله عليه السلام قال قلت: «ما الّذي يقبت الايمان في العبد؟ قال: الّذي يقبته فيه الورع و الّذي يخرجه منه الطمع».[٤]

قال الصادق عليه السلام: «الصمت شعار المحقّقين بحقائق ما سبق و جفّ القلم به و هو مفتاح كلّ راحة من الدّنيا و الآخرة و فيه رضا الربّ و تخفيف الحساب و الصّون من الخطايا و الزلل، قد جعله الله ستراً على الجاهل و زيناً للعالم و معه عزل الهواء و رياضة النّفس و حلاوة العبادة و زوال قسوة القلب و العفاف و المرّوة و الشرف[٥]».[٦]

هذا كلّه في دلالة الآيات و الرّوايات على أنّ الأفكار و الأقوال و الأفعال توجب أن تحدث ملكات لصاحبها.

و امّا الهويات فهي تنشأ من الملكات و إن الإنسان يدرك الكمال بتحصيل الملكات الفاضلة كما انه يتبدّل هويّته من الانسانيّة إلى الحيوانيّة و يتصوّر بصور مختلفة تناسب تلك الملكات الرّذيلة.

---

١ ـ اصول الكافى، ج ٧١، باب ٧٨، ح ٧٢ (ص ٢٨٧).

٢ ـ اصول الكافى، ج ٧٠، باب ٥٨، ح ١٦ (ص ٣١٣).

٣ ـ اصول الكافى، ج ٧٠، باب ٥٤، ح ١٠ (ص ٢٤٣).

٤ ـ اصول الكافى، ج ٧٠، باب ٥٧، ح ١٩ (ص ٣٠٤).

٥ ـ الظرف: الكياسة.

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٧٨، ح ٣٨ (ص ٢٨٤).

فقد يتصور بصورة الكلب لطغيانه و تمكّن ملكة الظلم فيه الحاصل من الاقوال و الافعال و الافكار و قد يتصور بصورة الخنزير لذلك. كما انه قد يتصور بصورة الإنسان غير المادي لتحصيله بعض تلك الملكات، و قد وردت فيه آيات و روايات كثيرةٌ.

و نحن نذكر بعض الآيات الدالة على تلك اللطيفة الدقيقة الّتي لا ريب فيها عند اهلها اولاً، ثم نذكر بعض الرّوايات المصرّحة بها حد التواتر المعنوى.

و الآيات منها ما هو نصّ فيها، و منها ما هو ظاهرٌ فيها، و منها ما تظهر دلالتها بالتأمل فيها. فاما الآيات فمنها:

قوله عزّ من قائل: ﴿فان لم تفعلوا و لن تفعلوا فاتقوا النار الّتي و قودها الناس و الحجارة اعدت للكافرين﴾.[1]

﴿... و اولئك هم وقود النار﴾.[2]

﴿... من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على ادبارها ...﴾.[3]

﴿هنالك تبلوا كلّ نفس ما اسلفت ...﴾.[4]

﴿و كلّ انسان الزمناه طائره في عنقه و نخرج له يوم القيمة كتاباً يلقيه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾[5]

﴿و نحشرهم يوم القيمة على وجوههم عمياً و بكماً و صماً مأويهم جهنم﴾.[6]

﴿و من كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى و اضل سبيلاً﴾.[7]

﴿و من اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا و نحشره يوم القيمة اعمى قال ربّ لم حشرتنى اعمى و قد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى﴾.[8]

١ـالبقرة / ٢٤. ٢ـ آل عمران / ١٠. ٣ـالنساء / ٤٧. ٤ـ يونس / ٣٠.

٥ـالاسراء / ١٣ و ١٤. ٦ـالاسراء / ٩٧. ٧ـالاسراء / ٧٢. ٨ـ طه / ١٢٤ـ١٢٦.

﴿انّكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾.[١]

﴿و يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون﴾.[٢]

﴿يعرف المجرمون بسيميهم فيوخذ بالنواصي و الاقدام﴾.[٣]

﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم و يحسبون انهم على شيءٍ﴾.[٤]

﴿يا ايّها الّذين امنوا قوا انفسكم و اهليكم ناراً وقودها الناس و الحجارة﴾.[٥]

﴿يوم يكشف عن ساق و يدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة و قد كانوا يدعون إلى السجود و هم سالمون﴾.[٦]

﴿و امّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً﴾.[٧]

﴿يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجاً﴾.[٨]

﴿يوم تبلى السرائر﴾.[٩]

﴿يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم﴾.[١٠]

هذه بعض الآيات، فترى ظهور ما يقرب من جميعها في المقصود، سيّما إذا انضمّ إليها الآيات المفسّرة لها و سيأتي ذكرها.

و قد استدل صدر المتألهين بآيات أخر نذكر بعضها، تُظهر المقصود مع شيء من التأمّل و الامعان. و لما لم يكن المقام مقام التفسير فنحن نكتفي بذكر الآيات و نوكّل تفسيرها و التأمّل فيها إلى أهلها.

﴿صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون﴾.[١١]

---

١ ـ الانبياء / ٩٨. ٢ ـ الروم / ٥٥. ٣ ـ الرحمن / ٤١. ٤ ـ المجادلة / ١٨.

٥ ـ التحريم / ٦. ٦ ـ قلم / ٤٢ و ٤٣. ٧ ـ الجن / ١٥. ٨ ـ نبا / ١٨.

٩ ـ الطارق / ٩. ١٠ ـ الزالزال / ٦. ١١ ـ البقرة / ١٨.

﴿فامّا الّذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير و شهيق﴾.[١]

﴿لهم فيها زفير و هم فيها لا يسمعون﴾.[٢]

﴿قال اخسؤا فيها و لا تكلمون﴾.[٣]

﴿إذ الاغلال في اعناقهم و السلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون﴾.[٤]

﴿أفمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امّن يمشي سويّاً على صراط مستقيم﴾.[٥]

و امّا الرّوايات الدالّة على المطلوب فهى كثيرة جداً و نحن نذكر نبذة منها، فمنها:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «... و من بغى على فقير او تطاول عليه و استحقره حشره الله يوم القيمة مثل الذرة في صورة رجل حتّى يدخل النار».[٦]

عن الإمامين الهمامين أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام إنّ اميرالمؤمنين عليه السلام قال للبراء بن عازب: «كيف وجدت هذا الدين؟ قال: كنا بمنزلة اليهود قبل أن نتبعك تخف علينا العبادة، فلما اتبعناك و وقع حقائق الايمان في قلوبنا وجدنا العبادة قد تثاقلت في اجسادنا. قال اميرالمؤمنين عليه السلام: فمن ثم يحشر النّاس يوم القيمة في صور الحمير».[٧]

روى البرسي: «إنّ رجلا قال لعلي بن الحسين عليهما السلام بماذا فضلنا على اعدائنا و فيهم من هو أجمل منّا؟ فقال له الإمام عليه السلام: أ تحبّ أن ترى فضلك عليهم؟ فقال: نعم. فمسح يده على وجهه و قال انظر! فنظر فاضطرب و قال: جعلتُ فداك ردّني إلى ما كنت، فاني لم ارفي

---

١ ـ هود / ١٠٦. ٢ ـ الانبياء / ١٠٠. ٣ ـ المومنون / ١٠٨. ٤ ـ المومن / ٧١ و ٧٢.

٥ ـ الملك / ٢٢.

٦ ـ ثواب الاعمال و عقاب الاعمال، باب يجمع عقوبات الاعمال، ص ٣٣٥، ح ١.

٧ ـ بحار الانوار، ج ٧، باب ٨، ح ٥٤ (ص ١٩٢).

المسجد الا دتاً و قرداً و كلباً فمسح يده على وجهه فعاد إلى حاله».[۱]

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «يحشر المكذبون بقدره تعالى من قبورهم قد مسخوا قردة و خنازير».[۲]

عن داود بن فرقد عن اخيه قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: «انّ المتكبرين يجعلون في صور الّذرّ يتوطأهم النّاس حتّى يفرغ الله من الحساب».[۳]

عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام قال: «من سوّد اسمعه في ديوان الجبارين من ولد فلان حشره الله يوم القيمة خنزيرا».[٤]

عنه عليه السلام قال: «من لقى المسلمين بوجهين و لسانين جاء يوم القيمة و له لسان من نار».[٥]

عنه أيضاً عليه السلام قال: «... و ايّاكم أن تزلقوا السنتكم بقول الزور و البهتان و الاثم و العدوان، فانكم إن كفتفتم السنتكم عمّا يكرهه الله مما نهاكم عنه كان خيرا لكم عند ربكم من أن تزلقوا السنتكم به، فان زلق اللسان فيما يكرهه الله و ما (يما) نهى عنه مراده للعبد عندالله و مقت من الله و صم و عمى و بكم يورثه الله اياه يوم القيمة، فتصيروا كما قال الله: ﴿صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون﴾ يعنى لا ينطقون، و لا يوذن لهم فيتذرون».[٦]

و في خبر طويل عنه عليه السلام أيضاً: «... فاذا أنا بقوم بين ايديهم موائد من لحم طيب و

---

١ ـ مشارق أنوار اليقين: بحار الانوار، ج ٤٦، باب ٣، ح ٤٩ (٤٩).

٢ ـ ثواب الاعمال: ٢١٢، بحار الانوار، ج ٧، باب احوال المتقين، ح ١١ (ص ٢١٢).

٣ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٢٣٥.

٤ ـ ثواب الاعمال و عقاب الاعمال، باب عقاب من سوّد اسمه في ديون الجبارين، ح ١، (ص ٣١٠).

٥ ـ ثواب الاعمال، باب عقاب من كان ذا وجهين و ذا السانين، ح ١ (ص ٣١٩).

٦ ـ روضة الكافى، ص ٣، ح ١.

لحم خبيث و هم يأكلون الخبيث و يدعون الطيب، فسألت جبرئيل من هؤلاء؟ فقال: الّذين يأكلون الحرام و يدعون الحلال من امتك. قال: ثم مررت باقوام لهم مشافر كمشافر الابل يقرض اللحم من اجسامهم و يلقى في افواههم، فقلت: من هولاء يا جبرئيل؟ فقال: هم الهمّازون اللمّازون. ثم مررت باقوام ترضح وجوههم و رؤسهم بالصخر، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: الذين يتركون صلوة العشاء. ثم مضيت فاذا أنا باقوام يقذف بالنار في افواههم فتخرج من ادبارهم، فقلت: من هولاء؟ قال: هولاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انّما يأكلون في بطونهم نرراً و سيصلون سعيرا. ثم مضيت فاذا أنا باقوام يريد احدهم ان يقوم فلا يقدر من عظم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: فهم الذين يأكلون الربا لا يقومون إلّا كما يقوم الّذي يتخبطّه الشّيطان من المس و انهم لبسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدوا و عشا يقولون: ربّنا متى تقوم الساعة و لا يعلمون ان الساعة ادهى و امرّ. ثمّ مررت بنساء معلقات بثديهن، فقلت: من هولاء يا جبرئيل؟ فقال: هن اللواتى يورثن اموال ازواجهن اولاد غيرهم».[١]

قال ابو بصير للباقر عليه السلام: «ما أكثر الحجيج وأعظم الضجيج! فقال: بل ما اكثر الضجيج و اقلّ الحجيج! أتحبّ أن تعلم صدق ما اقوله و تراه عياناً؟ فمسح يده على عينيه و دعابدعوات، فعاد بصيراً، فقال: أنظر يا أبا بصير إلى الحجيج! قال: فنظرتُ فاذا أكثر النّاس قردة و خنازير و المؤمن بينهم مثل الكوكب اللّامع في الظّلماء. فقال ابو بصير: صدقت يا مولاي ما اقلّ الحجيج و اكثر الضجيج!»[٢]

و مثله منقول عن الصادق عليه السلام: إلّا انّ فيه هذه الزيادة: «فها لنى ذلك ثمّ أمرّ يده على بصري فرأيتهم كما كانوا في المرّة الاولى».[٣]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦، باب احوال البرزخ، ح ٢٨ (ص ٢٣٩).

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦، باب ١٦، ح ١ (ص ٢٦١).
٣ ـ بحار الانوار، ج ٦، باب ٢٧، ح ٥٨ (ص ٧٩).

قال الطبرسي «رحمه الله» في ذيل الآيه: يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجاً، هكذا: و في الحديث عن البراء بن عازب قال: «كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من سول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في منزل ابي ايوب الأنصاري فقال معاذ: يا رسول الله أرايت قول الله تعالى: يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجاً؟ الآيات. فقال: يا معاذ سألت عن عظيم من الامر. ثمّ أرسل عينيه ثم قال: يحشر عشره أصناف القردة، و بعضهم على صورة الخنازير، و بعضهم منكوسون ارجلهم من فوق و وجوههم من تحت ثم يسحبون عليها، و بعضهم عمى يترددون، و بعضهم صم بكم لا يعقلون، و بعضهم يمضغون السنتهم فيسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم اهل الجمع، و بعضهم مقطعة ايديهم و ارجلهم، و بعضهم مصلبون على جذوع من نار، و بعضهم أشدّ نتناً من الجيف،

و بعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم.

فامّا الّذين على صورة القردة فالقتات[١] من الناس، و أمّا الّذين على صورة الخنازير فأهل السحت، و امّا المنكوسون على رؤسهم فآكلة الربا، و العمى الجائرون في الحكم، و الصم البكم المعجبون با عمالهم، و الّذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء و القضاة الّذين خالف اعمالهم اقوالهم، و المقطعة ايديهم و أرجلهم الّذين يؤذون الجيران، و المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالنّاس إلى السلطان، و الّذين هم أشدنتناً من الجيف فالّذين يتمتعون بالشهوات و الّذات و يمنعون حق الله في اموالهم، و الّذين يلبسون حباب فاهل الفخر و الخيلاء».[٢]

تتميم:

يظهر من آي الذكر الحكيم و الرّوايات المتواترة تجسّم العمل بمعنيين آخرين:

---

١ ـ النّمانون.

٢ ـ مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٢٣، ذيل الآية ١٩ من النّبأ.

الف ـ انّ الاعمال من الاقوال و الافعال بل الافكار تتجسّم بصورة مناسبة لتلك الاعمال بل الافكار. فالاعمال القبيحة تتجسّم بصور قبيحة، و الاعمال الحسنة تتجسّم بصور حسنة و المرء يحشر معها و هي تصاحب الإنسان، بل يظهر من تلك الآيات و الرّوايات انّ نعم الجنّة كلّها ليست إلّا نفس الاعمال الحسنة و انّ نقم الجحيم كلّها حتّى نارها أيضاً هي الاعمال القبيحة بعينها.

ب ـ انّ الاعمال من الافعال و الاقوال بل الافكار و الملكات لها تأثير بالغ في السّعادة و الشّقاء الدّنيويّتين، بل ليست السّعادة الدّنيويّة او الشّقاوة الدّنيويّة إلّا تلك الاعمال بخيرها و شرّها، بل يظهر من الآيات و الرّوايات انّ الاعمال الحسنة و القبيحة تؤثّر في سعادة الذّريّة و شقاءها بل في سعادة الامّة و المجتمع كذلك و شقاءهما.

لا يقال انّ ذلك يناقض العدل بين انّ و القرآن يقول: ﴿و لا تزر وازرة وزر اخرى﴾[1] لانّ هذه الآثار وضعيّة فهي كالنّار من استوقدها فقد أحرق نفسه و كذلك يحرق ما حوله و لو كان هناك ولده الصّغير او النّائم الغافل. نعم عليه وزران وزر احراق نفسه و وزر احراق غيره و للبرئ المظلوم المحترق بنار غيره اجر ما اصابه من المصيبة بغير ما اكتسبه.

و امّا قوله تعالى: ﴿و لا تزر وازرة وزر اخرى﴾ فهو يتعلّق بالاخرة و أحكامه الخاصّة، فهو غير مرتبط بالبحث.

و نحن نذكر اولاً الآيات و الرّوايات الدالّة على تجسّم العمل بالمعنى الأوّل ثمّ نتبعها بالآيات و الرّوايات الدّالّه على تجسّم العمل بالمعنى الثاني.

امّا الآيات و الرّوايات الواردة في المعنى الأوّل فنها:

﴿.... و ما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير﴾.[2]

﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه و وفيت كلّ نفس ما كسبت﴾.[3]

---

١ ـ الانعام / ١٦٤. ٢ ـ البقرة / ١١٠. ٣ ـ آل عمران / ٢٥.

﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضرا و ما عملت من سوءٍ تود لو ان بينها و بينه امداً بعيداً و يحذركم الله نفسه﴾.[١]

﴿و ما كان لنبى ان يغل و من يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفي كلّ نفس ما كسبت و هم لا يظلمون﴾.[٢]

﴿ليجزي الله كلّ نفس ما كسبت﴾.[٣]

﴿ليحملوا اوزارهم كامله يوم القيمة و من اوزار الّذين يضلونهم بغير علم﴾.[٤]

﴿و وجدوا ما عملوا حاضرا﴾.[٥]

﴿و ان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها﴾.[٦]

﴿من كفر فعليه كفره و من عمل صالحاً فلانفسهم يمهدون﴾.[٧]

﴿و جعلنا الاغلال في اعناق الّذين كفروا هل يجزون إلّا ما كانوا يعملون﴾.[٨]

﴿و قيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾.[٩]

﴿يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم و بايمانهم بشريكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون و المنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب﴾.[١٠]

﴿يا ايّها الّذين امنوا اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغدٍ﴾.[١١]

﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾.[١٢]

١ـ آل عمران / ٣٠. ٢ـ آل عمران / ١٦١. ٣ـ ابراهيم / ٥١. ٤ـ النّحل / ٢٥.
٥ـ الكهف / ٤٩. ٦ـ الانبياء / ٤٧. ٧ـ الرّوم / ٤٤. ٨ـ سبأ / ٣٣.
٩ـ الزّمر / ٢٤. ١٠ـ الحديد / ١٢ و ١٣. ١١ـ الحشر / ١٨.
١٢ـ النّبأ / ٤٠.

﴿علمت نفس ما احضرت﴾.[١]

﴿علمت نفس ما قدمت و اخرت﴾.[٢]

﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾.[٣]

﴿يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾.[٤]

قال قيس بن عاصم لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: عظنا .... فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «..... انّه لابّد لك يا قيس من قرين يدفن معك و هو حيّ و تدفن معه و أنت ميّت فان كان كريماً اكرمك و ان كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلّا معك و لا تبعث إلّا معه و لا تسأل إلّا عنه، فلا تجعله إلّا صالحاً، فانّه ان صلح أنست به و ان فسد لا تستوحش إلّا منه و هو فعلك».[٥]

و نظم هذه الموعظة بعضهم في أبيات:[٦]

تـخيّر خـليطا مـن فـعالك انّـما	قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
و لابـد بـعد المـوت من أن تـعدّه	ليـوم ينـادي المـرء فـيه فـيقبل
فـان كـنت مشغولاً بشيءٍ فـلا تكـن	بـغير الّـذي يـرضى بـه الله تشغل
فلن يـصحب الإنسـان مـن بـعد مـوته	و مـن قـبله إلّا الّـذي كـان يـعمل
ألا انّـما الإنسـان ضـيف لأهـله	يـقيم قـليلاً بـينهم ثـم يـرحل[٧]

عن أحدهما عليه السلام قال: «إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور فيهنّ أحسنهنّ وجهاً و ابهاهنّ هيئة و أطيبهنّ ريحاً و أنظفهنّ صورة فيقف صورة عن يمينه و اُخرى عن

١ ـ التّكوير / ١٤. ٢ ـ الانفطار / ٥. ٣ ـ المطففين / ٣٦. ٤ ـ الزلزلة / ٦ ـ ٨.

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٦٤، ح ١ (ص ١٧٠).

٦ ـ حسان بن ثابت أمالى الصدوق / ٥١، خصال: ١١٥.

٧ ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٦٤، ح ١ (ص ١٧٠).

يساره و أُخرى بين يديه و أُخرى خلفه و أُخرى عند رجله، و تقف الّتي هو أحسنهنّ فوق رأسه، فان أُتى عن يمينه منعته الّتي عن يمينه، ثم كذلك إلى أن يؤتي من الجهات الستّ. قال: فتقول أحسنهنّ صورة. من أنتم جزاكم الله عنّي خيراً؟ فتقول الّتي عن يمين العبد: أنا الصلاة، و تقول الّتي عن يساره: أنا الزكاة و تقول الّتي بين يديه: أنا الصيام و تقول الّتي خلفه: أنا الحجّ و العمرة و تقول الّتي عند رجليه: أنا برّ من وصلت من إخوانك. ثمّ يقلن: من أنت؟ فأنت أحسننا وجهاً و أطيبنا ريحاً و ابهانا هيئة. فتقول: أنا الولاية لآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين».[١]

عن الإمام أبي‌عبدالله عليه السلام قال: «ما من موضع قبر إلّا و هو ينطق كلّ يوم ثـلاث مرّات: أنا بيت التراب، أنا بيت البلاء، أنا بيت الدّود. قال: فاذا دخله عبد مؤمن قال: مرحباً و أهلاً، امّا و الله لقد كنت أُحلّك و أنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني، فستري ذلك. قال: فيفسح له مدّ البصر و يفتح له باب يرى مقعده من الجنّة. قال: و يخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً قطّ أحسن منه. فيقول: يا عبدالله ما رأيت شيئاً قطّ أحسن مـنك. فيقول: أنا رأيك الحسن الّذي كنت عليه و عملك الصالح الّذي كنت تعمله. قال: ثمّ تؤخذ روحه فتوضع في الجنّة حيث رأى منزله، ثم يقال له نم قرير العين. فلا يزال نفحة من الجنّة تصيب جسده يجد لذّتها و طيبها حتّى يبعث. قال: و إذا دخل الكافر قال: لا مرحباً و لا اهلاً اما و الله لقد كنت أبغضك و انت تمشي على ظهري فيكف إذا دخلت بطني، ستري ذلك. قال: فتضمّ عليه فتجعله رميماً و يعاد كما كان و يفتح له باب إلى النار فيرى مقعده مـن النار. ثمّ قال: ثمّ انّه يخرج منه رجل أقبح من رأي قطّ. قال فيقول: يا عبدالله من أنت؟ شيئاً أقبح منك. قال فيقول: انا عملك السّيئ الّذي كنت تعمله و رأيك الخبيث. قال ثم تـوخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار. ثم لم تزل نفخة من النار تصيب جسده فيجد ألمها

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦، باب ٨، ح ٥٠ (ص ٢٣٤).

و حرّها في جسده إلى يوم يبعث و يسلطّ الله على روحه تسعة و تسعين تنيّنا تنهشه ليس فيها تنيّن ينفخ على ظهر الارض فتنبت شيئاً».[1]

عن أميرالمؤمنين عليه‌السلام قال: «إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا و اوّل يوم من الآخرة مثلّ له ما له و ولدُه و عمله، فيلتفت إلى ما له فيقول: و الله انّي كنت عليك لحريصاً شحيحاً فمالي عندك؟ فيقول خذ منّي كفنك. ثمّ يلتفت إلى ولده فيقول: و الله انّي كنت لكم لمحبّاً و انّي كنت عليكم لحاميا، فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك و نواريك فيها. ثمّ يلتفت إلى عمله فيقول: و الله انّي كنت فيك لزاهداً و انّك كنت عليّ لثقيلاً، فماذا عندك؟ فيقول أنا قرينك في قبرك، و يوم حشرك حتىّأ عرض أنا و أنت على ربّك. فان كان لله وليّاً أتاه أطيب النّاس ريحاً و أحسنهم منظراً و أزينهم رياشاً[2] فيقول: ابشر بروح من الله و ريحان و جنّة نعيم قد قدمت خير مقدم. فيقول من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح .... و ان كان لربّه عدوّاً فانّه أقبح خلق الله رياشاً و أنتنه ريحاً فيقول له: ابشر بنزل من حميم و تصلية جحيم».[3]

قال الإمام ابو عبدالله عليه‌السلام: «ما من ذي مال ذهب او فضّة يمنع زكاة ماله إلّا حبسه الله عزّوجلّ يوم القيامة بقاع قرقر[4] و سلطّ عليه شجاع اقرع[5] يريده و هو يحيد عنه[6] فاذا رأى انّه لا مخلص له منه امكنه من يده فقضمها[7] كما يقضم الفجل، ثم يصير طوقا في عنقه. و ذلك قول الله عزّوجلّ: سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيمة. و ما من ذي مال إبل او

---

۱ ـ فروع الكافى، ج ۳، باب ما ينطق به موضع القبر، ح ۱۱ (ص ۲٤۱).

۲ ـ الرياش: ما كان فاخراً من اللناس.

۳ ـ بحار الانوار، ج ٦، باب ۸، ح ۲٦ (ص ۲۲٦).

٤ ـ قاع قرقر: الارض المستوية.

٥ ـ الشجاع الاقرع: نوع من الحيّات اليت سقط شعر رأسه لكثرة سمّه.

٦ ـ حاد عنه: مال.

۷ ـ القضم: كسر الشى باطراف الاسنان.

غنم او بقرة يمنع زكاة ماله إلّا حسبه الله يوم القيمة بقاع قرقر، يطأه كلّ ذات ظلف بطلفها و ينهشه كلّ ذات ناب بنابها. و ما من ذي مال نخل او كرم او زرع يمنع زكاتها إلّا طوّقه الله ريعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة».[١]

و نظيره ما روي عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «مانع الزكاة يجرّ قصبه في النار يعنى امعاه في النار و مثل له ماله في النّار في صورة شجاع اقرع له زبيبتان يفرّ الإنسان منه و هو يتبعه حتّى يقضمه كما يقضم الفجل و يقول: انا مالك الّذي بخلت به».[٢]

قال الإمام ابو عبدالله عليه السلام في حديث طويل: «إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدمه امامه، كلما رأى المؤمن هَوْلاً من اهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزع و لا تحزن و ابشر بالسرور و الكرامة من الله عزّوجلّ حتّى يقف بين يدي الله عزّوجلّ، فيحاسبه حساباً يسيراً و يأمر به إلى الجنّة و المثال امامه. فيقول له المؤمن: يرحمك الله نعم الخارج خرجت معي من قبري و ما زلت تبشرّني بالسرور و الكرامة مـن الله حـتّى رأيت ذلك فيقول: من أنت؟ فيقول: انّا السرور الّذي كنت ادخلت على أخيك المؤمن في الدنيا خلقنى الله عزّوجلّ منه لأُبشرّك».[٣]

عن الإمام الصادق عليه السلام .... قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ العمل الصالح يذهب إلى الجنّة فيمهّد لصاحبه كما يبعث الرجل غلامه فيفرش له.

ثم قرأ: و امّا الّذين آمنوا و عملوا الصالحات فلأنفسهم يمهدون».[٤]

عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام: «إذا دخل المؤمن في قبره كانت الصلاة عن يمينه الزكاة

---

١ ـ فروع الكافى، ج ٣، باب منع الزكاة، ح ١٩ (ص ٥٠٥).

٢ ـ الوسائل، ج ٢، باب ٣ من ابواب ما تجب فيه الزكاة، ح ٢٧ (ص ١٧).

٣ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب ادخال السرور على المؤمن، ح ٨ (ص ١٩٠).

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٦٤، ح ٤٦ (ص ١٨٥).

عن يساره و البرّ مظلّل[١] عليه و يتنحّي الصبر ناحية. فذا دخل عليه الملكان اللّذان يليان مساءلته قال الصبر للصّلاة و الزّكاة و البّر: دونكم صاحبكم، فان عجزتم عنه فأنا دونه».[٢]

قال الإمام علي عليه السلام: «انّ للمرء المسلم ثلاثة اخلّاء: فخليل يقول: أنا معك حيّاً و ميّتاً و هو عمله. و خليل يقول له: أنا معك إلى باب قبرك ثم أُخلّيك و هو ولده.

و خليل يقول له: أنا معك إلى أن تموت و هو ما له فاذا مات صار للوارث».[٣]

عن النّبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: «و عظني جبرئيل فقال: يا محمّد أحبب من شئت فانّك مفارقُ و أعمل ما شئت فانّك ملاقيه».[٤]

رفع اشكال خلود أهل النّار:

و بما ذكرنا ظهر الجواب عن اشكال مشهور أورده بعضهم و هو عدم تناسب الاعمال و العقوبات في جملةٍ منها، كخلود اهل النار فيها.

توضيح ذلك: ان الذكر الحكيم أصرّ على انّ الكفّار معذّبون يوم القيمة من غير انقطاعٍ و انّهم مخلّدون في النّار و انّ أهل الجنّة متنعّمون في الجنّة و انّهم مخلّدون فيها.

قال تعالى: ﴿و الّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا اولئك اصحاب النّار هم فيها خالدون﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿و الّذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنّة هم فيها

---

١ ـ في بعض النسخ «مطل» بالمهمله و اطل عليه: اشرف.

٢ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب الصبر، ح ٨ (ص ٩٠).

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٤، باب ٦٤، ح ١١ (ص ١٧٥).

٤ ـ بحار الانوار، ج ٦٤، باب ٦٤، ح ٥٤ (ص ١٨٨).

٥ ـ البقرة / ٣٩.

خالدون﴾.[١]

و نظير الايتن في القرآن ما يربو على مائة آيه.

و يظهر من عدّةٍ من آي الكتاب انّ هناك نقماً و عقوبات شديدة لأهل العذاب أيضاً تحيّر العقول و تدهشها كما انّ نعم الجنّة ممّا تحيّر العقول فلا عين رأت نظيرها و لا اذن سمعت بمثلها.

قال تعالى: ﴿و اصحاب الشّمال ما اصحاب الشّمال في سموم و حميم و ظلّ من يحموم لا بارد و لا كريم انّهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿على سرر موضونة متّكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلّدون بأكواب و أباريق و كأس من معين لا يصدّعون عنها و لا ينزفون و فاكهة ممّا يتخيّرون و لحم طير ممّا يشتهون و حور عين كأمثال اللّؤلؤ المكنون﴾.[٣]

و في التنزيل العزيز أكثر من ألف آيةٍ يدلّ على هذا المعنى .

هذا مع انّ العذاب الرّوحي و اللّذّة الرّوحيّة لأهل الجحيم و الجنّة ازيد من ذلك. فلو لم يكن لأهل النار سوى خطاب ﴿اخسئوا فيها و لا تكلّمون﴾[٤] و لأهل الجنّة سوى خطاب ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنّة ارجعي إلى ربّك﴾[٥]، ليكفى ان يرجّح هذا العذاب على سائر اشكال العذاب و يرجّح هذه اللّذّة على تلك اللّذّات.

فيقع الاشكال في انّ هذا السّنخ من العذاب و العقاب لا يناسب العمل الموقّت زماناً بل لا يناسب الاعمال الكثيرة فضلاً عن الاعمال اليسيرة الموقتة.

ولكنّ القرآن في آيات كثيرة ـ مضى ذكر بعضها ـ أجاب عن الاشكال. و اهل البيت عليهم السلام الّذين فسّروا القرآن و بيّنوه قد أجابوا عن هذا الاشكال، و قد مضى ذكر بعض

١ ـ البقرة / ٨٢. ٢ ـ الواقعة / ٤١ ـ ٤٥. ٣ ـ الواقعة / ١٥ ـ ٢٣. ٤ ـ المؤمنون / ١٠٨.
٥ ـ الفجر / ٢٧ ـ ٢٨.

تلك الرّوايات المتواترة معناً.

و خلاصة الجواب: انّ تلك النّعم لأهل الجنّة و تلك النّقم لأهل النّار ليست إلّا اعمالهم الّتي ردّت اليهم. فمن وضع في هذه الدّنيا على عنقه أغلال اللّجاج و العصبيّة و الكبر فعاش وفق تلك الاغلال، كما قال تعالى ﴿انّا جعلنا في أعناقهم اغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون * و جعلنا من بين أيديهم سدّاً و من خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون * و سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾.[١] تتحوّل تلك الاغلال إلى الاغلال الّتي اشار تعالى اليها بقوله: ﴿خذوه فغلّوه ثمّ الجحيم صلّوه ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾.[٢]

كما و قد أجاب التنزيل المبارك عن هذا الاشكال في آيات الخلود غير مرّة.

قال تعالى: ﴿و بشّر الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات انّ لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الّذي رزقنا من قبل واتوا به متشابهاً و لهم فيها أزواج مطهرة و هم فيها خالدون﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿بلى من كسب سيّئة و احاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النّار هم فيها خالدون﴾.[٤]

قال تعالى: ﴿لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم انّ سخط اللّه عليهم و في العذاب هم خالدون﴾.[٥]

و نظير هذه الآيات كثير. و ملخّص القول انّ جواب هذا الاشكال ذكر صراحة في هاتين الآيتين.

قال تعالى: ﴿كلوا و اشربوا هنيئاً بما اسلفتم في الايّام الخالية﴾.[٦]

١ـ يس / ٨ـ ١٠. ٢ـ الحاقّة / ٣٠ـ ٣٢. ٣ـ البقرة / ٢٥. ٤ـ البقرة / ٨١.

٥ـ مائدة / ٨٠. ٦ـ الحاقّة / ٢٤.

و قال تعالى: ﴿و جيئ يومئذ بجهنّم يومئذ يتذكّر الإنسان و انى له الذّكرى يقول يا ليتنى قدّمت لحياتى﴾.[١]

و من يتدّبر في تلك الآيات يظهر له جواب الاشكال و لكّن ايضاحها ببيانٍ خال عن مصطلحات القوم ربّما لا يخلو من فائدة و لقد انشأ الرومى في المثنوي لهذا المقال اشعاراً كثيرة، لابأس بأن نأتي ببعضها:

ای دریــــده پــوستین یــوسفان — گرگ برخيزى از اين خـواب گـران
گشت گرگان يك بـيك خـوهاى تـو — مى‌درانند از غضب اعـضاى تـو[٢]
زآنچه مـى‌بافي هـمه روزه بـپوش — زآنچه مى‌كارى هـمه روزه بـنوش
فعل تو است اين غصّه‌هاى دم به دم — ايــن بـود مـعناى قـد جـفّ القـلم
كــه نگــردد ســنت مـا از رشـد — نــيك را نـيكى بـود بـد راست بـد
كار كن هين تا سـليمان زنـده است — تا تو ديـوى تـيغ او بـرنده است[٣]
گر ز خارى خسته‌اى خود كشته‌اى — ور حرير و قز درى خـود رشـته‌اى
چون ز دستت زخم بر مظلوم رست — آن درختى گشت از آن زقوم رست
چون ز خشم آتش تو در دلهـا زدى — مـــايه نـــار جـــهنّم آمــدى
آتشت ايــنجا چـو آدم سـوز بـود — آنـچه از دى زاد مـرد افـروز بـود
آتش تــو قــصد مــردم مــى‌كند — نــار كــز وى زاد بـر تـو مـى‌زند
آن ســخنهاى چـو مـار و كـژدمت — مار و كـژدم گـردد و گـيرد دُمت[٤]

هذا كلّه في التّجسّم بالمعنى الاوّل، و امّا التّجسّم بالمعنى الثّاني الّذي يـقال له في العـرف المكافأة و الجزاء فقد قال فيه و للّة درّه:

چو بد كرى مشو ايمن ز آفـات — كه واجب شد طبيعت را مكافات

---

١ ـ الفجر / ٢٣ و ٢٤. ٢ ـ مثنوي، دفتر ٣. ٣ ـ مثنوي، دفتر ٥. ٤ ـ مثنوي، دفتر ٣.

و عند المحققين يُعبّر عنه بالآثار القهريّة و لله درّ من أنشد:

اين جهان كوه است و فعل ما ندا سوى ما آيد نداها را صدا

و عند أهل القلوب يسمّى بالتّجسّم كما عبّرنا عنه سابقاً على هو ظاهر الآيات و الرّوايات فنها:

قال تعالى: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتّى يغيروّا ما بأنفسهم و انّ الله سميعٌ عليم﴾.(١)

قال تعالى: ﴿فلّما انجاهم إذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايّها الناس انّما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثمّ الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾.(٢)

قال تعالى: ﴿و لا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحلّ قريباً من دارهم حتّى يأتى وعد الله انّ الله لا يخلف الميعاد﴾.(٣)

قال تعالى: ﴿و إذ تأذّن ربّكم لئن شكرتم لأزيدنّكم و لئن كفرتم ان عذابى لشديد﴾.(٤)

قال تعالى: ﴿فاصابهم سيئات ما عملوا و حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾.(٥)

قال تعالى: ﴿و ضرب الله مثلاً قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون﴾.(٦)

قال تعالى: ﴿و إذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً﴾.(٧)

قال تعالى: ﴿قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾.(٨)

قال تعالى: ﴿فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا و منهم من أخذته

---

١ ـ الانفال / ٥٣. ٢ ـ يونس / ٢٣. ٣ ـ الرّعد / ٣١. ٤ ـ ابراهيم / ٧.
٥ ـ النّحل / ٣٤. ٦ ـ النّحل / ١١٢. ٧ ـ الاسراء / ١٦. ٨ ـ النّمل / ٦٩.

الصّيحة و منهم من خسفنا به الارض و منهم من اغرقنا و ما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.(١)

قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون﴾.(٢)

قال تعالى: ﴿و لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا﴾.(٣)

قال تعالى: ﴿فاصابهم سيئات ما كسبوا و الذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم ما كسبوا و ما هم بمعجزين﴾.(٤)

قال تعالى: ﴿و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفوا عن كثير﴾.(٥)

قال تعالى: ﴿و ليخش الّذين لو تركوا من خلفهم ذريّة ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله و ليقولوا قولاً سديداً﴾.(٦)

قال تعالى: ﴿و لو ان اهل القرى امنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الارض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾.(٧)

قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر او انثى و هو مؤمن فلنحيينّه حيوة طيبة و لنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.(٨)

قال تعالى: ﴿و اما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة و كان تحته كنز لهما و كان ابوهما صالحاً فاراد ربك ان يبلغا اشدهما و يستخرجا كنزهما رحمة من ربك و ما فعلته عن امري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾.(٩)

١ـ العنكبوت / ٤٠. ٢ـ الرّوم / ٤١. ٣ـ فاطر / ٤٥. ٤ـ الزّمر / ٥١.
٥ـ الشّورى / ٣٠. ٦ـ النّساء / ٩. ٧ـ الاعراف / ٩٦. ٨ـ النّحل / ٩٧.
٩ـ الكهف / ٨٢.

قال تعالى: ﴿فاستجبنا له له و وهبنا له يحيى و اصلحنا زوجه انّهم كانوا يسارعون في الخيرات و يدعوننا رغباً و رهباً و كانوا لنا خاشيعين﴾.[١]

قال تعالى: ﴿و جعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون﴾.[٢]

قال تعالى: ﴿فقلت استغفروا ربّكم انّه كان غفّاراً يرسل السماء عليكم مداراً و يمددكم باموال و بنين و يجعل لكم جنات و يجعل لكم انهاراً﴾.[٣]

عن الإمامين أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام قالا: «يحفظ الاطفال بصلاح آبائهم كما حفظ الله الغلامين بصلاح ابويهما».[٤]

عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام قال: «انّ الله يحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة، و إنّ الغلامين كان بينهما و بين أبيهما سبعمأة سنة».[٥]

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «أما إنّه ليس من سنة أقلّ مطراً من سنة، ولكن الله يضعه حيث يشاء، إنّ الله جلّ جلاله إذا عمل قوم بالمعاصى صرف عنهم ما كان قدرّ لهم من المطر في تلك السنة إلى غيرهم و إلى القيافي[٦] و البحار و الجبال و انّ الله ليعذّب الجعل في جحرها بحبس المطر عن الارض الّتي بمحلّتها لخطايا من بحضرتها و قد جعل الله لها السبيل إلى مسلك سوى محلّة أهل المعاصي قال: ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: فأ عتبروا يا اولى الابصار. ثمّ قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إذا ظهر الزنا كثر موت الفجأة، و إذا طفّف المكيال أخذهم الله بالسنين و النقص، و إذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع و الثمار و المعادن كلّها. و إذا جاروا في الاحكام تعاونوا على الظلم

١ـ الانبياء / ٩٠. ٢ـ الزّخرف / ٢٨. ٣ـ نوح ١٠ ـ ١٢.

٤ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٦٨، ح ١ و ٢، (ص ٢٣٦).

٥ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٦٨، ح ١ و ٢، (ص ٢٣٦).

٦ـ جمع فيفاء: الصحراء الملساء ٩ / ٢٧٤.

و العدوان، و إذا نقصوا العهد سلّط الله عليهم عدوّهم، و إذا قطعوا الأرحام جعلت الاموال في ايدي الاشرار، و إذا لم يأموا بمعروف و هم ينهوا عن منكر و لم يتبّعوا الاخيار من أهل بيتي سلّط الله عليهم شرارهم فيد عو ذلك خيارهم فلا يستجاب لهم».[١]

عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام قال: «الذنوب الّتي تغيّر النعم البغي، و الذنوب الّتي تورث الندم القتل، و الّتي تنزل النقم الظلم، و الّتي تهتك الستور شرب الخمر، و الّتي تحبس الرزق الزنا، و الّتي تعجلّ الفناء قطيعة الرحم، و الّتي تردّالد عاء و تظلم الهواء عقوق الوالدين».[٢]

عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: «اتّقوا الذنوب فانّها ممحقة للخيرات، إنّ العبد ليذنب الذنب فينسي به العلم الّذي كان قد علمه، و إنّ العبد ليذنب فيمنع به من قيام الليّل، و انّ العبد ليذنب فيحرم به الرزق و قد كان هنيئاً له، ثم تلا: انّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنّة».[٣]

قال الإمام الصادق عليه السلام: «انّما وضعت الزكاة اختباراً للاغنياء و معونة للفقراء، و لو أنّ النّاس أدّوا زكاة اموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً و لا ستغني بما فرض الله له، و انّ النّاس ما افتقروا و لا احتاجوا و لا جاعوا و لا عروا إلّا بذنوب الاغنياء، و حقيق على الله تعالى ان يمنع رحمته ممّن منع حقّ الله في ماله. و أقسم بالّذي خلق الخلق و بسط الرزق انّه ما ضاع مال في برّ و لا بحر إلّا بترك الزكاة، و ما صيد صيد في برّ و لا بحر إلّا بترك التسبيح في ذلك اليوم».[٤]

و عنه عليه السلام أيضاً انّه قال: «قال اميرالمؤمنين عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفوا عن كثير، ليس من التواء عرق و لا نكبة حجر و لا عثرة

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٣، باب ١٣٨، ح ٥، (ص ٣٧٢).

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٣، باب ١٣٨، ح ١١ (ص ٣٧٤).

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٣، باب ١٣٨، ح ١٤.

٤ ـ الوسائل، ج ٦، باب ١ من ابواب ما تجب فيه الزكاة، ح ٦.

قدم و لا خدش عود إلّا بذنب و لما يعفوا الله أكثر، فمن عجلّ الله عقوبة ذنبه في الدنيا فأن الله عزّوجلّ اجلّ و اكرم وأعظم من أن يعود في عقوبته في الآخرة».[۱]

و عنه عليه‌السلام أيضاً قال: «من ظلم مظلمة أُخذ بها في نفسه أو في ماله أو في ولده».[۲] عن سماعة قال: سمعت أبا عبدالله عليه‌السلام يقول: «ما أنعم الله على عبد نعمة فسلبها اياه حتّى يذنب ذنبا يستحق بذلك السلب».[۳]

عن العباس بن هلال الشامي قال سمعت الرضا عليه‌السلام يقول: «كلمّا أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون».[٤]

عن علي عليه‌السلام قال قال رسول الله صلّی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلّم: «إذا غضب الله عزّوجلّ على أُمّة و لم ينزل بها العذاب غلت أسعارها و قصرت أعمارها و لم تربح تجارّها و لم تزك ثمارها و لم تعزر أنهارها و حبس عنها أمطارها، و سلّط عليها شرارها».[٥]

قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام: «و أيم الله ما كان قوم قطّ في غضّ نعمة من عيش فزال عنهم إلّا بذنوب اجترحوها، لانّ الله تعالىٰ ليس بظلام للعبيد. ولو انّ النّاس حين تنزل بهم النقم و تزول عنهم النعم فزعوا إلى ربّهم بصدق من نياتّهم و له من قلوبهم لرّد عليهم كلّ شارد و اصلح لهم كلّ فاسد».[٦]

عن الإمام أبي الحسن الرّضا عليه‌السلام قال: «ظهر في بني اسرائيل قحط شديد سنين

---

۱ ـ اصول الكافى، ج ۲، باب تعجيل عقوبة الذنب، ح ٦ (ص ٤٤٥).

۲ ـ اصول الكافى، ج ۲، باب الظلم، ح ۹ (ص ۳۳۲).

۳ ـ بحار الانوار، ج ۷۳، باب ۱۳۷، ح ۲۱ (ص ۳۳۹).

٤ ـ بحار الانوار، ج ۷۳، باب ۱۳۷، ح ۲٦ (ص ۳٤۳).

٥ ـ بحار الانوار، ج ۷۳، باب ۱۳۷، ح ٤٦ (ص ۳٥۰).

٦ ـ بحار الانوار، ج ۷۳، باب ۱۳۷، ح ۹٦ (ص ۳٦٤).

متواترة و كان عند إمرأة لقمة من خبز فوضعتها في فيها لتأكل، فنادى السّائل يا أمة الله الجوع، فقالت المرأة: أتصدّق في مثل هذا الزمان، فَأخْرَجتها من فيها، فدفعتها إلى السائل، و كان لها ولد صغير يحتطب في الصّحراء، فجاء الذّئب فاحتمله فوقعت الصّيحة، فعدت الامّ في إثر الذّئب، فبعث الله تبارك و تعالىٰ جبرئيل عليه‌السلام فاخرج الغلام من فمّ الذّئب فدفعه إلى أُمّه. فقال لها جبرئيل عليه‌السلام: يا أمة أرَضيت لقمة بلقمة». [۱]

قال سيّدنا الأستاذ العلامة الطباطبائى «رحمه الله»: «و من احكام الاعمال: انّ بينها و بين الحوادث الخارجيّة ارتباطاً. و نعنى بالاعمال الحسنات و السّيئات الّتي هي عناوين الحركات الخارجيّة دون الحركات و السكنات الّتي هي آثار الاجسام الطبيعية. فقد قال تعالى: ﴿و ما أصابكم من مصيبة فبما كسب أيديكم و يعفو عن كثير﴾. [۲]

و قال تعالى: ﴿انّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم و إذا أراد الله بقوم سوئاً فلا مرد له). [۳] و قال تعالى: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتّى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [٤] و الآيات ظاهرة في ان بين الاعمال و الحوادث ارتباطاً ما شرّ او خيراً».

و يجمع جملة الامر آيتان من كتاب الله تعالى و هما قوله تعالى: ﴿ولو انّ اهل القرى امنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ [٥] و قوله تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون﴾. [٦]

فالحوادث الكونيّة تتبع الاعمال بعض التبعية، فجرى النوع الانساني على طاعة الله سبحانه و سلوكه الطريق الّذي يرتضيه يستتبع نزول الخيرات، و انفتاح ابواب البركات و انحراف هذا النوع عن صراط العبوديّة و تماريه في الغي و الضلالة و فساد النيات و شناعة

---

١ ـ ثواب الاعمال، ص ١٦٨، باب ثواب الصدقة، ح ٦.
٢ ـ الشورى / ٣٠.
٣ ـ الرّعد / ١١.
٤ ـ الانفال / ٥٣.
٥ ـ الاعراف / ٩٦.
٦ ـ الرّوم / ٤١.

الا عمال يوجب ظهور الفساد في البر و البحر و هلاك للامم يفشو الظلم و ارتفاع الامن و بروز الحروب و سائر الشرور الرجعة إلى الإنسان وا عماله و كذا ظهور المصائب والحوادث المبيدة الكونيّة كالسيل و الزلزلة و الصاعقة و الطوفان و غير ذلك، و قد عدّ الله سبحانه سيل العرم و طوفان نوح و صاعقة ثمود و صرصر عاد من هذا القبيل».[١]

الفائدة الثّانية: نشوء الأعمال كلّها من الملكات و الهويّات

لا اشكال في انّ منشأ الاعمال من الافعال و الاقوال و حتّى الافكار هو الهويّات و الملكات، قال تعالى: ﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾.[٢]

فالشّجاع لا يخاف عن ان يقول الحقّ و يفعل الحقّ فكثيراً ما تنشأ اقواله و افعاله و افكاره عن تلك الملكة من غير التفاتٍ منه إليها. كما انّ الجبان يخاف عن كلّ شيء فضلاً عن القيام قِبَل العدوّ و التقوّل بالحق و الاتيان به، فجميع ما يصدر منه يحفّ بالخوف و الجبن.

كما انّ المتهوّر غالب اقواله و افعاله و افكاره يوقعه في المخاطرة من غير داع عقلائيّ. و قس عليه سائر الملكات سيّما الملكات الرّاسخة في النّفس.

فكانّ الإنسان لا يقدر أن يتطرّق ما يخالف ملكاته بل يسير طبقاً لها من غير توجّه، و الذّهاب بخلافها يحتاج إلى مؤنة شديدة.

فاجود اللذّات للسّخي ان ينفق ماله ليسرّ الاخرين، كما انّ اشدّ الأمور للبخيل ان يؤدّي زكوة ماله مع علمه بانّ المال لله تعالى، قال تعالى: ﴿واتوهم من مال اللّه الّذي آتاكم﴾.[٣] بل مع علمه بقوله تعالى: ﴿و الّذين يكنزون الذّهب و الفضّة و لا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباههم و جنوبهم

---

١ ـ الميزان، ج ٢، ص ١٨٠.	٢ ـ الاسراء / ٨٤.	٣ ـ النور / ٣٣.

و ظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾.[١] لكنه يكنز و يعدّ ماله بل لا يؤتي حتّى حقوقه الواجبة عليه.

ألا ترى انّ القرآن يشير إلى بعض الناس قائلاً: ﴿و إذ قالوا اللّهمّ ان كان هذا هو الحقّ من عندك فامطر علينا حجارة من السّماء او أئتنا بعذاب اليهم﴾.[٢] و إلى بعض اخرين: ﴿و إذا سمعوا ما انزل إلى الرّسول ترى اعينهم تفيض من الدمع ممّا عرفوا من الحقّ﴾.[٣]

فهذا لسان سليمي الصدور و هو لسان حال من رسخ فيه اللّجاج و العصبيّة، و قد مضى شطر من هذا المقال.

فلذا اشتهر انّ العصمة من مراتب الايمان و المعرفة، و للذكر الحكيم لسان واضح على انّ الايمان لو رسخ في القلب فاوّل مراتبه و هو علم اليقين يمنع عن ارتكاب الذّنوب فضلاً عن مراتبه الأُخر ـ أعني: عين اليقين، و حقّ اليقين ـ.

قال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الهيكم التّكاثر * حتّى زرتم المقابر * كلّا سوف تعلمون * ثمّ كلّا سوف تعلمون * كلّا لو تعلمون علم اليقين * لترونّ الجحيم * ثمّ لترونّها عين اليقين * ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النّعيم﴾.[٤]

و قال: ﴿قالت الاعراب امنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخل الايمان في قلوبكم﴾.[٥]

و معنى الآية الشّريفة ـ و اللّه أعلم ـ: انّ الاعراب لم يدخل الايمان في قلوبهم فما صار لهم ملكة و إلّا لم يخالفوا الرّسول.

و بالجملة انّ الفضائل لو صارت ملكة لصاحبه، فهو يقول و يفعل خيراً و يلتذّ به حتّى

---

١ ـ التّوبة / ٣٤ و ٣٥. ٢ ـ الانفال / ٣٢. ٣ ـ المائدة / ٨٣. ٤ ـ التّكاثر سورة ١٠٤.
٥ ـ الحجرات / ١٤.

يصدر عنه الخيرات من غير التفاته إليها.

كما انّ الرّذائل لو صارت ملكة فصاحبها يلتذّ بصدورها عنه من غير أن يلتفت اليها.

و قد مرّت الآيات الدّالّة على انّه ينكر الحقائق يوم القيامة مع كونها له من باب حقّ اليقين.

قال تعالى: ﴿**يوم يبعثهم الله جميعاً يحلفون له كما يحلفون لكم و يحسبون انّهم على شيء ألا انّهم هم الكاذبون**﴾.[1]

فلو لم تكن فائدة لعلم الأخلاق و تهذيب النّفس و تزكيتها و للتّخلّق باخلاق الله و للعمل و القيام بالاخلاقيّات إلّا ما أشرنا إليه ليكفي لالتزامنا اتصافاً و عملاً بالتّهذيب و بالتّخلّق بالفضائل و العمل بها و الاجتناب عن رّذائل الاخلاقيّات.

الفائدة الثّالثة: توقف العلم المفيد على الفضائل

انّ العلم شريف في الغاية بدلالة العقل و الشرع.

قال تعالى: ﴿**هل يستوي الّذين يعلمون و الّذين لا يعلمون انّما يتذكّر اولو الالباب**﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿**هل يستوي الاعمى و البصير ام هل تستوي الظلمات و النّور**﴾.[3]

و قال تعالى: ﴿**أفمن يهدي إلى الحقّ احقّ ان يتّبع امّن إلّا ان يهدي فمالكم كيف تحكمون**﴾.[4]

و الشريعة البيضاء طبقاً للعقل ذكرت مقام العلم و العلماء في مستوى لا أعلى منه، فانّها:

الف ـ ذكرت العلم كالعلّة الغائيّة للتّكوين و التّشريع.

---

١ ـ المجادلة / ١٨. ٢ ـ الزّمر / ٩. ٣ ـ الرّعد / ١٦. ٤ ـ يونس / ٣٥.

قال تعالى: ﴿الله الذّي خلق سبع سموات و من الارض مثلهنّ يتنزلّ الامر بينهنّ لتعلموا انّ الله على كلّ شيء قدير و ان الله قد احاط بكلّ شيء علماً﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿هو الّذي بعث في الامّيّين رسولاً منهم يتلو عليهم اياته و يزكيّهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة﴾.[٢]

ب ـ ذكرت آدم عليه السلام كخليفةٍ لله تعالى و مسجوداً للملائكة لكونه مظهر الاسماء و الصّفات، قال تعالى: ﴿و علّم آدم الاسماء كلّها﴾.[٣]

ج ـ جعلت الزّعامة و الحكومة خاصّةً بالعالم.

قال تعالى: ﴿انّ الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم و الجسم﴾.[٤]

د ـ جعلت قيمة الارض و ثقلها بالعالم كما جعلتْها ناقصة و بلا قيمة من موت العالم.

قال تعالى: ﴿او لم يروا انّا نأتى الارض ننقصها من اطرافها﴾.[٥]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: .... «او لم يروا انّا نأتى الارض ننقصها من اطرافها، هو ذهاب العلماء».[٦]

هـ ـ اطلق الله على القرية لفظة المدينة بوجود العالم فيه، فوجود العالِم هو الفارق بين القرية و المدينة.

قال تعالى: ﴿و اضرب لهم مثلاً اصحاب القرية إذ جائها المرسلون.... و جاء من اقصى المدينة رجل يسعى﴾.[٧]

ألا ترى انّه تعالى اطلق على القرية الانطاكيّة المدينة بمجرّد ذهاب المرسلين اليها فقال: ﴿و جاء من اقصى المدينه﴾.

---

١ ـ الطلاق / ١٢. ٢ ـ الجمعة / ٢. ٣ ـ البقرة / ٣١. ٤ ـ البقرة / ٢٤٧.

٥ ـ الرّعد / ٤١. ٦ ـ اصول الكافى، ج ١، ص ٣٨، باب فقد العلماء، ح ٦.

٧ ـ يس / ٢٠ و ١٣.

و ـ جعل اهتداء نفس واحدة مثل احياء النّاس كلّهم و اضلال فرد مثل قتل النّاس كلّهم.

قال الله تعالى: ﴿من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكانّما قتل النّاس جميعاً و من احياها فكانّما احيى النّاس جميعاً﴾.[١]

في الكافي، عن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: «قول الله عزّوجلّ: من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكانّما قتل النّاس جميعاً و من احياها فكانّما احيى النّاس جميعاً؟ قال: من أخرجها من ضلال إلى هدىً إلى ضلال فقد قتلها».[٢]

هذه نبذة من الآيات و امّا الرّوايات الدالة على المقصود فهى كثيرة جدّاً و نحن نذكر بعضها، فنها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن إذا مات و ترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيمة سترا فيا بينه و بين النار و اعطاه الله تبارك و تعالى بكل حرف مكتوب علهيا مدينة اوسع من الدنيا سبع مرّات. و ما من مومن يقعد ساعة عند العالم إلّا ناداه ربّه عزّوجلّ: جلست إلى حبيبى و عزتى و جلالى لا سكنّنك الجنة و لا ابالى».[٣]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي نوم العالم افضل من الف ركعة يصليها العابد. يا علي لافقر اشدّ من الجهل و لا عبادة مثل التفكر».[٤]

عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيمة جمع الله عزّوجلّ النّاس في صعيد واحد و وضعت الموازين، فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء».[٥]

---

١ ـ المائدة / ٣٢.
٢ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٢١٠، باب في احياء المؤمن، ح ١.
٣ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ٤، ح ١ (١٩٨).
٤ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٨، ح ٦٦ (ص ٢٢).
٥ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٨، ح ٢٦ (ص ١٤).

عن الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سلك طريقاً يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنّة، و انّ الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاً به، و انّه ليستغفر لطالب العلم من في السماء و من في الارض حتّى الحوت ي البحر، و فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، و انّ العلماء ورثة الانبياء، انّ الانبياء لم يورثوا ديناراً و لا درهماً ولكن ورثو العلم، فمن اخذ منه اخذ بحظّ وافر».(۱)

«خرج صلى الله عليه وآله وسلم فاذاً في المسجد مجلسان: مجلس يتفقّهون و مجلس يدعون الله و يسألونه، فقال: كلا المجلسين إلى خير، امّا هولاء فيدعون الله و امّا هؤلاء فيتعلّمون و يفقّهون الجاهل، هولاء افضل، بالتعليم ارسلت، ثم قعدمعهم».(۲)

قال ابو محمّد الحسن العسكري عليه السلام: «ان رجلاً جاء إلى علي بن الحسين عليه السلام برجل يزعم انه قاتل ابيه، فاعترف، فاوجب عليه القصاص، و سأله ان يعفو عنه ليعظم الله ثوابه، فكانّ نفسه لم تطب بذلك، فقال علي بن الحسين عليه السلام للمدّعى للدم الولى المستحق للقصاص: ان كنت تذكر لهذا الرجل عليك فضلا فهب له هذه الجناية و اغفر له هذا الذّنب.

قال: يابن رسول الله له على حق ولكن لم يبلغ ان اعفو له عن قتل والدي قال: فتريد ماذا؟ قال: اريد القود. فان اراد لحقّه على ان اصالحه على الدية صالحته و عفوت عنه. فقال علي بن الحسين عليهما السلام فماذا حقه عليك؟ قال: يابن رسول الله لقّنني توحيد الله و نبوّة محمّد رسول الله و امامة علي و الائمة عليهم السلام .

فقال علي بن الحسين عليهما السلام: فهذا لا يفي بدم أبيك؟ بلى و الله هذا يفي بدماء أهل الارض كلهم من الأولين و الاخرين سوى الانبياء و الائمة عليهم السلام ان قتلوا، فانه لا يفي بدمائهم شيء ان يقنع منه بالدية. قال: بلى. قال علي بن الحسين عليهما السلام للقاتل: أفتجعل لي ثواب تلفينك له حتّى ابذل لك الدية فتنجوا بها من القتل؟ قال: يابن رسول الله انا محتاج

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۱، باب ۱، ح ۲ (ص ۱٦٤).
۲ ـ بحار الانوار، ج ۱، باب ٤، ح ۳٥ (ص ۲۰٦).

اليها و انت مستغن عنها، فان ذنوبي عظيمة و ذنبي إلى هذا المقتول ايضاً بيني و بينه لا بينى و بين وليه هذا.

قال علي بن الحسين عليهما السلام فتستسلم للقتل احب اليك من نزولك عن هذا التلقين؟ قال: بلى يابن رسول الله.

فقال علي بن الحسين عليه السلام لوليّ المقتول: يا عبدالله قابل بين ذنب هذا اليك و بين تطوّله عليك، قتل اباك حرّمه لذّة الدنيا و حرّمك التمتع به فيها على انك ان صبرت و سلّمت فرفيقك ابوك في الجنان و لقّنك الايمان فاوجب لك به جنة الله الدائمة و انقذك من عذابه الدائم، فاحسانه اليك اضعاف اضعاف جنايته عليه، فامّا ان تعفو عنه جزاءً على احسانه اليك لاحدّثكما بحديث من فضل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير لك من الدنيا بما فيها، و امّا ان تأبي ان تعفو عنه حتّى ابذل لك الدية لتصالحه عليها ثم اخبرته بالحديث دونك، فلما يفوتك من ذلك الحديث خير من الدنيا بما فيها لو اعتبرت به.

فقال الفتي: يابن رسول الله قد عفوت عنه بلادية و لا شيء إلّا ابتغاء وجه الله و لسمألتك في أمره، فحدّثنا يابن رسول الله بالحديث.

قال علي بن الحسين عليهما السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا بعث إلى النّاس كافة بالحقّ بشيراً و نذيراً إلى آخر ما سيأتي في ابواب معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم.

قالت فاطمة عليها السلام: «و قد اختصم اليها امرأتان فتنازعتا في شيء من أمر الدّين، احديها معاندة و الاخرى مؤمنة ففتحت على المومنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحاً شديداً، فقالت فاطمه عليها السلام: انّ فرح الملائكة باستظهارك عليها اشدّ من فرحك و ان حزن الشّيطان و مردته بحزنها اشدّ من حزنها، و انّ الله تعالى قال لملائكته: اوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الاسيرة من الجنان الف الف ضعف مما كنت اعددت لها، و اجعلوا هذه سنةً في كلّ من يفتح على اسير مسكين فيغلب معانداً مثل الف

الف ما كان معدّاً له من الجنان».[١]

قال الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام و قد حمل إليه رجل هديّة فقال له: ايّما أحب اليك؟ ان ارد عليك بدلها عشرين ضعفاً عشرين الف درهم او افتح لك باباً من العلم تقهر فلان الناصبي في قريتك، تنقذبه ضعفاء أهل قريتك؟ ان أحسنت الاختيار جمعت لك الامرين و ان اسأت الاختيار خيّرتك لتأخذ ايّهما شئت.

فقال: يابن رسول الله فثوابي من قهري ذلك الناصب و استقاذي لاولئك الضعفاء من يده قدره عشرون الف درهم؟ قال: بل اكثر من الدنيا عشرين الف الف مرّة. فقال: يابن رسول الله فكيف اختار الأدون بل اختار الافضل الكلمة الّتي اقهر بها عدو الله و أذوده عن اولياء الله. فقال الحسن بن علي عليه السلام: قد الاختيار و علّمه الكلمة و اعطاه عشرين الف درهم. فذهب فافحم الرجل، فاتّصل خبره به.

فقال له إذا حضره، يا عبدالله ما ربح احد مثل ربحك و لا اكتسب احد من الاودّاء ما اكتسبت، اكتسبت مودّة الله اولاً و مودّة محمّد صلى الله عليه و آله و سلم و علي عليه السلام ثانياً و مودّة الطيبين من الهما ثالثاً و مودّة ملائكة الله رابعا و مودّة اخوانك المؤمنين خامساً، فاكتسبت بعدد كلّ مؤمن و كافر ما هو افضل من الدنيا الف مرّة فهنيئاً لك هنيئاً».[٢]

قال ابو محمّد العشكري عليه السلام: «حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت: انّ لى والدة ضعيفة و قد لبس عليها في أمر صلوتها شيء و قد بعتني لك اسألك، فاجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك فثنّت فاجابت، ثمّ تلّثت إلى ان عشّرت فاجابت، ثمّ خجلت من الكثرة،

فقالت: لا اشقّ عليك يا ابنة رسول الله.

قالت فاطمة عليها السلام: هانى و سلي عما بدالك، أرأيت من اكتري يوماً يصعد إلى سطح

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٨، ح ٢٤ (ص ١٢).   ٢ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٨، ح ١٦، (٨).

بحمل ثقيل و كراه مأة الف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا. فقالت: اكثريت انا لكـل مسألة باكثر من مالء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً فاحرى ان لا يثقل عليّ ما سمعت ابي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ان علماء شيعتنا يحشرون فيخلع من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم و جدّهم في ارشاد عباد الله حتّى يخلع على الواحد منهم الف الف حلّة من نور.

ثمّ ينادي منادي ربّنا عزّوجلّ: ايّها الكافلون لايتام آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم النا عشون لهم عند انقطاعهم عن ابائهم الّذين هم ائمّتهم، هؤلاء تلامذتكم و الايتام الّذين كفلتموهم و نعشتموهم فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا. فيخلعون على كلّ واحد من اولئك الايتام على قدر ما اخذوا عنهم من العلوم حتّى انّ فيهم يعني في الايتام لمن يخلع عليه مأة الف خلعة. و كذلك يخلع هؤلاء الايتام على من تعلّم منهم.

ثمّ ان الله تعالى يقول: اعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للايتام حـتّى تـتمّوا لهـم خلعهم، و تضعفوها لهم، فيتمّ لهم ما كان لهم قبل ان يخلعوا عليهم و يضاعف لهم، و كذلك من يليهم ممن خلع على من يليهم.

و قالت فاطمة عليها السلام: يا امة الله انّ سلكةً من تلك الخلع لافضل ممـا طـلعت عـليه الشمس الف الف مرّة و ما فضل فانّه مشوب بالتنغيص و الكدر».[1]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «العلم رأس الخير كله و الجهل رأس الشرّ كله».[2]

عن اميرالمؤمنين عليه السلام، «.... بخّ بخّ العالم عمل فجدّر و خاف البيات[3] فاعدّ و استعدّ، ان سئل نصح و ان ترك صمت كلامه صواب و سكوته من غير عيّ[4] جواب».[5]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «النظر إلى وجه العالم عبادة».[6]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٨، ح ٣، (ص ٣).
٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٧، باب ٧، ح ٩، (ص ١٧٥).
٣ ـ بيات = قبر.
٤ ـ العى = العجز عن الكلام.
٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٧، باب ٩، ح ١، (ص ٢٣٩).
٦ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ٢، ح ١٤، (ص ١٩٥).

عن أبي ذرّ رضى الله عنه قال: «باب من العلم تتعلّمه احب الينا من الف ركعة تطوّعاً و قال: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا جاء الموت طالب العلم و هو على هذه الحال مات شهيداً».(١)

قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «فقيه واحد اشد على ابليس من الف عابد».(٢)

عن سماعة قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: انزل الله عزّوجلّ: من قتل نفساً فكأنّما قتل النّاس جميعاً و من احياها فكانما احيا النّاس جميعاً، قال: من اخرجها من ضلال إلى هدي فقد احياها و من اخرجها من هدى إلى ضلال فقد و الله اماتها».(٣)

عن اسحاق بن عمّار قال سمعت ابا عداالله عليه السلام يقول: «ليت السياط على رؤس اصحابي حتّى يتفقهوا في الحلال و الحرام».(٤)

قال موسى بن جعفر عليه السلام: «فقيه واحد ينقذ يتيماً من ايتامنا المنقطعين عنّا و عن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه اشدّ على ابليس من الف عابد، لانّ العابد همّه ذات نفسه فقط و هذا همّه مع ذات نفسه ذات عباد الله و امائه لينقذهم من يد ابليس و مردته فذلك هو افضل عند الله من الف الف عباد و الف الف عابدة».(٥)

عن محمّد بن علي بن الحسين ..... قال حدّثني علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّد عن أبيه محمّد بن علي هن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين عن اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليهم السلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم فاطلبوا العلم من مظانه و اقتبسوه من اهله، فانّ تعليمه لله حسنة و طلبه عبادة و المذاكرة به تسبيح و العمل به جهاد و تعليمه من لا يعلمه صدقة و بذله لاهله

---

١ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ١، ح ١١١، (ص ١٨٦).

٢ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ١، ح ٤٨، (ص ١٧٧).

٣ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٨، ح ٣٣، (ص ١٦).

٤ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ٦، ح ١٢، (ص ٢١٣).

٥ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٨، ح ٩، (ص ٥).

قربة إلى الله تعالى، لانه معالم الحلال و الحرام و منار سبل الجنّة و المونس في الوحشة و الصاحب في الغربة و الواحدة و المحدّث في الخلوة و الدليل على السرّاء و الضرّاء و السلاح على الاعداء و الزّين عند الأخلّاء يرفع الله به اقواماً فيجعلهم في الخير قادّة تقتبس آثارهم و يهتدي بفعالهم و ينتهي إلى رأيهم و ترغب الملائكة في خلّتهم و باجنحتها تمسحهم و في صلاتها تبارك عليهم يستغفر لهم كلّ رطب و يابس حتّى حيتان البحر و هو امّه و سباع البرّ و انعامه، انّ العلم حياة القلوب من الجهل و ضياء الابصار من الظلمة و قوّة الابدان من الضّعف يبلغ بالعبد منازل الاخيار و مجالس الابرار و الدرجات العلى في الدّنيا و الاخرة، الذكر فيه يعدل بالصيام و مدارسته بالقيام، به يطاع الربّ و يعبدو به توصل الارحام و به يعرف الحلال و الحرام، العلم امام العمل و العمل تابعه يلهمه السعداء و يحرمه الاشقياء، فطوبى لمن لم يحرّمه الله منه حظّه». (١)

جاء رجل من الأنصار إلى النبّي ﷺ فقال: يا رسول الله ذا حضرت جنازة و مجلس عالم ايّهما احبّ اليك ان اشهد؟ فقال رسول الله ﷺ: ان كان للجنازة من يتبعها و يدفنها، فانّ حضور مجلس عالم أفضل من حضور الف جنازة و من عيادة الف مريض و من قيام الف ليلة و من صيام الف يوم و من الف درهم يتصدّق بها على المساكين و من الف حجة سوى الفريضه و من الف غزوة سوى الواجب تغزوها في سبيل الله بمالك و نفسك، و اين تقع هذه المشاهد من مشهد عالم! اما علمت انّ الله يطاع بالعلم و يعبد بالعلم؟ و خير الدنيا و الاخرة مع العلم و شرّ الدنيا و الاخرة مع الجهل». (٢)

و في الدّعاء: «.... او لعلّك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني». (٣)

ولكن هذا العلم مع شرفه البالغ و فضيلته التامّة لا قيمة له و لا فضيلة إذا حازه غير

---

١ ـ بحار الانوار، ج ١، ح ٢٤، (ص ١٧١).
٢ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ٤، ح ٢٣، (ص ٢٠٤).
٣ ـ مفاتيح الجنان، دعاء ابي حمزة الثّمالي.

المهذّب التقيّ، فكأنّ شرافة العلم بالتقوى و تهذيب النفس. بل الرؤية القرآنيّة تدل على انّ العلم من غير اتصاف العالم به ليس إلّا وزراً و وبالاً، بل الذكر الحكيم شبّه العالم غير المهذّب بالكلب و العالم غير المتّقي بالحمار.

قال تعالى: ﴿**فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث**﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿**مثل الّذين حمّلوا التّوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً**﴾.[٢]

و بالجملة انّ هذه الأمور الثّلاثة كلّها في كمال الشّرف. فيكفيك لشرف العلم و فضله ما مرّ من الآيات و الرّوايات، و يكفيك لشرافة التّقوى ادّعاء الذكر الحكيم نزوله للمتقين، فالمتّقي هو العلّة الغائية لانزال الكتاب، قال تعالى: ﴿**الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتّقين**﴾.[٣]

كما و قد جعل مقام المتّقين عندالله.

قال تعالى: ﴿**انّ المتّقين في جنّات و نهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾.[٤]

كما انّه يكفي لشرف التهذيب و فضله الآيات الدالّة على وجوبه و الأحاديث الدالّة عليه، كآيات تدلّ على ان بعث الرسل و انزال الكتب ليس إلّا للوصول إلى هذا الهدف السامي؛ منها قوله تعالى: ﴿**هو الّذي بعث في الاميّين رسولاً منهم يتلوا عليهم اياته و يزكيّهم و يعلّهم الكتاب و الحكمة**﴾.[٥]

إلّا انّه يفهم من الآيات توقّف كلّ على الاخر، فالعلم الّذي لا يكون معه تهذيب و تقوى لا قيمة و لا فائدة له، و التّقوى الّذي لا يصاحبه علم او لا يكون معه تهذيب لا قيمة له، إذ كثيراً مّا يوجب العجب و الكبر، الا ترى انّ الخوارج لم يفدهم تقويهم بل كانت وبالاً

---

١ ـ الاعراف / ١٧٦.　　٢ ـ الجمعة / ٥.　　٣ ـ البقرة / ٢.　　٤ ـ القمر / ٥٤.

٥ ـ الجمعة / ٢.

عليهم.

بل التّهذيب الّذي لا يكون معه علم ايضاً كذلك.

الاترى انّ كثيراً من الجهلة الّذين في قلوبهم رأفة ورقّة يرتكبون ذنوباً عظيمة رأفة و رحمة على غيرهم حتّى اشتهر: ان امرأة زنت و تصدّقت من اجر فجورها. فقيل لها: ويل لك لا تزني و لا تتصدّقي.

فطوبى لمن جمع بين العلم و التّهذيب و التّقوى.

ولكنّ مورد الكلام هنا هو انّ العلم لغير المهذب نفسه و العلم الّذي لا يصحبه العمل الصالح لا فائدة فيه بل هو مضرّ لصاحبه و لغيره. الاترى انّ البدع و المذاهب الباطلة لا تنشأ إلّا من العلم الّذي وقّر في صدرٍ غير مهذب و غير نقيٍ؟.

فلاجل اثبات ذلك نذكر هنا بعض الآيات و الرّوايات الدالّة عليه.

آيات في العالِم غير المهذّب

قال الله تعالى: ﴿و اتلُ عليهم نبأ الاذي ّتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنّه أخلد إلى الأرض و اتّبع هويٰه فمثله كمثل الكلْب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الّذين كذّبوا باياتنا فاقصص القصص لعلّهم يتفكرون﴾.(١)

قال في الكامل: و لما توفّى موسى عليه السلام بعث الله يوشع بن نون .... بنيّا إلى بنى اسرائيل و أمره بالمسير إلى أريحا مدينة الجبارّين .... فلمّا بلغوها اجتمع الجبارين إلى بلعم بن با عورا و هو من ولد لوط ، فقالوا له: .... ادع الله عليهم. و كان بلعم يعرف اسم الله الا عظم. فقال لهم: كيف ادعو على نبيّ الله و المؤمنين و معهم الملائكة؟ فراجعوه في ذلك و هو يمتنع عليهم. فأتوا امرأته و أهدوا لها هديّة، فقبلتها. و طلبوا اليها ان تحسّن لزوجها أن يدعوا على نبيّ بنى اسرائيل. فقالت له في ذلك فامتنع. فلم تزل به حتّى قال: أستخير ربّي فاستخار الله تعالى، فنهاه في المنام. فأخبرها بذلك. فقالت: راجع ربّك فعادو الاستخاره، فلم يرد إليه الجواب. فقالت: لو اراد ربّك لنهاك، و لم تزل تخدعه حتّى أجابهم.

فركب حماراً له متوّجهاً إلى جبل يشرف على بني اسرائيل ليقف عليه و يدعو عليهم. فما سار عليه إلّا قليلاً حتّى ربض الحمار فنزل عنه، فضربه حتّى قام فركبه فسار به قليلا

---

١ ـ الاعراف / ١٧٥ و ١٧٦.

فربض، فعل ذلك ثلاث مرّات. فلمّا اشتدّ ضربه في الثلالثة أنطقه الله فقال له: و يحك يا بعلم أين تذهب؟

أما ترى الملائكة تردّني؟ فلم يرجع. فاطلق الله الحمار حينئذ فسار عليه حتّى أشرف على نبي اسرائيل فكان كلّما أراد ان يدعو عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم، و إذا اراد أن يدعو لقومه انقلب الدعاء عليهم. فقالوا له: في ذلك؟ فقال: هذا شيء غلبنا الله عليه و اندلع لسانه فوقع على صدره.

فقال لهم: الآن قد ذهبت من الدنيا و الآخرة و لم يبق إلّا المكر و الحيلة. و امرهم أن يزّينوا النساء و يعطوهنّ السلع للبيع، و يرسلوهنّ إلى العسكر، و لا تمنع امرأة نفسها ممّن يريدها. و قال: ان زنى منهم رجل واحد كفيتموهم. ففعلوا ذلك و دخل النّساء عسكر بني اسرائيل .... فانزل الله عليهم الطاعون .... و قد هلك في تلك الساعة عشرون الفاً و قيل: سبعون الفاً. فانزل الله في بلعم. «و اتل عليهم نبأ الّذي آتيناه فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين».[1]

قال الله تعالى: ﴿فويل للّذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم ممّا كتبت أيديهم و ويل لهم ممّا يكسبون﴾.[2]

قال الله تعالى: ﴿و لمّا جائهم كتاب من عندالله مصدّق لما معهم و كانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾.[3]

قال الله تعالى: ﴿الّذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابنائهم و ان فريقاً منهم ليكتمون الحقّ و هم يعلمون﴾.[4]

قال الله تعالى: ﴿انّ الّذين يكتمون ما انزلنا من البيّنات و الهدى من بعد ما بيّنّاه

---

١ ـ الكامل، ج ١، ص ٦٨ ـ ٧٠. ٢ ـ البقرة / ٤١ و ٤٢. ٣ ـ البقرة / ٨٩.
٤ ـ البقرة / ١٤٦.

للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون﴾.[١]

قال الله تعالى: ﴿انّ الّذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب و يشترون به ثمناً قليلاً اولئك ما يأكلون في بطونهم إلّا النّار و لا يكلمهم الله يوم القيمة و لا يزكّيهم و لهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى و العذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار﴾.[٢]

قال الله تعالى: ﴿.... يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه و ان لم تؤتوه فاحذروا و من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً اولئك الّذين لم يرد الله ان يطهرّ قلوبهم لهم في الدنيا خزي و لهم في الاخرة عذاب عظيم﴾.[٣]

قال الله تعالى: ﴿و إذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انّى رسول الله اليكم مصدّقاً لما بين يدىّ من التوراة و مبشرّاً برسول يأتى من بعدي اسمه احمد فلمّا جاءهم بالبيّنات قالوا هذا سحرٌ مبين﴾.[٤]

﴿مثل الّذين حمّلوا التّوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً﴾.[٥]

---

١ ـ البقرة / ١٥٩. ٢ ـ البقرة / ١٧٤ و ١٧٥. ٣ ـ المائدة / ٤١.

٤ ـ الصّف / ٦. ٥ ـ الجمعة / ٥.

روايات في العالم غير المهذّب

عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام عن ابائه عليهم السلام قال قال عليه السلام: «ان العالم الكاتم علمه يبعث انتن اهل القيمة ريحاً تلعنه كلّ دابة حتّى دوات الارض الصغار».[١]

قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «العلم و ديعة الله فيلله ارضه و العلماء امنائه عليه فمن عمل بعلمه ادّى امانته و من لم يعمل بعلمه كتب في ديوان الخائنين».[٢]

قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «من ازداد علماً و لم يزدد هدى لم يزدد من الله إلّا بعداً».[٣]

قال الصادق عليه السلام: «اشد النّاس عذاباً عالم لا ينتفع من علمه بشيءٍ».[٤]

قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «من عرف نفسه فقد عرف ربه، ثم عليك من العلم بما لا يصح العمل إلّا به و هو الاخلاص».[٥]

عن جعفر بن محمّد عن ابيه عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صنفان من امّتي إذا صلحا صلحت امّتي و إذا فسدا فسدت امّتي، قيل: يا رسول الله و من هما؟ قال: الفقهاء و الامراء».[٦]

عن حفص قال قال ابو عبدالله عليه السلام: ....كفى بخشية الله علماً و كفى بالاغترار بالله جهلاً

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ١٣، ح ٣٦، (ص ٧٢).

٢ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٩، ح ٤٠، (ص ٣٦).

٣ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٩، ح ٥٠، (ص ٣٧).

٤ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ١، ح ٥٣، (ص ٣٧).

٥ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٩، ح ٢٢، (ص ٣٢).

٦ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ١١، ح ١٠، (ص ٤٩).

يا حفص انّه يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد. و من تعلّم و عمل و علّم لله دعى في ملكوت السموات عظيماً فقيل تعلّم لله و عمل لله و علّم لله».[١]

«اوحى الله تبارك و تعالى إلى داود عليه السلام: انّ اهون ما انا صانع بعالم غير عامل بعلمه اشد من سبعين عقوبة ان اخرج من قلبه حلاوة ذكري و ليس إلى الله عزّوجلّ طريق يسلك إلّا بعلم. و العلم زين المرء في الدنيا و سائقه إلى الجنّة، و به يصل إلى رضوان الله تعالى. و العالم حقّاً هو الّذي ينطق عنه اعماله الصالحة و اوراده الزاكية و صدقه و تقواه، لا لسانه و تصاوله[٢] و عدواه. و لقد كان يطلب هذا العلم في غير هذا الزمان من كان فيه عقل و نسك و حكمة و حياء و خشية، و انا ارى طالبه اليوم من ليس فيه من ذلك شيء، و العالم يحتاج إلى عقل و رفق و شفقة و نصح و حلم و صبر و بذل و قناعة، و المتعلّم يحتاج إلى رغبة و ارادة و فراغ و نسك و خشية و حفظ و حزم».[٣]

قال ابو عبدالله عليه السلام: «ان من العلماء من يحبّ ان يخزن علمه و لا يؤخذ عنه فذاك في الدرك الأوّل من النار. و من العلماء من إذا وعظ انف[٤] و إذا وعظ عنف[٥] فذاك في الدرك الثاني من النار. و من العلماء من يرى ان يضع العلم عند ذوي الثروة و الشرف و لا يرى له في المساكين وضعاً فذاك في الدرك الثالث من النار. و من العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابرة و السلاطين فان ردّ عليه شيء من قوله او قصّر[٦] في شيء من امره غضب فذاك

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٩، ح ٥، (ص ٢٧).

٢ ـ الفحلان يتصاولان اي يتواثبان.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٩، ح ٢٥، (ص ٣٢).

٤ ـ قوله: من إذا وعظ (على المجهول) انف اي استكبر عن قبول الوعظ.

٥ ـ قوله: و إذا وعظ (على المعلوم) عنف اي جاوز الحدّ، و العنف ضد الرفق.

٦ ـ قوله: قصّر (على المجهول) من باب التفعيل اي ان وقع التقّصير من احد شيء من امره كاكرامه و الاحسان إليه غضب.

في الدارك الرابع من النار. و من العلماء من يطلب احاديث اليهود و النصاري ليغزر[1] به علمه و يكثر به حديثه فذاك في الدرك الخامس من النار. و من العلماء من يضع نفسه للفتيا و يقول سلوني، و لعلّه لا يصيب حرفاً واحداً و الله لا يحب المتكلّفين، فذاك في الدرك السادس من النار و من العلماء من يتخّذ علمه مروّة[2] و عقلاً فذاك في الدرك السابع من النار».[3]

عن الصادق عليه السلام: انّه قال: «قطع ظهري اثنان: عالم متهتك و جاهل متنّسك، هذا يصدّ النّاس عن علمه يتهتكه، و هذا يصدّ النّاس عن نسكه بجهله».[4]

---

١ ـ قوله عليه السلام: ليغزر اي يكثر.

٢ ـ قوله عليه السلام: من يتّخذ علمه مروّة و عقلاً اي يطلب العلم و يبذله ليعدّه الناس من اهل المروّة و العقل.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ١٥، ح ١١، (ص ١٠٨).

٤ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ٥، ح ٨، (ص ٢٠٥).

آيات في توقف العلم على العمل

﴿اتأمرون النّاس بالبرّ و تنسون انفسكم و انتم تتلون الكتاب افلا تعقلون﴾.[1]

﴿سمّاعون للكذب اكّالون للسحّت﴾.[2]

﴿مثل الّذين حُمّلوا التّوراة كمثل الحمار يحمل اسفاراً﴾.[3]

﴿لِمَ تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾.[4]

---

١ ـ البقرة / ٤٤. ٢ ـ المائدة / ٤٢. ٣ ـ الجمعة / ٥. ٤ ـ الصّف / ٣.

روايات في توقّف العلم على العمل

عن جعفر عن أبيه عليه السلام ان علياً عليه السلام قال: «ايّاكم و الجهال من المتعبّدين و الفجار من العلماء، فانّهم فتنة كلّ مفتون».[١]

قال عيسى بن مريم عليه السلام: «الدنيا داء الدين و العالم طبيب الدين، فاذا رايتم الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاتّهموه واعلموا انه غير ناصح لغيره».[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا رايتم العالم محبّاً للدنيا فاتّهموه على دينكم فانّ كلّ محبّ يحوط ما احبّ».[٣]

عن ابن اسامة قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: «.... وكونوا دعاة إلى انفسكم بغير السنتكم وكونوا زيناً و لا تكونوا شيناً».[٤]

و في قول الله تعالى: «انّما يخشى الله من عباده العلماء، قال: يعني من يصدّق قوله فعله، و من لم يصدّق قوله فعله فليس بعالم».[٥]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ان العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزّل المطر عن الصفا[٦]».[٧]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ١٥، ح ١، (ص ١٠٦).

٢ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ١٥، ح ٥، (ص ١٠٧).

٣ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ١٥، ح ٧، (ص ١٠٧).

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، باب ٢٣، ح ٢٥، (ص ١٩٩).

٥ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ١١، ح ٤١، (ص ٥٩).

٦ ـ الصفا: الحجر الصلد الضخم.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «لا ان شرّ الشرّ شرار العلماء و ان خير الخير خيار العلماء».[٨]

عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قال: «اوحى الله إلى بعض انبيائه قال للّذين يتفقهون لغير الدّين و يتعلّمون لغير العمل و يطلبون الدنيا لغير الاخرة يلبسون للنّاس مسوك الكباش[٩] و قلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل و اعمالهم امرّ من الصبر اياي يخادعون؟ و بي يستهزونأ لأ تيحنّ[١٠]لهم فتنة تذر الحكيم حيراناً».[١١]

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «كلّ علم و بال على صاحبه إلّا من عمل به».[١٢]

عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت اميرالمؤمنين عليه السلام يحدّث عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم انّه قال في كلام له: «العلماء رجلان: رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج و عالم تارك لعلمه فهذا هالك. و انّ اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه. و انّ اشدّ اهل النار ندامة و حسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له و قبل منه فاطاع فادخله الله الجنة و ادخل الداعى النار بتركه علمه و اتباعه الهوى و طول الامل، امّا اتباع الهوى فيصد عن الحقّ، و طول الامل ينسى الاخرة».[١٣]

---

٧ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٩، ح ٦٨، (ص ٣٩).

٨ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ١٥، ح ٢٢، (ص ١١٠).

٩ ـ مسوك: الجلود، الكباش: بمعناى قوچ.

١٠ ـ يقال: أتاج الله لفلاة كذا أي قدره له و أنزله به و تاح له الشيء.

١١ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ٧، ح ١٥، (ص ٢٢٤).

١٢ ـ بحار الانوار، ج ٢، باب ٩، ح ٦٣، (ص ٣٨).

١٣ ـ اصول الكافى، ج ١، باب استعمال العلم، ح ١، (ص ٤٤).

روايات في توقّف العمل على العلم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نوم مع علم خير من صلوة مع جهل».[1]

عن طلحة بن زيد قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، و لا يزيده سرعة السير من الطريق إلّا بعداً».[2]

عن أبي عبدالله عليه السلام عن ابائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من عمل على غير علم كان ما يفسده اكثر مما يصلح».[3]

روي عن الصادق عليه السلام انه قال: «قطع ظهري اثنان: عامل متهتك و جاهل متنّسك، هذا يصدّ النّاس عن علمه بتهتكه و هذا يصدّ النّاس عن نسكه بجهله».[4]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «المتعبّد على غير فقه كحمار الطاحونة يدور و لا يبرح.[5] ركعتان من عالم خير من سبعين ركعة من جاهل، لأن العالم تأتيه الفتنة فيخرج منها بعلمه و تأتى الجاهل فتنسفه نسفاً. و قليل العمل مع كثيره العلم خير من كثير العمل مع قليل العلم و الشّك و الشبهة».[6]

عن الصادق عليه السلام: «.... انّ رجلاً كان له جار و كان نصرانياً فدعاه إلى الاسلام و زينّه

---

١ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ١، ح ١٠٢، (١٨٥).
٢ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ٥، ح ١، (٢٠٦).
٣ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ٥، ح ٧، (٢٠٨).
٤ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ٥، ح ٨، (٢٠٨).
٥ ـ برح اي زال.
٦ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ٥، ح ١٠، (٢٠٨).

له فاجابه. فأتاه سحيراً فقرع عليه الباب. فقال له: من هذا؟ قال: أنا فلان. قال: و ما حاجتك؟ فقال: توّضأ و البس توبيك و مرّ بنا إلى الصلوة. قال: فتوضأ و لبس توبيه و خرج معه. قال: فصلّيا ما شاء الله. ثم صلّيا الفجر. ثم مكثا حتّى اصبحا. فقام الّذي كان نصرانّياً يريد منزله، فقال له الرّجل: أين تذهب؟ النّهار قصير و الّذي بينك و بين الظّهر قليل. قال: فجلس معه إلى اَنْ صلّى الظهر. ثمّ قال: و ما بين الظهر و العصر قليل، فاحتبسه حتّى صلّى العصر. قال: ثمّ قام و اراد أن ينصرف إلى منزله، فقال له: إنّ هذا آخر النّهار و أقلُّ من أوّله، فاحتبسه حتّى صلّى المغرب، ثمّ أراد أنْ ينصرف إلى منزله، فقال له: إنّما بقيت صلاة واحدة. قال: فمكث حتّى صلّى العشاء الآخرة. ثمّ تفرقا. فلّما كان سحيرا غدا عليه، فضرب عليه الباب. فقال: من هذا؟ قال أنا فلان. قال: و ما حاجتك؟ قال: توّضا و الْبِسْ ثوبيك و اخْرُج بنا فصلّ. قال: اطلب لهذا الدّين من هو افرغ مني و أنا انسان مسكين و عليّ عيال. فقال ابو عبدالله عليه السلام: ادخله في شيء اخرجه منه او قال: ادخله من مثل ذه و أخرجه من مثل هذا».[1]

عن الصادق عليه السلام: «.... انّ رجلاً من بني اسرائيل كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر خضراءَ نَضِرَةٍ، كثيرة الشجر، ظاهرة الماء، و انّ ملكاً من الملائكة مرّ به، يا ربّ أرني ثواب عبدك هذا. فاراه الله [تعالى] ذلك، فاستقلّه الملك. فاوحى الله [تعالى] اليه: اَنْ اصحبه. فأتاه الملك في صورة إنسيّ، فقال له: من أنت؟ قال: أنا رجل عابد بلغني مكانك و عبادتك في هذا المكان، فأتيتك لأ عبدالله معك. فكان معه يوم ذلك. فلمّا أصبح قال له الملك: انّ مكانك لنزه و ما يصلح إلّا للعبادة. فقال له العابد: إنّ لمكاننا هذا عيباً. فقال له: و ما هو؟ قال: ليس لربّنا بهيمة فلو كان له حمار رعيناه في هذا الموضع، فانّ هذا الحشيش يضيع. فقال له [ذلك] الملك: و ما لربّك حمار! فقال: لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا

---

١ ـ اصول الكافي، ج ٢، باب درجات الايمان، ح ٢، (ص ٣٦).

الشحيش فأوحى الله إلى الملك انما اثيبه على قدر عقله».[(١)]

***

الفائدة الرّابعة: توقف العبوديّة على الفضائل

قد اشتهر بين أهل القلوب انّ الاوامر و النّواهي و ان كانت تابعة للمصالح و المفاسد النّفس الامريّة و للواقع إلّا انّ تلك المصالح و المفاسد كما تكون في المأمور به و المنهيّ عنه تصحب نفس الامر و النهي ايضاً، بمعنى انّ نفس أمر المولى و نهيه فيهما المصلحة، و تلك المصلحة هي خلق روح التّعبّد في العبد. فالعبد باتيان تلك العبادة و الكفّ عن تلك النّواهي يتوغّل في العبوديّة و التّسليم. و ذلك المقام يعدّ اعلى مقامات العبد و تحصيله من اوجب الواجبات.

و هذا كلام جيّد بحيث انّه لو قلنا بانحصار المصالح في نفس الامر و نفس النّهي لم نقل جزافاً، لانّ تلك المصلحة مصلحة هامّة تامّة، بل قد مرّ الكلام منّا في انّ التّهذيب و التّخلّق بالفضائل مقدمّة للوصول إلى مقام العبوديّة، و معلوم انّ تلك العبوديّة كلّما زادت زاد مقام التّسليم و الخضوع للحقّ تعالى و لرسوله و للائمّة عليهم السّلام.

و لا تتوهّم انّ ذلك المقام يحصل بسهولة، كلّا بل لا يحصل إلّا للأوحديّ من النّاس. فتحصيله يحتاج إلى فضل الله و رحمته و إلى رياضات دينيّة من التّوبة و اليقظة و تهذيب النّفس و التّخلّق بالفضائل، بل لا ينال السالك ذلك إلّا بعد التّجلية و الوصول إلى مقام الفرقان.

و بالجملة انّ مقام التّسليم و التّعبّد من المقامات العالية و لا ينالها احد إلّا بعد

---

١ ـ اصول الكافي، ج ١، كتاب العقل و الجهل، ح ٨، (ص ٩).

التّهذيب، و الرّذائل كلّها تمنع عن الوصول إليه سيّما الكبر الّذي يضادّه.

توضيح ذلك: انّ نفسيّة الكبر و التنفّر عن موجودة في قلوب البشر فلو أراد المرء الوصول إلى مقام التّسليم و ان تحصل له نفسيّة التّعبّد فلا محيص له من ازالة تلك الرّوح القذرة الخبيثة، فبعد ازالتها بالرياضات الدينيّة و الاتيان بالاعمال الصالحة و الدّعاء و الخضوع لله تعالى تحصل له اوّل مرتبة من مراتبه. و كلّما زاد في عباداته و استقوى صلته بخالقه، رفعت مرتبته فيه.

و للذكرالعزيز و الاحاديث الصادرة عن مصادر العصمة اهتمامٌ بالغٌ بهذه الفضيلة نأتي هيهنا بقسم منها تنويهاً إلى اهتمامها بها.

قال الله تبارك و تعالى:

﴿و من يرغب عن ملة ابراهيم إلّا من سفه نفسه و لقد اصطفيناه في الدّنيا و انّه في الاخرة لمن الصّالحين إذ قال له ربّه اسلم قال اسلمت لربّ العالمين﴾. [١]

﴿يا ايّها الّذين آمنوا ادخلوا في السّلم كافّة﴾. [٢]

﴿فلا و ربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً ممّا قضيت و يسلّموا تسليماً﴾. [٣]

﴿انّ الّذين امنوا و عملوا الصالحات و اخبتوا إلى ربّهم اولئك اصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾. [٤]

﴿فالهكم اله واحد فله اسلموا و بشّر المخبتين﴾. [٥]

﴿و من يسلم وجهه إلى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى و إلى الله عاقبة الامور﴾. [٦]

١ـ البقرة / ١٣٠ و ١٣١. ٢ـ البقرة / ٢٠٨. ٣ـ النّساء ٦٥.
٤ـ هود / ٢٣. ٥ـ الحجّ / ٣٤. ٦ـ لقمان / ٢٢.

﴿.... قال يا بنيّ انّى ارى في المنام انّى اذبحك فانظر ماذاترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصّابرين فلّما اسلما و تلّه للجبين و ناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرءيا﴾.[١]

﴿... و امرت ان اسلم لربّ العالمين﴾.[٢]

﴿بلى من اسلم وجهه لله و هو محسن فله اجره عند ربّه و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.[٣]

﴿و من احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله و هو محسن﴾.[٤]

عن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «انّى تركت مواليك مختلفين يتبرء بعضهم من بعض. قال فقال: و ما انت و ذالك، انّما كلّف النّاس ثلثة: معرفة الائمة و التسليم لهم فيما ورد عليهم و الرّدّ إليهم فيما اختلفوا فيه».[٥]

عن عبدالله الكاهلي قال قال ابو عبدالله عليه السلام: «لو انّ قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له و اقاموا الصلوة و اتوا الزكوة و حجّوا البيت و صاموا شهر رمضان ثمّ قالوا لشئ صنعه الله او صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا صنع خلاف الّذي صنع، او وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿فلا و ربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت و يسلّموا تسليماً﴾ ثمّ قال ابو عبدالله عليه السلام عليكم بالتسليم».[٦]

زيد الشحّام عن أبي عبدالله عليه السلام قال قلت له: انّ عندنا رجلاً يقال له كليب، فلا يجيئ عنكم شيء إلّا قال: انا اسلّم، فسميّناه كليب تسليم، قال: فترحَم عليه، ثمّ قال: «اتدرون ما

---

١ ـ الصّافّات / ١٠٢. ٢ ـ غافر / ٦٦. ٣ ـ البقرة / ١١٢. ٤ ـ النّساء / ١٢٥.

٥ ـ اصول الكافى، ج ١، كتاب الحجّة، باب التسليم و فضل المسلمين، ح ١، (ص ٣٩٠).

٦ ـ اصول الكافى، ج ١، كتاب الحجّة، باب التسليم و فضل المسلمين، ح ٢، (ص ٣٩٠).

التّسليم؟ فسكتنا. فقال هو: والله الاخبات، قول الله عزّوجلّ: **الّذين امنوا و عملوا الصّالحات و اخبتوا إلى ربّهم**».[١]

محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى: **و من يقترف حسنة نزد له فيها حسناً**، قال: «الاقتراف التسليم لنا و الصّدق علينا و إلّا يكذب علينا».[٢]

عن يحيي بن زكريّا الانصاري عن ابي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «من سرّه أن يستكمل الايمان كله فليقل: القول منّي في جميع الاشياء قول آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فيما اسرّوا و ما اعلنوا و فيما بلغني عنهم و ما لم يبلغني».[٣]

عن أبي بصير قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿**الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه**﴾ إلى آخر الآية قال: «هم المسلّمون لآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، الّذين إذا سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه و لم ينقصوا منه جاؤوا به كما سمعوا».[٤]

عن الرضا عليه السلام: «.... وا علموا انّ رأس طاعة الله سبحانه التسليم لما عقلناه و ما لم نعلقه، فانّ رأس المعاصي الرّد عليهم. و انّما امتحن الله عزّوجلّ النّاس بطاعته لما عقلوه و ما لم يعقلوه ايجاباً للحجّة و قطعاً للشّبهة».[٥]

عن أبي الحسن الثالث (الهادي) عليه السلام: «.... فنبيّنا أفضل الأنبياء و خليلنا أفضل الأخلّاء [و وصيّه] أكرم الأوصياء .... فاردد إليهما الامر و سلّم اليهم».[٦]

كتب موسى بن جعفر عليه السلام إلى علي بن سويد: «.... و الِ آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم و لا تقل لما

---

١ ـ اصول الكافى، ج ١، كتاب الحجّة، باب التسليم و فضل المسلمين، ح ٣، (ص ٣٩٠).

٢ ـ اصول الكافى، ج ١، كتاب الحجّة، باب التسليم و فضل المسلمين، ح ٤، (ص ٣٩١).

٣ ـ اصول الكافى، ج ١، كتاب الحجّة، باب التسليم و فضل المسلمين، ح ٦، (ص ٣٩١).

٤ ـ اصول الكافى، ج ١، ح ٨ (ص ٣٩١).

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، باب ٢٦، ح ٤، (ص ٣٤٨).

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، باب ٢٨، ح ٢، (ص ٣٦٧).

بلغك عنّا او نسب الينا «هذا باطل» و ان كنت تعرف خلافه، فانك لا تدري لما قلنا و على اي وجه وصفناه آمن بما اخبرتك و لا تفش ما استكتمتك».[1]

عن عبدالله بن أبي يعفور قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام: و الله لو فلقت رمانة فقلت: هذا حلال و هذا حرام، شهدت انّ الّذي قلت حلال، حلال و انّ الّذي قلت حرام، حرام. فقال عليه السلام: «رحمك الله رحمك الله».[2]

عن مأمون الرقي قال: «كنت عند سيّدي الصادق عليه السلام إذ دخل سهل بن الحسن الخراساني فسلّم عليه، ثمّ جلس فقال له: يا ابن رسول الله لكم الرأفة و الرحمة، و انتم أهل بيت الامامة ما الّذي يمنعك ان يكون لك حق تقعد عنه و انت تجد من شيعتك مأة الف يضربون بين يدك بالسيف؟!

فقال له عليه السلام: اجلس يا خراساني رعى الله حقّك، ثمّ قال: يا حنيفة اسجري التّنور! فسجرته حتّى صار كالجمرة و ابيضّ علوّة ثمّ قال: يا خراساني قم فاجلس في التنور!

فقال الخراساني: يا سيّدي يابن رسول الله لا تعذّبني بالنّار، اقلني اقالك الله. قال: قد اقلتك.

فبينما نحن كذلك إذا أقبل هارون المكّي، و نعله في سبّابته، فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله. فقال له الصّادق عليه السلام: الق النّعل من يدك. و اجلس في التنور!

قال: فالقى النعل من سبّابته ثمّ جلس في التنور و اقبل الامام عليه السلام يحدّث الخراساني حديث خراسان حتّى كانّه شاهد لها.

ثمّ قال: قُم يا خراساني و انظر ما في التنور! فقمت إليه فرأيته متربّعاً. فخرج الينا و سلّم علينا.

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۸، باب ۲۵، ح ٦، (ص ۳۲۹).

۲ ـ رجال الكشي، ص ١٦٢، حالات ابن ابي يعفور.

فقال له الامام عليه السلام: كم تجد بخراسان مثل هذا؟ فقال: و الله و لا واحداً فقال عليه السلام: لا و الله و لا واحداً. فقال: اما انّا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن اعلم بالوقت».[۱]

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۴۷، ص ۱۲۳، ح ۱۷۲.

الفصل الرّابع

دلائل وجوب تهذيب النّفس

وجوب تهذيب النّفس عن الرذائل

تهذيب النّفس و تزكيتها عن الرذائل و تخلّقها بالاخلاق الحسنة و الصّفات الفاضلة و تحليتها بها ـ التّخلية و التّحليه ـ من اوجب الواجبات بالادلّة الاربعة:

دليل الكتاب :

مضافاً إلى قوله تعالى: ﴿قد افلح من زكّيها و قد خاب من دسّيها﴾.[1] الّذي لا يوجد له مثيلٌ في الذكر من حيث التأكيد عليه بتقدّم أحد عشر قسَماً عليه مصحوباً له بستة تأكيدات؛ و مضافاً إلى قوله تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال و لا بنون إلّا من اتى الله بقلب سليم﴾[2] الّذي يدلّ على توقّف الوصول إلى الدّرجات العالية في الاخرة على تحصيل القلب السّليم و حصوله ـ التّخلية ـ؛ قوله تعالى غير مرةٍ: ﴿هو الّذي بعث في الامّيين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته و يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة﴾[3] حيث يستفاد منه انّ العلّة الغائيّة لبعث الرّسول و انزال القرآن هي التّزكية و التّعليم.

و قوله تعالى: ﴿قد جائكم من الله نور و كتاب مبين يهدي به الله من اتّبع رضوانه

---

١ ـ الشّمس / ٩ و ١٠. ٢ ـ الشعراء / ٨٨ و ٨٩. ٣ ـ الجمعة / ٢.

سبل السّلام و يخرجهم من الظّلمات إلى النّور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم﴾.[١]
و هو يدلّ على انّ القرآن نزل لتبيين سبل السّلام، و سبل السّلام ليست إلّا مراتب السّير إلى الله تعالى من التّخلية إلى اللّقاء بمراتبه. كما انّ الاخراج من الظّلمات إلى النّور، و الهداية الخاصّة[٢] العنائيّة صراط مستقيم لا يكون لهما معنى محصّلاً إلّا ذلك.

فهذه الآية ايضاً تدلّ على انّ العلّة الغائيّة لانزال القرآن ليست إلّا التّخلية و التّحلية و التّجلية و اللّقاء بمراتبه.

بل بامعان النظر في معانى الذكر الحكيم نلتفت إلى انّ غاية أكثر الآيات هي تهذيب النّفس و التّخلّق بالفضائل.

هل انّ قصص القرآن لم تسرّد لهذا المقصود؟

و هل الآيات الآفاقيّة و الأنفسيّة لم تنزل لهذه الغاية؟

و هل الآيات التّوحيديّة لا تحمل صبغة الأخلاق و لا ترمى ذلك الهدف ايضاً؟

و هل آيات الاحكام لا تدلّ على انّها شرّعت لذلك؟

﴿اقم الصّلوة لذكرى﴾.[٣]

﴿انّ الصّلوة تنهى عن الفحشاء و المنكر﴾.[٤]

﴿كتب عليكم الصّيام ..... لعلّكم تتّقون﴾.[٥]

---

١ ـ المائدة / ١٥ و ١٦.

٢ ـ الهداية في القرآن تستعمل تارة و يراد منها الهداية التّكوينية، قال الله تعالى: ﴿ربّنا الاذي ّعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى﴾ ـ و اخرى يراد منها الهداية التّشريعيّة، ـ قال الله تعالى: ﴿انّا هديناه السبيل امّا شاكراً و امّا كفوراً﴾ ـ و ثالثة تستعمل و يراد منها العناية الخاصّة الالهيّة، قال الله تعالى: ﴿لم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتّقين﴾ ـ و الهداية المعنى.

٣ ـ طه / ١٤.

٤ ـ العنكبوت / ٤٥.

٥ ـ البقرة / ١٨٣.

﴿خذ من اموالهم صدقة تطهّرهم و تزكّيهم﴾.[١]

فبناءً عليه لو قلنا انّ القرآن كتاب الاخلاق، و الاسلام مدرسته لكان كلامنا في محلّه لائقاً بشأن القرآن و الاسلام.

هذه نبذة من مفصّل و قطرة من بحر و حسبك ما ذكرناه الان بهذا الخصوص.

لماذا اكّد القرآن على الأخلاق هذا التّأكيد؟!

و هذا مع كونه بمنزلة بيان العلّة هو دليل قرآنى آخر على المدّعى.

انّ القرآن باتّباعه اسلوب تشبيه المعقول بالمحسوس اثبت وجوب التّخلّق بالاخلاق الفاضلة. فهو تارة شبّه القلب بالارض فقال: ﴿و البلد الطّيّب يخرج نباته باذن ربّه و الّذي خبث لا يخرج إلّا نكداً﴾[٢] و تارة شبّه السّيرة و الصّفات الكامنة في النّفس بالشّجر فقال:

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيّبة كشجرة طيّبة اصلها ثابت و فرعها في السّماء تؤتى اكلها كلّ حين باذن ربّها .... و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الارض مالها من قرار﴾.[٣]

انّ القرآن ببيانه جزءً من حكايات السلف أثبت انّ التّهذيب و التّخلّق باخلاق الله من اوجب الواجبات. فمثلاً جاء في سورة الشّمس بعد تلك التأكيدات و المقاسمات و بعد قوله ﴿قد افلح من زكّيها و قد خاب من دسّيها﴾[٤] انّه ﴿كذّبت ثمود بطغويها﴾[٥] حيث اكّد القرآن على انّ ثمود انّما كذّبوا الرّسول مع تلك المعجزة الباهرة لرذيلة الطّغيان الحاكم عليهم.

فيا للعجب هل يمكن لعاقل ان يقتل ناقة خرجت من بطن الجبل مع ولدها؟!

و هل يمكن لعاقل ان لا يعبأ بتهديد من جاء بتلك المعجزة؟!

١ـالتّوبة / ١٠٣.　٢ـالاعراف / ٥٨.　٣ـابراهيم / ٢٥ و ٢٦.　٤ـالشّمس / ١١ و ١٢.

٥ـالشّمس / ١١ و ١٢.

و هل يمكن لعاقل ان لا يخاف عاقبة فعله الشّنيع؟!

نعم انّ القرآن يشير إلى انّ كلّ ذلك ممكن ان يصدر من قوم فضلاً عن رجل واحد إذا تمكّنت فيهم رذيلة ما من الرّذائل الاخلاقيّة.

انّ القرآن في سورة المدّثّر يبيّن عاقبة أمر من كان يدعى بريحانة العرب (الوليد بن المغيرة) و هو القائل في حقّ التنزيل: انّ له لحلاوة و انّ له لطلاوة و انّ اعلاءه لمثمر و انّ اسفله لمعذق و انّه ليعلوا و لا يعلى عليه. و قد قال القرآن فيه :

﴿انّه فكّرو قدّر فقتل كيف قدّر ثمّ قتل كيف قدّر ثمّ نظر ثمّ عبس و بسر ثمّ ادبر و استكبر فقال ان هذا إلّا سحر يؤثر ان هذا إلّا قول البشر﴾.(١)

و علّل قبل ذلك بقوله: ﴿كلّا انّه كان لاياتنا عنيداً﴾.(٢)

فلكتاب اللّه بتلك الآي المباركات دلالةٌ على أنّ الرجل العنود و اللّاجّ و الحسود إذا رسخت في قلبه تلك الصّفات لا يذعن للحقّ و إن استيقن به؛ قال تعالى: ﴿و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علوّاً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾.(٣)

انّ القرآن يصوّر لنا طائفتين من النّاس، طائفة لهم قلب سليم خال عن اللّجاج و الكبر فهم يتحرّون الحقّ و الحقيقة و هم المعنيون بقوله تعالى:

﴿و إذا سمعوا ما انزل إلى الرّسول ترى اعينهم تفيض من الدمع ممّا عرفوا من الحقّ يقولون ربّنا امنّا فاكتبنا مع الشّاهدين و ما لنا لا نؤمن بالله و ما جائنا من الحقّ و نطمع ان يدخلنا ربّنا مع القوم الصّالحين﴾.(٤)

و طائفة لهم قلب اغلف قاس رسخ الكبر و اللّجاج و .... فيه فقال القرآن فيهم:

﴿و إذ قالوا اللّهمّ ان كان هذا هو الحقّ من عندك فامطر علينا حجارة من السّماء او

١ـ المدّثّر / ١٨ـ ٢٥. ٢ ـ المدّثّر / ١٦. ٣ـ النمل / ١٤. ٤ ـ المائدة / ٨٣ و ٨٤.

ائتنا بعذاب اليم﴾.[١]

و بهذا يتّضح و يعلّل قوله: **﴿يوم لا ينفع مال و لا بنون إلّا من اتى الله بقلب سليم﴾**.[٢]

و تلخيص القول انّ القرآن يدّعى انّ القلب هو موطن الافكار و الافعال و الاقوال و مبدؤها و انّه لو سلم لسلم الفكر و القول و الفعل. و امّا لو كانت فيه رذيلة و خطيئة فالفكر رجس و الفعل رذيلة و القول ايضاً كذلك.

و قال: **﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾**.[٣]

ولله درّ الشّاعر الفارسى حين يقول: از كوزه همان برون تراود كه در اوست. (و كلّ إناءٍ بما فيه ينضخ).

هذه خلاصة من مفصّل و قطرة من بحر تلك النّكات و يكيفك لاثبات المقصود هذا المقدار.

دليل السنّة:

فهى كثيرة و نحن نذكر بعضها:

عن موسى بن جعفر عن آبائه عن اميرالمؤمنين عليهم السلام «انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و بعث سريّة فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الاصغر و بقى عليهم الجهاد الاكبر. قيل: يا رسول الله و ما الجهاد الاكبر؟ قال: جهاد النّفس. ثمّ قال: افضل الجهاد من جاهد نفسه الّتي بين جنبيه».[٤]

عن الصّادق عليه السلام: «طوبى لعبد جاهد الله نفسه و هواه و من هزم جند هواه ظفر برضى

---

١ ـ الانفال / ٣٢. ٢ ـ الشّعراء / ٨٨ و ٨٩. ٣ ـ الاسراء / ٨٤.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧، باب ٤٥، ص ٦٥، ح ٧.

الله، و من جاور عقله نفسه الامّارة بالسّوء بالجهد و الاستكانة و الخضوع على بساط خدمة الله تعالى فقد فاز فوزاً عظيما، و لا حجاب اظلم و اوحش بين العبد و بين الربّ من النّفس و الهوى، و ليس لقتلها في قطعها سلاح والة مثل الافتقار إلى الله و الخشوع و الجوع و الظّمأ بالنّهار و السّهر باللّيل، فان مات صاحبه مات شهيداً، و ان عاش و استقام ادّاه عاقبته الرضوان الاكبر. قال الله عزّوجلّ: ﴿و الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا و انّ الله لمع المحسنين﴾.[1]

عن موسى بن جعفر عليه‌السلام: «يا هشام .... و جاهد نفسك لتردّها عن هواها، فانّه واجب عليك كجهاد عدوّك، قال هشام: فقلت له: فايّ الا عداء اوجبهم مجاهدة؟ قال عليه‌السلام: اقربهم اليك و اعداهم لك و اضرّهم بك و اعظمهم لك عداوة و اخفاهم لك شخصاً مع دنّوه منك».[2]

«روي في بعض الاخبار انّه دخل على رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: رجل اسمه مجاشع فقال: يا رسول الله كيف الطّريق إلى معرفة الحقّ؟ فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: معرفة النّفس، فقال: يا رسول الله كيف الطّريق إلى موافقة الحقّ؟ قال: مخالفة النّفس، فقال: يا رسول الله فكيف الطّريق إلى رضا الحقّ؟ قال: سخط النّفس، فقال: يا رسول الله فكيف الطّريق إلى وصل الحقّ؟ قال: هجر النّفس، فقال:

يا رسول الله فكيف الطّريق إلى طاعة الحقّ؟ قال: عصيان النّفس، فقال: يا رسول الله فكيف الطّريق إلى ذكر الحقّ؟ قال: نيسان النّفس، فقال: يا رسول الله فكيف الطّريق إلى قرب الحقّ؟ قال: التباعد من النّفس، فقال: يا رسول الله فكيف الطّريق إلى انس الحقّ؟ قال: الوحشة من النّفس، فقال: يا رسول الله فكيف الطّريق إلى ذلك؟ قال: الاستعانة بالحقّ على

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٦٩، باب ٤٥، ح ١٥.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، ص ٣١٥، باب ٤٥، ح ١.

النّفس».[١]

عن الصّادق عليه السلام .... «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: طلب العلم فريضة على كلّ مسلم و مسلمة و هو على الانفس».[٢]

عن ابي عبدالله عليه السلام: «انّ الله عزّوجلّ خصّ رسله بمكارم الاخلاق، فامتحنوا انفسكم فان كانت فيكم فاحمدوا الله و اعلموا انّ ذلك من خير، و ان لا تكن فيكم فاسئلوا الله و ارغبوا إليه فيها، قال: فذكرها عشرة: اليقين و القناعة و الصّبر و الشّكر و الحلم و حسن الخلق و السّخاء و الغيرة و الشّجاعة و المروّة».[٣]

عن ابي‌عبدالله عليه السلام عن ابيه عن جدّه على بن الحسين عليهما السلام قال: قال موسى بن عمران عليه السلام: «يا ربّ من اهلك الّذين تظلّهم في ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلّا ظلّك؟ قال: فاوحى الله اليه: الطّاهرة قلوبهم».[٤]

و الرّوايات بهذا المضمون على حدّ التّواتر المعنوي فمن اراد المزيد فليراجع: بحار الانوار،[٥] و الكافي،[٦] و الوسائل[٧] و غيرها.

و نحن نكتفى بهذا المقدار و نذكر بعض الرّوايات الواردة في موارد خاصّة:

عن ابي عبدالله عليه السلام قال: قال ابو جعفر عليه السلام: «العزّ راء الله و الكبر ازاره فمن تناول شيئاً منه اكبّه الله في جهنّم».[٨]

عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «من تعصّب عصّبه الله بعصابة من نار».[٩]

١ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٧٢، باب ٤٥، ح ٢٣.
٢ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٦٨، باب ٤٥، ح ١٤.
٣ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٥٦، باب المكارم، ح ٢.
٤ـ بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٩١، باب ٣٨، ح ٦٧.
٥ـ ج ٦٩، إلى ٧٨.
٦ـ ج ٢ من الاصول.
٧ـ ج ١١.
٨ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٣٠٩، باب الكبر، ح ٣.
٩ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٣٠٨، باب المعصبيّة، ح ٤.

قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: «الحسد ياكل الحسنات كما تأكل النّار الطب».[١]

عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «دخل رجلان المسجد، احدهما عابد و الاخره فاسق، فخرجا من المسجد و الفاسق صدّيق و العابد فاسق. و ذلك انّه يدخل العابد المسجد مدلّا بعبادته يدلّ بها و تكون فكرته في ذلك، و تكون فكرة الفاسق في التّندّم على فسقه و يستغفر الله عزّوجلّ ممّا صنع من الذّنوب».[٢]

عن ابي الحسن عليه السلام: «انّه ذكر رجلاً فقال: يحبّ الرئاسة، فقال: ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرّق رعاؤها با ضرّ في دين المسلم من الرّئاسة».[٣]

قال ابو عبدالله عليه السلام: «ملعون من ترأس، معلون من همّ بها، ملعون من حدّث بها نفسه».[٤]

هذا نموذج من الرّوايات الواردة في الرّذائل.

و نحن نذكر بعض تلك الرّوايات في محلّها كما نذكر الرّوايات الواردة في الفضائل ايضاً فيما بعد ان شاء الله.

دليل الاجماع:

الاقوال الواردة من اعلام الطائفة في وجوب تهذيب النّفس و التّخلق بالفضائل كثيرة جدّاً بين قدمائهم و متأخّريهم و من نظر إلى كلمات اهل القلوب علم انّ وجوب التهذيب عندهم من الضّروريّات و كأنّه من البديهيّات في الاسلام. و نحن نذكر بعضها كنموذج:

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٣، ص ٢٥٧، باب الحسد، ح ٣٠.

٢ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٣١٤، باب العجب، ح ٦.

٣ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٢٩٧، باب طلب الرّئاسة، ح ١.

٤ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٢٩٨، باب طلب الرّئاسة، ح ٤.

قال الشيخ الرّئيس في الاشارات: «انّ العقاب للنّفس على خطئتها ـ كما ستعلم ـ هو كالمرض للبدن على نهمه، فهو لازم من لوازم ما ساق إليه الاحوال الماضية الّتي لم يكن من وقوعها بدّ و لا من وقوع ما يتبعها. و امّا [العاقب] الّذي يكون على جهة أخرى من مبدء له من خارج فحديث اخر».[١]

و قال نصير الملّة و الدّين ﷺ في شرحه عليه: «و هذا النّوع من العقاب انّما يكون للنّفس الانسانيّة بسبب ملكاتها الرّديئة الرّاسخة فيها، فكانّها تكون من داخل ذاتها و هو نار الله الموقدة الّتي تطّلع على الافئدة. لكن الآيات الواردة بالوعيد في الكتب الالهيّة لو اجربت على ظواهرها، لا قتضت القول بعقاب جسمانيّ وارد على بدن المسيئ من خارج على ما توصف في التّفاسير و الاخبار. فاشار الشّيخ إلى ذلك ايضاً بقوله: «و امّا العقاب الّذي يكون على جهة أخرى من مبدء له من خارج فحديث» اي اثباته على الوجه المشهور لو كان حقّاً لكان سمهيّاً».[٢]

قال الشيخ البهائي «قدس الله روحه» قال بعض اصحاب القلوب: «إنّ الحيّات و العقارب بل و النّيران الّتي تظهر في القبر و القيامة هي بعينها الاعمال القبيحة و الأخلاق الذميمة و العقائد الباطلة الّتي ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة و تجلببت بهذه الجلابيب، كما انّ الروح و الريحان و الحور و الثمار هي الأخلاق الزكيّة و الاعمال الصالحة و الاعتقادات الحقّة الّتي برزت في هذا العالم بهذه الزّي و تسمّت بهذا الاسم، إذ الحقيقة الواحدة تختلف صورها باختلاف الأماكن، فتحلّى في كلّ موطن بحلية و تزّيي في كلّ نشأة بزّي؛ و قالوا: إنّ اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿**يستعجونلك بالعذاب و انّ جهنّم لمحيطة بالكافرين**﴾[٣] ليس بمعنى الاستقبال بأن يكون المراد أنّها ستحيط بهم في النشأة الاخرىٰ، كما ذكره

---

١ ـ الاشارات و التنبيهات، ج ٣، ص ٣٢٨.
٢ ـ الاشارات و التنبيهات، ج ٣، ص ٣٣٠.
٣ ـ العنكوبت / ٥٤.

الظاهريّون من المفسرين، بل هو على حقيقته أي معنى الحال. فانّ قبائحهم الخلقيّة و العمليّة و الاعتقاديّة محيطة بهم في هذه النشأة، و هي بعينها جهنّم الّتي ستظهر عليهم في النشأة الأُخروّيه بصورة النار و عقاربها و حياتها».(١)

و قال صدر المتألهين في الاسفار: «و امّا تحول النّفس من نشأة الطبيعة الدنيويه إلى النشأة الاخرويّة و صيرورتها بحسب ملكاتها و احوالها مصورّة بصورة أُخروّيّة حيوانيّة أو غيرها حسنة بهيّة نوريّة او قبيحة رديّة ظلمانيّة سبعيّة او بهيميّة متخالفة الانواع حاصلة من اعمالها و أفعالها الدنيويّة الكاسبة لتلك الصورة و الهيئات. فليس ذلك مخالفاً للتحقيق بل هو أمر ثابت بالبرهان، محقق عند ائمّة الكشف و العيان، مستفاد من أرباب الشرايع الحقة و سائر الاديان، دلّت عليه ظواهر النصوص القرآنيّة و الاحاديث النبوية».(٢)

و قال في موضع آخر من هذا الكتاب القيّم: «إنّ القول و الفعل مادام وجودهما في أكوان الحركات و مواد المكونات فلا حظّ لها من البقاء و الثبات، ولكن من فعل فعلاً أو تكلّم بقول يظهر منه أثر في نفسه و حالة قلبيّة تبقي زماناً، و إذا تكررت الافاعيل و الاقاويل استحكمت الآثار في النّفس و صارت الاحوال ملكات، إذ الفرق بين الملكة و الحال بالشدّة و الضعف، و الاشتداد في الكيفية يؤديّ إلى حصول صورة جوهريّة هي مبدأ مثل تلك الكيفيّة كالحرارة الضعيفة في الفحم إذا اشتدت صورة ناريّة محرقة، و كذلك الكيفيّة النفسانيّة إذا اشتدت صارت ملكة راسخة اي صورة نفسانيّة هي مبدء آثار مختصّة بها فيصدر بسببها الفعل المناسب لها بسهولة من غير روّيّة و تعمّل، و من هذا الطريق تحدث ملكة الصناعات و مبدأ المكاسب العلميّة و العمليّة، و لو فيوماً لم يكن لأحد من النّاس اكتساب شيء من الصناعات العلميّة و العمليّة و لم ينجع التأديب و التعليم لاحد و لم يكن في تمرين الاطفال على الاعمال فائدة .... و هذه الهيأة الراسخة للنفس المتمثلّة لها يوم القيامة

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧، ص ٢٢٨ و ٢٢٩.

٢ ـ الاسفار، ج ٩، ص ٤.

هي الّتي تسمّى في عرف الحكمة بالملكة، لانّ المحقق عندنا انّ الملكات النفسانيّة تصير صوراً جوهريّة و ذواتاً قائمة فعالة في النّفس تنعيماً و تعذيباً....».[١]

و من كلام فيثاغورس و هو من أعاظم الحكماء الاقدمين: «انّك ستعارض لك في افعالك و اقوالك و افكارك، و سيظهر لك غضبيّة صارت مادة لشيطان يؤذيك في حياتك و يحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك، و ان كانت الحركة عقليّة صارت ملكاً تلتذّ بمنادمته في دنياك و تهتدي به في أُخراك إلى جوار الله ودار كرامته».[٢]

و قال الغزّالي: «فان كنت المشغول بنفسك فلا تشغل إلّا بالعلم الّذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك و ما يتعلّق منه بالاعمال الظّاهره من تعلّم الصّلوة و الطّهارة و الصّوم و انّما الأهمّ الّذي اهله الكلّ علم صفات القلب و ما يحمد منها و ما يذمّ إذ لا ينفك بشر عن الصّفات المذمومه مثل الحرص و الحسد و .... و جميع ذلك مهلكات و اهمالها من الواجبات».[٣]

و قال الشّهيد الثّاني ﺗﺪﺭﺳ في منية المريد: «هي (تزكية النّفس) فرض عيني باجماع المسلمين».[٤]

و قال ﺗﺪﺭﺳ في موضع آخر: «.... ما هو أهمّ و معرفته اوجب و المطالبة به والمنافسة عليه اعظم هو تطهير النّفس عن الرذائل الخلقية».[٥]

و قال الفيض ﺗﺪﺭﺳ: «و التّلطّف في اجتذاب القلوب إلى العلم الّذي يفيد حياة الأبد اهمّ من التّلطّف في اجتذابها إلى الطّبّ الّذي لا يفيد إلّا صحّة الجسد».[٦]

و قال ﺗﺪﺭﺳ في موضع آخر: «قال الله عزّوجلّ انّما المشركون نجس، تنبيهاً للعقول على ان

---

١ ـ الاسفار، ج ٩، فصل ١٢، ص ٢٩٠ ـ ٢٩٤.
٢ ـ الاسفار، ج ٩، فصل ١٢، ص ٢٩٠ ـ ٢٩٤.
٣ ـ احياء العلوم، ج ١، ص ٦٦.
٤ ـ منية المريد، ص ٥٥.
٥ ـ منية المريد، ص ٥٥.
٦ ـ محجة البيضاء، ج ١، ص ٧.

الطهارة و النجاسة غير مقصور على الظواهر المدركة بالحس، فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجواهر اي باطنه ملطخ بالخبائث، و النجاسة عبارة عمّا يجتنب و يطلب البعد منه و خبائث صفات الباطن أهمّ بالاجتناب، فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل، و لذلك قال رسول الله ﷺ : «لا تدخل الملئكة بيتاً فيه كلب» و القلب بيت هو منزل الملئكه و مهبط اثرهم و محل استقرارهم و الصفات الرديّة مثل الغضب و الشهوة و الحقد و الحسد و الكبر و العجب و اخواتها كلاب نابحه، فانى تدخله الملئكه و هو مشحون بالكلاب .... و في الاخرة تتبع الصور المعانى و تغلب المعانى فلذلك يحشر كلّ شخص على صورته المعنويّة فيحشر الممزّق لاعراض النّاس كلباً ضارياً و الشره إلى اموالهم ذئباً عادياً، و المتكبّر عليهم في صورة نمر، و طالب الرئاسة في صورة أسد و قد وردت بذلك الاخبار، و شهد به الاعتبار عند ذوي البصائر و الابصار».[١]

و قال المحقق النراقي ﷺ: «فضائل الأخلاق من المنجيات الموصلة إلى السعادة الابديّة و رذائلها من المهلكات الموجبة للشقاوة السرمدية، فالتخلّي عن الثانية و التحلّي بالاولى من أهمّ الواجبات، و الوصول إلى الحياة الحقيقيه بدونهما من المحالات. فيجب على كلّ عاقل ان يجتهد في اكتساب فضائل الأخلاق .... و الاجتناب عن رذائلها .... و لو قصّر ادركته الهلاكة الابدية».[٢]

و قال ﷺ في موضع اخر: «مثل من بواظب على الطاعات الظاهرة و يترك تفقد قلبه كبئر الحش ظاهرها جص و باطنها نتن و كقبور الموتى ظاهرها مزينة و باطنها جيفة، او كبيت مظلم وضع السراج على ظاهره فاستنار ظاهر و باطنه مظلم، او كرجل زرع زرعاً فنبت و نبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه عن اصله، فاخذ يجزّ رأسه و يقطعه فلا يزال يقوى اصله و ينبت فان الأخلاق المذمومة في القلب هي

---

١ ـ محجة البيضاء، ج ١، ص ١١٠.
٢ ـ جامع السعادات، ص ٤١.

مغارس المعاصي فمن لم يطّهر قلبه منها لم تتم له الطاعات الظاهر». (۱)

و قال السّيد شبّر: «طلبه فرض على جميع المسلمين و به يحصل التأسّس بسيد المرسلين و عترته الطاهرين، فانّ الأخلاق الحسنة هي المنجيات و الأخلاق السيئة هي السموم القاتلة المهلكات المبعدة من جوار ربّ العالمين و المنخرطة بصاحبها في سلك الشّيطان اللعين، و امراض القلوب و النفوس المضرة بالاديان اعظم ضرراً من امراض الاجساد و الابدان، إذ تلك مغوية لحياة الجسد و هذه تفوت حياة الابد، و وجوب ذلك الطبّ كفائي و تعلّم هذا الطبّ واجب عيني». (۲)

و قال المحقق النراقي ﭬ: «و بحكم محكم عقل و نفس مستفيض نقل بر هر يك از افراد سالكين منهج رشاد و طالبين طريق ارشاد لازم است كه اولاً از آئينه گيتى نماى دل زنگ رذائل زائل و بعد از آن ادهم همت بصورب تجمّل بحلل فضائل مايل سازد، چه بدون تخلية تحليه ميسر نشود و انعكاس نقش حبيب در نفس خبيث صورت نبندد». (۳)

و قال في موضع آخر: «آلام و بياريهاى روح عبارت است از اخلاق دميمه و صفات رذيله كه موجب هلاكت و بد بختى روح است و او را از درك لذات روحانيه و رسيدن به سعادات ابديه باز مى‌دارد». (٤)

و قال الامام خمينى ﭬ: «و از بالاترين و والاترين حوزه‌هايى كه لازم است به طور همگانى مورد تعليم و تعلّم قرار گيرد علوم معنوى اسلامى از قبيل علم اخلاق و تهذيب نفس و سير و سلوك إلى الله رزقنا الله و اياكم كه جهاد اكبر مى‌باشد». (٥)

و قال ﭬ ايضاً: «.... جهنم بااعمال و كردار زشت انسان روشن مى‌گردد. اين اعمال بشر چموش است كه آتش افروزى مى‌كند، فرمود: «جزنا و هي خامده ـ از جهنم

---

۱ ـ جامع السعادات، ج ۱، ص ٤۲.
۲ ـ الاخلاق، ص ۳.
۳ ـ معراج السعادة، ص ٤.
٤ ـ معراج السعادة، ص ۱۱.
٥ ـ في وصيته الالهيّة السياسية.

گذشتیم در حالی که خاموش بود»، اگر بشر با این اعمال و کردار خویش آتش نیفروزد جهنم خاموش است. باطن این طبیعت جهنم است اقبال به طبیعت اقبال به جهنم است. وقتی انسان از این جهان به جهان دیگر رخت بربندد و پرده‌ها پس برود می‌فهمد که **﴿ذلك بما قدمت ايدكم﴾**، **﴿و وجدوا ما عملوا حاضراً﴾** تمام اعمالی که در این دنیا از انسان سر می‌زند در آن جهان دیده می‌شود، در برابر وی مجسّم می‌گردد: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾** تمام اعمال و کردار و گفتار انسان در جهان دیگر منعکس می‌گردد، گویی از زندگی ما فیلم برداری می‌شود و در آن جهان نشان داده خواهد شد و قابل انکار نخواهد بود. همهٔ اعمال و حرکات ما را علاوه بر شهادت اعضاء و جوارح به ما نشان خواهند داد: **﴿قالوا انطقنا الله الّذي انطق كلّ شيءٍ﴾** در مقابل خداوند که همه چیز را ناطق و گویا قرار داده نمی‌توانید اعمال زشت خود را انکار کنید».[1]

و قال العلامة الطباطبايي في ذيل قوله تعالى **﴿ثم لم تكن فتنتهم إلّا ان قالوا و اللهِ ربّنا ما كنّا مشركين،﴾**: كذبهم و حلفهم على الكذب يوم القيامة مما وقع في كلامه تعالى غير مرّة، و مثل الآية قوله تعالى: **﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم﴾**[2] و ليس كذبهم و حلفهم عليه للتوصل به إلى الاغراض الفاسدة و ستر الحق كما يتوصل اليها بالكذب في الدنيا، فان الآخرة دار جزاء لا دار عمل و اكتساب لكنّهم لكونهم اعتادوا أن يتفصّوا من المخاطرات و المهالك و يجلبوا المنافع إليهم بالأيمان الكاذبة و الأخبار المزورة خدعة و غروراً رسخت في نفوسهم ملكة الكذب، و الملكة إذا رسخت في النّفس اضطرت النّفس إلى اجابتها إلى ما تدعوا اليه، و ذلك كما ان البذي الفحاش إذا استقرت في نفسه ملكة السبّ لا يقدر على الكف عنه و ان عزم عليه و المستكبر اللجوج العنود لا يملك من

---

١ ـ جهاد اكبر، ص ٢٠٦.

٢ ـ المجادلة / ١٨.

نفسه أن يتواضع، و ان خضع في موقف الملكة و الذلة احياناً فأنما يخضع ظاهراً و بلسانه، و امّا باطناً فهو على حاله لم يتغير و لن يتغير التبة».[1]

و قال ﷺ في ذيل آية ١٤، الاسراء: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾: قوله «كفى بنفسك» الباء فيه زائدة للتأكيد و أصله كفت نفسك و انّما لم يؤنث الفعل لانّ الفاعل مؤنث مجازي يجوز معه التذكير و التأنيث.[2]

هذه نبذة يسيرة من الأقوال في هذا المضمار. و قد أشرنا فيما سلف إلى أنّه من نظر إلى كلمات اهل القلوب علم انّ وجوب تهذيب النّفس عندهم من الضّروريات و كانّه من البديهيّات في الاسلام.

دليل العقل:

قد ظهر من مطاوي كلماتنا كراراً ان وجوب تهذيب النّفس و وجوب التّخلّق بالفضائل من الفطريات و انّ العقل يستقلّ بالحكم به كما انّ العقلا كلّهم يوجبون المذمّة لمن اهمل ذلك و يوجبون الكرامة لمن اهتمّ به.

و بعبارةٍ أخرى انّ العقل و العقلاء يحكمون بانه ينبغي أن يقلع مادّة الرذائل، لانّ حقّ الشّجرة الخبيثة ليس إلّا ذلك، و ان الفضائل كلّها ينبغي ان تغرس في القلب، لانّ ذلك من حقّ الشّجرة الطّيّبة.

فبعد ذلك يظهر انّ الآيات كالرّوايات و الاقوال كلّها ليست إلّا ارشاديّة إلى حكم العقل و ليس هناك اعمال تعبّد اصلاً.

توضيح ذلك: انّ الاحكام الشرعيّة قسّمت إلى المولويّات و الامضائيّات و

---

١ ـ الميزان، ج ٧، ص ٥١، في ذيل آية ٢٣ من الانعام (سورة ٦).

٢ ـ الميزان، ج ١٣، ص ٥٦.

الارشاديّات.

و المراد من المولويّات هي الاحكام الّتي لا تناها يد العقل اصلاً كوجوب الصّلوة و الصّوم و الحجّ سيّما إذا انضمّت إليها خصوصيّاتها. فلذا اطلق على هذه الاحكام التّعبّديات. و معناها انّ العقل لمّا صدّق الرّسالة و ما جاء به صدّق اجمالاً بانّ ما جاء به حقّ و ذو مصلحة ان كان امراً أو ذو مفسدة إن نهي عنه فصار نهياً من غير ان يفهم حقيقته تفصيلاً. و هذا هو مرادهم من قولهم: كلّما حكم به الشّرع حكم به العقل. و معناه انّ العقل يحكم بحقيّة ما حكم به الشّرع لكن اجمالاً لا تفصيلاً.

و امّا الامضائيّات فهي الاحكام الشّرعيّة الدّارجة بين العقلاء كالأمارات و الطّرق و الاصول العقلائيّة مثل خبر الثّقة و قاعدة اليد و قاعدة اصالة الصّحّة ممّا تكون دارجة بينهم و الاسلام أمضاها. فتلك الامارات والقواعد احكام شرعيّة من جهة و احكام عقلائيّة من جهة. و بالجملة انّها الاحكام العقلائيّة الّتي امضاها الشّرع و ليس للشّارع اعمال تعبّد فيها اصلاً.

و امّا الارشاديّات الّتي تقال لها الملازميّات ايضاً فهي الاحكام الّتي يستقلّ العقل بحكمها و يفهم حقيقتها و يدرك مصالحها و مفاسدها نظير وجوب طاعة الله و الرّسول و الائمّة عليهم السلام، و نظير حسن العدل و قبح الظّلم و وجوب الاتيان بالعدل و التّلبّس به و ترك الظلم و التّلبّس به، و لا يحتاج العقل في درك مثل ذلك إلى الشّرع اصلاً.

فلو قال الشّارع: ﴿اطيعوا الله و اطيعوا الرّسول و اولى الامر منكم﴾[1] او قال: ﴿انّ الله يأمر بالعدل و الاحسان و ايتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى﴾[2] فليس إلّا تأكيداً لحكم العقل و ارشاداً إليه من غير اعمال تعبّد أصلاً. و هذا معنى قولهم: «كلّما حكم به العقل حكم به الشّرع» اي انّ الضّروريات العقليّة و

---

١ ـ النّساء / ٥٩. ٢ ـ النّحل / ٩٠.

الأمورالفطريّة و المستقلّات العقليّة هي ممّا حكم به الشّرع و لا معنى لانكارها من احد، بل لو قال الشّارع بها فلا يكون إلّا تأكيداً و ارشاداً إلى ما قال به العقل.

فبناءً عليه لمّا كانت الفضائل كلّها و الرّذائل كلّها بل و ما يصدر منها من الاخلاقيّات، كلّها من الفطريات و ممّا يستقلّ به العقل ـ قال تعالى: ﴿و نفس و ما سوّيها فالهمها فجورها و تقويها﴾[١] ـ فليس للشّارع فيها تأسيس اصلاً.

ولو قال تعالى: ﴿قد افلح من زكّيها و قد خاب من دسّيها﴾[٢] فهو ممّا ادركه العقل و حكم به، فهو ارشاد إلى مدرَك من مدركاته.

كما و لو قال تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال و لا ينون إلّا ما اتى الله بقلب سليم﴾[٣] فليس إلّا ممّا حكم به العقل.

فلو قسّم القرآن المجتمع إلى قسمين و صوّر طائفةً منهم بقوله: ﴿و إذ قالوا اللهمّ ان كان هذا هو الحقّ من عندك فامطر علينا حجارة من السّماء او ائتنا بعذاب اليم﴾[٤] و طائفة أخرى منهم بقوله: ﴿و إذا سمعوا ما انزل إلى الرّسول ترى اعينهم تفيض من الدّمع ممّا عرفوا من الحقّ﴾[٥] فليس ذلك إلّا ارشاداً إلى ما يحكم به العقل الضّروريّ الفطريّ.

هكذا في قول الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم بعد رجوعه من سريةٍ: «بعد رجوع السّريّة: مرحباً بقوم فضوا الجهاد الاصغر و بقي عليهم الجهاد الاكبر، قيل يا رسول الله: و ما الجهاد الاكبر؟ قال: جهاد النّفس»[٦] و في قوال الامام عليه السلام: «لا يدخل الجنّة من في قلبه ذرّة من كبر»[٧] و في قول النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: «ايّاكم و الحسد، فانّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار

---

١ ـ الشّمس / ٧ و ٨. ٢ ـ الشّمس / ٩ و ١٠. ٣ ـ الشّعراء / ٨٨. ٤ ـ الانفال / ٣٢.

٥ ـ المائدة / ٨٣. ٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٦٥، باب مراتب النّفس، ح ٧.

٧ ـ اصول الكافي، ج ٢، ص ٣١٠، باب الكبر، ح ٦.

الحطب»[١] فليس فيه اعمال تعبّد، بل هو محض الارشاد.

فلو ذهب العلماء إلى ما ذهبوا إليه و قالوا بما قالوا به من انّ تهذيب النّفس من اوجب الواجبات و انّه من الضّروريات، فليس في اجماعهم اعمال تعبّد، بل انّهم قالوا بما يستقلّ به العقل و أرشدوا اليه.

و الحاصل انّ الدّليل كلّ الدّليل لوجوب تهذيب النّفس و وجوب التّخلّق بالفضائل بل ما يصدر عن الفضائل و الرّذائل المسمّى بالأخلاقيّات هو العقل السّليم الفطريّ وحده فما بقي عن الادلّة من الكتاب و السّنّة و الاجماع ليس إلّا ارشاداً إليه و لا استقلال له اصلاً و ليس من شأنه إلّا التأكيد عليه و التّنبيه إليه.

فاطلاق تلك الادلّة و تقييدها و عمومها و خصوصها وسعتها وضيقها تابع لما يرشد إليه العقل و هو المستقلّ به.

فلذا لسنا بصدد البحث عن قوّة سند الرّوايات وضعفها بل بصدد بيان مدلول الرّوايات صحّة و سقماً. فالرّواية القويّة دلالةً المطابقة للاعتبار ننقلها ولو كانت ضعيفة سنداً، و الرّواية الّتي لا دلالة لها لا نأتى بها و لو كانت صحيحة سنداً. فهذه طريقتنا في نقل الرّوايات بل في نقل الاقوال ايضاً، كما كانت هذه طريقة السّلف في هذا العلم.

و الظّاهر انّهم سلكوا هذه الطّريقة لما قلناه لا لشئ آخر نظير ما نسب إلى بعض جهلة الصّوفيّة من جواز نقل محتمل الكذب بل قطعيّه لاثبات المقصود من ردع النّاس عن الرّذائل و المنكرات و تخلّقهم بالفضائل و تحريصهم و ترغيبهم على الواجبات و المندوبات.

لانّ هذا كلّه لو صحّت النّسبة لا يكون إلّا في غاية البعد عن سيرة العلماء، بل هو خلاف الأخلاق و انّ الشّرع المقدّس لبرئ منه.

و ما قيل من انّ نقل الرّوايات الضّعاف في مثل المقام من باب التّسامح في أدلّة السّنن في

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٣، ص ٢٥٥، باب الحسد، ح ٢٦.

غاية السقوط.

لانّ شمول روايات قاعدة التّسامح في أدلّة السّنن تختصّ بالمستحبّات و شمولها لما نحن فيه في غاية الاشكال.

هذا تلخيص الكلام فيما نحن فيه و تفصيل الامر يُطلب من علم الاصول.

الفصل الخامس

كيفيّة التّزكية

كيفيّة التّزكية

مقدّمة:

انّ البحث عن كيفيّة التّزكية من أبحاث هذا العلم الطوال، و لابدّ لنا من تأتّيه لانّه من أهم المباحث.

و البحث عنها اعمّ من كيفيّة تهذيب النّفس عن رذائل الأخلاق و الملكات و من رذائل الاخلاقيّات من الافعال و الاقول و الافكار. و كذلك اعمّ من كيفيّة التّزكية و من كيفيّة التّخلّق بالملكات الفاضلة و من الاخلاقيّات الفاضلة من الافعال و الاقوال و الافكار.

فنسأل الله التّوفيق و العناية لتبيين هذا البحث الهامّ مستوفىً بحقّ وسائط فيضه المقدّسين محمّد و آله سيّما بقيّة الله في ارضه صلوات الله عليهم.

و قبل الورود في اصل الكلام لابدّ من ان ننبّه القارئ الكريم إلى بعض ما مضى ذكرها على سبيل الاجمال و نشير إلى ما سيأتي ان شاء الله مفصّلاً فنقول:

١ ـ انّ تهذيب النّفس مشكل و صعب مستصعب و قد ورد في الرّوايات انّه عدّ من

الجهاد الاكبر.[١]

و عدّ في قوله تعالى: ﴿يا ايّها الإنسان انّك كادح إلى ربّك كدحاً فملاقيه﴾[٢] من الأمور ذيالعناء و المشقّة، فالعبور منه و الوصول إلى الهدف بعد طي المنازل من التّوبة و اليقظة و التّخلية و التّجلية صعب جدّاً. فلو لا فضل الله و رحمته لايمكن لاحد أن يجتاز هذا الطّريق الصعب.

قال تعالى: ﴿و لولا فضل الله عليكم و رحمته ما زكّى منكم من احد ابداً ولكنّ الله يزكّي من يشاء﴾.[٣]

٢ ـ انّ سالك هذا الطّريق لابدّ من ان يعلم انّ الطّريق و ان كان ذا مشقّة و عناء و سلوكه يقتضي تحمّل المشاق، إلّا انّ ثواب طيّ المنازل من افضل المثوبات، و لا ثواب و لا عمل افضل منه، فهو أفضل من الجهاد في سبيل الله، المعدود من من الجهاد الاصغر في الروايات بينما عدّ ذلك من الجهاد الاكبر فيها.[٤]

فهو من العبادات العظيمة، سواء وصل السّالك إلى المقصود و نال بمبتغاه ام لا يصل، فمجاهدة النّفس و الهوى و الرّذائل عبادة، غلب عليها او غلبت عليه.

٣ ـ ينبغي الالتفات إلى انّ الإنسان خُلق لطيّ تلك المنازل حتّى يصل إلى مقام اللّقاء و القرب و يعرف نفسه و يصبح تامّ القابليّة لأخذ الفيض، كما انّ الله تعالى تامّ الفاعليّة في اعطاء الفيض. فقد جعله سبحانه و تعالى خليفةً له مسجوداً للملائكة و أمكن له ان يصل إلى مقام جواره كما و قد جعل قلبه عرشه و أمانةً منه و ...[٥]

---

١ ـ وسائل الشيعة، ج ١١، باب ١ من ابواب جهاد النّفس، ح ١ و بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٥، ح ٧، ٨، ١٣ و ٢١.

٢ ـ الانشقاق / ٦.

٣ ـ النّور / ٢١.

٤ ـ وسائل الشيعة، ج ١١، باب ١ من ابواب جهاد النّفس، ح ١.

٥ ـ البقرة / ٣٠ و الحجر / ٢٩ و الاحزاب / ٧٢ و القمر / ٥٤ و ٥٥.

و الالتفات إلى انّ هذه الدّنيا ليست مقرّاً له، بل انّها معبر و مسير، فهو لله و من الله وإلى الله، كما قال تعالى: ﴿انّا لله و انّا إليه راجعون﴾[١] يعينه في سيره هذا.

نعم انّها دار امتحان و استكمال و انّها وسيلة لا غاية.

قال تعالى: ﴿و لنبلونّكم بشيءٍ من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثّمرات و بشّر الصّابرين الّذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انّا لله و انّا إليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربّهم و رحمة و اولئك هم المهتدون﴾.[٢]

و الالتفات إلى انّ رذائل الصّفات بلاء عظيم و ليس هناك داء اشدّ منها و انّها توجب شقاء الدّارين، ألا ترى انّ نمرود وفرعون و هامان و جنودهم و انّ ابا سفيان و اباجهل و الوليد و اتباعهم اهلكتهم صفاتهم الرّذائل كما حكى الذّكر الحكيم حكاياتهم و أمر بالنّظر إلى أحوالهم و الاعتبار منها.

قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب﴾.[٣]

الا ترى انّ الرّذائل و المعاصي كلّها ناشئة من تلك الملكات، كما انّ الفضائل و الخيرات كلّها ناشئة من ملكاتها الفاضلة.

قال تعالى: ﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾.[٤]

٤ ـ انّ شرح الصّدر يعني القدرة على تنحية المشاكل و تحمّلها و الصّبر على النّائبات و المصائب، و عدم اليأس ان لم يقدر على تنحيتها، و هذا شرط بنائي في المقام، لانّ هذا الطّريق كبحر عميق قد غرق فيه خلق كثير، فله موج بعد موج و جزر بعد مدّ و مد بعد جزر و الإنسان فيه قد يوفّق فيتقدّم خطوة خطوة بل منزلاً منزلاً، و قد يتقهقر فلايجد سبيلاً إلى امامه، و قد يتوقّف مدّة مديدة. فشرح الصّدر و عدم اليأس يمكّنه من الثبات

---

١ ـ البقرة / ١٥٦.   ٢ ـ البقرة / ١٥٦ و ١٥٧.   ٣ ـ يوسف / ١١١.

٤ ـ الاسراء / ٨٤.

حتّى يصل غايته.

٥ ـ لابدّ لسالك هذا الطّريق من ان لا يتوغّل في المشتهيات النّفسيّة، لانّ خطرها عظيم ولو لم يصل إلى حدّ الاتراف و الاسراف و التّبذير.

و المستخلص انّ التّوغّل في المشتهيات و متابعة الميول النّفسيّة قد يؤدّي إلى حدّ الاسراف و التّبذير و الاتراف، فهو من المحرّمات، و قد أخبر الذكر الحكيم انّه يوجب عذاباً اليماً في الدّنيا و الآخرة.

قال تعالى: ﴿**و ما ارسلنا في قرية من نذير إلّا قال مترفوها انّا بما ارسلتم به كافرون**﴾.[١]

و المترف هو العيّاش المغرور الّذي لا يرى الترفّه إلّا ترفّهه الدّنيويّة و لا سعادة إلّا توسّعة في نعمه الزائلة من المال و الرّئاسة و القدرة و ....

و قد لا يصل إلى ذلك الحدّ فهو مذموم موجب للكسل في العبادات فضلاً عن السّلوك جناب الحقّ تعالى و طيّ منازل التّخلية و التّحلية، فمن اراد ان يجتاز هذا الطّريق لابدّ له من الاجتناب عن التّرف و البذخ. و لقد اجاد من اوصى تلامذته مؤكّداً فيها: ايّاكم ثمّ ايّاكم و التّوغّل في المشتهيات.

نعم لابدّ من ان يعلم انّ التّوغّل في المشتهيات كما كان موجباً للبطؤ و التوان، فكذلك التّفريط في المشتهيات النّفسانيّة ايضاً يوجب التأخّر و السّقوط، فعدم الاهتمام ببعد الإنسان الحيواني و الاضرار به حرامٌ كما قد ذمّ في روايات كثيرة الاضرار به، و سيأتي نقل تلك الرّوايات ان شاء الله، و يكفيك فعلاً مما جاء في القرآن:

قوله تعالى: ﴿**و ابتغ فيما اتاك الله الدّار الاخرة و لا تنس نصيبك من الدّنيا**﴾.[٢]

و قوله تعالى: ﴿**قل من حرّم زينة الله الّتي اخرج لعباده و الطّيّبات من الرّزق**﴾.[٣]

---

١ ـ السّباء / ٣٤. ٢ ـ القصص / ٧٧. ٣ ـ الاعراف / ٣٢.

و قوله تعالى: ﴿يا بنى ادم خذوا زينتكم عند كلّ مسجد و كلوا و اشربوا و لا تسرفوا﴾.[١]

فلايمكن تهذيب النّفس و التخلّق باخلاق الله إلّا برعاية العدل في التّمايلات النّفسانيّة و ارضائها.

٦ ـ الاستعانة من الله بالصّلوة و الدّعاء و التّضرّع و الابتهال و باعانة المسلمين بل باعانة غيرهم و حتّى الحيوانات، و التّوكّل عليه تعالى لطيّ هذا الطّريق أمر ضروري، و لا يمكن الوَصول إلى منزل سواء كان الأوّل من المنازل او غيره إلّا او ما بعده بالاستعانة منه تعالى و التّوكّل عليه.

و ينبغي ان نذكر هيهنا ما جاء في صدر سورة المزّمل و هو دستور جامع لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لنجاحه في رسالته، و من جعل هذا الدّستور نصب عينه فله أن يوفّق في مبتغاه و يجعل الله له اليسر، فعلى من يريد التخلّق بأخلاقه تعالى أن يجعله نصب عينيه.

و هذا الدّستور يتضمّن اموراً:

الف ـ ادراك المسؤليّة، و معلوم انّ معرفة المسؤليّة و التّهيّؤ للعمل بها حجر بنّاء للنّجاح. فالانسان لو لم يعرف مسؤليّتة او قدرها و خطرها او عرفها ولكن تهاون بها فلاظفر له أصلاً.

فمن اراد السّير إلى الله تعالى لابدّ له من المرور بمنزل التّخلية، فيجب ان يعلم انّه أمر عظيم صعب غاية الصّعوبة

كمن يريد أن ينصر الإسلام ليظهر على الحضارات و الأديان كلّها، و قد أمر اللّه تعالى بالجدّ في المسؤوليّة بقوله:

﴿يا ايّها المزّمّل .... انّا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً﴾.[٢]

---

١ ـ الاعراف / ٣١. ٢ ـ المزّمل / ١ ـ ٥.

و كلمة «المزّمّل» بمعني المتزمّل ثوبه (لفّه على نفسه) جيئ بها هنا كناية عـن النّـبوّة، فالمعنى أخاطبك أيّ هذا الّذي لبس عباءة النّبوّة. اشارة إلى ثقل الأمر. ثمّ يفصّل هذا المجمل بقوله: ﴿انّا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً﴾.

ب ـ يظهر من قوله تعالى: ﴿قم الليل إلّا قليلاً نصفه او انقص منه قليلاً او زد عليه .... انّ ناشئة اللّيل هي اشدّ و طأً و اقوم قيلاً﴾[1] انّ السّهر و احياء الليل بالميسور لازم في جلائل الأمور كلّها، و القرآن اهتمّ به كلّ الاهتمام و لا سيما قبل طلوع الفجر و عنده، و في آيات كثيرة أقسم بهما.

قال تعالى: ﴿و الليل إذا عسعس و الصّبح إذا تنفّس﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿و اللّيل إذا ادبر و الصّبح إذا اسفر﴾.[3]

و قال تعالى: ﴿و الفجر و ليالٍ عشر و الشّفع و الوتر و اللّيل إذا يسر﴾.[4]

و يظهر من قوله تعالى: ﴿انّ ناشئة اللّيل هي اشدّ و طأً و اقوم قليلاً﴾ ان قيام اللّيل يوجب استحكام الإرادة و الجدّ في العمل و الاستقامة في الامـر، كـما انّ قـوله تـعالى: ﴿تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً و ممّا رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاء بما كانوا يعملون﴾[5] يدلّ على انّ قيام اللّيل يوصل المرء إلى مقام لا يدركه أحد.

و تخصيص الآية و نعمها بالاخرة لا وجه له، لانّ في هذه الدّنيا رجالاً لهم من اللّذّات المعنويّة سيما في آخر اللّيل و عند الفجر ما لا يدركه غيرهم، فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين.[6]

و اخيراً فانّ قيام اللّيل مؤثّر في النجاح في كلّ أمر سيّما التّهذيب و التّزكية، بل لا يمكن

---

١ ـ المزّمّل / ٢ ـ ٦. ٢ ـ التّكوير / ١٨. ٣ ـ المدّثّر / ٣٤. ٤ ـ الفجر / ١ ـ ٣.

٥ ـ السّجدة / ١٦ و ١٧. ٦ ـ المزّمّل / ٤.

السير إلّا به.

ج ـ التّمسّك بالقرآن شرط بنّاء في التّوفيق و إليه تعالى في هذه السّورة بقوله: ﴿و رتل القران ترتيلاً﴾.[١]

هذا القرآن كتاب لاأعظم منه و انّ الله تعالى تجلّى باسمائه و صفاته كلّها فيه ثمّ تنزّله من وراء حجب كثيرة من الحجب النّوانيّة كالعرش و اللّوح و القلم و ... و الظّلمانيّة كهذه العوالم حتّى يمكن للانسان ان يسمعه او يتلوه او يفهمه و ان كان لايفهم منه إلّا القليل كقطرةٍ من البحر. فهو نور ينوّر القلوب و ذكر للمذكّر و شفاء لما في الصّدور.

و التّمسّك به على اقسام:

الأوّل ـ قراءته، و هي اوّل مراتب التّمسّك به و قد اكّد القرآن عليها تأكيداً بليغاً فقال: ﴿فاقرءوا ما تيسّر من القران علم ان سيكون منكم مرضى و اخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله و اخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسّر منه﴾.[٢]

الثّاني ـ التّدبّر فيه، قال تعالى: ﴿أفلا يتدبّرون القران ام على قلوب اقفالها﴾.[٣]

و المتدبّر في القرآن لا يصل إلى حدٍّ يقف عنده، لانّ القرآن تجلّي الحقّ التامّ، فالسير فيه لا يكون له حدّ، فكلّما يتدبّر المتدبّر يصل إلى شيء لم يصل إليه قبل ذلك حتّى يصل إلى ملكوته الاعلى.

قال تعالى: ﴿قد جائكم من الله نور و كتاب مبين يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام و يخرجهم من الظّلمات إلى النّور بأذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم﴾.[٤]

الثّالث ـ الاستفادة من حقيقة القرآن و هدايته الخاصّة، و هي الايصال إلى المطلوب، و هذا يختصّ بالمطهّرين، قال الله تعالى: ﴿في كتاب مكنون لا يمسّه إلّا المطّهرون﴾.[٥]

---

١ ـ السّجدة / ١٧. ٢ ـ المزّمّل / ٢٠. ٣ ـ محمّد / ٢٤. ٤ ـ المائدة / ١٥ و ١٦.

٥ ـ الواقعة / ٧٨ و ٧٩.

د ـ من الأمورالهامّة في الاسلام هو صلوة اللّيل الّتي وعد الله بها المقام المحمود فقال تعالى: ﴿و من اللّيل فتهجّد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربّك مقاماً محموداً﴾.[١]

و اطلاق المقام المحمود يشمل مقامي المحمود في الدّنيا و الاخرة، كما انّ اطلاق المحمود يدلّ على كونه محموداً عند الكلّ، فيصير بها وجيهاً في الدّنيا و الآخـرة في الارض و في السماء عند النّاس و عند الله تعالى.

و استفادة هذا الامر الهامّ من هذا الدّستور امّا لتضمّن قيام اللّيل له، فقوله تعالى: ﴿قم اللّيل﴾[٢] يتضمّن صلوة اللّيل، و امّا لتضمّن «ترتيل القرآن» له، لأنّ الصّلوة فيها قرائة القرآن، هكذا يقول المفسّرون، ولكنّ الأوّل هو الاقوى بل المتعيّن.

هـ ـ انّ اساس الوصول إلى السّعادة هو الاستقامة على الطريق، فلذا يؤكّد القـرآن و الرّوايات عليها كمال التّأكيد.

فمن الآيات قوله تعالى في هذا الدّستور: ﴿انّ لك في النّهار سبحاً طويلاً﴾.[٣]

و القرآن في أزيد من خمسمأة آية أمر و اكدّ على العمل الصّالح، و من تلك الآيات قوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر اَوْ انثى و هو مؤمن فلنحيينّه حيوة طيّبة و لنجزينّهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾.[٤]

فترى انّ الآية تصرح على انّ خير الدّنيا و الاخرة مرهون بالعمل الصّالح، كما انّ قوله تعالى: ﴿و العصر انّ الإنسان لفى خسر إلّا الّذين امنوا و عملوا الصّالحات﴾[٥] يصرح على أن خسران الدّنيا و الاخرة مرهون بترك العمل الصّالح و البطؤ فيه.

و اختصاص العمل الصّالح في هذه الايات الشّريفة بالعبادات التّعبّديّة كـالصّلوة و الزكوة و الصّوم و الحجّ لا وجه له اصلاً، بل يشمل كلّ عمل فيه صلاح الدّنيا كالزّراعة و

---

١ ـ الاسراء / ٧٩.   ٢ ـ المزّمّل / ٢.   ٣ ـ المزّمّل / ٧.   ٤ ـ النّحل / ٩٧.

٥ ـ العصر / ١ ـ ٣.

التّجارة و صلاح الاخرة كالصّلوة، بل يظهر من الرّوايات العديدة انّ العمل الصّالح ايّ عمل كان له ثواب عظيم كما استقرّت سيرة رسول الله و الأئمّة عليهم السلام على ذلك.

و ـ التّوسّل باسم الله تعالى شرط بنائي في التوفيق لكلّ أمر كما ندب إليه في هذا الدّستور، قال تعالى: ﴿واذكر اسم ربّك﴾.[١]

توضيح ذلك: انّ القرآن ندب إلى الذّكر بل أراده، فقال: ﴿يا ايّها الّذين امنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً و سبّحوه بكرة و اصيلاً﴾.[٢]

و هو على أقسام:

١ ـ الذّكر اللفظى و هذا هو المراد هنا بقرينة الاسم الواقع في قوله تعالى: ﴿واذكر اسم ربّك﴾ و هذا عند اهل القلوب مؤثّر جداً سيّما كلمتي التّوحيد و الحوقلة أعني «لا اله إلّا الله و لا حول و لا قوّة إلّا بالله». و الظّاهر انّ الذّكر اليونسي ﴿لا اله إلّا انت سبحانك انّى كنت من الظالمين﴾[٣] للنّفوس العاديّة اقوى و اولى.

و ممّا يجب ان نتذكّر انّ التّوسّل باهل البيت عليهم السلام ـ الّذين هم الوسائط في إيصال الفيض ـ يُعدّ من التّوسّل إلى اسم الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها﴾.[٤]

و قال الصّادق عليه السلام: «نحن و الله الاسماء الحسنى في القرآن».[٥]

و هم الوسيلة في القرآن كما قال الصّادق عليه السلام: «نحن و الله الوسيلة في القرآن»[٦] قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا اتّقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة﴾.[٧]

٢ ـ الذّكر القلبي و هو التفات القلب إلى اسم من اسماء الله تعالى، و هو مفيد إلّا انّه إذا

---

١ ـ الإنسان / ٢٥. ٢ ـ الاحزاب / ٤١ و ٤٢. ٣ ـ الانبياء / ٨٧.

٤ ـ الاعراف / ١٨٠. ٥ ـ تفسير الصّافي، ذيل آية ١٨٠ الاعراف.

٦ ـ تفسير الصّافي، ذيل آية ٣٥ المائدة. ٧ ـ المائدة / ٣٥.

قارنه الذّكر اللفظي فهو مطلوب جداً.

٣ ـ التّوجّه و التّذكّر الّذي هو ضدّ الغفلة، و في رواية[١] فسّر ابو عبدالله عليه‌السلام قوله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً و سبّحوه بكرة و اصيلاً﴾ بهذا القسم من الذّكر. و هذا هو الهدف و المقصود من الذّكر اللّفظي و القلبي بل الهدف من العبادات، قال تعالى: ﴿انّني أنا الله لا اله إلّا أنا فاعبدنى و أقم الصّلوة لذكرى﴾.[٢]

ولو لم ترد فضيلة لهذا القسم من الذّكر إلّا قوله تعالى: ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الاصال رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾[٣] لكفاك في ادارك اهميّته.

ز ـ التّوسّل بالدّعاء، قال تعالى في هذا الدّستور: ﴿و تبتّل إليه تبتيلاً﴾[٤]

و التّبتّل هو الانقطاع إليه تعالى، و اوّل مرتبته هو الدّعاء، و هو المراد في هذه الآية و لا اقلّ من انّه مصداقه الأجلى.

و بالضّرورة أنّ الدّعاء و التوسّل بها في كلّ أمر من الواجبات المؤكّدة عليه في الأخلاق قال تعالى: ﴿قل ما يعبأبكم ربّى لولا دعائكم﴾.[٥]

و الدّعاء سلاح المؤمن في كلّ شيء و ترسه عن كلّ شرّ و سوء و سنانه لكّل عدّو من الجنّ و الانس.

و القرآن بعد الامر بالدّعاء في قوله تعالى: ﴿و إذا سألك عبادي عنّى فانّى قريب أُجيب دعوة الدّاع إذا دعان فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلّهم يرشدون﴾[٦]. و التأكيد البليغ الّذي لا مثيل له في القرآن، لانّه كرّر ضمير المتكلّم الّذي يدلّ على العناية الخاصّة ثمان مرّات مع ما فيها من التأكيدات البليغة، بيّن انّ رشد العبد و صلاحه للدّنيا و الاخرة في

---

١ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب اجتناب المحارم، ص ٨٠، ح ٤. ٢ ـ طه ١٤.

٣ ـ النّور / ٣٦ و ٣٧. ٤ ـ المزّمّل / ٨. ٥ ـ الفرقان / ٧٧. ٦ ـ البقرة / ١٨٦.

الدّعاء.

و للدّعاء فوائد كثيرة، لانّه مضافاً إلى ما أشرنا إليه، انّه لو لم تكن له فائدة إلّا رسوخ التّوحيد بمراتبه من الّذاتي و الصّفاتي و الافعالي و العبادي في القلب من غير توجّهٍ من العبد إليه، لكفانا فائدة.

توضيح ذلك: انّ العبد حين الدّعاء يدرك الذّات الجامعة لجميع الصّفات الكماليّة المنزّهة عن جميع الصّفات السّلبيّة فيدعوها. و من غير توجّه و امعان يتوجّه إلى تلك الذّات المقدّسة من غير ان يتوجّه إلى غيرها و من غير توجّه يرى انّه الموثّر لا غيره فيدعوه وحده.

فبالاوّل يحصل و يستقرّ في القلب التّوحيد الصّفاتي، و بالثّانى يحصل و يستقرّ فيه التّوحيد الذّاتي، و بالثّالث يستقرّ التّوحيد الافعالي.

و حيث انّ الدّعاء هو الخضوع لله بل لا خضوع و لا خشوع اجلى و آكد منه، فيستقرّ في القلب من غير توجّه من الداعى التّوحيد العبادي، لانّه حين الدّعا لا خضوع و لا خشوع له إلّا لله تعالى.

ح ـ التّوكّل على الله والاعتماد خير الزّاد في هذا السّفر. و الإنسان في حيوته لابدّ له من هذا الزّاد ولولا ذلك لهلك، لانّ الإنسان كثيراً ما يصل إلى حدّ يحتاج فيه إلى ملجأ و معتمد، بل الإنسان بذاته تحتاج إليه دائماً و لا ملجأ له إلّا إليه و لا معتمد إلّا هو.

قال تعالى: ﴿و من يتوكّل على الله فهو حسبه﴾.[1]

فطوبى لمن يلتفت إليه و يعتمد عليه، و طوبى لمن كان الله تعالى سلطانه و لا سلطان له الّا إيّاه.

قال تعالى: ﴿انّه ليس له سلطان على الّذين امنوا و على ربّهم يتوكلون، انّما سلطانه

---

١ ـ الطّلاق / ٣.

على الّذين يتولّونه﴾.[١]

و التنزيل العزيز في هذا الدّستور بعد أن يجلب نظر الدّاعى إلى التوحيد الأفعالي و انّه ربّ العالمين و لا ربّ إلّا هو، أمر بالتّوكّل عليه.

قال تعالى: ﴿ربّ المشرق و المغرب لا اله إلّا هو فاتّخذه وكيلاً﴾.[٢]

ط ــ الصّبر و الاستقامة من الشّروط للوصول و التوفيق، فلذا أمر تعالى بها في هذا الدّستور فقال: ﴿و اصبر على ما يقولون﴾.[٣]

و بالضّرورة لا يحصل كمال للانسان إلّا بالصّبر و الاستقامة، بل النّبات او الجماد او الحيوان لو حصل لها كمال فهو مرهون الصّبر التّكويني، الا ترى انّ حبّة من الحنطة لو سلكت طريق الاستكمال لا يحصل لها ذلك إلّا بالصّبر عليه. فكذلك انسان لا يمكن ان يصل إلى الكمال إلّا بالصّبر بالاستقامة.

و في آيات و روايات كثيرة جعل خير الدّنيا و الاخرة في الصّبر. و من الآيات قوله تعالى: ﴿و تمّت كلمة ربّك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا﴾.[٤]

و: ﴿و جعلنا منهم ائمّة يهدون بامرنا لمّا صبروا﴾.[٥]

و: ﴿انّه من يتق و يصبر فانّ الله لا يضيع اجر المحسنين﴾.[٦]

و: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار﴾.[٧]

و يكفيك من الرّوايات قوله عليه السلام: «فمن صبر و احتسب لم يخرج من الدّنيا حتّى يقرّ الله له عينه في اعدائه مع ما يدّخر له في الاخرة».[٨]

ي ــ و الأخير من وصاياه تعالى في هذا البرنامج قوله: ﴿و اهجرهم هجراً جميلاً﴾.[٩]

---

١ ـ النّحل / ٩٩ و ١٠٠. ٢ ـ المزّمّل / ٩. ٣ ـ المزّمّل / ١٠.

٤ ـ الاعراف / ١٣٧. ٥ ـ السّجدة / ٢٤. ٦ ـ يوسف / ٩٠. ٧ ـ الرّعد / ٢٤.

٨ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٨٩، باب الصّبر، آخر رواية ٣. ٩ ـ المزّمّل / ١٠.

و هذا الجزء من البرنامج من اهمّ ما يوجب النجاح و هو سعة الصّدر الّذي سأله الكليم سلام الله عليه أن يهبه اللّه إذ أمره بالذّهاب إلى فرعون بقوله: ﴿**ربّ اشرح لي صدري و يسرّ لى امري و احلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى**﴾.[١]

و يظهر من الآية الشّريفة انّ سعة الصّدر توجب اليسر في الأمورو توجب تـقوية الإرادة حتّى يقدر المرء على فصاحة الكلام و بلاغته و يوجب نفوذ الكلام و تأثيره.

و القرآن يشير إلى انّ قبول الحقّ يحتاج إلى شرح الصّدر و من لم يكن له سعة الصّدر لا يقبل الحقّ بل يجد الحقّ مرّاً، و القرآن يجعل الرّجس على الّذين لا تكون لهم سعة الصّدر.

قال تعالى: ﴿**فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كانّما يصّعّد في السّماء كذلك يجعل الله الرّجس على الّذين لا يؤمنون**﴾.[٢]

و في سورة الانشراح منّ الله على رسوله بإعطائه إيّاه شرح صدره قال: ﴿**الم نشرح لك صدرك**﴾[٣] و كانت هذه النّعمة اعظم النّعم ثمّ رتّب الله عليه وضع الوزر و المصائب عنه الّذي كان ينقض ظهره.

و جملة القول انّ سعة الصّدر توجب تيسير كلّ أمر مشكل و تسهيله، و توجب جلب النّعم كما انّ الخيرات كلّها ناشئة منها.

١ـ طه / ٢٥ ـ ٢٨. ٢ـ الانعام / ١٢٥. ٣ـ الانشراح / ١.

طرق تهذيب النّفس عن الرّذائل

بالفراغ عن هذه التّمهيدات نشرع في اصل المقصود و هو تبيين الطّرق لتهذيب النّفس. و تلك الطّرق لا تختصّ بتهذيب النّفس، بل هي اعمّ منه و من التّخلّق بالفضائل، بل هي اعمّ من الأخلاق و الاخلاقيات.

و بالجملة نقول انّ تلك الطرق مُهّدت للسّير إلى الله تعالى بأجزائه من التّوبة و اليقظة و التّخلية و التّحلية و التّجلية و اللقاء بمراتبه.

١ ـ التّقوى :

و هو اجود الطّرق للمسير إليه تعالى، فلذا قد مرّ الكلام في انّ علماء علم الأخلاق عدّوا اوّل المنازل التّوبة و اليقظة، و قلنا انّ مرادهم بهما هو الرّجوع إلى الحقّ تعالى و اصلاح النّفس بالتّقيّد بظواهر الشّرع من اتيان الواجبات و اجتناب المحرّمات.

و للذكر الحكيم و الحديث تأكيدٌ بالغٌ، على هذا الطّريق غاية التّأكيد.

و لابدّ ان نذكر هنا انّ التّقوى من الوقاية و هي حفظ النّفس عمّا يؤذيها و يضرّها، فلها مراتب:

فالمرتبة الاولى منها هي مخالفة النّفس الامّارة و الهوى و الرّذائل الاخلاقية، و هي تقوى العوام.

و المرتبة الثّانية هي مخالفة ما في القلب من غير الله تعالى، فالمتّقي في هذه المرتبة من أخرج غير الله من قلبه الّذي هو عرش الرّحمن، ففي هذه المرتبة المتّقي من كسر الاصنام كلّها و أخرجها من قلبه، ثمّ ادخل صاحب البيت فيه، و هي تقوى القلب في عرف القرآن.

و المرتبة الثّالثة هي الامتناع عن رؤية الاستقلال لغير الله تعالى، فالمتّقي في هذه المرتبة من ادرك قوله تعالى: ﴿الله نور السموات و الارض﴾[١] قائلاً: «عميت عين لا تراك»[٢] و ما «ما رأيت شيئاً إلّا الله قبله و بعده و معه»[٣] و يدرك قيّوميّة الحقّ تعالى للأشياء كلّها، و هي تقوى الخواص.

و المرتبة الرابعة هي حفظ النّفس عن الالتفات إلى غير الحقّ، فالمتّقي المتّصف بهذه المرتبة لا يرى إلّا الله، فهو المنغمر في الوحدة و ليس له خبرٌ عن الكثرة، فاذا أجبر على الالتفات إلى عالم الكثرة اعتبر هذا ذنباً عظيماً، و هي تقوى اخصّ الخواصّ. و لهذه المرتبة عرض عريض و مراتب متكثّرة و ليس شأننا المقاولة فيها.

و اختصاص لفظة التّقوى في القرآن و الرّوايات بالمعنى الأوّل لا وجه له، بل اللفظ يشمل المراتب الاربع سيّما في القرآن الّذي الفاظه عامّة و لها مصاديق مختلفة. فخطاب مثل قوله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا اتّقوا الله﴾ لا يختصّ بالعوام فقط بل يشمل الخواصّ و اخصّ الخواصّ ايضاً.

و لا تختصّ التّقوى باتيان الواجبات و الاجتناب عن المحرّمات فقط، بل هي اعمّ منهما و من تهذيب النّفس من الرّذائل، و هي تقوى القلب في عرف القرآن.

قال تعالى: ﴿و من يعظّم شعائر الله فانّها من تقوى القلوب﴾.[٤]

---

١ ـ النّور / ٣٥.　٢ ـ بحار الانوار، ٦٧ / ١٣٨.　٣ ـ اللمعة البيضاء / ١٦٩.

٤ ـ الحجّ / ٣٢.

و قال تعالى: ﴿**و نفس و ما سوّيها فالهمها فجورها و تقويها**﴾.[١]

هذا ولكن الّذي يعيننا في هذا البحث انّ التّقوى بمعناها الأوّل أي اتيان الواجبات و اجتناب المحرّمات، مؤثّر في تهذيب النّفس و التّخلّق بالفضائل.

و السّرّ في ذلك انّ مخالفة النّفس الامّارة و الرّذائل الاخلاقيّة توجب ضعف تلك القوى فيوجب سلطة المتّقي عليها، بل توجب التّسلّط على النّفس الامّارة بحصول ملكة العدالة و التّسلّط على الرّذائل بحيث انّه يمنعها عن اشتعالها و تأجّجها، بل بمرور الزّمن و استمرار المكافحة يقدر على قلع تلك الرّذائل، بل و يقدر على غرس الفضائل في القلب فتأتي اكلها و ثمراتها دائماً.

فمن هذه الجهة انّ علماء علم الأخلاق كانوا يقولون من اراد اقتلاع جذور البخل عن القلب و غرس شجرة السّخاء فيه فلينفق بالميسور، كما قال تعالى: ﴿**لينفق ذو سعة من سعته و من قدر عليه رزقه فلينفق ممّا اتاه الله**﴾.[٢]

فبالانفاق على سبيل الاستمرار تضعّف رذيلة البخل بل تقلع عرقها و تغرس شجرة السّخاء فيه و تقوى و تنمو حتّى تصير ذات ثمرة طيّبة، فحينئذ هو الّذي يلتذّ من الانفاق، بل ينفق ممّا اتاه الله من غير تحميل على نفسه بل و من غير التفات منه إليه.

و من اراد رفع صفة الجبن عن نفسه و تبديلها بصفة الشّجاعة فليبارز تلك الرّذيلة بمخالفتها. فتلك المخالفة المستمرّة تضعف الرّذيلة اوّلاً و تعدمها بمرور الزّمن ثمّ تبدّل الرّذيلة بالفضيلة، و هكذا.

و اقوى شاهد لصحّة هذا الكلام حصول ملكة الاختصاص في العلوم بالعمل و الاستمرار عليه و حصول ملكة العدالة بمخالفة الهوى.

---

١ ـ الشّمس / ٧.

٢ ـ الطّلاق / ٧.

فكما انّ العمل و الاستمرار في العلم يوجب الاختصاص فيه، فكذلك العمل و الاستمرار يوجب رفع الرّذائل و غرس الفضائل بل حصول الملكات الفاضلة للمرء. فهكذا انّ مخالفة النّفس الامّارة و هواها توجب التّسلّط عليها و على قلعها و قمعها.

فالقرآن قرّر ما ذهب إليه علماء الأخلاق من الامر بالتّقوى مراراً بل استهلّ القرآن قائلاً: ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتّقين﴾[١] و ليبيّن انّ غير المتّقين لرسوخ الرّذائل في أنفسهم ليس لهم أن يهتدوا بنور القرآن، فتأمّل. كما أمر بمخالفة الهوى مراراً ايضاً حين جعلها ميزان السّعادة ذلك، قال تعالى: **﴿فامّا من طغى و اثر الحيوة الدّنيا فانّ الجحيم هي المأوى و امّا من خاف مقام ربّه و نهى النّفس عن الهوى فانّ الجنّة هي المأوى﴾**.[٢]

و «الهوى» ـ كما قال الرّاغب في المفردات ـ ميل النّفس إلى الشّهوة و يقال ذلك للنّفس المائلة إلى الشّهوة، و قيل سمّى بذلك لانه يهوى بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية و في الاخرة الهاوية.[٣]

و الحاصل انّه لمّا كانت الذّنوب كلّها و الشّرور كلّها من النّفس و فجورها اي رذائلها الخلقيّة فنهى النّفس عن الهوى و تمايلاتها الّتي يطلق عليها في القرآن تارة بالتّقوى و أخرى بمخالفة الهوى، يوجب ترويض النّفس و التمكّن من السّيطرة عليها فيوجب رفع بعض تلك الرّذائل عنها و القدرة على تعديل بعضها.

فلذلك قال علماء الاخلاق: من طرق تهذيب النّفس و التّخلّق بالفضائل هو مخالفة النّفس الامّارة و الرّذائل الاخلاقيّة.

و القرآن أقرّ بذلك فقال: **﴿اتّقوا الله حق تقاته﴾**[٤]، **﴿فاتّقوا الله ما استطعتم﴾**.[٥]

---

١ ـ البقرة / ١ و ٢. ٢ ـ النّازعات / ٣٧ ـ ٤١.

٣ ـ مفردات غريب القرآن: ٥٦٨. ٤ ـ آل عمران / ١٠٢. ٥ ـ التّغابن / ١٦.

و قال: ﴿و لو شئنا لرفعناه بها و لكنّه اخلد إلى الارض و اتّبع هواه﴾.[١]

و قال: ﴿و لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتّبع هواه﴾.[٢]

نذكر هيهنا آيات و روايات في اهمّيّة التّقوى و مخالفة الهوى تتميماً للبحث:

---

١ ـ الاعراف / ١٧٦. ٢ ـ الكهف / ٢٨.

آيات في مخالفة الهوى

قال الله تبارك و تعالى:

﴿و لئن اتّبعت اهوائهم من بعد ما جائك من العلم انّك إذا لمن الظّالمين﴾.[1]

﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد إلى الارض و اتّبع هويه﴾.[2]

﴿و لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتّبع هويه﴾.[3]

﴿أفرأيت من اتخذ الهه هويه و اضلّه الله على علم﴾.[4]

﴿و امّا من خاف مقام ربّه و نهى النّفس عن الهوى فان الجنّة هي المأوى﴾.[5]

---

١ ـ البقرة / ١٤٥. ٢ ـ الاعراف / ١٧٦. ٣ ـ الكهف / ٢٨. ٤ ـ الجاثية / ٢٣.

٥ ـ النّازعات / ٤٠ ـ ٤١.

روايات في مخالفة الهوى

عن أبي محمّد الوابشي قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «احذروا اهواءكم كما تحذرون اعداءكم، فليس شيءٍ اعدى للرجال من اتباع اهوائهم و حصائد السنتهم».[1]

عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عزّوجلّ: «و عزّتي و جلالي و عظمتي و كبريائي و نوري و علوّي و ارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواه على هواي إلّا شتتّ عليه امره، و لبّست عليه دنياه و شغلت قلبه بها، و لم اؤته منها إلّا ما قدّرت له، و عزّتي و جلالي و عظمتي و نوري و علوّي و ارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواه إلّا استحفظته ملائكتي، و كفّلت السماوات و الارضين رزقه، و كنت له من وراء تجارة كلّ تاجر، و أتته الدنيا و هي راغمة».[2]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «انّما اخاف عليكم اثنتين اتباع الهوى و طول الأمل، اما اتباع الهوى فانه يصدّعن الحقّ، و امّا طول الامل فينسى الاخرة».[3]

عن عبدالرحمن بن الحجاج قال قال لي ابوالحسن عليه السلام: «اتق المرتقي السهل إذا كان منحدره وَعِراً».

قال و كان أبو عبدالله عليه السلام يقول: «لا تدع النّفس و هواها فانّ هواها (في) رداها و

---

١ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٣٣٥، ح ١.

٢ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٢٢٥، ح ٢.

٣ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٣٣٦، ح ٣.

ترك النّفس و ما تهوي أذاها و كفّ النّفس عمّا تهوي دواها».[1]

آيات في التّقوى

قال الله تبارك و تعالى:

﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتّقين﴾.[2]

﴿يا ايّها الّذين امنوا اتقوا الله حقّ تقاته﴾.[3]

﴿و ان تصبروا و تتّقوا لا يضرّكم كيدهم شيئاً﴾.[4]

﴿بلى ان تصبروا و تتّقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربّكم بخمسة الاف من الملئكة مسوّمين﴾.[5]

﴿انّما يتقبّل الله من المتّقين﴾.[6]

﴿يا ايّها الّذين امنوا اتّقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة﴾.[7]

﴿فمن اتّقى و اصلح فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.[8]

﴿و لو انّ اهل القرى امنوا و اتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء﴾.[9]

﴿انّ الارض الله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتّقين﴾.[10]

١ـ اصول الكافي، ج ٢، ص ٣٣٦، ح ٤.
٢ـ البقرة / ١ و ٢.
٣ـ آل عمران / ١٠٢.
٤ـ آل عمران ١٢٠.
٥ـ آل عمران / ١٢٥.
٦ـ المائدة / ٢٧.
٧ـ المائدة / ٣٥.
٨ـ الاعراف / ٣٥.
٩ـ الاعراف / ٩٦.
١٠ـ الاعراف / ١٢٨.

﴿يا ايّها الّذين امنوا ان تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً و يكفّر عنكم سيئاتكم و يـغفر لكم﴾.[۱]

﴿ان اوليائه إلّا المتّقون﴾.[۲]

﴿أفمن اسّس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير ام مـن اسّس بـنيانه عـلى شفاجرف هار فانها به في نار جهنّم و الله لا يهدى القوم الظالمين﴾.[۳]

﴿انّ الله يحبّ المتّقين﴾.[٤]

﴿انّه من يتّق و يصبر فانّ الله لا يضيع اجر المحسنين﴾.[٥]

﴿انّ الله مع الّذين اتّقوا و الّذين هم محسنون﴾.[٦]

﴿انّ المتّقين في جنّات و نهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾.[۷]

﴿يا ايّها الّذين امنوا اتّقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد﴾.[۸]

﴿فاتّقوا الله ما استطعتم﴾.[۹]

﴿و من يتّق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكّل على الله فهون حسبه انّ الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾.[۱۰]

﴿و من يتّق الله يجعل له من امره يسراً﴾.[۱۱] ﴿فامّا من اعطى و اتّقى و صـدق بالحسنى فسنيسّره لليسرى﴾.[۱۲]

﴿و تزوّدوا فانّ خير الزّاد التّقوى و اتّقون يا اولى الالباب﴾.[۱۳]

---

۱ ـ الانفال / ۲۹. ۲ ـ الانفال / ۳٤. ۳ ـ التّوبة / ۱۰۹. ٤ ـ التّوبة / ۷.

٥ ـ يوسف / ۹۰. ٦ ـ النّحل / ۱۲۸. ۷ ـ القمر / ٥٤. ۸ ـ الحشر / ۱۸.

۹ ـ التّغابن / ۱٦. ۱۰ ـ الطّلاق / ۲ و ۳. ۱۱ ـ الطّلاق / ٤. ۱۲ ـ اللّيل / ٥ و ٦.

۱۳ ـ البقرة / ۱۹۷.

روايات في التّقوى

في وصيّة النبيّ ﷺ لرجل: و قد اجمع الله تعالى ما يتواصى به المتواصون من الاولين و الاخرين في خصلة واحدة و هي التقوى، قال الله عزّوجلّ: «و لقد وصينا الّذين اوتوا الكتاب من قبلكم و ايّاكم ان اتّقوا الله». و فيه جماع كلّ عبادة صالحة وصل من وصل إلى الدرجات العلى و الرتبة القصوى، و به عاش مع الله بالحياة الطيبة و الانس الدائم، قال الله عزّوجلّ «ان المتّقين في جنّات و نهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر».[1]

كتب الجواد عليه السلام إلى سعد الخير: «.... فانّي اوصيك بتقوى الله فان فيها السّلامة من التّلف و الغنيمة في المنقلب، انّ الله عزّوجلّ يقي بالتّقوى عن العبد ما عزب عنه عقله و يجلي بالتّقوى عنه عماه و جهله، و بالتّقوى نجى نوح و من معه في السفينة و صالح و من معه من الصاعقة، و بالتّقوى فاز الصّابرون و نجت تلك العُصب من المهالك».[2]

فيما كتب اميرالمؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر مع محمّد بن أبي بكر: عليكم بتقوى الله فانّها تجمع الخير و لا خير غيرها، يدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها من خير الدنيا و الاخرة، قال الله عزّوجلّ: «و قيل للّذين اتقوا ماذا انزل ربّكم قالوا خيرا للّذين احسنوا في

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، باب ٢٣، ح ١٦٤، (ص ٢٦٢).

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، باب ٢٧، ح ٢، (ص ٣٥٨).

هذه الدّنيا حسنة و لدار الاخرة خير و لنعم دار المتّقين».[١]

قال علي عليه السلام: «التُّقى رئيس الاخلاق».[٢]

سئل الصادق عليه السلام عن تفسير التّقوى فقال «ان لا يفقدك الله حيث امرك و لا يراك حيث نهاك».[٣]

قال عليه السلام: «فانّ تقوى الله دواء داء قلوبكم و بصر عمي افئدتكم و شفاء مرض أجسادكم و صلاح فساد صدوركم و طهور دنس أنفسكم و جلاء عشا ابصاركم و أمن فزع جأشكم و ضياء سواد ظلمتكم».[٤]

قال عليه السلام: «.... اَلا و بالتّقوى تقطع حُمَةَ الخطايا».[٥]

«فاتّقوا الله عباد الله تقيّة ذى لبّ شغل التّفكر قلبه و أنصب الخوف بدنه و أسهر التّهجّد غرار نومه».[٦]

قال الصادق عليه السلام: «التّقوى على ثلاثة اوجه: تقوى بالله في الله و هو ترك الحلال فضلاً عن الشبهة و هو تقوى خاصّ الخاص، و تقوى من الله و هو ترك الشبهات فضلاً عن حرام و هو تقوى الخاصّ، و تقوى من خوف النّار و العقاب و هو ترك الحرام و هو تقوى العامّ».[٧]

عن اميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة همّام: «فالمتّقون فيها هم اهل الفضائل، منطقهم الصواب، و ملبسهم الاقتصاد، و مشيهم التّواضع، غضّوا ابصارهم عمّا حرّم الله عليهم، و وقفوا اسماعهم على العلم النّافع لهم، نزّلت انفسهم منهم في البلاء كالّتي نزّلت في الرّخا و لولا

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٦٦، باب ٤٥، ح ١١.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٢٨٤، باب ٥٦، ح ٦.
٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٢٨٥، باب ٥٦، ح ٨.
٤ ـ نهج البلاغة عبده، خطبة ١٩٦.
٥ ـ نهج البلاغة عبده، خطبة ١٥٥. (حمة: هي ابرة الزنبور و العقرب).
٦ ـ نهج البلاغة عبده، خطبة ٨١.
٧ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٢٩٥، باب ٥٦، ح ٤١.

الاجل الّذي كتب لهم لم تستقرّ ارواحهم في اجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثّواب و خوفاً من العقاب. عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم، فهم و الجنّة كمن قدر آها فهم فيها منعّمون و هم و النّار كمن قدر آها فهم فيها معذّبون».[١]

٢ ـ المراقة :

و هو عند علماء الأخلاق ذو منزلة عظيمة، و ان القرآن الكريم و الرّوايات اهتمت بذلك الجانب اهتماماً بليغاً مع آنهالم تذكر تفاضيله.

قال الله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا اتّقوا الله و لتنظر نفس ما قدّمت لغد و اتقوا الله انّ الله خبير بما تعملون﴾.[٢]

فامر اولاً في هذه الآية الشّريفة بالتّقوى، ثمّ أمر بالمراقبة، ثمّ اكّد ذلك الامر الأوّل بقوله: و اتّقوا الله، و اكّد الامر الثّاني بقوله: انّ الله خبير بما تعملون.

و قال الامام موسى بن جعفر عليه السلام: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم».[٣] و نظير الرّواية كثير نذكر بعضها ان شاء الله.

فترى انّ الامام عليه السلام اكّد على المحاسبة حتّى انّه سلب التّشيّع عمّن لا تكون له محاسبة كلّ يوم.

توضيح: المراقبة على سبيل الاجمال: يفهم من الآية الشّريفة و الرّوايات هو مواظبة المرء في اقواله و افعاله و افكاره حتّى اللّيل، فهو عند النّوم يحاسب نفسه حساباً شديداً دقيقاً و يأخذها بالصغائر عن الكبائر و يلومها عند المخالفة و يشكرها عند المتابعة و يحمد الله تعالى.

---

١ ـ نهج البلاغة عبده، خطبة ١٩١.   ٢ ـ الحشر / ١٩.

٣ ـ اصول الكافي، ج ٢، ص ٤٥٣، باب محاسبة العمل، ح ٢.

و امّا تفصيل ذلك: فينبغي بعد الفجر ان يشارط نفسه و يعاهدها على تهذيب النّفس على سبيل الاطلاق او في ترك رذيلة بخصوصها او على التخلّق بالفضائل او بفضيلة بخصوصها أو على الاتيان بالواجبات و ترك المحرّمات على سبيل الاطلاق او على الاتيان بواجب خاص كالصّلوة في اوّل وقتها مثلاً او الاجتناب عن حرام معين بخصوصه كمراقبة لسانه في هفواته مثلاً.

و تكون تلك المشارطة و المعاهدة دقيقة شديدة جدّيّة. و تكون تلك المشارطة اولاً على سبيل الالتماس، و ان لم تؤثّر فتكون على سبيل الأَمر، أمر المولى المقتدر عبده الطّاغي المذنب.

ثمّ يراقّب النّفس دقيقة نحو المحافظة على نفسه او عرضه او ماله عند المخاطرة. فان شاهد فيها الطّغيان و المخالفة يسألها سؤال الالتماس عن علّة المخالفة و يلومها لوماً ما اوّلاً. و ان رأى فيها تكرار المخالفة و الاصرار عليها فيعترض عليها اعتراضاً شديداً و يلومها لوماً شديداً نحو لوم المولى عبده المذنب. فيشارطها و يعاهدها، و هكذا يفعل حتّى اللّيل و عند النّوم، فيحاسب نفسه حساباً دقيقاً.

فان وجدها عند شروطها و عهودها فنعم المراد، بل يشكرها شكراً و يحمدالله على نعمائه. و ان وجدها غير ملتزمة بعهودها فللمها اوّلا. فان رأى فيها نفوراً و اعراضاً فيعاتبها عتاباً شديداً، و إلّا فيعاقبها عقاباً ما، و إلّا فيعاقبها عقاباً اليماً كالصّوم يوماً او بضعة ايّام و السّهر ليلاً او ليالي و امّا المعاقبة بالضّرب و الشّتم و الاضرار بها فالظاهر انّها غير جائز و ان قيل بها. فتلخّص من هذه التّوصية انّها تتركّب من المشارطة و المراقبة و المحاسبة و المعاتبة و المعاقبة، و تسمّى بالمراقبة تسمية الكلّ باسم الجزء. و هذه المراقبة سيّما المفصّل منها ان كانت على سبيل الاستمرار و المواظبة مؤثّرة. و نحن نذكر بعض الرّوايات الواردة في الباب تأييداً و دليلاً و تبرّكاً:

روايات في المراقبة

قال الصادق عليه السلام: «من استوى يوماه فهو مغبون. و من كان اخر يومه شرّهما فهو ملعون. و من لم يعرف الزيادة في نفسه كان إلى النقصان اقرب، و من كان إلى النقصان اقرب فالموت خير له من الحياة».[1]

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «انّ على لسان كلّ قائل رقيباً فليتّق الله العبد و لينظر ما يقول».[2]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فانْ عمل خيراً حمد الله و استزاده، و ان عمل سوءً استغفر الله».[3]

قال عليه السلام عن أهل الذكر: «و قد نشروا دَوايِنَ اعمالهم و فرغوا لِمُحاسَبَةِ انفسهم عن كلّ صغيرة و كبيرة امروا بها فقصّروا عنها، او نهوا عنها ففرّ طوافيها».[4]

«فحساب نفسك لنفسك فانّ غيرها من الانفس لها حسيب غيرك».[5]

عن أبي عبدالله عليه السلام: «ألا فحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا، فانّ في القيمة خمسين

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٦٤، ح ٥، (ص ١٧٣).

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٧٨، ح ١٠، (ص ٢٧٧).

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٧٣، ح ٣، (ص ٢٥٩).

٤ ـ نهج البلاغة صبحي صالح، خطبة ٢٢٢.

٥ ـ نهج البلاغة صبحي صالح، خطبة ٢٢٢.

موقفاً كلّ موقف مقام الف سنة، ثمّ تلاهذه الآية: في يوم كان مقداره الف سنة».[١]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «من لم يتعاهد[٢] النقص من نفسه، غلب عليه الهوى، و من كان في نقص فالموت خير له».[٣]

عن محمّد بن عمران الجبلّي قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «من لم يجعل له من نفسه واعظا فانّ مواعظ النّاس لن تغني عنه شيئاً».[٤]

قال علي عليه السلام في صفات المتّقين: «.... اِنْ سْتَصْعَبَتْ و اوحش بين العبد و بين الربّ من النّفس و الهوى، و ليس لقتلها في قطعها سلاح و آلة مثل الافتقار إلى الله و الخشوع و الجوع و الظمأ بالنّهار و السّهر بالليل، فان مات صاحبه مات شهيداً وان عاش و استقام ادّاه عاقبته الرضوان الاكبر. قال الله عزّوجلّ: و الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا و انّ الله لمع المحسنين. و إذا رأيت مجتهداً ابلغ منك في الاجتهاد فوبّخ نفسك و لُمها و عيّرها و حثّها على الازدياد عليه. و اجعل لها زماماً من الامر و عناناً من النّهي و سقها كالرائض للفاره الّذي لا يهذب عليه خطوة منها إلّا و قد صحّح اوّلها و اخرها....».[٥]

«اعلموا عباد الله، انّ عليكم رصداً من انفسكم و عيوناً من جوار حكم، و حفاظ صدق يحفظون اعمالكم و عدد انفاسكم لا تستركم منهم ظلمة ليل داج، و لا يكنّكم منهم ذو رتاج انّ غداً من اليوم قريب».[٦]

المراقبة بمعنى آخر:

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٥، ح ٤، (ص ٦٤).

٢ ـ تعاهد أي: تعهّد الشيء بمعنى تحفّظ و تفقّد.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٥، ح ٣، (ص ٦٤).

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٥، ح ١٧، (ص ٧٠).

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٥، ح ١٥، (ص ٦٩).

٦ ـ نهج البلاغة صبحي صالح، خطبة ١٥٧.

للمراقبة معنى و مصداق آخر و هو إن لم يكن أنفع من المراقبة الّتي مضى ذكرها فليس اقلّ منها و هو الالتفات إلى أنّ كثيراً من أجزاء العوالم يرقبه، بل أعاظم الكائنات يرقبه في اقواله و افعاله بل و في افكاره. و مراقبتهم هذه ممّا استفيد من القرآن و الرّوايات.

الف ـ من الرّقباء على الاعمال هو الله تعالى و القرآن أكد على بيان ذلك.

قال تعالى: ﴿و اعلموا انّ الله يحول بين المرء و قلبه﴾.[۱]

و قال تعالى: ﴿يعلم خائنة الاعين و ما تخفى الصّدور﴾.[۲]

و قال تعالى: ﴿ألم يعلم بانّ الله يرى﴾.[۳]

ب ـ من الرّقباء هو الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ج ـ من الرّقباء آل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قال تعالى: ﴿و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون﴾.[٤]

د ـ من الرّقباء هي الملائكة.

قال تعالى: ﴿كتاب مرقوم يشهده المقرّبون﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد﴾.[٦]

هـ ـ من الرّقباء الاعضاء و الجوارح.

قال تعالى: ﴿حتّى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم و أبصارهم و جلودهم بما كانوا يعملون و قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الاذي نطق كلّ شيءٍ﴾.[۷]

و ـ من الرّقباء الارض الّتي وقعت فيها الاعمال.

قال تعالى: ﴿إذا زلزلت الارض زلزالها و اخرجت الارض اثقالها و قال الإنسان مالها يومئذٍ تحدّث اخبارها بانّ ربّك أوحى لها﴾.[۸]

---

۱ ـ الانفال / ٢٤. ۲ ـ الغافر / ۱۹. ۳ ـ العلق / ١٤. ٤ ـ التّوبة / ١٠٥.

٥ ـ المطفّفين / ٢٠. ٦ ـ ق / ١٨. ۷ ـ الزلزلة / ١ ـ ٥. ۸ ـ فصّلت ٢٠ و ٢١.

ز ـ من الرّقباء الزّمان من الايّام و اللّيالي و السّاعات، و قد وردت في ذلك روايات و من تلك الرّوايات قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «.... فمن عمل صالحاً شهدت له جوارحه وبقاعه و شهوره واعوامه وساعاته و ايّامه و ليالي الجمع وساعاتها و ايّامها فيسعد بذلك سعادة الابد و من عمل سوءً شهدت عليه جوارحه وبقاعه و شهوره واعوامه وساعاته و ليالي الجمع وساعاتها و ايّامها فيشقى بذلك شقاء الابد».[١]

ح ـ من الرّقباء البقاع الّتي وقعت فيها الاعمال، و الرّواية المذكورة تدلّ على ذلك ايضاً.

ط ـ من الرّقباء الشّيطان الرّجيم.

قال تعالى: ﴿و قال الشّيطان لمّا قضى الامر انّ الله وعدكم وعد الحقّ و وعدتكم فأخلفتكم و ما كان لي عليكم من سلطان إلّا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني و لوموا انفسكم﴾.[٢]

ى ـ من الرّقباء هو القرين.

قال تعالى: ﴿كلّما دخلت امّة لعنت اختها حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت اخريهم لاوليهم ربّنا هؤلاء اضلّونا فاتهم عذاباً ضعفاً من النّار قال لكلّ ضعف ولكن لا تعلمون * و قالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾.[٣]

هذا مستخلص بحث مفصّل و قد نزلت فيه آيات ووردت فيه روايات كثيرة، و نحن نكتفي من القرآن بهذه الآيات و نذكر نبذة من تلك الرّوايات.

و قبل سرد الرّوايات لا بأس بالاشارة إلى دقيقة قرانية، و هي انّه يظهر من الذكر الحكيم انّ الشّعور لا يختصّ بالانسان فقط و كذلك النّطق و العمل، بل كلّ موجود ذو شعور

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧، ص ٣١٥، ح ١١.
٢ ـ ابراهيم / ٢١.
٣ ـ الاعراف / ٣٨ و ٣٩.

بل ذو نطق و عمل. و اعادة قوله تعالى: ﴿يسبّح لله ما في السّموات و ما في الارض﴾[١] و ترداده فيه اشارة إلى ذلك. ولكن الاظهر منه في افادة هذا المعنى قوله تعالى: ﴿و ان من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[٢] و قوله تعالى: ﴿و لقد اتينا داود منّا فضلاً يا جبال اوّبي معه و الطّير﴾.[٣]

و حمل مثل «يسبّح لله ما في السّموات و ما في الارض» على التّسبيح التّكويني لو سلّم جوازه لكن هاتين الايتين الاخيرتين لا تخضعان لذلك الحمل. و عدم ادراكنا لمثل هذه اللّطائف و الدّقائق القرانيّه لا يوجب حمل مثل هذه الايات على معنى لا محتوى له، و علمنا بالنّسبة إلى جهلنا كقطرة من البحر، و هذا لا يوجب رفع اليد عن آيات كثيرة و روايات مستفيضة.

روايات في المراقبة بمعنى آخر:

عن سماعة قال قال أبو عبدالله عليه السلام: «في قول الله عزّوجلّ، فكيف إذا جئنا من كلّ امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً، قال: نزلت في امة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة في كلّ قرن منهم امام منا شاهد عليهم و محمّد صلى الله عليه وآله وسلم شاهد علينا».[٤]

عن بريد العجلي قال: «سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس؟ قال: نحن الوسطى و نحن شهداء الله على خلقه و حججه في ارضه. قلت: قول الله عزّوجلّ: ملة أبيكم ابراهيم؟ قال: ايّانا عنى خاصّة، «هو سمّاكم المسلمين من قبل» في الكتب الّتي مضت، «و في هذا» القرآن، «ليكون الرسول عليكم شهيداً»، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله عزّوجلّ، و نحن الشهداء على

---

١ ـ الجمعة / ١. ٢ ـ الاسراء / ٤٤. ٣ ـ سبأ / ١٠.

٤ ـ اصول الكافي، ج ١، باب ان الائمة شهداء الله عزّوجلّ على خلقه، ح ١، (ص ١٩٠).

النّاس فمن صدّق صدّقناه يوم القيمة، و من كذّب كذّبناه يوم القيمة».[۱]

عن بريد العجلي قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله تبارك و تعالى: و كذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً؟ قال: نحن الامة الوسط، و نحن شهداء الله تبارك و تعالى على خلقه، و حججه في ارضه. قلت: قوله تعالى: يا ايّها الّذين امنوا اركعوا و اسجدوا و اعبدوا ربّكم و افعلوا الخير لعلكم تفلحون * و جاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم؟ قال: ايّانا عنى و نحن المجتبون، و لم يجعل الله تبارك و تعالى في الدين «من حرج». فالحرج اشدّ من الضيق. «ملة ابيكم ابراهيم» ايّانا عنى خاصة. و «سماكم المسلمين» الله سمّانا المسلمين، «من قبل» في الكتب الّتي مضت، «و في هذا» القرآن، «ليكون الرسول عليكم شهيداً و تكون هشداء على الناس» فرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله تبارك و تعالى، و نحن الشّهداء على الناس، فمن صدّق يوم القيمة صدّقناه و من كذّب كذّبناه».[۲]

عن سليم بن قيس الهلالي عن اميرالمؤمنين عليه السلام ـ قال: «انّ الله تبارك و تعالى طهّرنا و عصمنا، و جعلنا شهداء على خلقه و حجّته في ارضه، و جعلنا مع القرآن و جعل القرآن معنا لا نفارقه و لا يفارقنا».[۳]

عن محمّد بن مسلم قال: «سئلته عن الا عمال عل تعرض على النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم ؟ قال: ما فيه شك. قلت له: ارايت قول الله تعالى: اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون؟ قال: انهم شهود الله في ارضه».[٤]

---

۱ ـ اصول الكافى، ج ۱، باب ان الائمة شهداء الله عزّوجلّ على خلقه، ح ۲، (ص ۱۹۰).

۲ ـ اصول الكافي، ج ۱، باب ان الائمة شهداء الله عزّوجلّ على خلقه، ح ٤، (ص ۱۹۱).

۳ ـ اصول الكافي، ج ۱، باب ان الائمة شهداء الله عزّوجلّ على خلقه، ح ٥، (ص ۱۹۱).

٤ ـ بحار الانوار، ج ۲۳، باب عرض الاعمال عليهم و انهم الشهداء على الخلق، ح ۳٤، (ص ۳٤٤).

عن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول: «مالكم تسوؤن رسول الله؟ فقال له رجل: جعلتُ فداك فكيف نسوؤه؟ فقال اَما تعلمون ان اعمالكم تعرض عليه، فاذا رأى فيها معصية سائه ذلك؟ فلا سوؤا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سرّوه».[۱]

و في رواية حمران عنه عليه السلام: «انّما انزل الله تعالى: **و كذلك جعلناكم امة وسطاً**، يعني عدلاً، «**لتكونوا شهداء على النّاس و يكون الرّسول عليكم شهيداً**» قال: و لا يكون شهداء على النّاس إلّا الائمة و الرسل، فامّا الامّة فانّه غير جايز ان يستشهد الله تعالى على النّاس و فيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل».[۲]

«**اليوم نختم على أفواههم و تكلّمنا ايديهم**» إلى قوله «**بما كانوا يكسبون**» قال: إذا جمع الله الخلق يوم القيامة دفع إلى كلّ انسان كتابه فينظورن فيه فينكرون انّهم عملوا من ذلك شيئاً،

فيشهد عليهم الملائكة. فيقولون: يا ربّ ملائكتك يشهدون لك، ثمّ يحلفون انّهم لم يعملوا لم يعملوا من ذلك شيئاً، و هو قوله: «**يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفوك كما يحلفون لكم * فاذا فعلوا ختم على السنتهم و ينطق جوارحهم بما كانوا يكسبون**».[۳]

«**حتّى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم و أبصارهم و جلودهم بما كانوا يعملون**» فانّها نزلت في قوم يعرض عليهم اعمالهم فينكرونها فيقولون: ما عملنا منها شيئاً، فيشهد عليهم الملائكة الّذين كتبوا اعمالهم. فقال الصادق عليه السلام: فيقولون لله: يا ربّ هؤلاء ملائكتك يشهدون لك، ثمّ يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً، و هو قول الله: «**يوم يبعثهم الله جمعياً فيحلفون له كما يحلفون لكم**» و هم الّذين غضبوا اميرالمؤمنين عليه السلام، فعند ذلك

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۲۳، باب عرض الاعمال عليهم و انهم الشهداء على الخلق، ح ۵۵، (ص ۳۴۹).

۲ ـ بحار الانوار، ج ۲۳، باب عرض الاعمال عليهم و انهم الشهداء على الخلق، ح ۶۳، (ص ۵۱).

۳ ـ بحار الانوار، ج ۷، ص ۳۱۲، ح ۳.

يختم الله على ألسنتهم و ينطق جوارحهم، فيشهد السمع بما سمع ممّا حرّم الله، و يشهد البصر بما نظر به إلى ما حرّم الله و تشهد اليدان بما اخذ تا، و تشهد الرجلان بما سعتا ممّا حرّم الله، و تشهد الفرج بما ار تكبت ممّا حرّم الله.

ثمّ انطق الله السنتهم، فيقولون هم لجلودهم: «لم شهدتم علينا»؟ فيقولون: «انطقنا الله الّذي انطق كلّ شيء و هو خلقكم اوّل مرّة و إليه ترجعون و ماكنتم تستترون» أي: من الله **«ان يشهد عليكم سمعككم و لا ابصاركم و لا جلودكم»** و الجلود افروج، **«ولكن ظننتم انّ الله لا يعلم كثيراً ممّا تعملون».**[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أما انّ الله عزّوجلّ كما امركم ان تحتاطوا لأنفسكم و اديانكم و اموالكم باستشهاد العدول عليكم فكذلك قد احتاط على عباده و لكم في استشهاد الشهود عليهم، فللّه عزّوجلّ على كلّ عبد رقباء من كلّ خلقه و معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله و يحفظون عليه ما يكون منه من اعمالهم و اقواله و الفاظه، و البقاع الّتي عليه شهود ربّه له او عليه، و اللّيالي و الايّام و الشّهود شهوده عليه اوله، و سائر عباد الله المؤمنين شهوده عليه اوله، و حفظته الكاتبون اعماله شهود له او عليه، فكم يكون يوم القيمة من سعيد بشهادتها له، و كم يكونوا يوم القيمة من شقيّ بشهادتها عليه.

انّ الله عزّوجلّ يبعث يوم القيمة عباده أجمعين و إماءه فيجمعهم في صعيد واحد، ينفذهم البصر، و يسمعهم الداعي، و يحشر اللّيالي و الايّام، و يستشهد البقاع و الشّهور على اعمال العباد، فمن عمل صالحاً شهدت له جوارحه و بقاعه و شهوره و اعوامه و ساعاته و ايّامه و ليالي الجُمع و ساعاتها و ايّامها فيسعد بذلك سعادة الابد، و من عمل سوءً شهدت عليه جوارحه وبقاعه و شهوره واعوامه وساعاته و ليالي الجمع و ساعاتها و ايّامها فيشقي بذلك شقاء الابد، فاعملوا ليوم القيمة و اعدّوا الزاد ليوم الجمع ـ يوم

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧، ص ٣١٢، ح ٤.

التناد ـ ...».[1]

فيما رواه عن اميرالمؤمنين عليه السلام في انواع آيات القرآن قال: «ثمّ نظم تعالى ما فرض على السّمع و البصر و الفرج في آية واحدة فقال: «ما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم و لا ابصاركم و لا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيراً ممّا تعملون» يعني بالجلود ههنا الفروج.

و قال الله تعالى: «و لا تقف ما ليس لك به علم انّ السّمع و البصر و الفؤاد كلّ اولئك كان عنه مسئولاً». و ساق الحديث إلى ان قال: ثمّ أخبر انّ الرجلين من الجوارح الّتي تشهد يوم القيامة حتّى يستنطق بقوله سبحانه: «اليوم نختم على افواههم و تكلّمنا ايديهم و تشهد ارجلهم بما كانوا يسكبون».[2]

سأل ابو كهمس أبا عبدالله عليه السلام فقال: «يصلّي الرّجل نوافله في موضع او يفرّقها؟ قال: لا، بل ههنا، فانّها تشهد له يوم القيمة».[3]

محمّد بن علي محبوب من كتابه، باسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما من يوم يأتي على ابن آدم إلّا قال ذلك اليوم: يا ابن آدم أنا يوم جديد و أنا عليك شهيد فافعل بي خيراً و اعمل فيّ خيراً اشهد لك يوم القيمة، فانّك لن تراني بعدها ابداً».[4]

عن أبي عبدالله عن أبيه عليه السلام قال: «اللّيل إذا أقبل نادى مناد بصوت يسمعه الخلائق إلّا يا ابن آدم انّي على ما فيّ شهيد فخذ منّي، فانّي لو طلعت الشمس لم تزدد فيّ حسنة و لم ستتعتب فيّ، و كذلك يقول النّهار إذا ادبر اللّيل».[5]

باسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «انّ النّهار إذ جاء قال: يا ابن آدم اعمل في يومك

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷، ص ۳۱۵، ح ۱۱.
۲ ـ بحار الانوار، ج ۷، ص ۳۱۸، ح ۱۳.
۳ ـ بحار الانوار، ج ۲، ص ۳۱۸، ح ۱۵.
٤ ـ بحار الانوار، ج ۷، ص ۳۲۵، ح ۲۰.
٥ ـ بحار الانوار، ج ۷، ص ۳۲۵، ح ۲۱.

هذا خيراً، أُشهد لك به عند ربّك يوم القيامة، فانّي لم آتك، فيما مضى و لا آتيك فيما بقي. و إذا جاء اللّيل قال مثل ذلك».[١]

مراقبة الاستاذ:

لا اشكال في انّ الاستاذ في كلّ علم و فنّ لازم سيّما في هذا العلم الّذي يتضمّن دقائق و ظرائف و انحراف طالبيه عن التّعادل ولو بشعرة إلى افراط و تفريط يوجب الضّلالة.

و السّرّ في ذلك مضافاً إلى كونه علماً فيحتاج إلى الاستاذ و اخذ الارشادات و الوصايا الكّليّة و الجزئيّة منه، فان نفوذ الاستاذ في النّفوس سيّما النّفوس الضّعيفة مما لا كلام فيه، لانّ التّلميذ يرى نفسه صغيراً ضعيفاً عنده و يراه عظيماً قويّاً فيتأثّر به من حيث لا يشعر لانّ معنويّة الاستاذ توجب التأثير عملاً و قولاً حتّى انّ الاستاذ يؤثّر في حركات التّلميذ و اقواله فضلاً عن قلبه.

فالاستاذ الّذي يكون من اهل العمل و هذّب نفسه و طهّر قلبه فانّ عمله يكون داعياًالله و إلى تهذيب النّفوس و تطهيرها و تخلّقها باخلاقه تعالى، و الّذي نفسي بيده لو قال قائل انّه ينبغي صرف العمر في وجدان الاستاذ و كشفه لايّام قليلة لقال قولاً جيّداً. فربّ كلام من الاستاذ يوجب سعادة الدّارين للنّفوس المستعدّة.

ولكنّ الّذي لابّد من الالتفات، لدقته، بل لكونه اهمّ من الاستاذ، هو انّ اختيار الاستاذ أمر مشكل، لانّه اعزّ من الكبريت الاحمر. فليس كلّ من ادّعى هذا المنصب او اشتهر به باستاذ لائق به، و ربّ استاذ يوجب انحراف التّلميذ بما لارجع له إلى السّداد.

و يشرط في الاستاذ أمور لابدّ من وجدآنهافيه:

الف ـ العلم و الاختصاص بحيث يكون مشتهراً عند أهله به. فالجاهل غير المتخصّص

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧، ص ٣٢٥، ح ٢٢.

اما مفرط او مفرّط و يقصم ظهر تلميذه و يوجب انحرافه.

ب ـ العقل و الكياسة، لانّ من لا عقل و لا كياسة له ليوجب الانحراف، و ربّ استاذ غير كيّس يسوق تلميذه إلى السّقوط. و بالضّرورة وجدان العاقل الكيّس اصعب من وجدان العالم المتخصّص.

ج ـ الوصول إلى مرتبة من مراتب اللّقاء و لا اقلّ من حصول التّوبة له و مروره من منزل التّخلية إلى التّحلية، و من لم يتجاوز التّوبة و اليقظة فهوا عمى، فيكف يأخذ الاعمى بيد الاعمى. و من لم يهذّب نفسه فهو اسير الرّذائل، فكيف يمكنه ان يفكّ غيره عن الاسر.

فهذه عمدة الشّروط.

فلذلك نوصي طالبي سبيل الكمال باختيار الاستاذ العامّ لا الاستاذ الخاصّ الشخصي. فالمحادثة و المباحثة و المطالعة و المجالس العامّة لازمة لهم، فما لا يدرك جلّه لا يترك كلّه و الميسور لا يترك بالمعسور.

هذا مع انّ ازدياد الطّلب في زماننا هذا و كثرة التّلاميذ و قلّة الاساتذة يوجب ان يكتفي التّلميذ بالاستاذ العام و بالمجالس العامّة.

و من كان من اهل السّير و يستعدّ لذلك فليأخذ الارشادات الكليّة من درس الاستاذ او من شخص الاستاذ و يعمل و يسئل عمّا يشكل و يشتبه عليه سائلاً ايّاه تبارك و تعالى التّوفيق و ان لا ينساه سيّما عند الشّبهات و المشكلات.

و في الخاتمة اوصي طلّاب هذا الطّريق بالتّوجّه إلى أمر هامّ و هو انّ الوصول من منزل‌منزل في غاية الصعوبة و المخاطرة، و الشّيطان يترصّد و يواظب السائرين غاية المواظبة، و من مكائده القاء الياس فيهم كي يرى من الاستاذ ما لا يقدر عليه. ولكنّ الكيد الاهمّ منه امره اياهم بما لا يكون من شأنهم و العمل بما يعمله السّالكون اصحاب المراتب العليا، فيشوّقهم ان يعملوا ما ليس لهم، فينجرّ إلى الجنون، و رب امراض روحيّة نشأت من

هذا الجهل الّذي ينشأ من كيد الشّيطان، فلابدّ من ان يعلم انّ الشّيطان كما يأتي عن شمائلهم و بالذّنوب يأتي عن يمينهم و بالعبادات.

قال تعالى: ﴿قال فبما اغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثمّ لاتينّهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم و لا تجد اكثرهم شاكرين﴾.[١]

فهو يخرج المرء عن الصّراط المستقيم بل عن الدّين.

و قدمرّ الكلام في انّ التّوغّل في المشتهيات مضرّ بل كثير منها حرام، ولكنّ التّفريط في المشتهيات و تحمّل الرّياضات الدينيّة الّتي لا تكون في شأنه مضرّ بل كثير منها حرام عليه.

و في ختام هذا الطّريق ننقل بعض كلمات كبراء هذا الفّن و اعاظم.

«كان السيد المرتضى يجري على تلامذته و كان ﷺ يدرس في علوم كثيرة و في بعض السنين اصاب النّاس قحط شديد. فاحتال رجل يهودي في تحصيل قوت يحفظ به نفسه، فحضر يوماً مجلس المرتضى و استأذنه في ان يقرء عليه من النجوم، فأذن له السيد و أمر له بجراية تجري عليه كلّ يوم فقرءَ عليه برهة ثم اسلم على يده».[٢]

و قد قال بعض الحكماء: «حق الاستاذ اوكد من الوالد، لانّ الوالد وسيلة فيضان الصورة الانسانية، و الاستاذ وسيلة تحقّق كمال الانسانيّة و حقيقتها».[٣]

«و بالجملة صرف عمره الشريف (ملا حسينقلي همداني) في تربية الفضلاء فلهذا كان قليل التصنيف و مصنفاته مع قلتها لم تخرج من السواد إلى البياض. و قيل له في ذلك؟ فاجاب: بان تكليفي تربية الطالبين و تعليم المتعلمين، و ما الّفتموه و صنفتموه فهو مني. و كان (رحمه الله) مع ذلك اعجوبة في الحفظ و الضبط و دقة النظر و سرعة الانتقال في المناظرات و طلاقة اللسان و لم يباحث احداً إلّا و قد غلب عليه، و كان له يد طولىٰ في علم

---

١ ـ الاعراف / ١٦ و ١٧.

٢ ـ فوائد الرضوية، ص ٢٨٤ و ٢٨٥.

٣ ـ فوائد الرضوية، ص ٨٢ و ٨٣.

الجدل».[١]

قال سماحة الامام خميني قدس سره: «استاد اخلاق براى خود معين نماييد، جلسه و عظ و خطابه و پند و نصيحت تشكيل دهيد، خودرو نمى تواند مهذب شد، اگر حوزه‌ها همين طور از داشتن مربى اخلاق و جلسات پند و اندرز خالى باشد محكوم به فناست. چطور شد علم فقه و اصول به مدرّس نياز دارد، درس و بحث مى‌خواهد براى هر علم و صنعتى در دنيا استاد لازم است لكن علوم معنوى و اخلاقى به تعليم و تعلم نيازى ندارد و خودرو و بدون معلم حاصل مى‌گردد. كراراً شنيده‌ام سيد جليلى[٢] معلم اخلاق شيخ انصارى بوده است.

شيخ طوسى در سن ٥٢ سالگى درس مى‌رفته است در صورتى كه در سن بين ٢٠ و ٣٠ بعضى از اين كتابها را نوشته است، كتاب تهذيب را گويا در همين سن و سال برشته تحرير درآورده و در سن ٥٢ سالگى در حوزهٔ درس مرحوم سيد مرتضى حاضر مى‌شده كه به آن مقام رسيده است.[٣]

«حاج ميرزا على آقاى قاضى قهرمان عرفان و سير و سلوك و استاد علامه طباطبايى فرموده است: اهمّ آنچه در اين راه لازم است استاد خبير و بصير و از هوى بيرون آمده و به معرفت الهيّه رسيده و انسان كامل است كه علاوه بر سير إلى الله سه سفر ديگر را طى كرده و گردش و تماشاى او در عالم خلق بالحق بوده باشد. كسى كه طالب راه و سلوك طريق خدا باشد اگر براى پيدا كردن استاد اين راه نصف عمر خود را در جستجو و تفحصّ بگذارند تا پيدا كند ارزش دارد، كسى كه به استاد رسيد نصف راه را طى كرده

---

١ ـ فوائد الرضوية، ج ٢، باب محمد شريف مازندرانى، ص ٥٤٠.

٢ ـ سيد على شوشترى قدس سره.

٣ ـ جهاد اكبر امام خمينى، ص ٢١٥ ـ ٢١٧.

است».[1]

قال العلّامه الطباطبايي ﷺ: «ما هر چه در این مورد داریم از مرحوم قاضی داریم، چه آنچه راکه در حیاتش از او تعلیم گرفتیم و از محضرش استفاده کردیم و چه طریق که خودمان داریم، از مرحوم قاضی گرفته‌ایم».[2]

«آقا میرزا جواد آقا ملکی بعد از دو سال تلّمذ خدمت آخوند عرض کرد: من در سیر خود به جایی نرسیدم. آخوند در جواب از اسم و رسمش سؤال می‌کند. او تعجب کرده می‌گوید: مرا نمی‌شناسید؟ من جواد تبریزی ملکی هستم. ایشان می‌گویند: شما با فلان ملکی‌ها بستگی دارید؟ آقا میرزا جواد آقا چون آنان را خوب و شایسته نمی‌دانسته از آنان انتقاد می‌کند. آخوند همدانی در جواب می‌فرماید: هر وقت توانستی کفش آنها را که بد می‌دانی پیش پایشان جفت کنی من خود به سراغ تو خواهم آمد. میرزا جواد آقا فرداکه به درس می‌رود خود را حاضر می‌کند در محلی پایین‌تر از بقیّهٔ شاگردان بنشیند تا رفته رفته طلبه‌هایی که از آن فامیل در نجف بودند و ایشان آنان را خوب نمی‌دانسته مورد محبّت قرار می‌دهد تا جایی که کفششان را پیش پای آنها جفت می‌کند. چون این خبر به آن طایفه که در تبریز ساکن بودند می‌رسد رفع کدورت فامیلی می‌شود. بعداً آخوند او را ملاقات می‌کند و می‌فرماید: دستور تازه‌ای نیست تو باید حالت اصلاح شود تا از همین دستورات شرعی بهره‌مند شوی. ضمناً یادآوری می‌کند که کتاب مفتاح الفلاح شیخ بهایی برای عمل کردن خوب است».[3]

«واعلم يا ولدي محمّد صأنك الله جل جلاله عن مواقف اعراضه عنك وزانك بترادف

---

۱ ـ رساله سیر و سلوك منسوب به بحر العلوم، ص ۱۷٦.

۲ ـ یادنامهٔ علامه طباطبایی، ص ٦۲.

۳ ـ تاریخ حکماء و عرفاء متأخر بر صدر المتألهین، ص ۱۳۳ و ۱۳٤.

خلع اقباله عليك و قبوله منك ان من جملة ما بليت به بالمخالطة للناس معرفة الملوك بي و حبّهم لي حتّى كاد ان يفسد عليّ سعادة الدنيا و الاخرة و يحول بيني و بين مالكي صاحب النعم الباطنة و الظاهرة و ما كنت تدركني إلّا و انّني لا بس ثياب العار بطلب ولايات دار الاغترار و قائداً لك إلى الهلاك و عذاب النار، و ما خلصني من خطر اقبال ملوك الدنيا و حبّهم و سلّمني من السموم القاتلة في قربهم إلّا الله جلّ جلاله على التحقيق، فانا عتيق ذلك المالك الرحيم الشفيق و ذلك ان اول ما نشأت بين جدى ورام و والدى قدس الله ارواحهم و كحل فلاحهم و كانوا دعاة إلى الله جلّ جلاله و طالبين له فالهمني الله جلّ جلاله سلوك سبيلهم و اتباع دليلهم و كنت عزيزاً عليهم و ما احوجني الله جلّ جلاله باحسانه إليهم و إلى ما جرت عليه عادة الصبيان من تأديب لي منهم او من استاذ بسبب من اسباب الهوان».[1]

و قال في خاتمة المستدرك: «والدة محمّد تقى (والد علّامه محمّد باقر مجلسى) عارفة صالحه بود و از تقوايش نقل شد كه وقتى شوهرش مقصود على عازم سفرى گرديد پسران خود ملا محمّد تقى و ملا محمّد صادق به جهت تحصيل علوم شرعيه خدمت علامه ملا عبدالله شوشترى آورد و استدعا كرد از آن بزرگوار در مراقبت آنها، پس از آن مسافرت كرد، سپس عيدى مصادف شد با جناب ملا عبدالله سه تومان به ملا محمّد تقى داد و فرمود: صرف كنيد در ضروريات معاش خودتان، عرض كرد بدون اطلاع والده مجاز نيستيم. وقتى كيفيت أمر به والده عرض شد فرمود: پدر شما دكانى دارد كه غلهٔ آن چهارده غاز بيكى است و آن مساوى مخارج شماست، اگر اين مبلغ را بگيرم حال شما در توسعه مى‌شود و پس از آن عادت اوّل را فراموش مى‌كنيد و آن وقت به مخارج كم قانع نيستيد. چون خدمت مولانا اين مطلب عرض شد در حق آن جناب دعا كرده و دعاى

---

١ ـ كشف المحجة لثمرة المهجة، باب ١٢٥، ص ١٠٨ و ١٠٩.

آن بزرگوار مستجاب شد، و اين سلسله جليله را از حاميان دين قرار داد كه از ايشان آن بحر مواج بيرون آمد».[1]

في الخاتمة احبّ اذكر نبذة من حالات اساتذتي على وجه الاختصار تذكرة لي و لكم و اداءً لبعض حقوقهم عليّ.

الف ـ كان سيدنا الاستاذ الامام خميني ﷺ مقيّداً بظواهر الشّرع حتّى المستحبّات غير المعروفة فضلاً عن مثل الصّلوة في اوّل وقتها و التّهجّد و تلاوة القرآن و الدعاء، كاجابة دعوات المؤمنين و التسابق في السّلام و سرح اللّحى و .... و مما عرف به عند تلامذته هو رفع حوائج الفقراء إذا علم فقرهم فلذا كان يقول لو علمنا احتياجاً ضروريّاً من شخص فلابدّ من قضائها و لو ببيع لباسنا، كما انّه كان يكره اظهار الفقر سيما إذا علم انّه لا يحتاج بالفعل. و امّا مما عرف به و كان يتقيّد به غاية التّقيّد هو الاجتناب عن المحرّمات.

و اذكر لك ما لا انساه قطّ و هو انّه جاء يوماً مجلس الدّرس مضطرباً قلقاً و قال لم اجئ للمباحثة بل جئت لان انصحكم بنصيحة نقل عن بعض انّها نصيحة السّيّد الميرزا الكبير الشّيرازى و هي انّه كتب انّه يشترط في اهل العلم، العلم و التّقوى و العقل، فان لم يكن له علم فالتّقوى و العقل، و إلّا فلا اقلّ من العقل حتّى يحفظ الاسلام بعقله. فانا اقول:

تابعوا العقل و الفكر حتّى يحفظ الحوزة المقدّسة.

فذهب و به حمّى لازمة فهي تعود و لم يقدر على المباحثة ايّاماً. و كان سبب ذلك كلّه انّ نفراً من تلامذته عرّفه بما يثلم ذاتيّة بعض المراجع و هويته فاضطرب و اعتلّ باستماع غيبة فقد كان يشمئزّ من الذّنوب اشمئزازاً سيّما عن مثل الغيبة الّتي هي الاعتداد على حقّ النّاس و عن مثل الاسراف و التّبذير سيّما في بيت المال.

هذه قطرة من فضائل بحر تقيّده بظواهر الشّرع. و امّا مقامه في التّخلية و التّحلية فقد

---

١ ـ فوائد الرضوية، باب محمّد باقر مجلسى، ص ٤١١.

كان يعتقد انّ العلوم كلّها حتّى علم التّوحيد يتوقّف على التّهذيب و التّخلق بالفضائل.

و عند ما زاره جماعة من طالبي العلم في فجر الثّورة الاسلاميّة و قال احدهم: لم نأت لنقول ماذا نريد من الثّورة، بل جئنا لنسأل ماذا تريد الثّورة منّا.

سرّ بذلك للطافة قوله و دقّته و ظرافته، و قال: انّ الثّورة تريد منّا ان نزكّى و نهذّب انفسنا.

و حقّاً انّه كلام قيّم.

و امّا مقام التّجلية و اللّقاء فنحن نعتقد انّ بعض كلماته ناشئة من وصوله إلى المقامين؛ مثلاً انّه كان يقول كما كتب في اوّل وصيّته الالهيّة و السّياسيّة:

انّ الله تعالى تجلّى باحديّته مع جميع صفاته و اسمائه حتّى المستأثر منها الّذي لا يعلمه غيره فأوجد اهل البيت الّذين هم نور واحد.

و كذلك تجلّى باحديّته مع جميع صفاته واسمائه حتّى المستأثر منها الّذي لا يعلمه غيره فأوجد القرآن فهما الثّقلين اللّذان يتّصلان عند الحوض اتّصال الكثرة بالوحدة.

و هذا الكلام بديع منه، و ان سبقه إليه غيره فلا اقلّ من انّا لا نعلم به.

و المشهور انّ الاسم المستأثر او الاسماء المستأثرة مكنون في ذاته مختصّ به، ولكنّه كان يقول: لا معنى لوجود اسم ولو كان مكنوناً و مختصّاً به بلا مجلىً له فمثل رسول الله ﷺ لابدّ من ان يكون مظهراً و مجلى للذّات و الصّفة حتّى الاسم المستأثر.

كما كان يقول: يظهر من القرآن انّ الولاية بمنزلة الفصل و الاسلام بمنزلة الجنس، فقوام الجسن بالفصل و هذا معنى قوله تعالى: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً﴾.[1] إلى جانب قوله تعالى: ﴿يا ايّها الرّسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته﴾.[2]

---

١ ـ المائدة / ٣.   ٢ ـ المائدة / ٦٧.

فبناءً على هذا فانّ روايات «بنى الاسلام على خمس على الصّلوة و الزّكاه و الصّوم و الحجّ و الولاية و لم يناد بشيءٍ كما نودى بالولاية».[۱] لابدّ من ان يراد بالولاية محبّة أهل البيت و شيعتهم لا الولاية المصطلح عليها، لأنها من اصول الدّين و قوامه و لا معنى لجعلها تلو الفروعات كالصلوة و الزّكاة و الصّوم و الحجّ.

و نظير هذه الكلمات عنه كثير يحتاج إلى افراد كتاب و نحن نكتفي به و نقول:

انّ دليل وصوله إلى مقام اللّقاء تصرّفه الولائي في النّفوس ولنا في ذلك شواهد و يكفيك ما وقع في اوّل الثّورة الاسلاميّة إلى يومنا هذا حيث مضت سنة على وفاته و استقبال النّاس له عند وروده و توديعهم اياه عند موته و حتّى بعد موته ليس إلّا كرامة، و ان شئت قلت التّصرّف الولائى.

قد طغى علينا القلم و كتب بعض الاسرار ولكن لا تتعجّب، لانّها كثيرة بين علماء الشّيعة بل بقاء التشيّع لا يكون إلّا بمثل هذه الكرامات و العنايات. و قد كتب بقيّة الله الاعظم روحي و ارواح العالمين لتراب مقدمه الفداء إلى الشّيخ الجليل المفيد رضوان الله تعالى عليه :

انّا غير مهملين لمراعاتكم و غير ناسين لذكركم ولولا ذلك لسلبتكم الاعداء.

و الحاصل انّ نظير هذه الكلمات و الكرامات من علماء الشّيعة من بدؤ الغيبة الصّغرى زمن الغيبة الكبرى و منها إلى الان كثير يحتاج إلى افراد مجلّدات.

ب ـ كان سيّدنا العلّامة الطّباطبائي من الفلاسفة العرفاء ولكن تقيّده بظواهر الشّرع ممّا يشار إليه بالبنان، و كان تحت نظر العارف الكامل القاضي الطّباطبائي في الأخلاق و وصل إلى مقام الكشف و الشّهود بحيث قال: رأيت حوريّة في عالم الكشف و بيدها كأس من شراب الجنّة، فلم اعتني بها فجائت من طرف اليمين، فلم اعتني بها فجائت من طرف الشّمال

---

۱ ـ اصول الكافى، ج ۲، ص ۱۸، باب دعائم الاسلام، ح ۱.

فلم اعتني بها فذهبت آئسةً. فتبسّم ـ رضوان الله تعالى عليه ـ و قال: كلّما تذكّرت القضيّة تألّمت لها.

و اخيراً انّ ذلك الاستاذ ـ رضوان الله تعالى عليه ـ كان له دور هامٌّ في عروجه من منزل إلى منزل حتّى وصل علماً و عملاً إلى مقام اللّقاء فلذا كان يعيد قوله مراراً عديدة: كلّ ما عندنا فهو من الاستاذ القاضي.

و الانصاف انّ الاستاذ وصل إلى مقام التّذكرة، فلذا كان يوصي بذلك. فقيل انّه قال عند الموت كراراً: انتبه ـ انتبه.

و في اوائل مرض موته ذهبنا إلى عيادته فقلت له: يا سيّدي اوصنا من فضلك فقال: قال الله تعالى: ﴿فاذكروني اذكركم﴾.[١]

و هو مضافاً إلى اختصاصه في المعارف الاسلاميّة و له تآليف في قسط وافر من علوم الاسلام، و هو من المفسّرين الّذين يفخر بتفسيره الداني و العالي و القريب و البعيد، و فيه دقائق لطيفة سيّما في التّوحيد و الولاية، ولكن الاسف كلّ الاسف انّ الحوائل الجسمانيّة و الرّوحيّة و الاجتماعيّة منعته عن تحقّق ارادته من ان يذكر فيه ما شاء، و على الرّغم من هذا فانّ فيه درراً و دقائق مبتكرة جزاه الله خير الجزاء.

و في الختام احبّ ان اكتب نكتة لطيفة في اللّقاء الّتي نعتقد انّه وصل اليها:

اختلف في معنى اللّقاء في القرآن، و المشهور بين المفسّرين انّ معناها لقاء يوم القيامة من رحمته و عقابه، و استدلّوا بمثل قوله تعالى: ﴿و امّا الّذين كفروا و كذّبوا باياتنا و لقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون﴾.[٢] و المشهور عند اهل القلوب هي الفناء نظير فناء القطرة في البحر، و استدلّوا بمثل: ﴿انّا لله و انّا إليه راجعون﴾.[٣] و بمثل: ﴿يا ايّها الإنسان انّك كادح ربّك كدحاً فملاقيه﴾.[٤]

---

١ ـ البقرة / ١٥٢. ٢ ـ الرّوم / ١٦. ٣ ـ البقرة / ١٥٦. ٤ ـ الانشقاق / ٦.

ولكنّ الاستاذ ـ رضوان الله تعالى عليه ـ في دروسه الاخلاقيّة يرد على القولين قائلاً: انّ القول بالمذهب الثّاني يوجب لغويّة الايجاد و الوجود، و القول بالمذهب الأوّل خلاف ظواهر الايات، مضافاً إلى اهمال أمر مهمّ.

و التّحقيق ان يقال ببقاء الاعيان الثّابتة مع فناء الانانيّة و التأثير عنها و درك امكان الاتيان الذّاتي و تدلّيها و درك انّه ليس في الدّار غيره ديّار، فهي في كلّ آن فانية و قيامها بالله تعالى، قال تعالى: ﴿الله لا اله إلّا هو الحيّ القيّوم﴾[1] فليس موجود حقيقه إلّا هو و غيره كسراب بقيعة يحسبه الظّمأن ماءً.

فالانسان بسيره و وصوله إلى مقام حقّ اليقين لا يرى إلّا الله تعالى كما انّه في نفس الامر و الواقع ليس في الدّار غيره ديّار.

قال تعالى: ﴿انّي وجّهت وجهي للّذي فطر السموات و الارض﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿و عنت الوجوه للحيّ القيّوم﴾.[3]

فالالتفات إليه تعالى و عناء الوجوه للحيّ القيّوم يقتضي بقاء الاعيان الثّابتة، كما انّ قوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القّهار﴾[4] و قوله تعالى ﴿و إليه يرجع الامر كلّه﴾[5] يقتضي الفناء، و الجمع يقتضي بقاء الاعيان الثّابتة حتّى بعد الفناء و البقاء بالله تعالى مع وصوله إلى مقام اللّقاء و تجاوزه عن المنازل، و بعبارةٍ أخرى وصوله إلى مقام حقّ اليقين، و بعبارةٍ ثالثة وصوله إلى كون قلبه عرش الرّحمن.

ج ـ كان سيّدنا الاستاذ البروجردي من الفقهاء العظام فكان حين الورود في مباحثة الفقه و الاصول كالبحر المتلاطم و تقيّده بظواهر الشّرع كان اسوة لنا، و حرصه على بقاء الحوزة و ترقيه كان مشهوداً، و جدّه في الدّرس من اوّل عمره الشريف إلى اخره كان

---

١ ـ البقرة / ٢٥٥. ٢ ـ الانعام / ٧٩. ٣ ـ طه / ١١١. ٤ ـ المؤمن ١٦/.

٥ ـ هود / ١٢٣.

مشهوراً عندنا، حتّى انّه كان يقول: انّى كنت اقضى اللّيل بالمطالعة في النّجف الاشرف. و كان رحمه الله مخالفاً لهواه وطيلة الثّمان سنوات الّتي كنّا نحضر درسه الشّريف لم نر منه رذيلة اخلاقيّة، و كان يوصينا بترك الهوى سيّما طلب الدّنيا و الرّئاسة فيها. و كان يقول: انّي لم اتهيّأ لهذه الرّئاسة و المرجعيّة مسبقاً و هي حمل ثقيل عليّ و ياليتها لم تحمل عليّ.

و كان يدّعي الالهامات و السّماعات و الكشف قبل حصول المرجعيّة له قائلاً: انّ الاشتغالات فعلاً تمنعنا عن تلك الفيوضات فكان قد وصل إلى منازل عليا، امّا نحن فلا نزال في اوّل الطّريق.

و في الخاتمة نذكر قضيّة مشهورة عنه تدلّ على روح تعبّده الّذي مضى ذكره، و قلنا هناك انّه من فوائد التّهذيب و هو متوقّف عليه، و قلنا انّه من افضل الفضائل بل لا فضيلة افضل منها. و هي انّه كان قويّ البصر كما كان شديد البصيرة و انّه كان يقرء الكتاب في آخر عمره بلا نظّارة. و كان يقول: انّ بصري كان ضعيفاً في شبابي بحيث لم اقدر على ان اطالع بلا نظّارة. فحدث ان مرّ علينا موكب عزاء الحسين عليه السلام فأخذت مقداراً من الطين من رأس بعضهم و مسحته على ظهر عيني، فعبد ذلك لم احتج إلى النّظارة، و انّ عيني الان في كمال الحدّة و النّور.

و هذا الرّوح الّذي هو من العنايات الخاصّة الالهيّة لا توهب إلّا لعباده الصّالحين. و الحمدلله على انّ اساتذتنا كانوا ممن نفخ فيهم هذا الرّوح، هنيئاً لهم و رضوان الله تعالى عليهم، و نرجو من الله ان يهدينا و يشرح صدورنا و يجعل صدورنا محل هذه الفضيلة العظمى.

مراقبة الرّفيق و نظارته:

مراقبة الرّفيق ممّا به تأثير في السّير، ولو لم تكن اولى من سائر المراقبات و الاشرافات،

فلا اشكال في كونها مثلها بحيث انّه روى: «المرء على دين خليله»[١] فاستفادة الزملاء كلّ من الاخر و مراقبة احدهما الاخر و اهداء كلّ منهما عيوب الاخر إليه ممّا يؤثّر في السّير و السّلوك و في الاداب و العادات الاجتماعيّة و في اتيان الواجبات و ترك المحرّمات.

كما انّ الرفيق السّوء اسوء من الشّيطان، و في رؤية الذكر العزيز هو من الشياطين كما في قوله تعالى: ﴿**و من شرّ الوسواس الخنّاس الّذي يوسوس في صدور النّاس من الجنّة و النّاس**﴾.[٢]

فعليك ثمّ عليك بالصّديق الخير، لانّه من خير الدّنيا و الاخرة و قيمته أغلى من الدّنيا و ما فيها. و ايّاك ثمّ ايّاك و قرين السّوء لانّه شرّ من جميع الشرور.

و ما قلنا في الاستاذ من الشّروط يأتي هنا ايضاً بلا فرق.

فيشترط في الرّفيق ان يكون عاقلاً، لأنّ الاحمق لا ينفع بل يضرّ، و في الرّوايات: «انّه يريد ان ينفعك فيضرّك»[٣] و الاحمق امّا مفرط او مفرّط فكيف يمكن ان يكون معلّمك و رقيبک؟!.

و يشترط ان يكون عالماً او متعلّماً، و امّا الجاهل غير المتعلّم فله استبداد في جهله كما انّه يستبدّ على رأيه و عصبيّته ... ، و بالجملة انّه كالاحمق لا يكون كاسباً و لا مكتسباً و انّه يكون امّا مفرط او مفرّط.

و يشترط ان يكون سليم النّفس و لا اقلّ من كونه مريداً لها، و ان يكون متقياً و لا اقلّ ممّن يحبّ التّقوى و يكون بصدد اصلاح نفسه. و الحاصل انّ الصّديق السّليم النّفس ولو في الجملة و الصّديق التّقي إذا ضمّ المرء إلى سلامة نفسه عقلَه و علمَه او تعلّمه يصير له من أفضل المراقبات و لابدّ للسّالك من وجدانه و استفادته منه.

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، باب ١٤، ص ١٩٢، ح ١٢.

٢ ـ النّاس / ٤ ـ ٦.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، باب ١٤، ح ٨.

آيات في مراقبة الرفيق

﴿و قد نزّل عليكم في الكتاب ان إذا سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتّى يخوضوا في حديث غيره انّكم إذاً مثلهم ان الله جامع المنافقين و الكافرين في جهنّم جميعاً﴾.[1]

﴿كلّما دخلت امّة لعنت اختها حتّى إذا ادّركوا فيها جمعياً قالت اخريهم لاوليهم ربّنا هؤلاء اضلّونا فأتهم عذاباً ضعفاً من النّار قال لكلّ ضعف ولكن لا تعلمون﴾.[2]

﴿يا ويلتا ليتني لم اتّخذ فلاناً خليلاً، لقد أضلّني عن الذّكر بعد إذ جائني و كان الشيطان للانسان خذولاً﴾.[3]

﴿وقيّصنا لهم قرناء الهم ما بين ايديهم و ما خلفهم و حقّ عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن و الانس انّهم كانوا خاسرين﴾.[4]

﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين﴾.[5]

﴿و من يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين﴾.[6]

﴿في جنّات يتسائلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلّين و كنّا نخوض مع الخائضين﴾.[7]

---

١ ـ النسّاء / ١٤٠. ٢ ـ الاعراف / ٣٨. ٣ ـ الفرقان / ٢٨ و ٢٩. ٤ ـ فصّلت / ٢٥.
٥ ـ الزّخرف / ٦٧. ٦ ـ الزّخرف / ٣٦. ٧ ـ المدّثر / ٤٠ ـ ٤٥.

﴿قل اعوذ بربّ النّاس ملك النّاس اله النّاس من شرّ الواسواس الخنّاس الّذي يوسوس في صدور النّاس من الجنّة و النّاس﴾.[١]

---

١ ـ النّاس

روايات في مراقبة الرفيق

قال الحواريون لعيسي عليه السلام: «فمن نجالس يا روح الله؟ قال: من يذكّركم الله رؤيته و يزيد في علمكم منطقه و يرّغبكم في الاخرة علمه».[1]

روى عن بعض الصادقين عليهم السلام انه قال: «الجلساء ثلاثه: جليس تستفيد منه فالزمه، و جليس تفيده فاكرمه، و جليس لا تفيد و لا تستفيد منه فاهرب عنه».[2]

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «.... ان العلم ذو فضائل كثيرة: فرأسه التواضع.... و رفيقه صحبة الاخيار».[3]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا ينبغي للمسلم ان يواخي الفاجر و لا الاحمق و لا الكذّاب».[4]

عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: «لا تصحبوا اهل البدع و لا تجالسوهم فتصيروا عند النّاس كواحد منهم، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: المرء على دين خليله و قرينه».[5]

عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «يا سفيان أمرني والدي عليه السلام بثلاث و نهاني

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٥٨، ح ٣٨، (ص ٣٢٢).

٢ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ٤، ح ١٩، (ص ٢٠٣). ٣ ـ بحار الانوار، ج ١، باب ١، ح ٤١، (ص ١٧٥).

٤ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب ١٦٣، ح ٥، (ص ٣٧٦).

٥ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب ١٦٣، ح ٣، (ص ٣٧٥).

عن ثلاث، فكان فيما قال لي: يا بنيّ من يصحب صاحب السوء لا يسلم».[١]

عن الصادق عليه السلام عن ابائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «.... و أحسن مصاحبة صاحبك تكن مسلماً».[٢]

قال الصادق عليه السلام بعد ذكر الائمة عليهم السلام: «و دينهم الورع.... و حسن الصحبة و حسن الجوار».[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان اميرالمؤمنين عليه السلام إذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم ان يجتنب مواخاة ثلاثة: الماجن[٤] و الاحمق و الكذاب.

فامّا الماجن فيزّين لك فعله و يحبّ ان تكون مثله و لا يعينك على أمر دينك و معادك، و مقارنته جفاء و قسوة، مدخله و مخرجه عليك عار.

و امّا الاحمق فأنه لا يشير عليك بخير و لا يرجى لصرف السوء عنك ولو اجهد نفسه، و ربّما اراد منفعتك فضّرك، فموته خير من حياته، و سكوته خير من نطقه، و بعده خير من قربه.

و امّا الكذاب فانه لا يهنئك معه عيش، ينقل حديثك و ينقل اليك الحديث كلما افنى احدوثة مطّها باخرى[٥] حتّى انه يحدث بالصدق مما يصدّق، و يغرى[٦] بين النّاس

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٧٨، ح ١٧، (ص ٢٧٨).

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٩، باب ٣٨، ح ٤، (ص ٣٦٨).

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٩، باب ٣٨، ح ٥٤، (ص ٣٨٧).

٤ ـ الماجن: من لا يبالي قولاً و فعلاً.

٥ ـ الاحدوثة واحد الاحاديث و هو ما يتحدث به و قوله مطّها باخرى أي: مدّها.

٦ ـ في القاموس اغرى بينهم العداوة: القاها كانه الزقها بهم.

بالعداوة فينبت السخائم في الصدور[١]، فاتقوا الله و انظروا لأنفسكم».[٢]

عن الرضا عليه السلام: «.... و اجتهدوا ان يكون زمانكم اربع ساعات:

ساعة لمناجاته، و ساعة لامر المعاش، و ساعة لمعاشرة الاخوان الثّقات و الّذين يعرّفونكم عيوبكم و يخلصون لكم في الباطن، و ساعة تخلون فيها للذاتكم و بهذه الساعة تقدرون على الثلاث الساعات».[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «وصيّة ورقة بن نوفل لخديجة بنت خويلد: .... أي: بنيّة اياك و صحبة الاحمق الكذّاب، فأنه يريد نفعك فيضرّك و يقرب منك البعيد و يبعدّ عنك القريب، ان ائتمنته خانك و ان ائتمنك اهانك، و ان حدّثك كذبك و ان حدّثته كذّبك، و انك منه بمنزلة السراب الّذي يحسبه الظلمآن ماءً حتّى إذا جائه لم يجده شيئاً».[٤]

قال الجواد عليه السلام: «المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق من الله و واعظ من نفسه و قبول ممن ينصحه».[٥]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «و ايّاك و مصاحبة الفسّاق، فان الشرّ بالشرّ ملحق و وقّر الله واحبب احبّائه».[٦]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام قال: «لا تكون الصداقة إلّا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود او شيء منها فانسه إلى الصداقة، و من لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من

---

١ ـ السخائم جمع سخيمة الحقد في النفس.

٢ ـ اصول الكافي، ج ٢، باب الايمان و الكفر، ح ٦، (ص ٣٧٦).

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، باب ٢٦، ح ٤، (ص ٣٤٦).

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، باب ٣٣، ح ٥، (ص ٤٤٦).

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، باب ٢٧، ح ١، (ص ٣٥٨).

٦ ـ نهج البلاغة صبحي الصالح، خطبة ٦٩.

الصداقة. فاوّلها ان تكون سريرته و علانيته لك واحدة، و الثّاني ان يرى زينك زينه و شينك شينه، و الثالثة ان لا تغيّره عليك ولاية و لا مال، و الرابعة ان لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته، و الخامسة ـ و هي تجمع هذه الخصال ـ ان لا يسلّمك عند النكبات».[١]

«و وفقني فيه للتق و صحبة الابرار».[٢]

«اللّهمّ وفقني فيه لموافقة الابرار و جنبني فيه مرافقة الاشرار».[٣]

«و لا تحرمني صحبة الاخيار».[٤]

عنى أبي عبدالله عن أبيه عليه السلام قال: قال لي علي بن الحسين عليه السلام يا بنيّ النظر خمسة فلا تصاحبهم و لا تحادثهم و لا ترافقهم في طريق. فقلت: يا ابه من هم؟

قال: ايّاك و مصاحبة الكذّاب، فانّه بمنزلة السّراب يقرّب لك البعيد و يباعد لك القريب.

و ايّاك و مصاحبة الفاسق فانّه بائعك بأُكلة او اقلّ من ذلك.

و ايّاك و مصاحبة البخيل فانّه يخذلك في ما له أحوج ما تكون اليه.

و ايّاك و مصاحبة الاحمق فانّه يريد ان ينفعك فيضرّك.

و ايّاك و مصاحبة القاطع لرحمه فانّي وجدته ملعوناً في كتاب الله عزّوجلّ في ثلاث مواضع:

قال الله عزّوجلّ: ﴿فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض و تقطّعوا ارحامكم، اولئك الّذين لعنهم الله فاصمّهم و اعمى ابصارهم﴾.

و قال: ﴿الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاق و يقطعون ما أمر الله به ان يوصل و يفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة و لهم سوء الدّار﴾.

---

١ ـ اصول الكافي، ج ٢، ص ٦٣٩، ح ٦.
٢ ـ دعاء يوم الثالث عشر من رمضان.
٣ ـ دعاء يوم السادس عشر من رمضان.
٤ ـ دعاء ليلة العرفة.

و قال في سورة البقرة: ﴿الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به ان يوصل و يفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون﴾.[١]

عن الجعفري قال سمعت أبا الحسن عليه‌السلام يقول: «ما لي رأيتك عند عبدالرحمن بن يعقوب؟

فقال: انه خالى.

فقال: انه يقول في الله قولاً عظيماً، يصف الله و لا يوصف، فامّا جلست معه و تركتنا و امّا جلست معنا و تركته.

فقلت: هو يقول ما شاء، ايّ شيء عليّ منه إذا لم اقل ما يقول؟

فقال ابوالحسن عليه‌السلام: أما تخاف ان تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً؟ أما علمت بالّذي كان من اصحاب موسى عليه‌السلام و كان ابوه من اصحاب فرعون، فلمّا لحقت خيل فرعون موسى تخلّف عنه ليعظ اباه فيلحقه بموسى، فمضى ابوه و هو يراغمه[٢] حتّى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً.

فأُتى موسى عليه‌السلام الخبر، فقال: هو في رحمة الله ولكنّ النّقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع».[٣]

٣ـالعبرة من السّير و التّاريخ

قد اكّد القرآن على السّير في التاريخ و الاعتبار من حال الماضين، فالقرآن مضافاً إلى الامر بذلك فيما يزيد على عشرة مواضع قد حكى قصصاً من حال الماضين و لعلّ ثلث القرآن يكون في ذلك و في غالب تلك القصص أمر بالاعتبار منهم. فبعد ذلك يفهم ان هذا

---

١ ـ اصول الكافي، ج ٢، ح ٧، (٣٧٦).

٢ ـ المراغمة: الهجران و التباعد و المغاضبة.

٣ ـ اصول الكافي، ج ٢، ح ٢، (ص ٣٧٤).

الامر مهمّ لتهذيب النّفس جدّاً، و كذلك للتخلّق بالفضائل و بملكة التّقوى. و بالجملة انّ هذا الامر في الأخلاق و الأخلاقيّات ولو لم يكن اهمّ الأمورو اجود الطّرق فلا اقلّ انّه من الأمورالهامّة.

الاترى انّ التنزيل حكى في سورة يوسف انّ اخوته حيث ركّزوا على قولهم: ﴿ليوسف و اخوه احَبُّ إلى ابينا منّا و نحن عصبة انّ ابانا لفى ضلال مبين﴾[1] فعلوا ما فعلوا من الذّنوب العظام من ارادة قتله، و القائهم ايّاه في غيابة الجبّ، و شرائه بثمن بخس، و من نسبة الضّلال ابيه مع علمهم بانّه نبيّ الله، و نسبة السّرقة إلى يوسف مع علمهم بانّه كذب. فيفهم انّ الكبر و الحسد و نحوهما مع علم المتكبّر الحسود بواقع الامر يوجب الضّلالة.

قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتّخذ الهه هواه و اضلّه الله على علم و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكّرون﴾.[2]

ثمّ نقل قصّة امرأة العزيز، مشيراً إلى ما هُيّء لها من البعل و الرّئاسة و المال و الجمال بل و كلّ ما كان يتمنّاه أقرانها و لكنّ اتّباعها هواها و شهوتها اسقطتها عن مقامها.

ثمّ نقل قصّة عفة يوسف و تقواه و صبره على المصائب و عفوه عن مسبّبها بحيث انّه قال لأبيه بعد أن لقاه: ﴿يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربّى حقّاً و قد أحسن بى إذ اخرجنى من السّجن و جاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشّيطان بينى و بين اخوتى﴾.[3] فنسب الذنب إلى الشيطان و أبرىء اخوته منه.

فأعطاه الله عزّاً ليس لاحدٍ ان يحوزه إلّابا عطائه تعالى ايّاه. ثمّ قال تعالى حاكياً عن يوسف لاخوته: ﴿انّه من يتّق و يصبر فانّ الله لايضيع اجر المحسنين﴾.[4]

و جملة القول انّ الله تعالى في هذه السّورة يرتسم الكبر و الحسد و ما يترتّب عليهما

---

١ ـ يوسف / ٨. ٢ ـ الجاثية / ٢٣. ٣ ـ يوسف / ١٠٠. ٤ ـ يوسف / ٩٠.

من المفاسد، و يرتسم الفجور و عدم العفاف و ما يترتّب عليه من الذّلّ، و يرتسم الفضائل و التّقوى و ما يترتّب عليهما من العزّ و الشّوكة، و في آخر السّورة قال: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الالباب﴾.[١]

الاترى انّ الذكر الحكيم بيّن بعث موسى و ارساله عليه‌السلام فرعون و ملأه و إلى بني اسرائيل مع معجزات كثيرة باهرة ولكن لم يذعن له بنو اسرائيل فضلاً عن فرعون و ملأه ظلماً و علوّا حتّى اغرق الله فرعون و قومه، قال تعالى: ﴿فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليمّ بانّهم كذّبوا باياتنا و كانوا عنها غافلين﴾.[٢]

و ابتلى بنى اسرائيل بواد التّيه اربعين سنة. قال تعالى: ﴿قال فانّها محرّمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾.[٣]

و تفصيل ذلك انّ موسى عليه‌السلام بُعث إلى فرعون و معه تسع آيات بيّنات. قال الله تعالى: ﴿و لقد اتينا موسى تسع ايات بيّنات﴾.[٤] هنّ:

الف ـ تبدل عصاه بحيّة، قال تعالى: ﴿فالقيٰها فاذا هي حيّة تسعى﴾.[٥]

و بهذه المعجزة امن سحرة فرعون، قال الله تعالى: ﴿فألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا.... فالقى السّحرة سجّداً قالوا امنّا بربّ هارون و موسى﴾.[٦]

ولكن فرعون لم يؤمن بل قال لهم: ﴿فلا قطّعنّ ايديكم و ارجلكم من خلاف و لا صلبنّكم في جذوع النخل﴾.[٧]

ب ـ جعل يده بيضاء، قال تعالى: ﴿و ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾.[٨]

ج ـ جفاف الأرض و المجاعة.

---

١ ـ يوسف / ١١١. ٢ ـ الاعراف / ١٣٦. ٣ ـ المائدة / ٢٦. ٤ ـ الاسراء / ١٠١.
٥ ـ طه / ٣٠. ٦ ـ طه / ٦٩. ٧ ـ طه / ٧١. ٨ ـ النّمل / ١٢.

د ـ و نقص من الثّمرات، قال تعالى: ﴿و لقد اخذنا ال فرعون بالسّنين و نقص من الثّمرات لعلّهم يذّكّرون﴾.(١)

ولكنّهم لم يذّكّروا بل قال الله فيهم: ﴿فاذا جائتهم الحسنة قالوا لنا هذه و ان تصبهم سيّئة يطّيّروا بموسى و من معه.... و قالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾.(٢)

هـ ـ ارسال الطوفان عليهم.

و ـ ارسال الجراد عليهم.

ز ـ ارسال القمّل عليهم.

ح ـ ارسال الضفادع عليهم.

ط ـ ارسال الدّم عليهم.

قال تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان و الجراد و القمّل و الضّفادع و الدّم ايات مفصّلات فاستكبروا و انوا قوماً مجرمين﴾.(٣)

فالتجؤوا إلى موسى لكشف الرّجز فلمّا كشف عنهم الرّجز اذاهم ينكثون.

قال الله تعالى: ﴿و لمّا وقع عليهم الرّجز قالوا يا موسى ادع لنا ربّك بما عهد عندك لئن كشفت عنّا الرّجز لنؤمننّ لك و لنرسلنّ معك بنى اسرائيل * فلمّا كشفنا عنهم الرّجز إلى اجل هم بالغوه اذاهم ينكثون فانتقمنا منهم فأعرقناهم في اليمّ بانّهم كذبوا باياتنا و كانوا عنها غافلين﴾.(٤)

فالويل ثمّ الويل للاستكبار وحبّ الرّئاسة و اللّجاج و ... فهل يمكن الكفر مع هذه الايات البيّنات؟ نعم: يمكن لمثل من امن بموسى من بني اسرائيل لانّه جاء لهم بمعجزات أخر و لكنّهم آذوه بما هو خارجٌ عن الطّاقة البشريّة.

---

١ ـ الاعراف / ١٣٠.   ٢ ـ الاعراف / ١٣١.   ٣ ـ الاعراف / ١٣٣.   ٤ ـ الاعراف / ١٣٤.

١ ـ فلق البحر، قال تعالى: ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كلّ فرق كالطّود العظيم﴾.[١]

٢ ـ اظلال الغمام عليهم، قال تعالى: ﴿و ظلّلنا عليكم الغمام﴾.[٢]

٣ ـ نزول المنّ و السّلوى، قال تعالى: ﴿و انزلنا عليكم المنّ و السلوى﴾.[٣]

٤ ـ تفجير الماء لهم من الحجر، قال تعالى: ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾.[٤]

٥ ـ اظلال الجبل عليهم، قال تعالى: ﴿و إذ نتقنا الجبل فوقهم كانّه ظلّة﴾.[٥]

٦ ـ احياء الموتى لهم، قال تعالى: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى﴾.[٦]

ولكن كانوا يعتذرون و يتحركثون تارة فيقولون لن نصبر على طعام واحد، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿و إذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربّك يخرج ممّا تنبت الارض من بقلها و قثّائها و فومها و عدسها و بصلها﴾.[٧]

و أخرى انّا لن ندخلها حينما امرهم بدخول الارض المقدّسة، قال تعالى: ﴿يا قوم ادخلوا الارض المقدّسة .... قالوا يا موسى انّا لن ندخلها ابداً ما داموا فيها فاذهب انت و ربّك فقاتلا انّا ههنا قاعدون﴾.[٨]

و ثالثة استهزئوا بموسى بل اهه إذا امرهم ان يدخلوا الباب سجّداً و استغفروا الله.

قال تعالى: ﴿و إذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً و ادخلوا الباب سجّداً و قولوا حطّة نغفر لكم خطاياكم و سنزيد المحسنين فبدل الّذين ظلموا قولا غير

---

١ ـ الشّعراء / ٦٣. ٢ ـ البقرة / ٥٧. ٣ ـ البقرة / ٥٧. ٤ ـ البقرة / ٦٠.
٥ ـ الاعراف / ١٧١. ٦ ـ البقرة / ٧٣. ٧ ـ البقرة / ٦١. ٨ ـ المائدة / ٢١ ـ ٢٤.

الّذي قيل لهم﴾.[١]

فحُبسوا بوادى التّيه اربعين سنة، قال تعالى: ﴿قال فانّها محرّمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾.[٢]

و اخيراً ابتلاهم اللّه بالطّاعون، قال تعالى: ﴿فانزلنا على الّذين ظلموا رجزاً من السّماء بما كانوا يفسقون﴾.[٣]

ولكن مع ذلك كلّه هل رجعوا عمّا كانوا عليه؟ لا! بل قال تعالى مخاطباً ايّاهم: ﴿ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشدّ قسوة﴾.[٤]

بل جعلوا العجل الهاً، قال تعالى: ﴿و إذ قال موسى لقومه يا قوم انّكم ظلمتم انفسكم باتّخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا انفسكم﴾.[٥]

بل حكى الله عنهم: ﴿و إذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة فاخذتكم الصّاعقة و انتم تنظرون ثمّ بعثناكم من بعد موتكم لعلّكم تشكرون﴾.[٦]

فهل شكروالله؟ لا بل فعلوا ما به استحقّوا قوله تعالى فيهم:

﴿و ضربت عليهم الذّلّة و المسكنة و بائوا بغضب من الله ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بايات الله و يقتلون النّبيين بغير الحقّ ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون﴾.[٧]

و الحاصل انّ هذه الحكاية أعيدت في الذكر الحكيم مرّات، لانّها موجبة للعبرة. فقرائة تلك آلآيات مكرّراً و التّدبّر فيها تفيد انّ اللّجاج و العصبيّة و الظّلم و الطّغيان و العصيان، و ... يمنع عن قبول الحق ولو كان الحقّ ظاهراً مقارناً بالمعجزات الباهرات.

الا ترى انّ قارون كان من بني‌اسرائيل و امن بموسى عليه‌السلام و يفهم من القرآن انّه كان عالماً وجيهاً عند النّاس. و هل ايمانه كان على الحقيقة او النّفاق؟ فيه و جهان بل قولان، لانّ

١ـ البقرة / ٥٨. ٢ـ المائدة / ٢٦. ٣ـ البقرة / ٥٩. ٤ـ البقرة / ٧٤.

٥ـ البقرة / ٥٤. ٦ـ البقرة / ٥٥. ٧ـ البقرة / ٦١.

قوله تعالى: ﴿انّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم﴾[١] ظاهر في كونه مؤمناً طاغياً و طغيانه بعد امره بالزّكوة. و لانّ قوله تعالى: ﴿و لقد أرسلنا موسى باياتنا و سلطان مبين إلى فرعون و هامان و قارون فقالوا ساحر كذّاب﴾.[٢] ظاهر في كفره و نفاقه.

و على كلّ حال كان من الّذين عمى بالمال كما انّ فرعون و هامان عميا بالجاه. فكلّما كان ينصحه موسى و من معه قائلين له: ﴿و ابتغ فيما اتاك الله الدّار الاخرة و لا تنس نصيبك من الدّنيا و احسن كما احسن الله اليك و لا تبغ الفساد في الارض انّ الله لا يحبّ المفسدين﴾[٣] يردّ عليهم بقوله: ﴿انّما اوتيته على علم عندى﴾.[٤]

فهو لترفه و فرحه و بغيه على قومه ـ حتّى روى: «انّه اراد الافك لموسى عليه‌السلام و فعل ولكنّه افتضح» و كان نفاقه بعد ايمانه ـ، أهلكه الله تعالى، قال: ﴿فخسفنا به و بداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله﴾.[٥]

فترى انّ حبّ المال كيف يوجب الشّقاء و عدم قبول الحقّ حتّى نسب الزّنا إلى النّبي موسى عليه‌السلام مع رؤيته من المعجزات الباهرات ما ظهر على يديه.

فهل يمكن أن يرى احدٌ بعينيه انّ عصا موسى عليه‌السلام صار حيّةً ثمّ عجز السّحرة عن مكافحته، كما رأى انّ البحر فلق بعصاه فعبر عنه بقومه و كانوا تحت ظلّ الغمام آكلين من المنّ و السلوى، ثمّ يريد الإفك به فينسب إليه الزنا؟ نعم، و القرآن يصدّقها كلّها و يفهمنا انّ الرّذيلة تسقط المرء حتّى تصيّره إلى ارذل الدّوابّ، قال تعالى: ﴿اولئك كالانعام بل هم اضلّ﴾.[٦]

و نحن في ذيل هذا البحث نذكر آيات و روايات مرتبطةٍ بها تنبّهاً و تذكّراً.

---

١ ـ القصص / ٧٦. ٢ ـ غافر / ٤٣ و ٢٤. ٣ ـ القصص / ٧٧ و ٧٨.

٤ ـ القصص / ٧٧ و ٧٨. ٥ ـ القصص / ٨١. ٦ ـ الاعراف / ١٧٩.

آيات في العبرة من السّير و التأريخ

﴿و نادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر و هذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون، ام انا خير من هذا الّذي هو مهين و لا يكاد يبين فلو لا القى عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملئكة مقترنين * فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانو قوماً فاسقين، فلمّا اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجميعن فجعلناهم سلفاً و مثلاً للاخرين﴾.[1]

﴿أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان كان عاقبة الّذين من قبلهم دمّـر الله عليهم و للكافرين امثالها﴾.[2]

﴿أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا اكثر منهم و أشدّ قوّة و آثاراً في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون».[3]

﴿فامّا ثمود فاهلكوا بالطّاغية، و امّا عاد فهلكوا بريح صرصر عاتية .... لنجعلها لكم تذكرة﴾.[4]

﴿ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم و اتيناه من الكنوز ما انّ مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوّة إذ قال له قومه لا تفرح انّ الله لا يحبّ الفرحين .... فخسفنا به و بداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله و ما كان من المنتصرين، و اصبح الّذين

---

١ ـ الزّخرف / ٥٠ ـ ٥٦. ٢ ـ محمّد / ١٠. ٣ ـ غافر / ٨١.

٤ ـ الحاقّة / ٥ ـ ١٢.

تِمنّوا مكانه بالامس يقولون و يكانّ الله يبسط الرّزق لمن يشاء من عباده و يقدر لولا ان منّ الله علينا لخسف بنا و يكانّه لا يفلح الكافرون﴾.[١]

﴿لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب﴾.[٢]

﴿هو الاذي ّخرج الّذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لِاوّل الحشر ما ظننتم ان يخرجوا و ظنّوا انّهم ما نعتهم حصونهم من الله فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا و قذف في قلوبهم الرّعب يخربون بيوتهم بايديهم و ايدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الأبصار﴾.[٣]

---

١ ـ القصص / ٧٦ ـ ٨٢. ٢ ـ يوسف / ١١١. ٣ ـ الحشر / ٢.

روايات في العبرة من السير و التأريخ

«اولستم ابناء القوم و الاباء و اخوانهم و الاقرباء؟ تحتذون امثلتهم و تركبون قدّتهم و تطؤون جادّتهم».[1]

«فا تعظّوا عباد الله بالعبر النوافع و اعتبروا بالآى[2] الساطع».[3]

«فا عتبروا بنز و لكم منازل من كان قبلكم».[4]

قال الصادق عليه السلام: «اعتبروا بما مضى من الدنيا هل بقى على احد؟ او هل فيها باق من الشريف و الوضيع و الغنيّ و الفقير و الولّى و العدوّ؟ فكذلك ما لم يأت منها بما مضى اشبه من الماء بالماء».[5]

عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: «.... كلّ نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو».[6]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان أكثر عبادة أبي ذر ـ رحمة الله عليه ـ التّفكّر و

---

١ ـ نهج البلاغة عبدة، خطبة ٨١.

٢ ـ الاى جمع الآية و هي الدليل ـ الساطع: الظاهر الدلالة.

٣ ـ نهج البلاغة عبدة، خطبة ٨٣.

٤ ـ نهج البلاغة صبحي الصالح، خطبة ١١٧.

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٨٠، ح ٢٠، (ص ٣٢٥).

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٧٨، ح ١، (ص ١٧٥).

الاعتبار».[١]

«و الله لا اكون كمستمع اللّدم[٢] يسمع الناعي و يحضر الباكي ثم لا يعتبر».[٣]

«ما اكثر العبر و اقلّ الاعتبار».[٤]

«انما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار».[٥]

«انا بالامس صاحبكم و انا اليوم عبرة لكم و غداً مفارقكم».[٦]

«فاعتبروا بما اصاب الامم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته».[٧]

«فاعتبروا بما كان من فعل الله بابليس إذا احبط عمله الطويل».[٨]

«دخل ابن السّماك على الرشيد فقال له: عظني ! ثم دعا بماء يشربه فقال له: ناشدتك الله، لو منعك الله من شربه ما كنت فاعلاً ؟ قال: كنت افتديه بنصف ملكي. قال: فاشربه ! فلمّا شرب قال: ناشدتك الله ! لو منعك الله من خروجه ما كنت فاعلاً ؟ قال كنت افتديه بنصف ملكي. قال: ملكاً يفتدي به شربة ماء بحليق إلّا ينافس عليه».[٩]

قال عبدالله بن عروة بن الزبير لابنه: «يا بنيّ عليك بالدين فانّ الدّنيا ما بنت شيئاً إلّا هدمه الدين و إذا بنى الدين شيئاً لم تستطع الدنيا هدمه. الاترى علي بن ابي طالب و ما يقول فيه خطباء بني اميّة من ذمّه و عيبته ! و الله لكانّما ياخذون بناصيته إلى السماء ! الاترى

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٨٠، ح ٦، (ص ٣٢٣).

٢ ـ اللّدم: الضرب على الصدر و الوجه عند النياحة.

٣ ـ نهج البلاغة صبحي الصالح، خطبة ٤٨.

٤ ـ نهج البلاغة، قصار الحكم ٢٩٧.

٥ ـ نهج البلاغة، قصار الحكم ٣٦٧.

٦ ـ نهج البلاغة صبحي الصالح، خطبة ١٤٩.

٧ ـ نهج البلاغة صبحي الصالح، خطبة ١٩٢.

٨ ـ نهج البلاغة صبحي الصالح، خطبة ١٩٢.

٩ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٠٠.

كيف يندبون موتاهم، و يرثيهم شعراؤهم، و الله لكأنّما يندبون جيف الحُمُر !».[١]

٤ ـ الحبّ في الله:

من طرق تهذيب النّفس و التّخلّق بالفضائل بل ترك الرذائل و غالب المعاصي الكبيرة سيّما حقّ النّاس و الاتيان بكثير من الواجبات سيّما الواجبات الماليّة هو الحبّ، لانّه من مهامّ الأمور في منع الإنسان وردعه عن الرّذائل و في حثّه على الاجتناب عن المحرّمات. كما انّها من مهامّ الأمور في التّرغيب و التّحريص إلى غالب الواجبات.

الاترى انّ الاب الرّئوف و الامّ الرّئوفة و ان كانا ذارذائل و لكنّهما يجتنبان عنها بالنّسبة إلى اولادهما؟.

الاترى انّ الاخ الرّئوف لا يغتاب اخاه بل إذا سمع غيبته من أحدٍ يمنعه عنها.

الاترى انّ الولد الرّئوف يفكر دائماً في سرور ابويه طلباً له؟.

الاترى انّ الزّوجة الصّالحة لا ترضى ان تسمع معائب زوجه بل تكون بصدد تبريرها و سترها.

فهذه المحبّة لو جرت في المجتمع نظير جريان الدّم في الجسد تصلح غالب المفاسد و ترفع غالب الرّذائل سيّما إذا كانت شديدة، بل تتبدّل غالب المفاسد إلى المصالح و الرّذائل إلى الفضائل كالايثار و العفو و الصّفح، بل لا يرى المحبّ في مجتمعه إلّا الفضيلة.

حُكي انّ ليلى العامريّة اعدّت طعاماً و دعت المساكين إليه اداءً لنذرما. فارسل مجنون انائه كي تصب فيه الطّعام. فلمّا عرفت ليلى انّ الاناء لقيس كسرته، و حينما علم قيس بالامر اخذ يرقّص فرحاً و هو يقول: ان كانت ليلى تميل إلى غيري فلماذا كسرت انائي.

فلذا يترائى من الاسلام انّ كلّ ما يوجب ازدياد الحبّ قد رغّب فيه ترغيباً و كلّ ما

---

١ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٦٤.

يوجب نقصان المحبّة قد منع عنه منعاً مؤكّداً.

اَلا ترى انّ الاسلام يقول: «من اصبح لا يهتمّ بامور المسلمين فليس بمسلم».[١]

اَلا ترى انّ في سورة الماعون سلب الاسلام عمّن يمنع الماعون. و الماعون هو حوائج الغير، فقال: ﴿**فويل للمصلّين الّذين هم عن صلوتهم ساهون الّذين هم يرائون و يمنعون الماعون**﴾.[٢]

اَلا ترى انّ الاسلام رغّب في رفع حوائج النّاس حتّى روي عن الصّادق عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «و الله لقضاء حاجة المؤمن خير من صيام شهر و اعتكافه».[٣]

و اظنّ انّ تلك التّهديدات و هذه المثوبات و التّرغيبات جاءت بعنوان ثانويّ أي: انّها للتّرغيب و التحريص على ازدياد الحبّ في المجتمع. فالثّواب تفضّليّ و العقاب جعليّ، يعني انّ الشّارع لولايته جعل تلك العقوبات الشّديدة لايجاد المحبّة و رفع ما يوجب رفعها و ليست تلك العقوبات الشّديدة استحقاقيّة، كما لا تكون تلك المثوبات كذلك، بل كلّ من المثوبات و العقوبات جعلت لازدياد المحبّة فتأمّل. و سيأتي البحث عن ذلك مفصّلاً ان شاء الله.

و ينبغي ان نذكر في ختام البحث نكتةً و هي ورود رواياتٍ كثيرة في الحبّ في الله و البغض في الله نظراً إلى نكتة دقيقة و هي انّ الحبّ لو كان في غير الله من الشّهوات النّفسانيّة و الدّواعي الدّنيويّة فهو كسراب بقيعة يحسبه الظّمأن ماءً بينما انّه لا يقدر ان يكون سدّاً للرّذائل فضلاً عن ان يكون رافعاً لها، مضافاً إلى انّه رخوة تزول بادنى عمل يخالف شهوته او داعيه الدّنيويّ.

فالمحبّة الّتي اصلها ثابت وفرعها الّذي يؤتي الثّمرة في السّماء هي المحبّة في اللّه تعالى، و إلّا

١ـ   ٢ـ الماعون / ٤ـ ٧.

٣ـ بحار الانوار، ج ٧٤، باب قضاء حاجة المؤمنين، ح ٦.

تكون كشجرة خبيثة اجتثّت فوق الارض مالها من قرار.

و كذلك البغض، لانّ البغض الّذي يكون سدّاً لغالب المفاسد هو البغض في الله الّذي تكون عروقه في القلب لا تقلع بحرف ما و تخيّل ما و شهوة ما، و إلّا فهو مـن الاشـجار الخبيثة ماله من قرار.

و نحن في ذيل البحث نذكر بعض الايات و الرّوايات و نوصي بالتدبّر فيها و بامداومة على قراءتها راجياً ان تكون تذكرةً لي و لكم ان شاء الله.

آيات في الحبّ في الله

قال الله تعالى:

﴿يا ايّها الّذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم و يحبّونه اذّلة على المؤمنين اعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومة لائم﴾.[1]

﴿يا ايّها الّذين آمنوا لا تتخذوا اباءكم و اخوانكم اولياء ان استحبّوا الكفر على الايمان و من يتولّهم منكم فاولئك هم الظالمون﴾.[2]

﴿قل لا اسئلكم عليه اجراً إلّا المودّة في القربى و من يقترف حسنة نزدله فيها حسناً ان الله غفور شكور﴾.[3]

﴿يا ايّها الّذين آمنوا لا تتخّذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودّوا ما عنتّم قد بدت البغضاء من افواههم و ما تخفى صدورهم اكبر قد بيّنا لكم الايات ان كنتم تعقلون﴾.[4]

﴿لا يتّخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلّا ان تتقّوا منهم تقية و يحذّركم الله نفسه و إلى الله المصير﴾.[5]

---

١ ـ المائدة / ٥٤. ٢ ـ التّوبة / ٢٣. ٣ ـ الشّورى / ٢٣. ٤ ـ آل عمران / ١١٨.

٥ ـ آل عمران / ٢٨.

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله و لايوم الاخر يوادّون من حادّ الله و رسوله ولو كانوا اباؤهم اوابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان و ايّدهم بروح منه و يدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم و رضوا عنه اولئك حزب الله اَلا انّ حزب الله هم المفلحون﴾.[١]

﴿يا ايّها الّذين امنوا لا تتّخذوا عدوّى و عدّوكم اولياء تلقون إليهم بالمودّة و قد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول و ايّاكم ان يؤمنوا بالله ربّكم ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلى و ابتغاء مرضاتى تسرّون إليهم بالمودّة و انا اعلم بما اخفيتم و ما اعلنتم و من يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل﴾.[٢]

﴿و ما كانوا اوليائه إلّا المتقّون﴾.[٣]

﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين﴾.[٤]

﴿محمّد رسول الله و الّذين معه اشدّاء على الكفّار رحماء بينهم﴾.[٥]

---

١ ـ المجادلة / ٢٣. ٢ ـ الممتحنة / ١. ٣ ـ الانفال / ٣٤. ٤ ـ الزّخرف / ٦٧.

٥ ـ الفتح / ٢٩.

روايات في الحبّ في الله

قال رسول الله صلّی الله علیه و آله وسلّم لبعض اصحابه ذات يوم: «يا عبدالله احبب في الله و ابغض في الله و عاد في الله، فانّه لا تنال ولاية الله إلّا بذلك و لا يجد رجل طعم الايمان، و ان كثرت صلوته و صيامه حتّى يكون كذلك، و قد صارت مواخاة النّاس يومكم هذا اكثرها في الدّنيا عليها يتوادّون و عليها يتباعضون و ذلك يغنى من الله شيئاً».[1]

روى عن اميرالمؤمنين علیه السلام: «انّ النبيّ صلّی الله علیه و آله وسلّم سأل ربّه ليلة المعراج .... فقال الله عزّوجلّ: يا محمّد وجبت محبّتي للمتحاتين فيّ، و وجبت محبّتى للمتعاطفين فىّ، و وجبت محبّتي للمتواصلين فيّ، و وجبت محبتّي للمتوكّلين علىّ، و ليس لمحبتّي علم و لا غاية و لا نهاية».[2]

قال الصادق علیه السلام: «لا يبلغ أحدكم حقيقة الايمان حتّى يحبّ ابعد الخلق منه في الله و يبغض اقرب الخلق منه في الله».[3]

عن علي بن الحسين علیهما السلام قال: «إذا جمع الله عزّوجلّ الاوّلين و الاخرين قام مناد فنادى يسمع النّاس فيقول: «اين المتحاجّون في الله؟ قال: فيقوم عنق من النّاس، فيقال لهم:

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٩، باب ٣٦، ح ١، (ص ٢٣٦).

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٧، باب ٢، ح ٦، (ص ٢١).

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، باب ٢٣، ح ١٠٦، (ص ٢٥٢).

اذهبوا الجنّة بغير حساب، قال: فتلقّاهم الملائكة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون إلى الجنّة بغير حساب. قال فيقولون: فايّ ضرب انتم من النّاس؟ فيقولون: نحن المتحابّون في الله قال فيقولون: و ايّ شيء كانت اعمالكم؟ قالوا: كنا نحبّ في الله و نبغض في الله. قال فيقولون: نعم اجر العاملين».[۱]

عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: «إذا اردت ان تعلم انّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فأن كان يحبّ اهل طاعة الله و يبغض اهل معصيته ففيك خير و الله يحبّك. و ان كان يبغض اهل طاعة الله و يحبّ اهل معصيته فليس فيك خير و الله يبغضك و المرء مع من احبّ».[۲] عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: قال أحب لله و أبغض لله و اعطى لله فهو ممن كمل ايمانه».[۳]

عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «ودّ المؤمن لمؤمن في الله من اعظم شعب الايمان. آلاٰ و من احب في الله و ابغض في الله و اعطى في الله و منع في الله فهو من اصفياء الله».[٤]

عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال سمعته يقول: «ان المتحابين في الله يوم القيمة على منابر من نور، قد اضاء نور وجوههم و نور اجسادهم و نور منابرهم كلّ شيء حتّى يعرفوا به فيقال هؤلاء المتحابّون في الله».[٥]

عن فضيل بن يسار قال: «سئلت أبا عبدالله عليه‌السلام عن الحبّ و البغض، أمن الايمان هو؟ فقال: و هل الايمان الحبّ و البغض؟ ثمّ تلاهذه الاية: حبّب اليكم الايمان و زيّنه في قلوبكم

---

۱ ـ اصول الكافى، ج ۲، باب الحب في الله ....، ص ۱۲٦، ح ۸.

۲ ـ اصول الكافى، ج ۲، باب الحب في الله ....، ص ۱۲٦، ح ۱۱.

۳ ـ اصول الكافى، ج ۲، باب الحب في الله ....، ص ٥ ـ ۱۲٤، ح ۱.

٤ ـ اصول الكافى، ج ۲، باب الحب في الله ....، ص ٥ ـ ۱۲٤، ح ۳.

٥ ـ اصول الكافى، ج ۲، باب الحب في الله ....، ص ٥ ـ ۱۲٤، ح ٤.

و كرّه اليكم الكفر و الفسوق و العصيان اولئك هم الرّاشدون».[١]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لو ان رجلاً احب رجلاً لأثابه الله على حبّه اياه و ان كان المحبوب في علم الله من اهل النار. ولو انّ رجلاً ابغض رجلاً لله اثابه الله على بعضه ايزاه و ان كان المبغض في علم الله من أهل الجنّة».[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ان المسلمين يلتقيان فافضلهما اشدّهما حباً لصاحبه».[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كلّ من لم يحبّ على الدين و لم يبغض على الدين فلا دين له».[٤]

عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: «لمّا كلّم الله عزّوجلّ موسى بن عمران عليه السلام .... قال: الهى فما جزاء من احبّ اهل طاعتك؟ قال: يا موسى احرّمه على ناري».[٥]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: «ايّ عُري الايمان اوثق؟ فقالوا: الله و رسوله اعلم و قال بعضهم الصلوة، و قال بعضهم: الزكاة، و قال بعضهم، الصّيام، و قال بعضهم: الحجّ و العمرة، و قال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لكلّ ما قلتم فضل و ليس به، ولكن اوثق عرى الايمان الحبّ في الله و البغض في الله و تولّى اولياء الله و التبرّى من اعداء الله».[٦]

---

١ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب الحب في الله ....، ص ٥ ـ ١٢٤، ح ٥.

٢ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب الحب في الله ....، ص ٥ ـ ١٢٤، ح ١٢.

٣ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب الحب في الله ....، ص ٥ ـ ١٢٤، ح ١٤.

٤ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب الحب في الله ....، ص ١٢٧، ح ١٦.

٥ ـ بحار الانوار، ج ٦٩، باب ٣٨، ص ٣٨٣، ح ٤٦.

٦ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب الحب في الله ....، ص ١٢٥، ح ٦.

٥ ـ الانذار و التّبشير:

من سيرة الذكر الحكيم و الأحاديث الصّادرة عن مصادر العصمة الانذار و التّبشير لاجراء ما حكما به، فكأنّ القرآن و الرّوايات يريان انّ هذه القوّة افضل القوى في الانفاذ و لااقلّ من أنّها من أفضلها فلذا ذكرت في آيات كثيرة كأنّها من سبل الأنبياء، قال تعالى: **﴿فبعث الله النّبيين مبشّرين و منذرين﴾**[1] و قال تعالى: **﴿انّا ارسلناك بالحقّ بشيراً و نذيراً﴾**.[2] و نظيرهما في القرآن كثير.

اَلا ترى انّ القرآن حينما بيّن حكماً بشّر بالمثوبة على القيام به كما رتّب العقوبة على تركه، و هذه السّيرة ظاهرة مشهودة في جميع الذكر من اوّله إلى آخره، و كذلك في الرّوايات.

فعلى سبيل المثال قال تعالى: **﴿و الّذين يكنزون الذّهب و الفضّة و لا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب اليم * يوم يحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون﴾**.[3]

و قال تعالى: **﴿من عمل صالحاً من ذكر او انثى و هو مؤمن فلنحيينّه حيوة طيّبة و لنجزينّهم أجرهم باحسن ماكانوا يعملون﴾**.[4]

و قال تعالى: **﴿فامّا من طغى * و اثر الحيوة الدّنيا * فانّ الجحيم هي المأوى * و امّا من خاف مقام ربّه و نهى النّفس عن الهوى * فانّ الجنّة هي المأوى﴾**.[5]

و نظير هذه الآيات كثير جداً.

فهذه آيات القرآن و على ذلك استقرّت سيرة علماء الأخلاق حيث يتابعون في ذلك في غالب مباحثهم، فهم يبيّنوا مثلاً رذيلة الحسد و ما يترتّب عليها من المفاسد الدّنيويّة و

---

١ ـ البقرة / ٢٣١. ٢ ـ البقرة / ١١٩. ٣ ـ التّوبة / ٣٤ و ٣٥. ٤ ـ النّحل / ٩٧.

٥ ـ النّازعات / ٣٧ ـ ٤١.

الاخرويّة، و يبيّنوا مثلاً فضيلة السّخاء و ما يترتّب عليها من المثوبات الدّنيويّة و الاخرويّة. و غالباً يؤكّدون على ترتّب المثوبات و العقوبات على الفضائل و الرذائل باستشهادهم بالايات و الرّوايات، و هذه سيرتهم و نعمت السّيرة هي لمن يكون له قلب.

فعليك ثمّ عليك بهذا الطّريق و القائه على نفسك و المداومة عليه حتّى يرسّخ الخوف و الرّجاء في القلب فهما ملكتان تصدّ ان الإنسان عن الهوى و يحولان دونه، بل بالمداومة عليها تُغرَس شجرة الفضائل في القلب.

و البحث عن الخوف و الرّجاء بحث اخلاقيّ يفيد السالك و سيأتي ان شاء الله تعالى منّا في محلّه، و ما لابدّ من ان نذكره هنا على سبيل الاجمال و التّنبّه هو انّ الخوف و الرّجاء ككفّتي الميزان لا يجوز رجحان احدهما على الاخر او نقصانه عنه. فالرّجاء الزائد على الخوف يوجب الكسل في أمري الدنيا و الآخرة، كما انّ الخوف الزائد على الرجاء يوجب اليأس عن خيرهما و كلاهما خسران الدّارين.

فهما معاً يوجبان زوال الرّذائل من الأخلاق و الاخلاقيّات و تحصيل فضائلهما. و امّا احدهما دون الاخر فلا فائدة فيه بل يضرّ ضرراً بالغاً.

و في ذيل هذا البحث لابدّ من الاتيان بآيات تناسبه تنبّهاً و تذكّراً.

آيات في الانذار و التبشير

﴿بلى من كسب سيئة و احاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النّار هم فيها خالدون﴾.[1]

﴿افمن اسّس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير ام من اسّس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنّم﴾.[2]

﴿انّا اعتدنا للظّالمين ناراً احاط بهم سرادقها و ان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب و سائت مرتفقاً﴾.[3]

﴿و من خفّت موازينه فاولئك الّذين خسروا أنفسهم في جهنّم خالدون * تلفح وجوههم النّار و هم فيها كالحون * الم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذّبون * قالوا ربّنا غلبت علينا شقوتنا و كنّا قوماً ظالّين * ربّنا اخرجنا منها فان عدنا فانّا ظالمون * قال اخسئوا فيها و لا تكلمون﴾.[4]

﴿قل انّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم و اهليهم يوم القيمة اَلا ذلك هو الخسران المبين * لهم من فوقهم ظلل من النّار و من تحتهم ظلل ذلك يخوفّ الله به عباده يا عباد فاتقّون﴾.[5]

---

١ ـ البقرة / ٨١. ٢ ـ التّوبة / ١٠٩. ٣ ـ الكهف / ٢٩.

٤ ـ المؤمنون / ١٠٣ ـ ١٠٨. ٥ ـ الزّمر / ١٥ و ١٦.

﴿انّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون * لا يفترّ عنهم و هم فيه مبلسون * و ما ظلمناهم و لكن كانوا هم الظّالمين * و نادوا يا مالك ليقض علينا ربّك قال انّكم ماكثون * لقد جئناكم بالحقّ و لكنّ اكثر كم للحقّ كارهون﴾.[١]

﴿و من اعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكاً و نحشره يوم القيمة اعمى﴾.[٢]

﴿او كظلمات في بحر لجّيّ يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكديريها و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.[٣]

﴿و يوم يعرض الّذين كفروا على النّار أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدّنيا و استمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحقّ و بما كنتم تفسقون﴾.[٤]

﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنّواصى و الاقدام * فباى آلاء ربّكما تكذّبان * هذه جهنم الّتي يكذّب بها المجرمون * يطوفون بينها و بين حميم ان﴾.[٥]

﴿و أصحاب الشّمال ما أصحاب الشّمال * في سموم و حميم * و ظلّ من يحموم * لا بارد و لا كريم * انّهم كانوا قبل ذلك مترفين * و كانوا يصرّون على الحنث العظيم * و كانوا يقولون أئذا متنا و كنّا تراباً و عظاماً أءنّا لمبعوثون * اَو اباؤنا الاوّلون * قل انّ الاوّلين و الآخرين * لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم * ثمّ انّكم ايّها الضّالّون المكذّبون * لاكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربونً شرب الهيم * هذا نزلهم يوم الدّين﴾.[٦]

﴿يا ايّها الّذين آمنوا قوا أنفسكم و اهليكم ناراً و قودها النّاس و الحجارة عليها

---

١ ـ الزّخرف / ٧٤ ـ ٧٨.　　٢ ـ طه / ١٢٤.　　٣ ـ النّور / ٤٠.

٤ ـ الاحقاف / ٢٠.　　٥ ـ الرّحمن / ٤١ ـ ٤٣.　　٦ ـ الواقعة / ٤١ ـ ٥٦.

ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون﴾.(١)

﴿و يتجنّبها الاشقى * الّذي يصلى النّار الكبرى * ثمّ لا يموت فيها و لا يحيى﴾.(٢)

﴿ويل لكلّ همزة لمزة * الّذي جمع مالاً و عدّده * يحسب انّ ماله اخلده * كلّا لينبذنّ في الحطمة * و ما ادراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * الّتي تطّلع على الافئدة * انّها عليهم مؤصدة * في عمد ممدّدة﴾.(٣)

﴿قل أؤنبّئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربّهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها و ازواج مطهّرة و رضوان من الله و الله بصير بالعباد﴾.(٤)

﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾.(٥)

﴿وعد الله المؤمنين و المؤمنات جناب تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها و مساكن طيّبة في جنات عدن و رضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾.(٦)

﴿جنات عدن يدخلونها يحلّون فيها من اساور من ذهب و لؤلؤاً و لباسهم فيها حرير * و قالوا الحمدلله الاذي ّذهب عنّا الحزن ان ربّنا لغفور شكور * الاذي ّحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصب و لا يمسّنا فيها لغوب﴾.(٧)

﴿ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون * هم و ازواجهم في ضلال على الارائك متكئون * لهم فيها فاكهة و لهم ما يدّعون * سلام قولاً من ربّ رحيم﴾.(٨)

﴿و ما تجزون إلّا ماكنتم تعملون * إلّا عبادالله المخلصين * اولئك لهم رزق معلوم * فواكه و هم مكرمون * في جناب النعيم * على سرر متقابلين * يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول و لا هم عنها ينزفون * و عندهم قاصرات

---

١ ـ التّحريم / ٦. ٢ ـ الاعلى / ٧ ـ ١٣. ٣ ـ الهمزة ٤ ـ آل عمران / ١٥.

٥ ـ السّجدة / ١٧. ٦ ـ التّوبة / ٧٢. ٧ ـ فاطر / ٣٣ ـ ٣٥. ٨ ـ يس / ٥٥ ـ ٥٨.

الطرف عنى * كانهنّ بيض مكنون﴾.[١]

﴿الّذين امنوا باياتنا و كانوا مسلمين * ادخلوا الجنة انتم و ازواجكم تحبرون * يطاف عليهم بصحاف من ذهب و اكواب و فيها ما تشتهيه الأنفس و تلّذ الاعين و انتم فيها خالدون * و تلك الجنّة الّتى اورثتموها بما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهة كثيرةٌ منها تأكلون﴾.[٢]

﴿مثل الجنّة الّتي وعد المتقّون فيها أنهار من ماء غير اسن و انهار من لبن لم يتغيّر طعمه و انهار من خمر لذّة للشاربين و انهار من عسل مصفى و لهم فيها من كلّ الثمرات و مغفرة من ربّهم كمن هو خالد في النار و سقوا ماء حميماً فقطع امعاءهم﴾.[٣]

﴿انّ المتّقين في جناب و نهر * في معقد صدق عند مليك مقتدر﴾[٤]

﴿و اصحاب الميمين ما اصحاب الميمن * في سدر مخضود * و طلح منضود * و ظلّ ممدود * و ماء مسكوب * و فاكهة كثيرة * لا مقطوعة و لا ممنوعة * و فرش مرفوعة * انا انشأنا هن انشاءً * فجعلنا هن ابكاراً * عرباً اتراباً﴾.[٥]

﴿يا ايتها النّفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضيّة * فادخلى في عبادى * و ادخلى جنّتى﴾.[٦]

﴿فقلت استغفروا ربّكم انّه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * و يمددكم باموال و بنين و يجعل لكم جنّات و يجعل لكم انهاراً﴾.[٧]

﴿من عمل صالحاً من ذكر او انثى و هو مؤمن فلنحيينّه حيوة طيبة و لنجزيّنهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾.[٨]

١ـ الصّافّات / ٣٩ـ ٤٩.　٢ـ الزّخرف / ٦٩ـ ٧٣.

٣ـ محمّد / ١٥.　٤ـ القمر / ٥٤ و ٥٥.　٥ـ الواقعة / ٢٧ـ ٣٧.　٦ـ الفجر / ٢٧ـ ٣٠.

٧ـ نوح / ١٠ـ ١٢.　٨ـ النّحل / ٦٧.

﴿ولو ان اهل القرى امنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الارض ولكن كذبّوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون﴾.[۱]

٦ـ الحبّ لله تعالى:

هذا الطّريق أفضل الطّرق و لا شيءا عظم و اجلى منه و إليه يرجع الأمر كلّه فلذا اهتمّ به القرآن و همّ اهل القلوب و جهدهم لنفسهم و لتلاميذهم ليس إلّا لترسيخ هذا الامر الهامّ و غرس هذه الشّجرة الطّيّبة في القلوب. و السّرّ في ذلك انّ هذا النّور لو نوّر القلب فيزيل عنه كلّ ظلمة، و هذا النّور الّذي هو اشرف من كلّ ملك لو ورد القلب فيخرج عنه كلّ شيطان. و البحث عنه يحتاج إلى افراد كتاب و نرجو التّوفيق في ذلك و لو وفّقنا الله تعالى له نجعله من مجلّدات هذا الاثر، ولكنّا نبحث عنه الآن على سبيل الاجمال.

و يقع البحث عنه في قسمين:

القسم الأوّل ـ في تحصيله و هو و ان كان من الله تعالى إلّا انّ له مقدّمات و تمهيدات علينا أن نمهّدها.

الف ـ التّدبّر في اسمائه الحسنى و صفاته العليا و هوا عظم الطّرق فلذا يترائي من القرآن و الرّوايات و الادعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام الاهتمام بذكر اسمائه الحسنى و صفاته العليا.

و يكفيك في ذلك اوّل سورة الحديد و آخر سورة الحشر، و التّدبّر في تلك الآيات يوجد الحبّ في القلب قهراً لانّ الإنسان طالب الحُسن و يطلب الحَسَن و يحبّ الحُسن و يحبّ الحَسَن بالفطرة، فاذا عرف الذّات الجامع للصّفات الحسنى و لقّن نفسه معانيها و

۱ـ الاعراف / ٩٦.

رسّخها في قلبه تولدت محبّة ذلك الذات فيها.

و من فوائد قراءة القرآن و التّدبّر فيه و قراءة الادعية سيّما الايات الواردة في ذلك كآياتٍ أشرنا إليها وكدعاء المباهلة الّذي اشتهر بدعاء السّحر هو تحقّق هذا الحبّ. فينبغي أن نكتب تلك الايات هيهنا، و عليك بتلاوة دعاء المباهلة في مختلف الاوقات فضلاً عن اسحار ليالي رمضان المبارك.

قال الله تعالى: ﴿سبّح لله ما في السّموات و الارض و هو العزيز الحكيم * له ملك السّموات و الارض يحيي و يميت و هو على كلّ شيء قدير * هو الأوّل و الاخر و الظّاهر و الباطن و هو بكلّ شيء عليم * هو الّذي خلق السّموات و الارض في ستّة ايّام ثمّ استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض و ما يخرج منها و ما ينزل من السّماء و ما يعرج فيها و هو معكم اين ما كنتم و الله بما تعملون بصير * له ملك السّموات و الارض و إلى الله ترجع الأمور* يولج اللّيل في النّهار و يولج النّهار في اللّيل و هو عليم بذات الصّدور﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿هو الله الّذي لا اله إلّا هو عالم الغيب و الشّهادة هو الرّحمن الرّحيم * هو الله الّذي لا اله إلّا هو الملك القدّوس السّلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر سبحان الله عمّا يشركون * هو الله الخالق البارئ المصوّر له الاسماء الحسنى يسبّح له ما في السموات و الارض و هو العزيز الحكيم﴾.[٢]

ب ـ انّه محسن منعم على عباده بل على عوالم الوجود بشراشرها في الدّنيا و الآخرة من غير استحقاقٍ منها.

قال تعالى: ﴿ألم تروا انّ الله سخّر لكم ما في السّموات و ما في الارض و اسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة﴾.[٣]

---

١ ـ الحديد / ١ ـ ٦. ٢ ـ الحشر / ٢٢ ـ ٢٤. ٣ ـ لقمان / ٢٠.

و قال تعالى: ﴿**فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاء بما كانوا يعملون**﴾.[١]

و نظير الايتين في القرآن كثير فهو يعطى العباد في الدّارين النّعم الّتي لا يمكن احصائها، قال تعالى: ﴿**و ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾.[٢]

ج ـ انّه يقبل التّوبة عن عباده حتّى قال تعالى: ﴿**قل يا عبادي الّذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة انّ الله يغفر الذّنوب جميعاً**﴾.[٣]

بل و عد الله ان يبدّل السّيّئات بالحسنات فقال: ﴿**إلّا من تاب و امن و عمل عملاً صالحاً فاولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات**﴾.[٤]

فالعبد مع استحقاقة العقوبة عقلاً يغفر الله له الذّنوب تفضّلاً بل يفرح من توبة عبده حتّى يبدّل السّيّئة حسنة.

د ـ المداومة على قراءة الدّعاء و القرآن، لانّهما مكالمة. فالدّعاء تكلّم العبد ربّه و القرآن بالعكس يعني مكالمة الرّب عبده. فلذا اطلق على الأوّل الكلام الصّاعد و على الثّاني الكلام النّازل.

و المكالمة توجب المحبّة و لعلّ من أسباب تأكيد القرآن عليهما يكون هو تحقّق هذا الامر اي ايجاد المحبّة من العبد لله تعالى.

و بعض آي الذّكر يعد فريداً من جهة التأكيد و التّلطّف. و قوله تعالى: ﴿**و إذا سئلك عبادى عنّى فانّى قريب اجيب دعوة الدّاع إذا دعان فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلّهم يرشدون**﴾[٥] يكون كذلك من حيث التأكيد و التّلطّف، و ضمير المتكلّم الّذي علامة التّلطّف كرّر في هذه الآية ثمان مرّات.

فالامر بالدّعاء مع هذه التأكيدات و التّلطّفات يدلّ على فوائد الدّعاء الّتي منها تكوين

---

١ ـ السّجدة / ١٧. ٢ ـ ابراهيم / ٣٤. ٣ ـ الزّمر / ٥٣. ٤ ـ الفرقان / ٧٠.

٥ ـ البقرة / ١٨٦.

الحبّ في نفس القاريء.

و قوله تعالى: ﴿فاقرءوا ما تيسّر من القران علم ان سيكون منكم مرضى و اخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله و اخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسّر منه﴾.[١] الّذي ينحصر في القرآن من جهة التأكيد الخاصّ يدلّ على انّ قرائة القرآن أمرٌ هامّ و مطلوب و من نتائجه ايجاد المحبّة.

هـ ـ الصلوة، و تاكيد الاسلام عليها على ما عبّر عنه الذكر بقوله: ﴿فويل للمصلّين الّذين هم عن صلوتهم ساهون﴾.[٢]

و قال: ﴿فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصّلوة و اتّبعوا الشّهوات فسوف يلقون غيّاً﴾.[٣]

ثم أمر بإعادتها في كلّ يوم ليلة فقال: ﴿أقم الصّلوة لدلوك الشّمس إلى غسق اللّيل و قران الفجر انّ قران الفجر كان مشهوداً﴾.[٤]

و أمر ايضاً بالقيام بالمقدور من نوافلها، قال الصّادق عليه السلام: «.... قال: ماا علم شيئاً بعد المعرفة افضل من هذه الصّلوة»[٥] و نظيره كثير في ذلك الباب.

و أمر ايضاً بالاستعانة بها فقال: ﴿و استعينوا بالصّبر و الصّلوة﴾.[٦]

عند أهل القلوب تكون الصّلوة سيراً إلى الله تعالى و في الله تعالى و من الله تعالى، فهي معراج. فبالتّكبير يسير إلى الله تعالى، و سرّه و معناه استصغار كلّ شيء والاعراض عنه و الالتفات التامّ إليه تعالى. و بالقرائة يكون مع الله تعالى، فبقراءته يسمع كلام الله تعالى، و باذكاره يتكلّم مع الله تعالى. فيكون من اوّل الصّلوة إلى اخرها باقواله و افعاله سير في الله تعالى. فبالسّلام يرجع من الله إلى غيره تعالى. مريداً في ذلك السّير ـ أي: السّير من الله إلى

---

١ ـ المزّمّل / ٢٠. ٢ ـ الماعون / ٤ و ٥. ٣ ـ مريم / ٥٩. ٤ ـ الاسراء / ٧٨.

٥ ـ وسائل الشيعة، ج ٣، باب ١٠ من ابواب اعداد الفرائض، ص ٢٥، ح ١. ٦ ـ البقرة / ٤٥.

الخلق و في الخلق ـ السّلم و الامان لنفسه من الخلق من الجنّة و النّاس و من الحجب سيّما الظّلمانيّة منها و لغيره من رذائل نفسه.

و بعبارةٍ أخرى يكون السّلام سدّاً عن رجوعه من الوحدة إلى الكثرة، فيريد السّلم و الامان من تلك الكثرات و شرورها النّاشئة من نفسه لغيره او لغيره من نفسه.

هذا غيض من فيض هذا المبحث العظيم، فنرجو ان يوفقّنا الله تعالى ان نفرد مجلّداً من مجلّدات هذا الكتاب بأسرار العبادات ان شاء الله تعالى.

و جملة القول هذه الصّلوة سرّ من اسرار الله و ليست نعمة اعظم منها و من يأت بها مع ادابها و التّوجّه إلى اسرارها يؤته الله ما هو اعظم منها و هو حبّه الّذي هو علّة لكلّ عبادة. قال تعالى: ﴿انّنى انا الله لا اله إلّا انا فاعبدنى و اقم الصّلوة لذكرى﴾.[1]

و ـ الخلوة مع الله تعالى. هذه الخلوة من آمال المحبّين و هي طريق إلى ايجاد الحبّ و للمحبّين طريق إلى تشديدها و ليست لذّة لهم الذّ من هذه الثّمرة، فطوبى لهم ولله درّ من أنشد:

هنيئاً لأرباب النّعيم نعيمهم ... و للعاشق المسكين ما يتجرّع

و القرآن وعد للمصلّي فيها المقام المحمود و قال: ﴿و من اللّيل فتهجّد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربّك مقاماً محموداً﴾.[2]

و من المصاديق التامّة للمقام المحمود هو الحبّ لله تعالى، بل لأهل القلوب لا مصداق له سواها، لانّ الذّ اللّذّات للمحبّين مناجاتهم مع الله تعالى و تكلّمهم اياه، و الذّ منها تكلّم المحبوب معهم، و الذّ منها الخلوة معه، و الذّ منها دعوة المحبوب عنهم و توجّهه إليهم و اظهار الحبّ لكلامهم.

و هذه كلّها موجودة في صلوة اللّيل، لانّها مناجاتهم معه و مكالمته اياهم و الخلوة معه

---

١ ـ طه / ١٤. ٢ ـ الاسراء / ٧٩.

و توجّهه إليهم و دعوته ايّاهم و اظهار المحبّة لتلك الصّلوة.

ز ـ الاهتمام بالواجبات و المندوبات و الاجتناب عن المحرّمات و المكروهات و المشتبهات، في رواية معتبرة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لمّا اسرى بالنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال يا ربّ ما حال المؤمن عندك؟ قال:.... و ما يتقرّب الىّ عبد من عبادى بشيءٍ احبّ الىّ ممّا افترضت عليه و انّه ليتقرّب الىّ بالنّافلة حتّى احبّه فاذا احببته كنت إذاً سمعه الّذي يسمع به و بصره الّذي يبصر به و لسانه الّذي ينطق به و يده الّتي يبطش بها ان دعاني اجبته و ان سألني اعطيته».[١]

و للعلّامة المجلسي في مرآت العقول في ذيل هذه الرّواية الشّريفة كلامٌ في غاية الحسن، و نقل كلاماً من نصير الملّة و الدّين الطوسي و هو ايضاً ما أحسنه، فينبغي ذكر الكلامين.

قال: «انّ العارف لمّا تخلّى عن شهواته و ارادته و تجلّى محبّة الحقّ على عقله و روحه و مشاعره و فوّض جميع اموره إليه و سلّم و رضى بكلّ ما قضى ربّه عليه يصير الرّبّ سبحانه متصرّفاً في عقله و قلبه و قواه و يدبّر اموره على ما يحبّه و يرضاه، فيريد الاشياء بمشيّة مولاه كما قال سبحانه مخاطباً لهم: ﴿و ما تشاؤون إلّا ان يشاء الله﴾.[٢] و كما ورد في تأويل هذه الآية في غوامض الاخبار عن معادن الحكم و الاسرار و الائمّة الاخيار.

و روى عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرّحمن يقلبّها كيف يشاء».[٣]

و كذلك يتصرّف ربّه الاعلى منه على سائر الجوارح و القوى كما قال سبحانه مخاطباً لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿و ما رميت إذا رميت ولكن الله رمى﴾[٤] و قال تعالى: ﴿انّ الّذين

---

١ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب من اذى المسلمين، ص ٣٥٢.

٢ ـ الإنسان / ٣٠.

٣ ـ مراة العقول، ج ١٠، باب من اذى المسلمين، ص ٣٩٣.

٤ ـ الانفال / ١٧.

يبايعونك انّما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم﴾.[١]

فلذلك صارت طاعتهم طاعة الله و معصيتهم معصية الله فاتّضح بذلك معنى قوله تعالى: ﴿كنت سمعه الّذي يسمع به﴾. و هكذا سائر المشاعر يدرك بنوره و يتيسّر بتيسره و تدبيره، كما قال سبحانه ﴿فسنيسّره لليسرى﴾[٢][٣]

و قال المحقّق الطّوسی قدّس سرّه: «انّ العارف إذا انقطع عن نفسه و اتّصل بالحقّ رأى كلّ قدرة مستغرقة في قدرته المتعلّقة بجميع المقدورات، و كلّ علم مستغرق في علمه الّذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات، و كلّ ارادة مستغرقة في ارادته الّتي لا يتأبّى عنها شيء من الممكنات، بل كلّ وجود و كلّ كمال وجود صادر عنه فائض من لدنه، فصار الحق حينئذٍ بصره الّذي يبصر به و سمعه الّذي يسمع به و قدرته الّتي بها يفعل و علمه الّذي به يعلم وجوده الّذي به يجود فصار العارف حينئذٍ متخلّقاً باخلاق الله في الحقيقة».[٤]

هذه نبذة من القسم الاوّل.

القسم الثّاني ـ في تبيين فوائد هذه النّعمة العظمى الّتي هي من اعظم النّعم، و لولا فائدة تترتّب عليها اصلاً يكفي في فضلها وجودها و نفسها، لأنّها الذّ الاشياء و قرّة عين العارفين، بها ينعم المقرّبون في الدّارين و ليست لهم نعمة سواها فهنيئاً لهم، فبها يسكرون يوم القيمة إلى الابد و بها يستكملون هناك و سيرهم من الحقّ في الحقّ هناك. بل في هذه الدّنيا ايضاً بتلك الشّجرة الطيّبة الاتي ّصلها ثابت وفرعها في السّماء تؤتى اكلها كلّ حين باذن ربّها.

قلم اينجا رسيد و سر بشكست، ما نحن و هذه المباحث؟ ما لنا و لهذه المسطورات الشامخة؟ فانّا لسنا لائقين لكتابتها و كانت من باب الإعادة فقط، فهي أسرارٌ تختصّ بأهل

---

١ ـ الفتح / ١٠.　　٢ ـ اللّيل / ٧.

٣ ـ مراة العقول، ج ١٠، باب من اذى المسلمين، ص ٣٩٣ و ٣٩٤.

٤ ـ مراة العقول، ج ١٠، باب من اذى المسلمين، ص ٣٩٥.

اللّه تعالى

الهى انت تعلم انّا نحبّ هذه الاسرار و نلتذّ بمذاكرتها و ان كنّا من الاغيار فنسئلك بحق اشرف العارفين محمّد و آله الطّاهرين صلواتك عليهم اجمعين ان تذيقنا قطرة من ذلك الماء المعين.

فالاليق بحالنا و كتابنا حالياً ان نذكر بعض فوائد تلك النّعمة اللّطيفة:

١ ـ يحرق بها جميع الرّذائل و هي تقلع عروقها و تغرس في القلب شّجرة الفضائل الطّيّبة مع اغصانها.

قال تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾.[١]

فهذه الآية تدل على انّ حبّ الله إذا اريق في القلب يزيل محبّة ما سواه، فليس في القلب غيره ديّار حتّى غير الرّذائل فضلاً عنها.

و بهذا التّقريب يقرب قوله تعالى: ﴿و من النّاس من يتّخذ من دون الله انداداً يحبّونهم كحبّ الله و الّذين امنوا اشدّ حبّاً لله﴾.[٢]

٢ ـ حصول مقام الذكر على الدوام و هو من أفضل النّعم، لانّه تعالى وعد في كتابه ان يرفع صاحب هذه النّعمة.

قال تعالى: ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الاصال رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾.[٣]

فهو يرى نفسه دائماً بحضرة الحقّ تعالى. و حصول هذا المقام ممّا لابدّ منه لمن يريد السلوك نحو جنابه تعالى و للّه درّ من أنشد:

خيالك في عيني و ذكرك في فمي   و مثواك في قلبي فاين تغيب[٤]

---

١ ـ الاحزاب / ٤.   ٢ ـ البقرة / ١٦٥.   ٣ ـ النّور / ٣٦.

٤ ـ الفتوحات المكيه ٢ / ٣٢٥.

٣ ـ لو كان ذلك الحبّ شديداً فلا تصدر من صاحبه معصية، و المخالفة و المحبّة ضدّان لا يجتمعان. ولله درّ القائل:

تعصى الإله و انت تظهر حبّه	هذا لَعمري في الفعال بديع
لو كان حبّك صادقاً لأطعته	انّ المحبّ لمن يحبّ مطيع[1]

٤ ـ ليس لصاحبه شيء الذّ من العبادة، بدنيّة كانت او ماليّة، قال تعالى: ﴿انّما يؤمن باياتنا الّذين إذا ذكّروا بها خرّوا سجّداً و سبّحوا بحمد ربّهم و هم لا يستكبرون * تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً و ممّا رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة اعين جزاء بما كانوا يعملون﴾.[2]

٥ ـ حصول الخلوص له الّذي يكون من أفضل الفضائل و له قدر و منزلة عند أهله، و كلّ عمل يقبل به، فما لا يتصبّغ بصبغه لاقيمة و لا ثمن له و لو كان بحسب الظّاهر عظيماً، و لو لم تكن فائدة للحبّ غير هذه الفائدة ليكفيك اهتماماً بشأنها.

و حيث انّ الحبّ مقولٌ بالتّشكيك و له مراتب حتّى عدّت ازيد من العشرة، و عدّ العشق المشتهر بين العارفين من ثالث المراتب، فمراتب الخلوص ايضاً كذلك. فكلّما زادت المحبّة زاد الخلوص حتّى يصل صاحبه إلى مقامٍ يصحّ فيه ان يدّعى: ما عبدتك خوفاً من نارك و لا طمعاً في جنّتك بل وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك.

٦ ـ حصول مقام التّسليم و الرّضا له. و هذا المقام ايضاً من مقولة التّشكيك فيزداد بازدياد الحبّ حتّى يصل الإنسان إلى مرتبةٍ لا يرى البلاء بلاءً، بل يراها من الطاف الحقّ خفيّة او جليّة، بل اللّطف الخفيّ له الذّ من اللّطف الجليّ. ولله درّ القائل:

بجهان خرّم از آنم كه جهان خرّم از اوست   عاشقم بر همه عالم كه همه عالم از اوست
بارادت بخورم زهر كه شاهد ساقى است   بارادت بكشم درد كه درمان هم از اوست

---

١ ـ أمالي الصدوق: ٥٧٨، حديث ٧٩٠.
٢ ـ السّجدة / ١٥ ـ ١٧.

و لقد أحسن من أنشد:

اگر بر ديدهٔ مجنون نشينى بجز زيبائى ليلى نبينى

نقل انّ السيّدة زينب عليهاالسلام عقيلة بني‌هاشمٍ قالت لأبن زياد في ذلك المجلس الّذي يشقّق يشقّق و يذوب فيه القلب: «ما رأيت إلّا جميلاً».[۱]

۷ـ يرى عمله ولو كان عظيماً بحسب الظاهر قليلاً بحسب الواقع فيكون خجلاً دائماً و يرى ذلك العمل غير لائق لساحة المحبوب، ولكن ما يرى من المحبوب من لطف ولو كان قليلاً بحسب الظاهر في غاية العظمة بحسب الواقع فبه يكون خجلاً دائماً ايضاً.

كما انّه لو صدرت عنه معصية ولو كانت من التّنزيهيّات او الارشاديّات و لم تكن من المحرّمات يراها عظيماً، بل يرى الالتفات إلى غير المحبوب من الكبائر فيبكي عليه بكاءً و يستغفر مراراً.

و هذا هو السّرّ في بكاء النّبيّ و الائمّة عليهم‌السلام و نسبتهم المعاصي إلى أنفسهم. نعم التّوجّه غير الله منهم من أكبر الكبائر لهم عند من ذاق حلاوة المحبّة. فلذا حلّ هذه الغوامض العرفانيّة و المعارف الاسلاميّة لأهل القلوب في غاية السّهولة و ليس عليهم صعب اصلاً.

۸ ـ تحصيل محبّة خلق الله، لانّ من احبّ شيئاً احبّ آثاره، و لقد روينا قبل هذا قول من قال:

بجهان خرّم از آنهم كه جهان خرّم از اوست عاشقم بر همه عالم كه همه عالم از اوست

و نظير هذا شعراً و نثراً، عربيّاً و عجميّاً كثير في كلمات المحبّين و أجود من أقوالهم الأعمال النّاشئة منهم.

قال تعالى: ﴿و يطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً و يتيماً و اسيراً * انّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً و لا شكوراً﴾.[۲]

---

۱ ـ مقتل مقرّم، خطبة زينب عليهاالسلام.

۲ ـ الإنسان / ۸ و ۹.

٩ ـ حصول كثير من الحالات العرفانيّة الّتي الفوز بواحدٍ منها يُعدّ فوزاً عظيماً، كحال الخضوع و الخشوع و التفكّر و التّدبّر و العبادة و الدّعاء و الانابة، لانّ المحبّ له أن يدّعى و يقول: «الرّكعتان في جوف اللّيل احبّ اليّ من الدّنيا و ما فيها».[١] و يقول: «و الله لوا عطيت الاقاليم السّبعة بما تحت افلاكها على انا اعصى الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته».[٢]

١٠ ـ يكون قلبه عرش الرّحمن فيحكم عليه الرّحمن لا سواه، و هذا اوّل مراتب اللّقاء.

قال سيّد شهداء الأوّلين و الآخرين الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: «انت الّذي ازلت الاغيار عن قلوب احبّائك حتّى لم يحبّوا سواك و لم يلجئوا إلى غيرك».[٣]

هذه عشرة كاملة و هذه باب يفتح عنه الف باب و عين يفجر عنها الف عين.

فكلّ من هذه العشرة يترتّب عليه آثار في الدّنيا و الاخرة رزقنا الله تعالى و ايّاكم جرعة من ذلك الشّراب المعين.

و نحن في ذيل البحث نذكر آيات و روايات و ادعيةً و اقوالاً.

---

١ ـ وسائل الشيعة، ج ٥، باب ٣٩ من ابواب بقيّة الصلوات المندوبة، ص ٢٧٦، ح ٣١.

٢ ـ نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

٣ ـ بحار الانوار، ٩٨ / ٢٢٦.

آيات في حبّ الله

﴿ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.[1]

﴿و من النّاس من يتخذّ من دون الله انداداً يحبّونهم كحب الله و الّذين امنوا اشدّ حباً لله﴾.[2]

﴿قل ان كان اباؤكم و بناؤكم و اخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و اموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها احبّ اليكم من الله و رسوله و جهاد في سبيله فتربّصوا حتّى يأتى الله بامره و الله لا يهدى القوم الفاسقين﴾.[3]

---

١ ـ يونس / ٩٢. ٢ ـ البقرة / ١٦٥. ٣ ـ التّوبة / ٢٤.

روايات في حبّ الله

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان فيما ناجى الله عزّوجلّ به موسى بن عمران عليه السلام ان قال له: يابن عمران كذب من زعم انه يحبّني فاذا جنّه الليل نام عنّي، اليس كلّ محبّ يحب خلوة حبيبه؟ ها انا ذا يا ابن عمران مطلع على احبائى إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم و مثلت عقوبتي بين اعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة و يكلّموني عن الحضور، يابن عمران هب لي من قلبك الخشوع و من بدنك الخضوع و من عينك الدموع في ظلم الليل و ادعني فانّك تجدني قريباً مجيباً».[١]

عمّن سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول: ما احبّ عزّوجلّ من عصاه ثمّ تمثّل فقال:

تعصى الاله و انت تظهر حبّه — هذا محال في الفعال بديع

لو كان حبّك صادقاً لا طعته — ان المحبّ لمن يحب مطيع[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «انّ العباد ثلاثه: قوم عبدوا الله عزّوجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد. و قوم عبدوا الله تبارك و تعالى طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء. و قوم عبدوا الله عزّوجلّ حبّا له فتلك عبادة الاحرار و هي أفضل العبادة».[٣]

روى الحسين بن سيف قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: «لا يمحض رجل الايمان بالله

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٣، ح ٢، (ص ١٤).   ٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٣، ح ٣، (ص ١٥).

٣ ـ اصول الكافى، ج ٢، ح ٥، (ص ٨٤).

حتّى يكون الله احبّ إليه من نفسه و أبيه و امّه و ولده و أهله و ماله و من النّاس كلّهم».[۱]

قال الصادق عليه السلام: «القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله».[۲]

عن الرضا عن بائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أوحى الله ـ عزّ و جلّ ـ إلى نجيّه موسى: «احببنى و حبّبنى إلى خلق ! قال يا ربّ هذا احتك فكيف احببك إلى خلقك؟ قال: اذكر لهم نعماى عليهم و بلاى عندهم فانّهم لا يذكرون اولا يعرفون منّى إلّا كلّ الخير».[۳]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله: «ما تحبّب الىّ عبدى بشيءٍ احبّ الىّ ممّا افترضته عليه، و انه ليتحبّب الىّ بالنافلة حتّى احبّه، فاذا احببته كنت سمعه الّذي يسمع به و بصره الّذي يبصر به و لسانه الّذي ينطق به و يده الّتي يبطش بها و رجله الّتي يمشى بها، إذا دعاني اجبته و إذا سئلني اعطيته».[٤]

قال الصادق عليه السلام: «حبّ الله إذا اضاء على سرّ عبدا خلاه عن كلّ شاغل و كلّ ذكر سوى الله عند ظلمة، و المحبّ اخلص النّاس سراً لله و اصدقهم قولاً و اوفاهم عهداً و ازكاهم عملاً و اصفاهم ذكراً و اعبدهم نفساً، تتباهى الملائكة عند مناجاته و تفتخر برؤيته، و به يعمر الله تعالى بلاده، و بكرامته يكرم عباده، يعطيهم إذا سئلوا بحقّه، و يدفع عنهم البلايا برحمته، فلو علم الخلق ما محلّه عند الله و منزلته لديه ما تقربوا إلى الله إلّا بتراب قدميه».[٥]

في أخبار داود عليه السلام: «يا داود ابلغ أهل ارضي اني حبيب من احبّني و جليس من

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب ٤۳، ح ۲۵، (ص ۲٤).

۲ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب ٤۳، ح ۲۷، (ص ۲۵).

۳ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب ٤۳، ح ۱۲، (ص ۱۸).

٤ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب ٤۳، ح ۲۱، (ص ۲۲).

۵ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب ٤۳، ح ۲۳، (ص ۲۳).

جالسني و مونس لمن أنس بذكري و صاحب لمن صاحبني و مختار لمن اختارني و مطيع لمن اطاعني، ما احبّني احدا علم ذلك يقيناً من قلبه إلّا قبلته لنفسى و احببته حباً لا يتقدّمه احد من خلقي، من طلبني بالحق و جدني و من طلب غيري لم يجدني.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «بكى شعيب من حبّ الله عزّوجلّ حتّى عمى فرد الله عزّوجلّ عليه بصره، ثم بكى حتّى عمى فرّد الله عليه بصره، فلمّا كانت الرابعة أوحى الله إليه يا شعيب إلى متى يكون هذا؟ ابداً منك؟ ان يكن هذا خوفاً من النار فقد اجرتك، و ان يكن شوقاً جنّتك ولكن عقد حبّك على قلبي فلست اصبر اواراك، فاوحى الله جلّ جلاله إليه امّا إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا ساخدمك كليمى موسى بن عمران».[۱]

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۱۲، باب قصص شعيب، ح ۱، (ص ۳۸۰).

ادعية في حبّ الله

«الهى و سيّدي و مولاي و ربّي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقک».[1]

«و اجعل لساني بذكرك لهجاً و قلبي بحبّك متّيماً».[2]

«يا مولاي بذكرك عاش قلبي و بمناجاتك برّدت الم الخوف عنّي».[3]

«لأن ادخلتني النّار لأُخبرنّ أهل النار بحبّي لك».[4]

«اللّهم اني أسئلك ان تملأ قلبي حُبّاً لك .... و شوقاً اليك».[5]

«الهى هب لي كمال الانقطاع اليك و أَنِرْ أبصار قلوبنا بضياء نظرها اليك حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النّور فتصل إلى معدن العظمة و تصير أرواحنا معلقّة بعزّ قدسك».[6]

«أنت الّذي اشرقت الانوار في قلوب اوليائك حتّى عرفوك و وحّدوك و انت الّذي اَزَلْت الاغيار عن قلوب احبّائك حتّى لم يحبّوا سواك و لم يلجئوا إلى غيرك انت المونس لهم حيث اوحشتهم العوالم و انت الّذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم ماذا وجد من فقدك و ما الّذي فقد من وجدك».[7]

---

١ ـ مفاتيح الجنان، دعاء كميل.

٢ ـ مفاتيح الجنان، دعاء كميل.

٣ ـ مفاتيح الجنان، دعاء ابى حمزة.

٤ ـ مفاتيح الجنان، دعاء ابى حمزة.

٥ ـ مفاتيح الجنان، دعاء ابى حمزة.

٦ ـ مفاتيح الجنان، مناجات شعبانيّة.

٧ ـ مفاتيح الجنان، دعاء عرفة.

«لقد خاب من رضى دونك بدلاً و لقد خسر من بغى عنك محتوّلاً، كيف يرجى سواك و انت ما قطعت الاحسان و كيف يطلب من غيرك و انت ما بدّلت عادة الامتنان يا من أذاق احبّائه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملّقين».(۱)

«اللّهم ان قلوب المخبتين اليك و الهة و سبل الرّاغبين اليك شارعة و اعلام القاصدين اليك واضحة و افئدة العارفين منك فازعة».(۲)

«الهي من ذالّذي ذاق حلاوة محبّتك فرام منك بدلاً و من ذالّذي أنس بقربك فابتغى عنك حِوَلاً الهي فاجعلنا ممّن اصطفيته لقربك و ولايتك و اخلصته لودّك و محبّتك و شوّقته لقائك....

اللّهم اجلعنا ممّن .... قلوبهم متعلّقة بمحبّتك و افئدتهم منخلعة من مهابتك يا من انوار قدسه لأبصار محبّيه رائقة و سُبُحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة يا منى قلوب المشتاقين و يا غاية آمال المحبيّن اسئلك حبّك و حبّ من يحبّك و حبّ كلّ عمل يوصلنى إلى قربك و ان تجعلك احبّ الىّ ممّا سواك و ان تجعل حبّي ايّاك قائداً إلى رضوانك و شوقي اليك زائداً عن عصيانك».(۳)

۱ـ مفاتيح الجنان، دعاء عرفة. ۲ـ مفاتيح الجنان، زيارت امين الله.

۳ـ مفاتيح الجنان، مناجات المحبيّن.

اقوال في حبّ الله

١ ـ اعلم انّ الامّة مجمعة على انّ الحبّ لله عزّوجلّ و لرسوله فرض، ولن يفترض ما لا وجود له، و كيف يفسّر الحبّ بالطّاعة و الطّاعة تبغ الحبّ و ثمرته، فلابدّ ان يتقدم الحبّ ثمّ بعد ذلك يطيع من احبّ، فمن شواهد الشّرع في حبّ الله عزّوجلّ قوله: ﴿يحبّهم و يحبّونه﴾ و قوله تعالى: ﴿و الّذين آمنوا اشدّ حبّاً لله﴾. و هو دليل على اثبات الحبّ لله و اثبات التّفاوت فيه. و قد جعل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم الحبّ لله من شروط الايمان في أخبار كثيرة إذ قال ابو رزين العقيلي: «يا رسول الله ما الايمان؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: ان يكون الله و رسوله احبّ اليك ممّا سواهما» و في حديث اخر: «لا يؤمن احدكم حتّى يكون الله و رسوله احبّ إليه ممّا سواهما» و في حديث اخر: «لا يؤمن العبد حتّى اكون احبّ إليه من ماله و اهله و النّاس اجمعين» و في رواية «و من نفسه».[١]

٢ ـ و انّ من احبّ غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله و قصوره و في معرفة الله تعالى. و حبّ الرّسول محمود، لأنه عين حبّ الله و كذا حبّ العلماء و الاتقياء، لأنّ محبوب المحبوب محبوب، و رسول المحبوب محبوب، و محبّ المحبوب محبوب، و كلّ ذلك يرجع إلى حبّ الاصل فلا يجاوزه إلى غيره. فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر إلّا الله و لا مستحق للمحبّة سواه.[٢]

---

١ ـ المحجة البيضاء، ج ٨، ص ٤.

٢ ـ المحجة البيضاء، ج ٨، ص ١٦.

۳ ـ و هذه المحبّة (الشهود التّام) نهاية درجات العشق و غاية الكمال المتصوّرة لنوع الإنسان و ذروة مقامات الواصلين و غاية مراتب الكاملين، فما بعدها مقام إلّا و هو ثمرة من ثمراتها كالانس و الرّضا و التوحيد، و لا قبلها مقام إلّا و هو مقدمة من مقدماتها كالصبر و الزهد و سائر المقامات. و هذا العشق هو الّذي افرط العرفاء و ارباب الذوق في مدحه و بالغوا في الثناء عليه .... و صراحوا بانّه غاية الاتحاد و الكمال المطلق و لا كمال إلّا هو و لا سعادة إلّا به.[١]

٤ ـ و امّا السبب الأوّل اعنى محبة النّفس فمعلوم ان وجود كلّ احد فرع لوجود ربّه و ظلّ له و لا وجود له من ذاته بل هو من حيث ذاته ليس محض و عدم صرف، فوجوده و دوام وجوده و كمال وجوده من الله و بالله و إلى الله، فهو الموجد المخترع له و هو المبق له و هو المكمل لوجوده.... فهو صرف العدم لولا فضل الله عليه.... فليس في الوجود شيء له قوام بنفسه إلّا القيوم المطلق الّذي هو قائم بذاته.... و كيف يتصوّر ان يحب الإنسان نفسه و لا يحبّ ربّه الّذي به قوام نفسه؟ مع انّ من احبّ الظّل احبّ بالضّرورة الاشجار الّتي بها قوام الظّل.... و كلّ ما في الوجود بالاضافة إلى قدرة الله تعالى كالظّل بالاضافة إلى الشّجر.... إذا الكلّ من آثار قدرته وجوده تابع لوجوده....

بل هذا المثال انّما هو للتّفهمّ و بالاضافة إلى اوهام العوام حيث يتوهمّون انّ الظّل و النّور تابعان للشّخص و الشّمس.... و عند التّحقيق ليس الظّلّ و النّور اثرين للشّخص و الشّمس و موجودين بهما بل هما فايضان من الله تعالى موجودان به بعد حصول الشّرايط كما انّ اصل الشّخص و الشّمس و شكلهما و صورتهما.... منه تعالى.[٢]

٥ ـ قال السيّد ابن طاووس ﷺ في وصيته لأبنه: و اعلم انّك على التّحقيق ملكه و ما في يدك ملكه و هو احقّ بحفظ ملكه منك ولكنّه شرّفك بان جعلك اهلاً ان تودعه و تجعله

---

١ ـ جامع السعادات، ج ٣، ص ١٤٨.
٢ ـ جامع السعادات، ج ٣، ص ١٤٢.

كالوكيل لك و النّائب عندك و بلغك مقاماً جليلاً كما قال (الجدّك و سيّدك) رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم:
و اتخذوه وكيلاً.

و تذكّر كيف انت يا ولدي محمّد معطل بالنّوم عن خدمته، و هو جلّ جلاله بلسان الحال يخدمك بيد رحمته في امساك و امساك وجودك و حياتك و عافيتك و كلّما تحتاج إليه من حفظ العيال و الاموال و الامان و ترويحك في الصّيف بالهواء و تمكينك في الشّتاء من الدّفاع، و كيف يتولّى لتغيير الغذاء في الاغضاء، و كيف يحفظ سمعك و بصرك و جميع جوارحك و يتهيّئ لك النّوم جميع مصالحك و بعيد عليك كلّما ذهب بالنّوم من فوائدك و جميع فوائدك، فلو فعل هذا معلك أو بعضه بعض الادميّين أما كنت تعرف له حقّ ذلك أحسن الاعتراف، فالله جلّ جلاله احقّ ان نعامله بالانصاف.[1]

٦ ـ و از جملهٔ ابواب عظيمهٔ ايمان حبّ في الله جلّ جلاله و بغض في الله جلّ جلاله مى‌باشد، و قد عقد له في الوسائل و غيرها من كتب الاخبار باباً مستقلاً فأرجع اليها لعلّك تعرف عظمة و تأخذ لنفسك نصيباً منه. شكى نيست كه محبوب اوّل ذات اقدس كبريايى جلّ جلاله مى‌باشد، بل و كلّ محبّة لا ترجع إلى محبته فليس بشى. ثمّ بعده بايد هر كس را اين سلطان عظيم الشأن بيشتر دوست داشته باشد.

پس اوّل محبوب بعد از واجب الوجود وجود مقدّس ختمى مآب ـ صلوات الله عليه و آله ـ مى‌باشد، ثم بعد اميرالمؤمنين عليه السّلام ثمّ الائمة المعصومين عليهم السّلام ، ثمّ الانبياء و الملائكة، ثمّ الاوصياء، ثمّ العلماء و الاولياء. و در زمان خودش اتقاى زمانش را لا سيّما اگر عالم باشد ترجيح بدهد در محبّت بر كسانى كه بعد از اويند در درجه، و هكذا يتنزّل.

ولكن سعى نمايد صادق باشد در اين محبّت، مرتبهٔ آسانى نيست. اگر متفكر باشيد خواهيد فهميد كه اگر آثار محبّت در حركات و سكنات ظاهر شد شخص مدعى اين محبّت

---

١ ـ كشف المحجة لعلي بن طاووس قدّس سرّه ، فصل ١٣٨، ص ١٢٢.

صادق است و إلّا فلا. لیکن گمان ندارم به کنه و لوازمش برسی، و حقیر هم بیش از این در وسعم نیست.

الحاصل لا طریق إلی القرب إلّا بشرع شریف في کلّ کلی و جزئی، والسلام.[1]

---

۱ ـ تذکرة المتقین، ص ۲۱۳، دستور العمل آخوند ملّا حسینقلی همدانی.

القسم الأوّل من الكتاب

البحث في الفضائل و الرّذائل الأخلاقيّة

مقدّمة

المراد من الأخلاق و الاخلاقيّات

هذا هو القسم الأوّل من الكتاب و نبحث فيه عن فضائل الأخلاق و رذائله و يتلوه القسم الثّاني المشتمل على فضائل الأخلاقيّات و رذائلها.

و المراد من الأخلاق الفاضلة و الرذيلة هي فضائل الصّفات و رذائلها، و المراد من الاخلاقيّات الفاضلة و الرذيلة هي الاعمال الحسنة و الاعمال القبيحة الناشئات منها.

و تقدّم الاخلاقيّ على الاخلاقيّات، لانّ الاخلاقيّ بمنزلة المعدن و العين للاخلاقيّات، لانّ الاخلاقيّات كلّها تنبع منها قال الله تعالى: ﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾.[1]

و تقدّم الفضائل الاخلاقيّة على الرّذائل الاخلاقيّة و ان كانت طبيعة القضيّة تقتضى العكس، لانّ التخلية و قلع شجرة الرّذائل مقدّمة على التّحليه و غرس شجرة الفضائل في القلب إلّا أنّ شرف الفضائل تقتضى تقدّمها على الرذائل في الذكر.

---

١ ـ الاسراء / ٨٤.

الفصل الأوّل

الفضيلة الأولى: اليقين

الرذيلة الأولى: الريبة

الفضيلة الاولى اليقين

هو ضدّ الشّك و التّرديد و هو مرتبة من مراتب العلم.

توضيح ذلك انّ المعلومات النّظريّة غير المحسوسة قد يعتريها الشّك و التّرديد من قبل القوى الواهمة او المتخيّلة، و ان كان العقل مؤمناً بها، لما عنده من البرهان عليها، اَلا ترى انّ العقل يحكم بانّ الميّت جماد لا يضرّ و لا ينفع ولكنّ الوهم لا يقبل ذلك و التّخيل قد يصوّر ذلك الميّت متحرّكا.

فالشك و الوهم قد يتّجهان نحو المعلومات النظريّة و لا تطمئنّ النّفس اليها، كما انّ المعلومات العامّة و هي ما تكون ظنّيّة قريبة إلى العلم تكون كذلك، و ان كانت عند العموم و عرف النّاس علماً مغفولاً عند طروء الشك و الاحتمال إليه. فلذا فان الخطرات و احاديث النّفس المنافية للعقائد اليقينيّة للعموم إلّا الأوحديّ من النّاس، كثيرة الوقوع و لا تضّر بالايمان.

لكن قد يصل العلم إلى مرتبة تطمئنّ النّفس بها و يرسخ ذلك العلم في القلب، فاذاً كما انّ العقل مؤمن بالمعلوم جازم به يكون القلب ايضاً كذلك. فلا يتعرض الشكّ و الوهم لتلك الرتبة و كذلك جميع الخطرات المنافية لها.

قال الرّاغب في المفردات: «اليقين.... و هو سكون الفهم مع ثبات الحكم و قال الله تعالى: ﴿و إذ قال ابراهيم ربّ ارنى كيف تحيى الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي﴾.[١]

طريق حصول اليقين:

حصوله في غير المعنويات من العلوم الرّسميّة او العاديّة يكون بالحسّ، فكلّ علم ينتهي الحسّ و يكون مدركه الحسّ كعلمنا بامتناع اجتماع النّقيضين او الضّدين، فهو يقين و يطلق عليه في اللغة و الاصطلاح اليقين، وها هو السر في اطلاق اليقين على الموت في الذكر الحكيم مراراً عدّة، قال الله تعالى: ﴿حتّى اتانا اليقين * فما تنفعنا شفاعة الشافعين﴾[٢] كما انّ علمنا بالالام و اللّذّات الظّاهريّة و الباطنيّة كالنّوم و العطش يكون كذلك، و امّا في المعنويات كالاخلاق و الأخلاقيّات و اصول الدّين و المعارف الاسلاميّة و.... فلا يحصل إلّا باجتناب المحرمات و المكروهات و الشّبهات و المشتبهات النّفسانيّة و اتيان الاعمال الصّالحة من الواجبات و المندوبات و اولى منها الاجتناب عن الرّذائل الاخلاقيّة و تزيّن النّفس بالفضائل النفسانية.

و بالجملة طريق حصول اليقين في المعنويات ليس إلّا بالاخلاق و الأخلاقيّات و قد نبّه القرآن الكريم على ذلك في آيات، منها:

قوله تعالى: ﴿و اعبد ربّك حتّى ياتيك اليقين﴾[٣]

و قوله تعالى: ﴿ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾.[٤]

و قوله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا اتقوا الله و امنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته

---

١ ـ البقرة / ٢٦٠. ٢ ـ المدثر / ٤٧ و ٤٨. ٣ ـ الحجر / ٩٩. ٤ ـ الانفال / ٢٩.

و يجعل لكم نوراً تمشون به﴾.[١]

و قوله تعالى: ﴿او من كان ميتاً فاحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به في النّاس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾.[٢]

و قوله تعالى: ﴿الله ولى الّذين امنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النور﴾.[٣]

و قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾.[٤]

و اخيراً قال تعالى: ﴿و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور﴾.[٥]

و نظير هذه الآيات كثير و كذلك الرّوايات الواردة في هذا المعنى، و سيأتي ذكر بعضها.

و السرّ في ذلك انّ الافاضة من الله تعالى تحتاج إلى الاستعداد و القابلية، فالنّفس كلّما قربت إلى الله تعالى تتّسع وجوداً و قابليةً فالنّفس الّتي تتكرّر تكدّرت بالرذائل النّفسانيّة و العمليّة لا تليق لأن تصبح محلّ افاضته تعالى و لا معنى لكونها ظرفاً لنوره و مورداً لهدايته الخاصّة.

فبالتّخلية و التّقوى ترفع الموانع و الادران و بالتّحلية و الاعمال الصّالحة تستعدّ لاستقبال الافاضات و كلّما كانت النّفس بالرّياضات الدّينيّة اصفى و اجلى كان استعدادها و قابليّتها للافاضات الالهيّة اجلى و اتم حتّى تصل إلى مقام اللّقاء و الفناء فتكون معدن نور الله و عرصة الرّحمن فتدرك قيّوميّة الحقّ تعالى و تدلى ما سواه.

و قد روى عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: «و لولا انّ الشّياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السّموات و الارض»[٦]

و إلى هذا المقام اشار تعالى بقوله: ﴿و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السّموات و

---

١ ـ الحديد / ٢٨. ٢ ـ الانعام / ١٢٢. ٣ ـ البقرة / ٢٥٧. ٤ ـ البقرة / ٢.

٥ ـ النور / ٤٠.

٦ ـ جامع السعادات، ج ١، ص ١٢٦، فصل الأخلاق الذميمة تحجب عن المعارف.

الارض و ليكون من الموقنين﴾[۱]

و بما ذكرنا يظهر اولاً ان هذه الصفة هي من أشرف الصفات و افضلها، بل يتوقف غيرها عليها و في روايات مستفيضة انها اشرف الصفات وأعلاها. منها:

قول أبي عبدالله عليه السلام: «انّ الايمان افضل من الاسلام، و انّ اليقين افضل من الايمان، و ما من شيءٍ اعزّ من اليقين».[۲]

و ثانياً انّه ذو مراتب و له عرض عريض و في بعض الرّوايات: انّه ذو مراتب سبع، و في بعضها: انّه ذو مراتب تسع، و في بعضها انّه ذو مراتب عشرة، و في بعضها: انّه غير المتناهي مرتبة و سيأتي ذكر طائفةٍ من الرّوايات.

و بهذا الخبر يجمع بين الرّوايات فتكون السّبعة و التّسعة و العشرة من باب المثال، و إلّا فلا يمكن عدّها فكلّما يكون تقرّب العبد إلى الله تعالى ازيد يكون يقينه كذلك.

نعم انّ أهل القلوب قد وافقوا على تقسيمه إلى أقسام ثلاثة، اخذاً من القرآن الشّريف و هي علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين.

و مرادهم من علم اليقين ما يحصل من المشاهدات و الاستدلات الحسّيّة كاليقين بالموت بمشاهدة الميّت و بالنّار بالاستدلال من مشاهدة الدّخان.

و مرادهم من عين اليقين ما يحصل من رؤيته بالبصر او البصيرة كاليقين بالموت حين الاحتضار، و اليقين بالنّار حين مشاهدتها.

و مرادهم من حقّ اليقين ما يحصل من وقوعه في المتيقّن كاليقين بالموت إذا ذاقه و كاليقين بالنّار حين يلقى فيها.

ولكّل من هذه المراتب الثّلاثة مراتب كثيرة، فالمراتب غير متناهية كما مرّ.

و إلى المراتب الثّلاث اشار القرآن الكريم:

---

۱ ـ الانعام / ۷۵.

۲ ـ بحار الانوار ج ۷، باب اليقين، ص ۱۳۵، ح ۱.

﴿سنريهم اياتنا في الافاق و في أنفسهم حتّى يتبين لهم انه الحق، او لم يكف بربك انه على كلّ شيء شهيد * اَلا انّهم في مرية من لقاء ربّهم اَلا انه بكل شيء محيط﴾.[1]

فصدر الآية الاولى يشير إلى علم اليقين، و ذيلها إلى عين اليقين و الآية الثانية إلى حق اليقين.

و قال تعالى: ﴿كلّا لو تعلمون علم اليقين * لترونّ الجحيم * ثمّ لترونها عين اليقين * ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النّعيم﴾.[2]

فقوله: كلّا لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم، اشارة إلى علم اليقين، و معناه انّهم لو توجّهوا إلى الموت الّذي هو يقينيّ، لم يشغلهم التفاخر بالمال و الجاه و الاولاد و العشيرة عن الاخرة.

و قوله تعالى: ﴿ثم لترونّها عين اليقين﴾ اشارة إلى عين اليقين و معناه انهم يرون الجحيم يوم القيمة يقيناً و لفظة «ثمّ» جيئت للتّراخى و لام القسم جيء بها للتأكيد.

و قوله تعالى ﴿ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾ اشارة إلى حق اليقين و معناه انّهم في الجحيم ليسئلن عن النعم الظاهريه كالقرآن و الولاية و عن النعم الباطنيّة كالعقل و القابليّات الكمالية.

فوائد اليقين:

لليقين فوائد كثيرة و كثيرٌ من الفضائل ينبع منه و يتوقف عليه، و سيأتي تفصيله. و اجماله: ان التوكل، و تفويض الامر إليه تعالى، و اطمئنان البال و الانقطاع عن النّاس إلى الله، و التسليم لامر الله و الرضى بقضائه و قدره، بل و مثل الشجاعة و السخاء و..... ينبع منه

١ـ فصلت / ٥٣ و ٥٤. ٢ـ التّكاثر / ٥ـ ٨.

بل يتوقف عليه.

و من فوائده: حصول مقام الخضوع و الخشوع و القيام بوظائف العبوديّة.

ولكنّ الّذي يجب التّنبيه عليه و هو مهم جداً، هو ان اليقين يمنع صاحبه عن كلّ مخالفة و يرغبه إلى كلّ مثوبة، فكلما زاد اليقين زاد المنع حتّى يصل إلى حد يمنعه عن كلّ مكروه و شبهة بل عن كلّ ما يشتهيه الهوى حتّى يصل إلى درجة يعدّ فيها الالتفات إلى غير الله و الاشتغال بالمباحات محذور له و محظور عليه و يستغفر الله ربه لذلك و هذا هو علة استغفار الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما رُوي من قيامه به.

و بالجملة انه سدّ و حصن للانسان و لا سدّ غيره.

توضيح ذلك اجمالاً[1] ان الإنسان يحتاج إلى سدّ ورادع يمنعه و يردعه عن الشهوات و لولا ذلك لهلك. و جميع ما له منزلة المانعيّة و هو مما يرغّب إليه العقل و يُقرّه و يمضيه الشرع، امور:

١ ـ العقل و هو حجة باطنة و رسول من الله و وديعته الله تعالى في باطن الانسان، و هو سدّ و مانع عن الميول المحرّمة و يرغب الإنسان إلى الخيرات و العبادات و قد أمر الله تعالى في كتابه بمتابعته و الاهتداء بهداه و قد أعاد ذلك مراراً كقوله سبحانه: ﴿افلا يتفكرون﴾ و ﴿افلا يعقلون﴾، ﴿افلا يتدبرون﴾ و ... .

و بشّر الله تعالى بالجنة و الخير مَن تابعه، فقال: ﴿فبشر عباد الّذين يستمعون القول فيتّبعون احسنه اولئك الّذين هديهم الله و اولئك هم اولوا الالباب﴾.[2]

و قال تعالى نقلاً عن اهل الجحيم انّهم لم يردوا السّعير إلّا لعدم متابعتهم عن العقل ﴿و قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في اصحاب السعير﴾.[3]

---

١ ـ قد افردنا في ذلك كتاباً من مجموعة محاضراتنا بهذا الخصوص تحت عنوان عوامل ضبط الغرائز.

٢ ـ الزمر / ١٧ ـ ١٨. ٣ ـ الملك / ١٠.

٢ ـ العلم و هو الّذي يمنع صاحبه عن الرّذائل لعلمه بمفاسدها، و لكون الاتيان بالرّذائل ينافي شخصيّته الجماعيّة فلذا اشتهر عن افلاطون انه كان يقول: ان شيوع الرّذائل في مجتمع دليل على جهلهم لأنهم لو علموا مفاسدها لم يرتكبوها.

فلذا اكدّ الاسلام على التعليم و التّعلّم مراراً عديدة و قد مرّ منّا انه عدّ التعليم و التعلم في القرآن من العلل الغائيّة للتكوين و التشريع.

قال تعالى: ﴿الله الّذي خلق سبع سموات و من الارض مثلهن يتنزل الامر بينهنّ لتعلموا﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿هو الّذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلوا عليهم اياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة﴾.[٢]

٣ ـ النّفس اللّوّامة و هي هامّة حتّى أقسم بها القرآن فقال: ﴿لا اقسم بيوم القيمة و لا اقسم بالنّفس اللّوامة﴾.[٣] و جعلها تلو يوم القيمة، لانّها مثله في الحكم فكما انّ يوم القيمة وصفه تعالى بقوله: ﴿و اتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً و لا يقبل منها شفاعة و لا يؤخذ منها عدل و لا هم ينصرون﴾[٤] فكذلك النّفس اللوامة.

٤ ـ التربية و التهذيب و هي هامّة ايضاً، و لذا كرّر القرآن ذكرها تارة بالامر بها فقال: ﴿يا ايها الّذين امنوا قوا أنفسكم و اهليكم ناراً﴾.[٥] و أخرى بجعل الخسران في تركها فقال: ﴿انّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة أَلا ذلك هو الخسران المبين﴾.[٦]

٥ ـ القانون و الدستور الّذي يصون المجتمعات دينيّة او غير دينيّة و الاسلام امضى سيرة الناس في ذلك قولاً و عملاً، بل يظهر من القرآن انّها من سنن المرسلين.

---

١ ـ الطلاق / ١٢. ٢ ـ الجمعة / ٢. ٣ ـ القيامة / ١. ٤ ـ البقرة / ٤٨.
٥ ـ التحريم / ٦. ٦ ـ الزمر / ١٥.

قال تعالى: ﴿**لقد ارسلنا رسلنا بالبينات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط و انزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس**﴾.[۱]

٦ ـ الرّقابة العامّة و هو الامر بالمعروف و النهى عن المنكر و الاسلام اكّد عليها تاكيداً بالغاً فقال: ﴿**و المؤمنون و المؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر**﴾.[۲]

بل ان الاسلام مضافاً إلى الأمر بقيام الناس بالرقابة الشعبيّة و الفرديّة أوجب تأسيس الحوزات الدينيّة اولاً فقال: ﴿**فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون**﴾[۳] و تشكيل بعثة الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر و منظّمتهم ثانياً فقال: ﴿**ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر**﴾.[٤]

و البحث طويل الذيل، سيأتي في باب مستقل، ان شاء الله في الاخلاقيّات.

٧ ـ الايمان العقلي و المراد منه ما يقطع به العقل من المعارف الاسلاميّة كالمبدء و المعاد و النبوة و الامامة، و هو «الاسلام» على حدّ مصطلح الذكر العظيم.

قال تعالى: ﴿**قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا و لمّا يدخل الايمان في قلوبكم**﴾.[٥]

فهو مطلوب في الاسلام فلذا قال الله تعالى في ذيل هذه الآية الشريفة: ﴿**و ان تطيعوا الله و رسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئاً ان الله غفور رحيم**﴾.[٦] و بالضّرورة فان غالب ايمان النّاس من هذا القبيل.

وكونه في الجملة سدّاً و مانعاً من مخالفة الله و متابعة الهوى ممّا لا اشكال فيه. بل القرآن

---

١ ـ الحديد / ٢٥. ٢ ـ التوبة / ٧١. ٣ ـ التوبة / ١٢٢. ٤ ـ آل عمران / ١٠٤.

٥ ـ الحجرات / ١٤. ٦ ـ الحجرات / ١٤.

اشار إلى ان الظّن بالمعاد فضلاً عن القطع به يُعدّ سداً و مانعاً عن مخالفة الشرع، قال تعالى: **﴿ويل للمطفّفين * الّذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * و إذا كالوهم او وزنوهم يخسرون * اَلا يظّن اولئك انّهم مبعوثون * ليوم عظيم﴾**.[١]

فلذا يشاهد ان اكثر روّاد المحاكم و نزلاء السّجون في كلّ زمان و مكان من غير المتديّنين.

و بالجملة، ان الجنايات و الجرائم هي لغير المتديّنين أكثر ممّا هو لغيرهم، إلّا في حالات نادرة.

هذه امور سبعة، و كما ترى انّها كلها مطلوبة مرغوب فيها عقلاً و عرفاً و شرعاً إلّا ان في جميعها اشكالاً مهماً جداً و هو ان هذه الأمورالسبعة تصدّ الإنسان و تمنعه من الرّذائل و تجعله على الصراط المستقيم في الجملة لا مطلقاً.

توضيح ذلك، ان الغرائز كثيراً ما تكون في حالة طبيعيّة و عادية، فتلك الأمور السبعة تصونه و تردعه عن الميول و الانحرافات و لكن قد تكون الغرائز في حالة الطّغيان و الاشتعال كغليان الشّهوة الجنسيّة او فوران حبّ الجاه او طغيان رذيلة من الرّذائل كالحسد و الغضب و شهوة التّكاثر فهذه الأمور السّبعة لا تقدر ان تكبح تلك الغرائز و تلك الرّذائل بتاتاً ولله درّ الشّاعر بالفارسيّة :

گوش اگر گوش تو و ناله اگر نالۀ من   آنچه البته بجايى نرسد فرياد است

فحالة الطّغيان هذه تطلب سدّاً آخر و مانعاً غير الأمور السّبعة الآنفة الذكر و لذلك ان الذكر الحكيم يذكر عاملاً آخر اَلا و هو:

الايمان القلبي و هو الايمان الّذي رسخ في القلب و هو اليقين بمراتبه، قال تعالى: **﴿انّما المؤمنون الّذين امنوا بالله و رسوله ثمّ لم يرتابوا﴾**.[٢]

---

١ ـ المطففين / ١ ـ ٥.   ٢ ـ الحجرات / ١٥.

فهو نور من الله و هداية خاصّة منه و احياء قلبٍ بمنّه و هذا هو الّذي يحصل باجتناب المحرّمات و اتيان الخيرات و هو اليقين لغة و اصطلاحاً و هو فضل من الله يؤتيه المقرّبين فطوبى لهم و نعم الثّواب و هذا هو ما يصفه القرآن بانّ اوّل مرتبته يكبح مثل غريزة التّكاثر إذا اشتعلت.

قال تعالى: ﴿الهيكم التّكاثر حتّى زرتم المقابر كلّا سوف تعلمون ثمّ كلّا تعلمون كلّا لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم﴾.[1]

و نحن نذكر بعض الايات و الرّوايات الواردة في اليقين تبركاً و تيمناً للبحث من غير تفسير و توضيح لها، لانّه يحتاج إلى كتاب مستقل و يبعدنا عن غاية هذا الكتاب، نسئل الله توفيق درك آي الكتاب و روايات العترة اللّذان هما الثّقلان في الرواية المتواترة لفظاً عند الفريقين.

---

١ ـ التّكاثر / ١ ـ ٦.

آيات في اليقين

﴿و جعلنا منهم ائمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا و كانوا باياتنا يوقنون﴾.[1]

﴿و في خلقكم و ما يبثّ من دابّة آيات لقوم يوقنون﴾.[2]

﴿هذا بصائر للنّاس و هدىً و رحمة لقوم يوقنون﴾.[3]

﴿و اعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين﴾.[4]

﴿كلّا لو تعلمون علم اليقين * لترونّ الجحيم * ثمّ لترونّها عين اليقين﴾.[5]

﴿و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السّموات و الارض و ليكون من الموقنين﴾.[6]

﴿قد جائكم من الله نور و كتاب مبين * يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظّلمات إلى النّور بأذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم﴾.[7]

﴿و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور﴾.[8]

﴿او من كان ميتاً فاحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به في النّاس﴾.[9]

﴿يا ايّها الّذين امنوا اتّقوا الله و امنُوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نوراً تمشون به و يغفر لكم و الله غفور رحيم﴾.[10]

---

١ ـ السّجدة / ٢٤.   ٢ ـ الجاثية / ٤.   ٣ ـ الجاثية / ٢٠.   ٤ ـ الحجر / ٩٩.

٥ ـ التّكاثر / ٥ ـ ٧.   ٦ ـ الانعام / ٧٥.   ٧ ـ المائدة / ١٥ و ١٦.   ٨ ـ النّور / ٤٠.

٩ ـ الانعام / ١٢٢.   ١٠ ـ الحديد / ٢٨.

روايات في فضل اليقين

عن جابر قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «يا اخا جعف ان الايمان أفضل من الاسلام، و ان اليقين أفضل من الايمان، و ما من شيء اعزّ من اليقين».[1]

عن الوشاء عن أبي الحسن عليه السلام قال سمعته يقول: «الايمان فوق الاسلام بدرجة، و التّقوى فوق الايمان بدرجة، و اليقين فوق التّقوى بدرجة، و ما قسّم في النّاس شيء اقّل من اليقين».[2]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خير ما القي في القلب اليقين».[3]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة له: «ايّها النّاس سلوا الله اليقين و ارغبوا إليه في العافية، فأن اجل النعمة العافية و خير ما دام في القلب اليقين، و المغبون من غبن دينه و المغبوط من غبط يقينه قال: و كان علي بن الحسن يطيل القعود بعد المغرب يسئل الله اليقين».[4]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب اليقين و الصبر، ح ١، (ص ١٣٥).

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب اليقين و الصبر، ح ٢، (ص ١٣٦).

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب اليقين و الصبر، ح ٢٥، (ص ١٧٣).

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب اليقين و الصبر، ح ٣٣، (ص ١٧٦).

روايات في تفسير اليقين

قال (يونس): «قلت فايّ شيء اليقين؟ قال أبا الحسن الرضا عليه السلام التوكّل على الله، و التسليم لله، و الرضا بقضاء الله، و التفويض إلى الله».[1]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من صحة يقين المرء المسلم ان لا يرضى النّاس بسخط الله و لا يلومهم على ما لم يؤته الله، فان الرزق لا يسوقه حرص حريص و لا يردّه كراهيّة كاره و لو انّ احدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لا دركه رزقه كما يدركه الموت ثم قال: ان الله بعدله و قسطه جعل الروح و الراحة في اليقين و الرضا، و جعل الهمّ و الحزن في الشّك و السخط».[2]

عن اسحاق بن عمّار قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالنّاس الصبح، فنظر إلى شاب في المسجد و هو يخفق و يهوى برأسه مصفراً لونه، قد نحف جسمه و غارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: كيف اصبحت يا فلان؟

قال: أصبحت يا رسول الله موقناً.

فعجب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قوله و قال له: ان لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟

فقال: ان يقيني يا رسول الله هو الّذي احزنني و اسهر ليلي و اظمأ هو اجري، فعزفت

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب اليقين و الصبر، ح ٤، (ص ۱۳۸).

۲ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب اليقين و الصبر، ح ۷، (ص ۱٤۳).

نفسي عن الدنيا و ما فيها حتّى كأني انظر إلى عرش ربي و قد نصب للحساب و حشر الخلايق لذلك و انا فيهم، و كانّي انظر إلى اهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة و يتعارفون على الارائك متكئون، و كأني انظر إلى اهل النار و هم فيها معذّبون مصطر خون، و كأنّي الآن اسمع زفير النار يدور في مسامعي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذا عبد نورّ الله قلبه بالايمان ثمّ قال له: الزم ما انت عليه.

فقال الشابّ: ادع الله لي يا رسول الله ان ارزق الشهادة معك.

فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يلبث ان خرج في بعض غزوات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فاستشهد بعد تسعة نفر و كان هو العاشر».[۱]

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قلت لجبرئيل: ما تفسير اليقين؟ قال: المؤمن يعمل لله كانّه يراه، فان لم يكن يرى الله فان الله يراه و ان يعلم يقيناً ان ما اصابه لم يكن ليخطئه و ان ما اخطاه لم يكن ليصيبه».[۲]

عن صفوان قال: «سئلت ابا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله لابراهيم: او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، أكان في قلبه شك؟ قال: لا، كان على يقين ولكنّه اراد من الله الزيادة في يقينه».[۳]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما من شيء إلّا و له حد. قلت: فما حدّ اليقين؟ قال: ان لا تخاف [مع الله] شيئاً».[٤]

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب اليقين و الصبر، ح ۱۷، (ص ۱۵۹).

۲ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب اليقين و الصبر، ح ۲۷، (ص ۱۷۳).

۳ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب اليقين و الصبر، ح ۳٤، (ص ۱۷٦ ـ ۱۷۷).

٤ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب اليقين و الصبر، ح ٤٦، (ص ۱۸۰).

روایات في فوائد الیقین

عن هشام بن سالم قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «ان العمل الدائم القليل علی الیقین أفضل عند الله من العمل الكثیر علی غیر یقین».[1]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كفی بالیقین غنی و بالعبادة شغلاً».[2]

قال أبو عبدالله عليه السلام: «ان المؤمن اشد من زبر الحدید، ان الحدید إذا دخل النّار لان و انّ المؤمن لو قتل و نشر ثمّ قتل لم یتغیّر قلبه».[3]

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب الیقین و الصبر، ح ۸، (ص ۱٤۷).

۲ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب الیقین و الصبر، ح ۳۲، (ص ۱۷٦).

۳ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، باب الیقین و الصبر، ح ٤۲، (ص ۱۷۸).

روايات في مراتب اليقين

عن يعقوب بن الضّحاك عن رجل من أصحابنا سرّاج و كان خدماً لأبي عبدالله عليه السلام قال: «بعثني أبو عبدالله عليه السلام في حاجة و هو بالحيرة انا و جماعة من مواليه. قال: فانطلقنا فيها، ثمّ رجعنا مغتمّين. قال: و كان فراشي في الحائر الّذي كنّا فيه نزولاً. فجئت و أنا بحال فرميت بنفسي. فبينا أنا كذلك إذا أنا بأبي عبدالله عليه السلام قد أقبل. قال، فقال: قد أتيناك او قال: جئناك. فاستويت جالساً و جلس على صدر فراشي. فسألني عمّا بعثني له؟ فأخبرته. فحمد الله. ثمّ جرى ذكر قوم، فقلت: جعلت فداك انّا نبرأ منهم انّهم لا يقولون ما نقول.

قال، فقال: يتولّونا و لا يقولون تبرؤن منهم؟ قال، قلت: نعم، قال: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم؟

قال: قلت: لا ـ جعلت فداك ـ قال: و هو ذا عندالله ما ليس عندنا أفتراه اطرحنا؟ قال، قلت: لا و الله ـ جعلتُ فداك ـ ما نفعل؟

قال: فتولّوهم و لا تبرّؤوا منهم! انّ من المسلمين من له سهم، و منهم من له سهمان، و منهم من له ثلاثة أسهم، و منهم من له أربعة أسهم، و منهم من له خمسة أسهم، و منهم من له ستّة أسهم، و منهم من له سبعة أسهم. فليس ينبغي ان يحمل صاحب السّهم على ما عليه صاحب السّهمين، و لا صاحب السّهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، و لا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الاربعة، لا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، و لا

صاحب الخمسة على ما عليه صاحب السّتة، و لا صاحب السّتة على ما عليه صاحب السبعة».[١]

عن عبدالعزيز قال: «دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فذكرت له شيئاً من أمر الشيعة و من أقاويلهم. يا عبدالعزيز الايمان عشر درجات بمنزلة السّلّم له عشر مراقي، و ترتقي منه مرقاة بعد مرقاة. فلا يقولنّ صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شيءٍ، و لا يقولنّ صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شيءٍ، حتّى انتهى إلى العاشرة. ثمّ قال: و كان سلمان في العاشرة و أبوذر في التاسعة و المقداد في الثامنة.

يا عبدالعزيز لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فولك. و إذا رأيت الّذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعا رفيقاً فافعل، و لا تحملنّ عليه ما لا يطيقه فتكسره، فانّه من كسر مؤمناً فعليه جبره، لانّك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسختنه».[٢]

قال الصادق عليه السلام: «اليقين يوصل العبد إلى كلّ حال سنيّ[٣] و مقام عجيب، كذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن عظم شأن اليقين حين ذكر عنده انّ عيسى ابن مريم كان يمشي على الماء، فقال: لو زاد يقينه لمشى في الهواء. يدلّ بهذا انّ الانبياء مع جلالة محلّهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة اليقين لا غير و لا نهاية بزيادة اليقين على الابد و المؤمنون أيضاً متفاوتون في قوّة اليقين و ضعفه».[٤]

عن الصادق عليه السلام: «.... ليس العلم بالتّعلم، انّما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك و تعالى أن يهديه، فان أردت العلم فاطلب اوّلاً في نفسك حقيقة العبودّية، و أطلب العلم

---

١ ـ اصول الكافي، ج ٢، باب درجات الايمان، ح ٢، (ص ٤٢).

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٩، باب ٣٢، ح ٩، (ص ١٦٨).

٣ ـ السني: الرفعة ـ الضّياء.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٥٢، ح ٤٥، (ص ١٧٩).

باستعماله و استفهم الله يفهمك».[۱]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما أخلص عبد الايمان بالله أربعين يوماً او قال: ما أجمل عبد ذكرالله أربعين يوماً إلّا زهّده الله في الدّنيا، و بصّره دائها و دوائها، و اثبت الحكمة في قلبه و انطق بها لسانه».[۲]

عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ما أخلص عبدلله عزّوجلّ أربعين صباحاً إلّا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».[۳]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من زهد في الدّنيا أثبت الله الحكمة في قلبه و أنطق بها لسانه، و بصّره عيوب الدّنيا داءها و دواءها، و أخرجه الله من الدّنيا سالماً إلى دار السّلام».[۴]

عن أبي الحسن عليه السلام: «... تعاهدوا عباد الله نعمه باصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً».[۵]

۱ـ بحار الانوار، ج ۱، ص ۲۲۵، باب ۷، ح ۱۷.
۲ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۲٤۰، باب ٥٤، ح ۸.
۳ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۲٤۲، باب ٥٤، ح ۱۰.
٤ـ بحار الانوار، ج ۲، ص ۳۳، باب ۹، ح ۲۷.
٥ـ بحار الانوار، ج ٦۹، ص ۱۹٤، باب ۳۳، ح ۱۰.

الرّذيلة الاولى: الرّيبة

من الصّفات الرّذيلة الرّيبة، و هي ضدّ اليقين، أي: أضطراب لنّفس بالوهم و الوسوسة و الشّكّ و الظّنّ غير المعتبر كالحسرة و الخيال.

قال في مجمع البحرين «و حقيقة الرّيبة قلق النّفس و اضطرابها».

فالنّفس قد تطمئنّ و لا قلق و لا اضطراب لها فتلك الصّفة سمّيت يقيناً لها، قال الله تعالى: ﴿انّما المؤمنون الّذين امنوا بالله و رسوله ثمّ لم يرتابوا﴾.[1] و قال تعالى: ﴿اولئك كتب في قلوبهم الايمان و ايّدهم بروح منه﴾.[2]

و تلك الصّفة تحصل بذكره تعالى، قال: ﴿اَلا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾.[3]

و قد تضطرب و لها قلق و اضطراب وهمّ و حزن و خوف و يقع فيها دائماً الشّكوك و التّوهّمات و التّخيّلات و الوساوس و ليس لها ثبات بتاتاً.

قال تعالى: ﴿لا يزال بنيانهم الّذي بنوا ريبة في قلوبهم إلّا ان تقطع قلوبهم﴾[4] و تلك الصّفة تحصل بالبعد عن الله تعالى.

قال تعالى: ﴿و لا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحلّ قريباً من دارهم﴾.[5]

---

١ ـ الحجرات / ١٥. ٢ ـ المجادلة / ٢٢. ٣ ـ الرعد / ٢٨. ٤ ـ التوبة / ١١٠.

٥ ـ الرعد / ٣١.

و قال تعالى: ﴿و من يشرك بالله فكأنّما خرّ من السّماء فتخطفه الطّير او تهوى به الرّيح في مكان سحيق﴾.[۱]

فالحاصل ممّا ذكرناه إلى هنا انّ لليقين اضداداً كثيرة و ان كان يجمعها لفظ واحد و هي الرّيبة، فهي و هؤلاء مصاديقها.

بل يمكن ان يقال ان الجهل بمصاديقه البسيط و التّرديدى و المركّب من أضداد اليقين ايضاً لانّ المراد بالجهل البسيط هو عدم العلم، و هو نقيض العلم من باب العدم و الملكة، فهو نقيض اليقين ايضاً، لانّ اليقين كما مرّ نوع خاصّ من العلم و مرتبة من مراتبه.

و المراد بالجهل التّرديدى هو الشّكّ المستقرّ، فهو من أضداد العلم ايضاً، لانّه جهل بالواقع و نفس الأمر و ان كان صفة للنّفس و هي تساوي طرف شيء مع نقيضه فهو لا محالة ضدّ اليقين ايضاً.

و المراد بالجهل المركّب هو عدم العلم بالواقع و نفس الامر مع انّ الجاهل يُخيّل إليه انّه علم، فهو ضدّ العلم ايضاً، و لا محالة يكون ضدّ اليقين ايضاً، فلليقين اضداد كثيرة، يجب هنا بيانها و اثبات انّها رذائل و بيان مفاسدها.

بل يصحّ ان يقال انّ القسوة و عمى القلب و الغفلة و أمثالها من اضداد اليقين او نقائضه ايضاً ولكن البحث عن هذه الاضداد و النّقائض سيأتي كلّها في محلّها ان شاء الله تعالى.

اقسام الرّيبة

۱ ـ الشّكوك غير المستقرّة

---

۱ ـ الحج / ۳۱.

من الرّذائل الّتي توجب خسران الدّنيا و الاخرة هي الشّكوك غير المستقرّة و هي صفة رذيلة لا يمكن لصاحبها ان يصمّم في الأمور فيختار منها ما هو الأليق به و هو يذبذب دائماً حتّى في الأمور العادية و هي ضدّ اليقين و ثبات الفكر و هذه الصفة قد تكون في الأمور العادية فتمنعه عن اكثر الخيرات و البركات.

و قد تكون في تحصيل العلم او المهمّة فهي مانعة غالباً عن الوصول إلى الهدف و المقصود و لا يجد صاحبها سبيلاً إلى العلم او الشّغل، لانّه يأخذ في علم او شغل ثمّ يدعه ثمّ يأخذ فيها او غيرهما مراراً فيصرف عمره في التّرديد و الشّكّ، ثمّ ينتبه فيرى انّه في اوّل الطّريق و العمر في آخره.

و قد تكون في الدّين و هذا القسم اسوء حالاً من قبله، لانّه يوجب خسران الاخرة، قال تعالى: ﴿**مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء، و من يظلل الله فلن تجدله سبيلاً**﴾.[١]

و الحاصل انّ القرآن يُصرّح على انّ المذبذب له خسران الدّارين.

و قال تعالى: ﴿**و من النّاس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأنّ به و ان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدّنيا و الاخرة ذلك هو الخسران المبين**﴾.[٢]

٢ ـ التّوهّمات و التّخيّلات و الظّنون غير المعتبرة

و هي حالة رذيلة و قد اكدّ في الشرع المبين على النّهى عن اتّباع هذه الامور.

قال تعالى: ﴿**قتل الخرّاصون * الّذين هم في غمرة ساهون**﴾.[٣]

و الخرص هو الحدس الّذي يشمل التّوهمّات و التّخيّلات و الظّنون، فالاية مضافاًالدّعاء عليه، تحكم انّه كمن يكون في بحر عميق مظلم و ليس له سبيل إلى الواقع.

---

١ ـ النساء / ١٤٣.　　٢ ـ الحج / ١١.　　٣ ـ الذاريات / ١٠ و ١١.

و التّشبيه في غاية الفصاحة و البلاغة و امثال الآية كثيرة.

قال تعالى: ﴿ان تتّبعون إلّا الظّنّ و ان انتم إلّا تخرصون﴾.(١)

و قال تعالى: ﴿و لولا فضل الله عليكم و رحمته في الدّنيا و الاخرة لمسّكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم * إذ تلقونه بالسنتكم و تقولون بأفواهكم ما ليس به علم و تحسبونه هيّناً و هو عندالله عظيم﴾.(٢)

وقال تعالى: ﴿و لاتقف ما ليس لك به علمٌ إنّ السّمع و البصر و الفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤلاً﴾.(٣)

و ينبغي لنا ان نتذكّر انّ هذه الصّفة من التّوهمّات و التّخيّلات و الظّنون قد تؤدّى مصيبة عظمى، و هي انّ الإنسان الّذي له هذه الصّفة قد يتوّهم انه على شيءٍ، فتتحرّك فيه نفسيّةالفرعونيّة ورعونتها، فيدّعى الالوهيّة و لا اقلّ فيستكبر على الله او على النّاس، فيرى انّ استغلال النّاس يليق به فيطلب من النّاس أن يكونوا عبيدا له او لا اقلّ من ان يكونوا خادميه، و يرى ذلك حقاً لنفسه فيقاتل حتّى يقتل الفاً لأخذ حقّه.

قال تعالى: ﴿ان فرعون علا في الارض و جعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح ابنائهم و يستحيى نسائهم انّه كان من المفسدين﴾.(٤)

و لا تتوهمّ انّ الحكاية تختص بفرعون و بذلك الزّمان بل هي من باب المثال لكلّ من فيه روح الكبر و المنيّة و لكلّ زمان و في زماننا هذا ما يشاهد من المتجبرين هو اسوء و اشدّ ممّا نقل القرآن عن فرعون و اتباعه.

و قد تؤدّى إلى مصيبةا عظم منها و لا اقلّ مثلها، و هي تخيّل المكاشفات و المشاهدات و يتدرّج إلى البدع و اخيراً إلى هلاكة كثير من عوام النّاس و لا اقلّ من ضلالة نفسه. فكثيراً ما يشاهد أنّ المبتدى يفعل ما فعل الأوحدى و يدّعى ما هو للأوحدى من

١ـ الانعام / ١٤٨. ٢ـ الاسراء / ٣٦. ٣ـ النور / ١٤ و ١٥. ٤ـ الاسراء / ٣٦.

العارفين، و ليس ذلك إلّا توّهم و تخيّل.

و كثيراً ما يشاهد من المبتدى الجاهل ادّعا الكشف و الشّهود مع انّهما تختصّان بمـن يتوغّل في العلم و يروّض نفسه ازيد من اربعين سنة.

و بعض الاديان الباطلة لو لم نقل كثيراً منها، نشأ من هذه الرذيلة. نعم كثيرٌ منها نشأ من الطائفة الاولى، و هي ظهور نفسيّة التفرعن في المرء فبه ضلّوا و اضلّوا على علم سيّما المتحبّرين الّذين يبتدعون الاديان الباطلة بعمّالهم ليجعلوا النّاس شـيعاً و بـعد التّـفرقة يتسلطون عليهم.

و المصيبة الاعظم من تلك الرّذائل حصول حال الكبر و الاستكبار لصاحبها على حدّ يستكبر يوم القيمة على الله تعالى.

قال تعالى: **﴿يو يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكـم و يحسبون انّهم على شيء اَلا انّهم هم الكاذبون﴾**.[1]

٣ـ الخوف و الحزن

من الرّذائل حالة الحزن على مافات و الخوف عما يأتي و هي ضدّ اليقين، لانّه لو تسلّط اليقين على القلب ولو كان في مرتبته الاولى و هو علم اليقين، فلا خوف عليه و لا حزن.

قال تعالى: **﴿اَلا انّ اولياء لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾**.[2]

و لو استيقن بالقضاء و القدر فليس له حزن على ما فات و لا خوف عليه لما يتوهم انّه يأتى و بعبارةٍ أخرى يزول عنه تلك الصفة الرّذيلة.

قال الله تعالى: **﴿ما أصاب من مصيبة في الارض و لا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك الله يسير لكيلا تأسوا على ما فأتكم و لا تفرحوا بما اتاكم و الله لا**

١ـ المجادلة / ١٨.   ٢ـ يونس / ٦٢.

يحب كلّ مختال فخور﴾.[١]

و كثير من النّوائب النّفسيّة و الجسديّة تحت لواء هذه الرّذيلة و من جملتها الكسل و هو يمنع عن خير الدّنيا و الاخرة.

و من جملتها الانهيار العصبي الّذي يترتب عليه بلايا كثيرة و البحث عنها طويل الذيل خارج عن محل الكلام فعلاً.

٤ ـ الوسوسة

و من أضداد اليقين الوسوسة، و هي في اللغة الهمهمة، فلذا قيل: انها خفي. و هي خطورات تقع في القلب من النّفس و شيطان الجن و الانس و هي رذيلة موبقة يضل بها كثير من النّاس فيجب:

اولاً التعوّذ بالله تعالى منها، قال: **﴿و قل ربّ أعوذ بك من همزات الشياطين * و اعوذ بك ربّ ان يحضرون﴾**.[٢]

و الآية الشريفة مع الاتيان بلفظة همزات الّتي تكون بمعنى التحريكات الشّديدة، و مع تكرار لفظة ربّ، و مع الخطاب إلى رسول الله ﷺ الّذي هو مصون عن الوساوس، بل العباد المخلصون ـ بالفتح بل بالكسر ـ مصونون عن مثل ذلك فضلاً عن أهل البيت عليهم السلام، تدل بألتاكيد التامّ على لزوم عوذة بالله من وساوس شياطين الجن و الانس.

و ثانياً الابتعاد منها و القرب إليه تعالى باجتناب المحرمات و الاتيان بكل خير سيّما الواجبات.

قال تعالى في آيات عديدة منها قوله: **﴿انه ليس له سلطان على الّذين امنوا و على ربّهم يتوكلون * انّما سلطانه على الّذين يتولّونه﴾**.[٣]

---

١ ـ الحديد / ٢٢. ٢ ـ المؤمنون / ٩٦ ـ ٦٧. ٣ ـ النّحل / ٩٩ و ١٠٠.

فهذه الآيات تدّل على ان الله يحفظ المتقين فضلاً عن المخلصين بالفتح و الكسر، و الشّياطين لا يتسلّطون إلّا على من يتولونهم، و امّا من يتولّاه الله تعالى فلا سلطان للشياطين عليهم.

فالاعراض عن الله و عن ذكره يسلّط القرين السوء من شياطين الجن و الانس علينا.

قال تعالى: ﴿و من يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين * و انهم ليصدّونهم عن السّبيل﴾.[1]

و التقرب إلى الله تعالى يحجزنا عن الشياطين و يجعل بيننا و بينهم حجاباً مستوراً.

قال تعالى: ﴿الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة الّا تخافوا و لا تحزنوا﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿انّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.[3]

بل من الطافه تعالى و عناياته الّتي تخصّ عباده جعل الحفظة عليهم الّذين يحفظونهم دائماً من الشرور الجسديّة و النفسية.

قال تعالى: ﴿له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله﴾.[4]

فبعد ذلك غلبة الشياطين على الإنسان من نهاية الخسران. و سيأتى ذكر روايات في ذلك، ان شاء الله.

اقسام الوسوسة:

الف ـ وسوسة الشّيطان و اعوانه، و هي الّتي أقسم الشّيطان بالله تعالى لها، كما حكاه

---

١ ـ الزّخرف / ٣٦ و ٣٧. ٢ ـ فصلّت / ٣٠. ٣ ـ الاحقاف / ١٣.

٤ ـ الرّعد / ١١.

تعالى بقوله: **﴿قال فبما اغويتني لا قعدنّ لهم صراطك المستقيم ثمّ لاتينّهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم و لا تجد أكثرهم شاكرين﴾**.(١)

ب ـ وسوسة النّفس الامارة و الميول النّفسانيّة و هي اعدى عدواً من الشّيطان و أشدّ منه و هي الامارة بالسوء كما ورد في التنزيل العزيز.

قال تعالى: **﴿و ما ابرّئ نفسى انّ النّفس لامارة بالسّوء﴾**.(٢)

ثمّ انّه تعالى هدّدنا حيث قال في يوسف الصدّيق: **﴿و لقد همّت به وهمّ بها لولا ان راى برهان ربه﴾**.(٣)

ثم بيّن قوّة ارادته و رسوخ التقوى في نفسه بقوله تعالى: **﴿ربّ السجن احبّ اليّ مما يدعونني إليه و إلّا تصرف عنّي كيدهنّ اصب اليهن و اكن من الجاهلين﴾**.(٤)

و لقد مرّت الرّوايات الدالة على كونها اعدى العدوّ و ان جهادها هو الجهاد الاكبر، فهمزات النّفس الامّارة و تحريكات الميول الشّهويّة اشدّ من همزات الشّيطان و اعوانه و تحريكاته، فنعوذ بالله من شر النّفس و الشيطان.

ج ـ وسوسة الصديق السوء.

قال تعالى: **﴿يوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلاً * لقد اضلّني عن الذكر بعد إذ جائنى و كان الشيطان للانسان خذولاً﴾**.(٥)

ثمّ انّ كلّ واحد من هذه الثلاثة قد يوسوس مباشرةً و من دون حجاب، كما إذا نظر احد إلى اجنبيّة و تلك الاجنبيّة تمايل اليه، فهمزات النّفس و تحريك الشهوة، و وسوسة الشّيطان و ترغيبه اليها، و ميول الاجنبيّة و وسوستها موجودة علانية و مباشرةً من غير

---

١ ـ الاعراف / ١٦ و ١٧.　　٢ ـ يوسف / ٥٢.　　٣ ـ يوسف / ٢٤.

٤ ـ يوسف / ٣٣.　　٥ ـ الفرقان / ٢٧ و ٢٨ و ٢٩.

حجاب. و هذه الوسوسة سيما في المثال قوية.

ولكن اسوء من هذه الوسوسة هي الوسوسة خفاءً و تحت حجاب و غير مباشرٍ مخيّلاً إلى الموسوَس انه من التبرير نظيراشاعة الفحشاء باسم المدرسة و العلم، واشاعة الذّنوب باسم الاسلام، و ارتكاب الذّنب مع التّبرير.

فالنّفس سيّما إذا كانت عالمة تبرّر ذلك الذنب و الشّيطان يستحسنه و لايزال في كلّ زمان سيّما زماننا هذا و في كلّ مكان سيّما باسم المدارس الموجودة في الغرب و لكل فرد سيّما العلماء و منوري الفكر خطراً كبيراً و إلى هذه الوسوسة اشار تعالى في سورة النّـاس مـع تأكيداتٍ بالغة في صدرها.

قال تعالى: **﴿بسم الله الرّحمن الرّحيم قل اعوذ بربّ النّاس * ملك النّـاس * اله النّاس * من شرّ الوسواس الخنّاس * الّذي يوسوس في صدور النّاس * من الجنّة و النّاس﴾**.[١]

و الخناس صيغة المبالغة من الخنوس بمعنى الاختفاء فيقال لبعض الوسواس الخنّاس، لأن عملهم يكون في الاختفاء و تحت الحجاب، حجاب المكتب، حجاب الدين، حجاب الكلمات الحلو، حجاب التبريرات العواميّة او العلميّة او الدينية، و إلى هذا المعنى اشار أبو عبدالله عليه‌السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية: **﴿و الّذين إذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ...﴾** فقال الوسواس الخنّاس: انا لها.

فقال ـ الشّيطان بماذا؟

قال: اعدهم و امنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة، فاذا و اقعوا الخطيئة انسيهم الاستغفار. فقال: انت لها، فوكله بها إلى يوم القيمة».[٢]

---

١ ـ النّاس.

٢ ـ الامالى للصدوق، ص ٣٧٦.

آيات في الوسوسة

﴿و لقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به نفسه﴾.[١]

﴿استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان اَلا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون﴾.[٢]

﴿... اولئك كتب في قلوبهم الايمان و أيّدهم بروح منه﴾.[٣]

﴿قل اعوذ بربّ النّاس ملك النّاس اله النّاس من شرّ الوسواس الخنّاس الّذي يوسوس في صدور النّاس من الجنّة و النّاس﴾.[٤]

١ـ ق / ١٦. ٢ـ المجادلة / ١٩. ٣ـ المجادلة / ٢٢. ٤ـ النّاس.

روايات في الوسوسة

اروى عن اميرالمؤمنين عليه السلام في كلام له: «انّ من البلاء الفاقة، و اشدّ من الفاقة مرض البدن، و اشدّ من مرض البدن مرض القلب».(١)

قال الصّادق عليه السلام: «لا يتمكّن الشّيطان بالوسوسة من العبد إلّا و قدا عرض عن ذكر الله، و استهان بامره، و سكن إلى نهيه، و نسى اطّلاعه على سرّه. فاسوسوسة ما يكون من خارج البدن باشارة معرفة العقل، و مجاورة الطبع، و امّا إذا تمكّن في القلب فذلك غىّ و ضلالة و كفر، و الله عزّوجلّ دعا عباده باللّطف دعوة، و عرّفهم عداوته فقال عزّ من قائل: ان الشّيطان لكم عدوّ مبين. و قال: انّ الشّيطان لكم عدوّ فاتّخذوه عدوّاً».(٢)

قال الحسين ابن الحكم الواسطي: «كتبت إلى بعض الصّالحين اشكو الشكّ فقال: انّما الشكّ فيما لا يعرف، فاذا جاء اليقين فلا شكّ».(٣)

روى انّه: «سئل العالم عليه السلام عن حديث النفس؟ فقال: من يطيق ألّا تحدّث نفسه و سئل العالم عليه السلام عن الوسوسة كثرت؟ قال لا شيء فيها، يقول: لا اله إلّا الله. و أروى انّ رجلاً قال للعالم: يقع في نفسى أمر عظيم؟ فقال: قل لا اله إلّا الله. و في خبر اخر: لا حول و لا

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، باب ١٠٠، ص ١٢٤، ح ١.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، باب ١٠٠، ص ١٢٤، ح ٢.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، باب ١٠٠، ص ١٢٤، ح ٣.

قوّة إلّا بالله».[١]

عن أبي عبدالله عليه‌السلام في قوله: و كذلك يجعل الرّجس على الّذين لا يؤمنون»، قال: هو الشكّ».[٢]

يقول الله: و ما وجدنا لأكثرهم من عهد و ان وجدنا اكثرهم لفاسقين، نزلت في الشكّاك».[٣]

عن أبي جعفر عليه‌السلام: «و امّا الّذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم، يقول: شكّاً إلى شكّهم».[٤]

عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «اعلموا انّ الله يبغض من خلقه المتلّون، فلا تزولوا عن الحقّ و أهله، فانّ من استبدّ بالباطل و اهله هلك، و فاتته الدّنيا، خرج منها صاغرا».[٥]

عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام: «انّ الشكّ و المعصية في النّار، ليسا منّا و لا الينا، و انّ قلوب المؤمنين لمطويّة بالايمان طيّاً فاذا اراد الله انارة ما فيها فتحها بالوحي فزرع فيها الحكمة زارعها و حاصدها».[٦]

عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: ما من قلب إلّا و له اذنان على إحداهما ملك مرشد، و على الاخرى شيطان مفتّن، هذا يأمره و هذا يزجره: الشّيطان يأمره بالمعاصي و الملك يزجره عنها هو قول الله عزّوجلّ «عن اليمين و عن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد».[٧]

عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «انّ القلب اذنين فاذا همّ العبد بذنب قال له روح الايمان. لا

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ١٢٧، ح ١٣.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ١٢٨، ح ١٤.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ١٢٥، ح ٣.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ١٢٦، ح ٤.

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ١٢٦، ح ٥.

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ١٢٦، ح ٦.

٧ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٤، ص ٣٣، ح ١.

تفعل! و قال له الشيطان: افعل! و إذا كان على بطنها نزع منه روح الايمان».[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من مؤمن إلّا و لقلبه اذنان في جوفه اذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس، و اذن ينفث فيها الملك فيؤيد الله المؤمن بالملك، و ذلك قوله: «و ايدهم بروح منه».[٢]

عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «سرّ العمى عمى القلب».

فيما اوصى به اميرالمؤمنين عليه السلام ابنه: «يا بنيّ انّ من البلاء الفاقة، و أشد من ذلك مرض البدن، و افضل من ذلك تقوى القلوب».[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «القلوب ثلاثة: قلب منكوس لا يعثر على شيء من الخير و هو قلب الكافر، و قلب فيه نكتة سوداء فالخير و الشرّ فيه يعتلجان فما كان منه اقوى غلب عليه، و قلب مفتوح فيه مصباح يزهر فلا يطفأ نوره إلى يوم القيمة و هو قلب المؤمن».[٤]

عن سلام قال: «كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين فسأله عن اشياء، فلما همّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: أخبرك ـ اطال الله بقاك و أمتعنا بك ـ انّا نأتيك فما نخرج من عندك حتّى يرقّ قلوبنا و تسلو أنفسنا عن الدّنيا، و يهون علينا ما في النّاس من هذه الأموال، ثمّ نخرج من عندك. فاذا صرنا مع النّاس و التّجار أحببنا الدّنيا؟

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: انّما هي القلوب مرّة يصعب عليها الامر و مرّة يسهل».[٥]

و عن سفيان بن عيينه قال: سألت الصادق عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: «إلّا من أتى الله بقلب سليم»؟

قال: السليم الّذي يلقى ربّه و ليس فيه احد سواه. و قال: و كلّ قلب فيه شكّ او شرك

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٤، ص ٤٤، ح ٢.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٤، ص ٤٧، ح ٣.
٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٤، ص ٥١، ح ٧.
٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٤، ص ٥١، ح ٩.
٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٤، ص ٥٦، ح ٢٨.

فهو ساقط. و انّما ارادوا الزّهد في الدّنيا لتفرغ قلوبهم للاخرة. و قال النبيّ ﷺ: لولا انّ الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى الملكوت».[١]

٥ ـ الجهل

و من اضداد اليقين الجهل و هو على اقسام:

الأوّل: الجهل البسيط ، و هو الجهل المصطلح عليه، و هو أمر عدمى نقيض العلم، من باب تناقض العدم و الملكة، فهو نقيض اليقين ايضا، لانّه كما مرّ انّ اليقين من مراتب العلم.

و هذا الجهل مصيبة عظمى و غالب المفاسد ينشاء منها، فلذا سمّى ما قبل زمن بعثة الرسول ﷺ بـ «الجاهلية». لتدهور ذلك الزّمان من حيث الاخلاق، و سمّى القرآن مثل زماننا هذا بالجاهليّة ايضاً من حيث انحطاط الناس و توغّل بعضهم فيما يخصّ بعصر الجاهليّة، قال تعالى: ﴿و قرن في بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهليّة الاولى﴾.[٢]

و نحن نذكر ههنا بعض مفاسد الجهل الهامّة:

الف ـ عدم استقلال النظر، ولو لم تكن مفسدة للجهل إلّا هذه المفسدة يكفيك لحكمك بكونه رذيلة هامّة.

توضيح ذلك: ان الإنسان لو كان مفكراً عاقلاً عالماً فله الاقتباس، و هو استماع الحسن و اجتناب السيئ مع استقلاله في النظر و الفكر.

قال تعالى: ﴿فبشر عباد * الّذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الّذين هداهم الله و اولئك هم اولوا الالباب﴾.[٣]

و سمّيت هذه السيرة بالاقتباس و هو سيرة المهتدين و العقلاء.

و اما الجاهل غير المفكر فليس اقواله و اعماله بل افكاره إلّا بالتقليد و هو اخذ قول

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، باب ٤٤، ص ٥٩، ح ٣٩. ٢ ـ الاحزاب / ٣٣. ٣ ـ الزمر / ١٧ و ١٨.

الغير او عمله من غير دليل مع التفاته إلى فعله هذا، و معلوم انه مذموم إلّا في حال الاضطرار و هو تقليد الجاهل عن العالم في خصوص علمه، و القرآن يذمه اشدّ الذم.

قال تعالى: ﴿انا وجدنا ابائنا على امة و انا على اثارهم مقتدون﴾.[١]

و كثيراً ما يقع الجاهلون في البلايا و المعاصي جزاء بسيرتهم الدّنيّة هذه و لله درّ القائل:

خلق را تقليدشان بر باد داد ‌ ‌ ‌ ‌ اى دو صد لعنت بر اين تقليد باد

بل كثيراً ما يحكم عليه قانون المنابهة و المحاكات و هو اخذ قول او عمل او فكر من الاخر تقليداً من غير توجّه. و هو سيرة الاطفال و بعض الحيوانات و يسوق الجاهل نحو التّيه و الضّلالة.

ولكن الّذي يذوب القلب سلطة هذا القانون و حكمه على بعض الناس، الاترى ان المسلمين في زماننا هذا كيف يقلدون الغرب في أفعالهم السّيئة و يدعون افعالهم الحسنة، فهم في اشاعة الفحشاء تقدموا عليهم، و اما في الاختراعات والابداعات فيحتاجون إليهم حتّى في الخيط و المخيط و مستخلص القول فيهم هو قول الله تعالى: ﴿و من النّاس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأنّ به و ان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدّنيا و الاخرة ذلك هو الخسران المبين﴾.[٢]

ب ـ الاستبداد و العصبيّة و الحميّة القوميّة او الحزبيّة او الشّخصيّة. و الذكر الحكيم قد ذمّ هذه الصفة و صاحبها مراراً عدّة.

قال الله تعالى: ﴿إذ جعل الّذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهلية﴾.[٣]

و ربّ ذنب يرتكبه الجاهل للعصبيته الشّخصيّة و ربّ جريمة يرتكبها الجاهل للعصبيّة القوميّة و ربّ خيانة يعملها الجاهل للعصبيّة المريديّة و المرادية.

---

١ ـ الزّخرف / ٢٣. ‌ ‌ ٢ ـ الحج / ١١. ‌ ‌ ٣ ـ الفتح / ٢٦.

ج ـ حالة الافراط و التفريط، فليس الجاهل معتدلاً في أغلب الاحيان فهو ان سلك مسلك العابدين فليس إلّا في ضلالة ، قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا لا تقدّموا بين يدى الله و رسوله﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده و الطّيبات من الرزق﴾.[٢]

و ان سلك مسلك الفاجرين فلا يقف عند حدّ.

الثانى: الجهل المركب، و المشهور المصطلح عليه في معناه انّه جاهل بالواقع و نفس الامر ولكن يحسب و يُخيّل إليه انه عالم بالواقع و نفس الامر فالجهل المركّب بهذا المعنى مصيبة لاأعظم منه و فيه خسران الدّنيا و الاخرة.

قال تعالى: ﴿هل ننبئكم بالاخسرين اعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدّنيا و هم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً﴾.[٣]

و عمدة خسارة هذا الجهل عدم التنبه دائماً لانه لمّا يزعم انّه عالم فلا يكون بصدد تبديل جهله بالعلم.

نعم الجهل المركّب بمعنى آخر غير المصطلح عليه اقلّ خسارة منه و هو الّذي لا يعلم انه جاهل، و في الحقيقة انّه من مصاديق الغفلة، لانّه غافل عن جهله و في هذه الحالة يمكن ان ينتبه من جهله بسهولة.

الثالث: الجهل الترديدى و هو الشّكّ المصطلح عليه و هو أمر طبيعى يقع لكثير من الناس، بل قيل انه قنطرة العلم و الالتفات إلى هذا الجهل كالتّوجّه إلى الجهل البسيط يوجب رفعه و يجعله في سلك العالمين.

نعم لو لم يرفعه فيمكن أن يؤدّى إلى مركّب النّقص و فيه مفاسد و منها عداوة العلم و العلماء.

---

١ ـ الحجرات / ١.　　٢ ـ الاعراف / ٣٢.　　٣ ـ الكهف / ١٠٣.

توضيح ذلك: انه لو لم يرفع الشّكّ فهو نظير من لم يشبع ميوله، في بعض الأحيان ينقل من ضمير المتنبّه إلى ضمير غير المتنبّه، فتحصل له عقدة، فهو من غير توجه ينزجر عن العلم و التّعليم و التّعلّم.

فيجب على الجاهل الشّاك ان يسئل عمّا يجهل به و يرفع شكّه، كما يجب على الجاهل بالجهل البسيط ان يرفع جهله، و كما يجب على كلّ امرءٍ ان يعرض معلوماته على أهل العلم في كلّ علم خوفاً من ان يكون جهلاً مركباً فلذا كانت سيرة اصحاب الائمةعليهم‌السلام على ذلك.

و لعلّه من أسرار ما يظهر من الروايات من ترتّب الثواب على التّعليم.

و قد تكون صفة قد اطلق على صاحبها في الفقه و العرف الوسواسى و المتردّد و في الفلسفة السوفسطي. و فيه خطر عظيم و خسران الدنيا و الاخرة. و يسوق صاحبه إلى تّيه الضلالة و هو مرتبة من الجنون. كما في رواية عن عبدالله بن سنان قال: «ذكرت لأبي عبداللهعليه‌السلام رجلاً مبتلى بالوضوء و الصّلوة و قلت هو رجل عاقل.

فقال أبو عبداللهعليه‌السلام و ايّ عقل له و هو يطيع الشيطان.

فقلت له و كيف يطيع الشيطان؟

فقال: سله هذا الّذي يأتيه من أي شيء هو؟ فانه يقول لك من عمل الشيطان».[١]

و السّرّ في ذلك ان القوة الواهمة في الوسواسي تستخدم القوة المتخيّلة، فتصور له صوراً ذهنيّة او خارجيّة فيرتكب اعمال المجانين طبقاً لما صُوّرت له. فهو يرى ما ليس له واقع و يعلم ما لا تكون في نفس الامر، مثلاً ان الوسواسي في الطّهارة و النجاسة كثيراً ما يرى النّجاسة التّخيّليّة يعني ما ليس في الخارج ولكن القوة المتخيلة توقعها في الخارج نظير الجبان الّذي يتوهم ان الميت خرج عن قبره و يعقّبه حتّى يحسّ انه اخذه. و القوة المتخيلة تؤثّر في عينه و سمعه و بدنه.

---

١ ـ اصول الكافى، ج ١، كتاب العقل و الجهل، ص ١٢، رواية ١٠.

و جملة القول ان الواهمة ان استخدمت المتخيلة تؤثّر في القوى الظّاهريّة و الباطنيّة فيتمثّل له ما لا واقع له في نفس الامر.

بل الوسواسي يقدر ان يستدل للنجاسة المحتملة بادلّة دقيقة ولكنها واهية، مع انّه لا يقدر على اقامة دليل للطهارة.

نعوذ بالله من ذلك الجنون الّذي يذهب بخير الدنيا و الاخرة.

و هو على قسمين: عملي و فكري.

و المراد من العملي، كون المرء على غير المعتاد بين الناس في أعماله سواء كانت عبادة او غيرها، و المراد من الفكري أن تهجم الخواطر الواهية و التّوهمات و التخيلات عليه.

و كلٌ اسؤ حالاً من الاخر، و كلّ منها مرتبة من مراتب الجنون، و كلّ من عمل الشّيطان و هو الوسواس الخنّاس.

الاترى ان الشّيطان كيف يخرج الوسواسي المتردّد عن الدين ملقياً عليه انّ فعله يوجب رضا ربّه؟ أ ليس هذا معنى قوله تعالى: ﴿**فبما اغويتنى لا قعدنّ لهم صراطك المستقيم * ثم لا تينّهم من بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم و لا تجد اكثر هم شاكرين**﴾.[1]

قال الباقر عليه السلام: «من بين ايديهم» اهون عليهم الاخرة «و من خلفهم» امرهم بجمع الاموال و منعها عن الحقوق لتبقى لورثتهم «و عن ايمانهم» افسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضّلالة و تحسين الشّبهة. «و عن شمائلهم» بتحبيب اللذّات و تغليب الشّهوات على قلوبهم.[2]

الاترى ان الوسواس الخنّاس من الشّيطان و نفس الوسواسي ذات المرض كيف يبرّر الباطل له؟ و كيف يخطر بباله ما ليس له في الواقع عين و لا اثر؟ نعوذ بالله من كيد الشّيطان و

---

١ ـ الاعراف / ١٦ و ١٧.

٢ ـ البرهان، ج ٢، ص ٥، رواية ٥.

من كيد النّفس سيّما إذا كانت مريضة. ثمّ من المهمّ الاجابة عن مساءلة تُطرح هيهنا، و هي: ما هو طريق معالجة هذا المرض؟

هذا المرض و ان كان صعب العلاج و لكن دوائه سهل جدّاً، فلو عمل به مدة قليلة يرتفع المرض بحسب الظّاهر ولو عمل به مدة طويلة كسنة ـ مثلاً ـ يقلع مادّته عن نفسه.

و ذلك الدّواء: هو عدم الاعتناء و الاعتبار به، بل العمل على خلاف ما يشتبه عليه و في الحقيقة مخالفة النّفس الامارة و الشّيطان الرجيم.

فهذا المرض كسائر الرّذائل، فكما ان رفع الرذائل يحصل بمخالفتها و عدم الاعتناء بها و عدم متابعتها بل بفعل ما لا تحبّ، فكذلك هذه الرّذيلة، فمخالفتها الّتي هي مخالفة الشّيطان، تمنع عن اشتعالها، و بمرور الزّمان و تكرار المخالفة يقلع عرقها، فتزول من اصلها.

و إلى هذا الدّواء اشار الائمّة عليهم السلام في روايات منها:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا كثر عليك السّهو فامض على صلوتك فانه يوشك ان يدعك انما هو من الشيطان».[1]

و قوله عليه السلام: «لا تعوّدوا الخبث من أنفسكم نقض الصّلوة فتطمعوه، فانّ الشّيطان خبيث معتاد لمّا عوّد، فليمض احدكم في الوهم و لا يكثرنّ نقض الصّلوة، فانه إذا فعل ذلك مرّات لم يعد إليه الشّك .... انّما يريد الخبيث ان يطاع، فاذا عصى لم يعد إلى احدكم».[2]

و الحاصل ان هذه الرّذيلة مصيبة عظيمة تترتب عليها رذائل و مصائب كثيرة. ولو لم يترتّب عليها إلّا سوء الظّن حتّى ينتهى إلى سوء الظّنّ بالله العظيم في الوسوسة الفكري كفى بها مصيبة.

الوسوسة العمليّة لو لم تكن لها مفسدة إلّا ذهاب البهجة و خمّة الروح و غلبة الهم و

---

١ ـ وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٣٢٩، باب ١٦ من ابواب الخلل، رواية ١.

٢ ـ وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٣٢٩، باب ١٦ من ابواب الخلل، رواية ٢.

الحزن و الاضطراب و الخوف على القلب ليكفي ردعاً عنها.

و ينبغي ان يعلم ان الوسواسي عملياً او فكرياً فاسق، لأن غالب اعماله يطابق الفسق لو لم يكن كبيرة موبقة.

و في ذيل هذه الرّذيلة نذكر آيات و روايات من غير تفسير، فعليك بتمييز بعضها عن بعض و تفسيرها و التدبر فيها.

روایات في ذمّ الجهل

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «لا ترى الجاهل إلّا مفرّطاً او مفرّطاً».[1]

عن جعفر عن أبيه عليه السلام انّ علياً عليه السلام قال: «ايّاكم و الجهال من المتعبّدين و الفجار من العلماء فانّهم فتنة كلّ مفتون».[2]

عن أبي عبدالله عليه السلام عن بائه عليهم السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من عمل على غير علم كان ما يفسده اكثر مما يصلح».[3]

روى عن الصادق عليه السلام انه قال: «قطع ظهرى اثنان: عالم متهتك و جاهل متنسّك، هذا يصدّ النّاس عن علمه بتّهتكه، و هذا يصدّ النّاس عن نسكه بجهله».[4]

قال على عليه السلام: «الجاهل صغير و ان كان شيخاً و العالم كبير و ان كان حدثاً».[5]

قال على عليه السلام: «لا كنز انفع من العلم و لا قرين سوء شر من الجهل».[6]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعلم رأس الخير كلّه و الجهل رأس الشرّ كلّه».[7]

قال على عليه السلام: «النّاس فعالم ربّانى، و متعلّم على سبيل نجاة، و همج رعاع اتباع كلّ

---

۱ ـ نهج البلاغة صبحي الصالح، حكمت ۷۰.

۲ ـ بحار الانوار، ج ۲، باب ۱۵، ح ۱، ص ۱۰٦.

۳ ـ بحار الانوار، ج ۱، باب ۵، ح ۷، ص ۲۰۸.

٤ ـ بحار الانوار، ج ۱، باب ۵، ح ۸، ص ۲۰۸.

۵ ـ بحار الانوار، ج ۱، باب ۱، ح ۸۵، ص ۱۸۳.

٦ ـ بحار الانوار، ج ۱، باب ۵، ح ۸۸، ص ۱۸۳.

۷ ـ بحار الانوار، ج ۷۷، باب ۷، ح ۹، ص ۱۷۵.

نا عق يميلون مع كلّ ريح لم يستضيئوا بنور العلم و لم يلجؤوا إلى ركن وثيق».[1]

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «انّ النّاس آلوا بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى ثلاثة: آلوا إلى عالم على هدى من الله قد أغناه الله بما علم عن علم غيره، و جاهل مدّع للعلم لا علم له معجب عنده قد فتنته الدنيا و فتن غيره، و متعلّم من عالم على سبيل هدى من الله و نجاة، ثمّ هلك من ادّعى و خاب من افترى».[2]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «النّاس ثلاثة: عالم و متعلّم و غثّاء».[3]

عن أبي عبدالله عليه السلام: «أُغد عالماً او متعلّما او احبّ أهل العلم و لا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم».[4]

---

۱ ـ نهج البلاغة، حكمت ۱٤۷.

۲ ـ اصول الكافي، ج ۱، ص ۳۳، باب اصناف الناس، ح ۱.

۳ ـ اصول الكافي، ج ۲، ص ۳٤، باب اصناف الناس، ح ۲.

٤ ـ اصول الكافي، ج ۱، ص ۳٤، باب اصناف الناس، ح ۳.

آيات في الريبة

﴿انّما يستأذنك الّذين لا يؤمنون بالله و اليوم الاخر و ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يتردّدون﴾.[1]

﴿و لقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه و لولا كلمة سبقت من ربّك لقضى بينهم و انّهم لفى شكّ منه مريب﴾[2]

﴿لا يزال بنيانهم الّذي بنوا ريبة في قلوبهم إلّا ان تقطّع قلوبهم و الله عليم حكيم﴾.[3]

﴿بل ادّرك علمهم في الاخرة بل هم في شكّ منها بل هم منها عمون﴾.[4]

﴿و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انّهم كانوا في شكّ مريب﴾.[5]

﴿.... كذلك يضلّ الله من هو مسرف مرتاب﴾.[6]

﴿بل هم في شكّ يلعبون﴾.[7]

﴿انّما المؤمنون الّذين امنوا بالله و رسوله ثمّ لم يرتابوا﴾.[8]

١ـ التّوبة / ٤٥. ٢ـ هود / ١١٠. ٣ـ التّوبة / ١١٠. ٤ـ النّمل / ٦٦.

٥ـ سبأ / ٥٤. ٦ـ غافر / ٣٤. ٧ـ الدّخان / ٩. ٨ـ الحجرات / ١٥.

﴿القيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد منّاع للخير معتد مريب﴾.(١)

﴿ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنّكم فتنتم أنفسكم و تربّصتم و ارتبتم و غرّتكم الامانىّ حتّى جاء أمر الله و غرّكم بالله الغرور﴾.(٢)

﴿و من النّاس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير الطمأنّ به و ان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدّنيا و الاخرة ذلك هو الخسران المبين﴾.(٣)

﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء و من يضلل الله فلن تجدله سبيلاً﴾.(٤)

و في مجمع البيان: في تفسير هذه الآية الشريفة، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «انّ مثلهم مثل الشاة العايرة بين الغنمين تتحيّر فتنظر إلى هذه و هذه لا تدري ايّهما تتبع».

١ـ ق / ٢٤ و ٢٥.   ٢ـ الحديد / ١٤.   ٣ـ الحجّ / ١١.   ٤ـ النّساء / ١٤٣.

الفصل الثّاني

الفضيلة الثّانية: التوحيد

الرّذيلة الثّانية: الشّرك

الفضيلة الثّانية : التّوحيد

اقسام التّوحيد

التّوحيد من أفضل الفضائل، و هو اساس الاديان الالهيّة سيّما الإسلام، و في القرآن نزل فيه الف آية باقسامه.

و هو ينقسم إلى اقسام اربعة: و هي التوحيد الّذاتي، و التوحيد الصّفاتي، و التوحيد العبادي، و التوحيد الافعالى.

و كلّ من الاقسام الاربعة لها اقسام. و سيأتي بيان الاقسام ان شاء الله تعالى.

و المراد من التّوحيد الذّاتي انّه ليس شيء بواجب الوجود إلّا الله تعالى. و قيل: انّه معنى كلمة لا اله إلّا الله.

و المراد من التّوحيد الصّفاتي انّ صفاته جلّ و علا عين ذاته و لا تركيب في ذاته، بل انّه صرف الوجود و الوجوب.

فنحن ذاتنا غير علمنا و علمنا غير قدرتنا، ولكنّه تعالى ذاته عين العلم و عين القدرة و ... ، فالعبارات متكثّرة ولكنها مشيرة إلى ذات واحد.

قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : «و كمال توحيده الاخلاص له. و كمال الاخلاص له نفي

الصّفات عنه».[١]

و هذا التّوحيد من أوضح الواضحات، لانّه لولا ذلك للزم احتياج الذّات إلى اجزائه احتياج الكلّ إلى الاجزاء، فيخرج وجوب وجوده عن وجوب وجوده و هذا خلف.

و المراد من التّوحيد العباديّ انّه لا يستحقّ للعبوديّة إلّا هو. و المشهور انّ هذا معنى كلمة التّوحيد.

و المراد من التّوحيد الافعاليّ ان لا موثّر في الوجود إلّا الله تعالى. و قيل: هذا معنى كلمة لا اله إلّا الله.

ولكن ارادة معنى عام يشمل المعانى الاربع من كلمة «لا اله إلّا الله» ليست مشكلة.

و الدّليل على التّوحيد الذّاتيّ و الصّفاتيّ و الافعاليّ و العباديّ و ان كان كثيراً جدّاً إلّا انّ الواضح منه المناسب لبحثنا هو الفطرة. و ذلك بتقريب انّ الإنسان إذا وقع في مورد يتقطّع عنه الاسباب كلّها يرى بالفطرة ذاتاً مجتمعاً للصّفات الجماليّة و الجلاليّة، فيلتجأ إليه و يدعوه مخلصاً له الدّين، فلا يرى غير الله، و لا يرى مؤثّراً إلّا الله، و لا يدعو إلّا الله، و يرى انّه عليم سميع رئوف قادر جواد .... ففطرته يلجئه إلى ان يدعوه.

فيرى التّوحيد الذّاتيّ و الصّفاتي و الافعاليّ و العباديّ بالفطرة. و بذلك صرّح الله تعالى بقوله: ﴿فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدّين فلمّا نجّيهم إلى البرّ اذاهم يشركون﴾.[٢]

اقسام التّوحيد الذّاتيّ

ثمّ انّ التّوحيد الذّاتيّ له اقسام: توحيد العوام، توحيد الخواصّ، توحيد اخصّ الخواصّ.

---

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١.

٢ ـ العنكبوت / ٦٥.

و المراد انّ عوام النّاس يعتقدون انّ الله هو الواحد و الواجب ليس إلّا هو، إلّا انّهم يرون الممكنات و الموجودات من الذّرّة إلى الدرّة بعينٍ تشير إلى استقلالها. و لكنّ الخواصّ يعتقدون انّ هذا شرك بل ليس في الدّار غيره ديّار، و ما يشاهد من ظواهر الموجودات فهو كسراب بقيعة يحسبه الظّمأن ماء، و انّها اعدام يحسبها الجاهل موجودات ذوات حقيقةٍ، فلولا قيّوميّة الحقّ تعالى لما كان للملك و الملكوت عين و لا أثر و لا خبر.

فالموجودات كلّها فقر محض و تدلّي صرف، و إلى هذا اشار تعالى بقوله: ﴿و كذلك نري ابراهيم ملكوت السّموات و الارض﴾.[۱]

و المراد «بملكوت السّموات و الارض» هو السّموات و الارض من جهة انتسابهما إلى الله تعالى. و جيئت بالواو و التّاء في «الملكوت» مبالغة ليُفهِم انّ ابراهيم عليه‌السلام رأى قيّوميّة الحقّ تعالى للاشياء كلّها، و يرى انّ الاشياء فقر محض و تدلّي صرف، بل اعدام على صورة الموجود.

فللّه درّ من أنشد:

به صحرا بنگرم صحرا تو بينم   به دريا بنگرم دريا تو بينم
بهر جا بنگرم كوه و در و دشت   نشان از قامت رعنا تو بينم

و اخصّ الخواصّ يعتقدون انّ هذا ايضاً فيه رائحةٌ من الشّرك، لانّه و ان رأى الاشياء اعداماً على صورة الموجود إلّا انّ رؤية الاشياء لا تنعدم بعد، فهو يرى انّ الاشياء اعدام و فقر و تدلّي فالتّوحيد الخالص هو لمن لا يرى في عالم الكون إلّا الله تعالى. و هو ما وصل إليه ابراهيم عليه‌السلام و حكاه عنه الذّكر الحكيم بقوله: ﴿انّي وجهّت وجهي للّذى فطر السّموات و الارض حنيفاً و ما أنا من المشركين﴾.[۲]

---

۱ ـ الانعام / ۷۵.   ۲ ـ الانعام / ۷۹.

اقسام التّوحيد الصّفاتي

الف ـ توحيد الخواص و هو ما سبق ذكره في تعريف التّوحيد الصّفاتي.

ب ـ توحيد اَخصّ الخواص، و هو ادقّ و انسب في الباب، و هو انّه لا حسن إلّا حسنه و لا علم إلّا علمه و لا قدرة إلّا قدرته و .....

قال تعالى: ﴿و ان من شيئ إلّا عندنا خزائنه و ما ننزّله إلّا بقدر معلوم﴾.[1]

فلذا قيل: انّ معنى «الحمدلله» انّ كلّ حامد يحمد ربّه، و ان حمد غيره تعالى فهو في الحقيقة و من غير التفاتٍ منه يحمده جلّ و علا، لأنّه لافضل إلّا فضله، فله ملك السّموات و إليه ترجع الأمور كلّها.

قال تعالى: ﴿اَلا إلى الله تصير الامور﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿له ملك السّموات و الارض و إلى الله ترجع الامور﴾.[3]

---

١ ـ الحجر / ٢١. ٢ ـ الشّورى / ٥٣. ٣ ـ الحديد / ٥.

روايات في توحيد الصفّات

عن الحسين بن خالد قال: سمعت الرضا على بن موسى عليه السلام يقول: «لم يزل الله تبارك و تعالى عالماً حيّاً قديماً سميعاً بصيراً ؛ فقلت له: يابن رسول الله انّ قوماً يقولون: إنّه عزّوجلّ يزل عالماً بعلم و قادراً بقدرة و حيّاً بحياة و قديماً بقدم و سمعيا بسمع و بصيراً ببصر؟

فقال عليه السلام: من قال: بذلك ودان به فقد اتّخذ مع الله الهة أُخرى و ليس من ولايتنا على شيءٍ. ثمّ قال عليه السلام: لم يزل عزّوجلّ عالماً قادراً حيّاً قديماً سمعياً بصيراً لذاته تعالى عمّا يقول المشركون و المشبهون علوّاً كبيراً».[1]

عن حمزة بن الربيع عمّن ذكره قال: «كنت في مجلس أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمرو بن عبيد فقال له: جعلتُ فداك قول الله عزّوجلّ: «و من يحلل عليه غضبي فقد هوى» ما ذلك الغضب؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: هو العقاب يا عمرو. انّه من زعم انّ الله عزّوجلّ قد زال من شيء شيء وصفه صفة مخلوق، انّ الله عزّوجلّ لا يستفزّه[2] شيء و لا يغيّره».[3]

عن هشام بن الحكم: «انّ رجلاً سأل ابا عبدالله عليه السلام عن الله تبارك و تعالى له رضى و

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٤، ص ٦٢، باب ١، ح ١.

٢ ـ أي: لا يستخفّه و لا يزعجه.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٤، ص ٦٤، باب ١، ح ٥.

سخط؟ قال: نعم و ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين. و ذلك لانّ الرّضا و الغضب دخّال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال، معتمل مركّب للاشياء فيه مدخل، و خالقنا لا مدخل للاشياء فيه، واحد احدىّ الّذات واحدىّ المعنى.

فرضاه ثوابه و سخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيّجه و ينقله من حال إلى حال، فأن ذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين، و هو تبارك و تعالى القوىّ العزيز، لا حاجة به إلى شيء ممّا خلق و خلقه جميعاً محتاجون اليه، انّما خلق الاشياء لامن حاجة و لا سبب اختراعاً و ابتداعاً».[1]

عن هشام بن الحكم انّه سأل الزنديق عن الصادق عليه السلام فقال: فلم يزل صانع العالم عالماً بالاحداث الّتي أحدثها قبل أن يحدثها؟

قال: لم يزل يعلم فخلق.

قال: أمختلف هو ام مؤتلف؟

قال: لا يليق به الاختلاف و لا الايتلاف، انّما المتجزّى و يأتلف المتبعّض، فلا يقال له: مؤتلف و لا مختلف.

فال: فكيف هو الله الواحد؟

قال: واحد في ذاتهِ فلا واحد كواحد، لانّ ما سواه من الواحد متجزّى و هو تبارك و تعالى واحد لا متجزّى و لا يقع عليه العدّ».[2]

عن أبي جعفر عليه السلام انّه قال في صفة القديم: «انّه واحد احد صمد احدىّ المعني ليس بمعان كثيرة مختلفة.

قال، قلت: جعلتُ فداك يزعم من اهل العراق انّه يسمع بغير الّذي يبصر و يبصر بغير

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٤، ص ٦٦، باب ١ من ابواب الصفات، ح ٧.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٤، ص ٦٧، باب ١، ح ٨.

الّذي يسمع؟

قال، فقال: كذبوا و ألحدوا و شبّهوا، تعالى الله عن ذلك، انّه سميع بصير، يسمع بما يبصر و يبصر بما يسمع.

قال، فقال: كذبوا و ألحدوا و شبّهوا، تعالىٰ الله عن ذلك، انّه سميع بصير، يسمع بما يبصر و يبصر بما يسمع.

قال، قلت: يزعمون أنّه بصير على ما يعقونه؟

قال، فقال: تعالى الله، انّما يعقل ما كان بصفة المخلوق و ليس الله كذلك». (١)

عن هشام بن الحكم قال: في حديث الزنديق الّذي سأل أبا عبدالله عليه السلام انّه قال له: «أتقول إنّه سميع بصير؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام: هو سميع بصير، سميع بغير جارحة و بصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه و يبصر بنفسه. و ليس قولي: انّه يسمع بنفسه انّه شيء و النّفس شيء آخر، ولكنّي اردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسئولاً، و افهاماً لك إذ كنت سائلاً. فاقول: يسمع بكلّه لا انّ كلّه له بعض، ولكنّي اردت فهامك و التعبير عن نفسي، و ليس مرجعي في ذلك إلّا إلى أنّه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات و لا اختلاف معني». (٢)

عن علي عليه السلام: «الحمدلله الّذي اعجز الاوهام أن تنال إلّا وجوده، و حجب العقول عن أن تتخيّل ذاته في امتناعها من الشبه و الشكل، بل هو الّذي لم يتفاوت في ذاته و لم يتبعّض بتجزية العدد في كماله، فارق الاشياء لا على اختلاف الاماكن، و تمكّن منها لا على المازجة، و علمها لا بأداة لا يكون العلم إلّا بها، و ليس بينه و بين معلومه علم غيره. ان قيل: «كان» فعلى تأويلي أزليّة الوجود، و ان قيل: «لم يزل» فعلى تأويلي نفي العدم. فسبحانه

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٤، ص ٦٩، باب ١، ح ١٤.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٤، ص ٦٩، باب ١، ح ١٥.

و تعالى عن قول من عبد سواه و اتّخذ الهاً غيره علوّاً كبيراً».[١]

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «اوّل الدّين معرفته، و كمال معرفته التّصديق به، و كمال التّصديق به توحيده، و كمال توحيده الاخلاص له، و كمال الاخلاص له نفي الصّفات عنه، لشهادة كلّ صفة انّها غير الموصوف و شهادة كلّ موصوف انّه غير الصّفة.

فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، و من قرنه فقد ثنّاه، و من ثنّاه فقد جزّأه، و من جزّأه فق جهله، و من جهله فقد اشار اليه، و من اشار إليه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه. و من قال «فيم» فقد ضمّنه، و من قال «علام» فقد اخلى منه.

كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم. مع كلّ شيء كلّ شيء لا بمقارنة، و غير كلّ شيء لا بمزايلة. فاعل لا بمعنى الحركات و الآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحّد از لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده».[٢]

اقسام التّوحيد العباديّ

و التّوحيد العباديّ على اقسام:

الف ـ التّوحيد في العبادة، بمعنى انّه لا يعبد إلّا ايّاه، فهو القائل و العامل بقوله تعالى: ﴿ايّاك نعبد و ايّاك نستعين﴾.

ب ـ التّوحيد في الطاعة، بمعني انّه لا يطيع غير الله أو من يرجع طاعته إلى طاعته تعالى، قال: ﴿من يطع الرّسول فقد اطاع الله﴾.[٣]

فطاعة الهوى شرك، قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتّخذ الهه هواه﴾.[٤]

و طاعة الشّيطان شرك، قال تعالى: ﴿الم اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا تعبدوا الشّيطان﴾[٥] و كلّ طاعة لا يرجع إلى طاعة الله فهو شرك قال: ﴿و انّ الشّياطين

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٤، ص ٢٢١، باب ٤، ح ١. ٢ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١.
٣ ـ النّساء / ٨٠. ٤ ـ الجاثية / ٢٣. ٥ ـ يس / ٦٠.

ليوحون اوليائهم ليجادلوكم و ان اطعتموهم انّكم لمشركون﴾.(١)

ج ـ التّوحيد في النّية، فمن عمل لغير الله في عباداته فهو كافر غير موحّد، و من عمل لله و لغيره فهو مشرك غير موحّد، و على كلا التّقديرين فهو المرائى، و مضافاً إلى بطلان عمله انّ الذنب المترتّب على نيّته عظيم.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الاذى كالّذي ينفق ماله رئاء النّاس و لا يؤمن بالله و اليوم الاخر﴾.(٢)

و من عمل لله و ابتغاء مرضاته فهو الموحّد و تحصيل هذا المقام مشكل خطير.

و عند اهل القلوب لو كان نيّته لله و ابتغاء مرضاته، ولكنّ الدّاعى غير الله كما إذا عمل ليصل إلى خير الدّنيا و الاخرة، فهو و ان لم يمكن بمرائي و انّه من المخلصين إلّا انّه لا يخلو من شوب الشّرك، بل نسب إلى الشّهيد الثّاني و السّيّد بن طاوس بطلان عمله هذا.

و الظّاهر انّ مرادهما لو صحّت النّسبة، هو عدم القبول لا عدم الصّحة، بل عدم قبوله ايضاً ليس بصحيح، و قد قال تعالى: ﴿انّ هذا لهو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون﴾.(٣)

و على كلّ حال قد وردت عن الأئمّة عليهم السلام انهم قالوا: «ما عبدتك خوفاً من نارك و لا طمعاً في جنّتك بل وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك» و البحث طويل الذّيل و سيأتي ان شاء الله متمّماته في بحثي الخلوص و الرّيا و مراتبهما و ما قيل او يمكن ان يقال فيه.

اقسام التّوحيد الافعالى

و امّا التّوحيد الافعالي فهو ايضاً على اقسام:

---

١ ـ الانعام / ١٢١. ٢ ـ البقرة / ٢٦٤. ٣ ـ الصّافّات / ٦٠ و ٦١.

الف ـ التّوحيد في الخالقيّة، قال تعالى: ﴿قل الله خالق كلّ شيءٍ﴾.[1]

و قدأعيد ذكر هذه الآية الشّريفة في الذكر الحكيم و قال تعالى: ﴿و الله خلقكم و ما تعملون﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿و ان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندالله و ان تصبهم سيّئة يقولوا هذه من عندك قل كلّ من عندالله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً * ما اصابك من حسنة فمن الله و ما اصابك من سيّئة فمن نفسك﴾.[3]

و في هذا القسم من التّوحيد الافعالي ابهام، و هو انّه كيف يكون جميع أعمال الإنسان من الله تعالى؟ كما هو ظاهر قوليه تعالى: ﴿و ما تعملون﴾ و: ﴿قل كلّ من عندالله﴾ حيث إنّهما يوهمان الجبر، كما انّ بين صدر الآية الشّريفه و ذيلها و هو قوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله و ما اصابك من سيّئة فمن نفسك﴾ ايهام التّناقض.

فكيف التّوفيق في الجواب؟ و كيف التّوفيق في رفع ايهام هذا التّناقض؟ و البحث عن هذه الأمور خارجٌ عن المقام، مرتبطاً بالحكمة المتعالية، كما انّه خارج عن فهم العموم بل الخواصّ، و مختصّ باخصّ الخواصّ. فلذا منع جمع من الأحاديث من الورود فيه و منها قول أميرالمؤمنين عليه السلام و قد سئل عن القدر: «طريق مظلم فلا تسكوه، و بحر عميق فلا تلجّوه، و سرّ الله فلا تتكلّفوه».[4]

فلذا نصرف القلم عن الورود في تلك المباحث الاستدلاليّة، و نكتفي بمثال اخذاً من التنزيل العزيز، و نرجو بذلك رفع الابهام و الايهام.

فنقول: يظهر من القرآن انّ الله تعالى سخّر لنا ما في السّموات و الارض و اسبغ علينا نعمه ظاهرة و باطنة.

---

١ ـ الرّعد / ١٦.　　٢ ـ الصّافات / ٩٦.　　٣ ـ النّساء ٧٨ و ٧٩.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٥، ص ١٢٤، باب القضاء و القدر، ح ٧٢.

قال تعالى: ﴿الم تروا انّ الله سخّر لكم ما في السّموات و ما في الارض و اسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة﴾.[١]

و من النّعم الظّاهريّة ارسال الرّسل و انزال الكتب و القوى الظّاهرة، و من النّعم الباطنيّة القوى الباطنيّة من العقل و تشخيص الهدى من الضّلال و الإرادة و اختيار السّبيل، قال تعالى: ﴿انّا هديناه السّبيل امّا شاكراً و امّا كفوراً﴾.[٢]

و قد دلّت آياتٌ كثيرة على انّ الله تعالى اعطانا هذه النّعم الباطنيّة و الظّاهريّة للتّجارة.

قال الله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا هل ادلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله باموالكم و أنفسكم﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿انّ الّذين يتلون كتاب الله و اقاموا الصّلوة و انفقوا ممّا رزقناهم سرّاً و علانية يرجون تجارة لن تبور﴾.[٤]

فهذه الدّنيا متجرٌ، و الإنسان هو التّاجر، و نعم الله تعالى من الظّاهريّة و الباطنيّة مال التّجارة. فهذا التّاجر قد يصرفه فيما اراد الله تعالى بالارادة التّشريعيّة، يعني في اشتراء سعادة الدّارين، و يشترى به خير الدّنيا و الاخرة. و قد يصرف مال التّجارة فيما لم يرد الله تعالى بالارادة التّشريعيّة، بل نهاه عنه في الكتاب و السّنّة، و هو خسران الدّنيا و الاخرة، قال تعالى: ﴿اولئك الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم﴾.[٥]

فبعد ذلك لا محيص عقلاً من ان يقال انّ هذه التّجارة كلّها من عندالله تعالى، لانّ مال التّجارة من النّعم الظّاهريّة كالقوى و من النّعم الباطنيّة من العقل و الاختيار و الإرادة و تسخير ما احتاج إليه و .... لله تعالى، قال تعالى: ﴿فسبحان الّذي بيده ملكوت كلّ شيء و

١ـ لقمان / ٢٠. ٢ـ الإنسان / ٣. ٣ـ الصفّ / ١٠ و ١١. ٤ـ فاطر / ٢٩.

٥ـ البقرة / ١٦.

إليه ترجعون﴾.[١]

و هذا معنى قوله تعالى: ﴿و الله خلقكم و ما تعملون﴾ و قوله تعالى: ﴿قل كلّ من عند الله﴾ و عدم ادراك ذلك من قلّة الفهم، قال تعالى: ﴿فما لهؤلاء القوم لا يفقهون حديثاً﴾.[٢]

و امّا ان قلنا انّ ما يترتّب على هذه التّجارة من الخيرات و البركات فهو من الله تعالى، فهو خير وقع في محلّه، لانّه اراده بالارادة التّشريعيّه و أمر بذلك في الكتاب و السّنّة. بل اعطاه مال التّجارة لذلك، فهي علّة غائيّة. و إن قلنا انّ ما يترتّب على هذه التّجارة من الخسران و الدّركات من التّاجر الّذي فعله فهو حقّ يليق به، لانّ الله تعالى لم يرد ذلك و لن يرضى به بالارادة التّشريعيّة بل نهاه عن ذلك في الكتاب و السّنّة، قال تعالى: ﴿و لا يرضى لعباده الكفر﴾[٣] و قال الله تعالى: ﴿فانّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾.[٤]

و هذا معنى قوله تعالى: ﴿ما اصابك من حسنة فمن الله و ما اصابك من سيّئة فمن نفسك﴾.[٥]

و هذا معنى قولهم عليهم السلام «لا جبر و لا تفويض ولكن أمر بين امرين».[٦]

ثمّ ينبغي ان يشار هنا إلى نكتة تتميا للبحث، و هو انّ لله تعالى لعباده الصّالحين عناية خاصّة، و هي ايصالهم إلى المطلوب او لا اقلّ من ابقائهم على الصّراط المستقيم، فهي من الطافه الخفيّة و من نعمه الباطنيّة. و هذه العناية لاتشمل الكفّار و الفسّاق غير محبوبين له تعالى، لعدم لياقتهم لهذه العناية الخاصّة.

و معلوم انّ من له هذه العناية الخاصّة فله خير الدّنيا و الاخرة، و من لم يكن له ايّاها فله شرّ الدّارين. و انّ الأوّل هو المهتدي و الثّاني هو الضّالّ، و في ضلالته لا يحتاج إلى

---

١ ـ يس / ٨٣. ٢ ـ النّساء / ٧٨. ٣ ـ الزّمر / ٧. ٤ ـ التّوبة / ٩٦.
٥ ـ النّساء / ٧٩. ٦ ـ اصول الكافي، ج ١، ص ١٦٠، باب الجبر و التّفويض، ح ١٣.

مضلّ، بل انّه إذا لم تشمله العناية فيضلّ ضلالاً بعيداً.

و هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتّقين﴾[١] و أمثاله كقوله تعالى: ﴿و ما يضلّ به إلّا الفاسقين﴾[٢] و قوله تعالى: ﴿فيضل الله من يشاء و يهدى من يشاء و هو العزيز الحكيم﴾.[٣]

فالمراد من انتساب الاضلال إلى الله تعالى عدم هدايته و عدم ايصاله إلى المطلوب و عدم انجائه عن الهلكة، لعدم لياقته و عدم استعداده، لانّه باعماله الطّالحة و باتّباعه الهوى بطل لياقته و استعداده. فلذا نسب في آيات أخرى الضّلالة إلى نفسه، و من تلك الايات:

قوله تعالى: ﴿و من يتبدّل الكفر بالايمان فقد ضلّ سواء السّبيل﴾.[٤]

وفّقنا الله و ايّاكم لدرك دقائق القرآن الّذي فيه تبيان لكلّ شيئ. و القد خرجنا عمّا كنّا فيه ولكن هذا المقدار ممّا لابدّ منه.

ب ـ الرّبوبيّه التّكوينيّة، بمعنى انّه لا مدبّر في الوجود إلّا الله تعالى، و انّه لا موثّر في الوجود إلّا هو، و اسم الرّبّ أعيد في الذّكر الحكيم أزيد من ألف مرّةٍ، و لااسم من أسمائه تعالى يضاهيه عدداً إلّا اسم «الله» جلّ و علا.

قال تعالى في مفتتح الذكر بعد البسملة: ﴿الحمدلله ربّ العالمين﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿قل أغير الله ابغى ربّاً و هو ربّ كلّ شيء﴾.[٦]

و نظير الايتين الدّالّتين على حصر الرّبوبيّة التّكوينيّة في الله تعالى كثير جدّاً.

٢ ـ الرّبوبيّة التّشريعيّة، و المراد منها انّ الحكم و السلطة و التقنين مختصّ بذات البارى تعالى، و ليس لأحد ان يدّعى الحكومة و ان يسلّط على احد إلّا باذنه تعالى. فمن نصب نفسه حاكماً من غير اذنه او يقنّن كذلك فهو مشرك، لانّه يدّعى ما لا يكون له فيه حقّ و

---

١ ـ البقرة / ٢. ٢ ـ البقرة / ٢٦. ٣ ـ ابراهيم / ٤. ٤ ـ البقرة / ١٠٨.

٥ ـ الحمد / ١. ٦ ـ الانعام / ١٦٤.

جعل نفسه شريكاً في حكومته.

قال تعالى: ﴿ان الحكم إلّا لله﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿انّما وليّكم الله و رسوله و الّذين امنوا الّذين يقيمون الصّلوة و يؤتون الزّكوة و هم راكعون﴾.[٢]

و ليس لأحد ان يقنّن قانوناً لنفسه او غيره.

قال تعالى: ﴿و من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿و من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون﴾.[٥]

و البحث عن ذلك طويل الذّيل، و نرجو من الله ان يوفّقنا في بابٍ من أبواب هذا الكتاب ان نبحث عنه على سبيل التّفصيل و الاستدلال، امّا الآن فلانبحث عنه أزيد من ذلك لئلّا نخرج عن طور الكتاب.

ج ـ التّوحيد في المالكيّة، و هو على قسمين أيضاً.

١ ـ التّوحيد في الملكيّة الحقيقيّة، بمعني انّ الكون كلّه مخلوق له تعالى.

قال تعالى: ﴿و لله ملك السّموات و الارض﴾.[٦]

و قد مرّ الكلام فيه اجمالاً في التّوحيد في الخالقيّة.

٢ ـ التّوحيد في الملكيّة الا عتباريّة، بمعنى انّ الكون ملكٌ له تعالى، و كلّ ما يكون عند غيره منسوباً إليه فهو له تعالى، فهو و ما بيده ملك لله تعالى بالملكيّة التّكوينيّة و الا عتباريّة.

قال تعالى: ﴿و اتوهم من مال الله الاذي ءاتاكم﴾.[٧]

---

١ ـ الانعام / ٥٧ و يوسف / ٤٠ و ٦٧. ٢ ـ المائدة / ٥٥. ٣ ـ المائدة / ٤٤.
٤ ـ المائدة / ٤٥. ٥ ـ المائدة / ٤٧. ٦ ـ آل عمران / ١٨٩. ٧ ـ النّور / ٣٣.

و قال تعالى: ﴿و انفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيه﴾.[١]

و ما قيل من انّه لا فرض للملكيّة الاعتباريّة بعد وجود الملكيّة الحقيقيّة فليس بسديد، لانّ الله تعالى أشار إليها في آيات كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿و اعلموا انّما غنمتم من شيء فانّ لله خمسه و للرّسول و لذي القربى﴾.[٢]

و جملة القول فيه: انّ من يتصرّف في ملك الله تعالى من غير وجهه فهو مشرك، و من لم يأت في مال الله بالّذي أمر تعالى به فهو مشرك.

د ـ التّوحيد في الاستعانة، و هو على أقسام.

١ ـ التّوحيد في التّأثير، بمعنى انّه لا معين و لا مؤثّر في الوجود إلّا الله تعالى، فمن رأى انّ غير الله يؤثر في انجاح حوائجه فهو مشرك، و قد مرّ الكلام فيه.

٢ ـ التّوحيد في التّسبيب، بمعني انّ الاسباب الظّاهريّة ليست باسباب مستقلّة و ان كانت مؤثّرة، لانّ تأثيرها من الله تعالى، فهو السبّب العاجل فيه. فهو و إن يعدّ من لوازم الإيمان إلّا انّ اكثر النّاس في العمل يخالفونه و إلى هذا أشار تعالى: ﴿و ما يؤمن أكثر هم بالله إلّا و هم مشركون﴾.[٣]

و في نور الثّقلين روىٰ مذيّلًا عليها ما يدلّ على المراد منها، و منها ما عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام في قوله: «و ما يؤمن أكثرهم بالله إلّا و هم مشركون» قال: هو الرّجل يقول لولا فلان لهلكت، و لولا فلان لاصبت كذا و كذا، و لولا فلان لضاع عيالي. الا ترى انّه قد جعل شريكاً في ملكه يرزقه و يدفع عنه؟ قال: قلت: فيقول: لولا ان منّ الله عليّ بفلان لهلكت؟ قال: نعم لا بأس بهذا.[٤]

---

١ ـ الحديد / ٧. ٢ ـ الانفال / ٤١. ٣ ـ يوسف / ١٠٦.

٤ ـ نور الثّقين، ج ٢، ص ٤٧٦.

نعم في رواية أخرى جعل طاعة الشّيطان من مصاديق الآية الشّريفة، و هي هذه: عن أبي عبدالله عليه‌السلام في قول الله عزّوجلّ: «و ما يؤمن اكثرهم بالله إلّا و هم مشركون» قال: يطيع الشّيطان».[١]

و لا منافات بين الرّوايتين لكون كلّ واحد منهما بصدد تبيين المصداق.

٣ ـ التّوحيد في قلع السّبب، و معناه انّ الموحّد بالتّوحيد الافعالي لا يرى السّبب إلّا الله تعالى، و لا يرى المؤثّر إلّا هو فينحصر السببيّة و المؤثريّة فيه تعالى، و ما يظهر انّه سبب طوليٌ مؤثرٌ فهو كسراب بقيعة يحسبه الظّمأن ماء، فهو سبب صوريّ و مؤثّر غير واقعي. ولله درّ من أنشد بالفارسيّة:

ديده‌اى خواهم سبب سوراخ كن تا سبب را بر كند از بيخ و بن

و لعلّ قوله تعالى: ﴿ايّاك نعبد و ايّاك نستعين﴾[٢] اشارة إلى هذه المرتبة، لمكان الحصر و لوحدة السّياق.

هذا اقسام التّوحيد، وترى انها تبلغ خمسة عشر قسماً. و هذا الاقسام قد يوجد للانسان بالعلم و أخرى باليقين بمراتبه من العلم و العين و الحقّ، فالاقسام حينئذ تبلغ ستّين.

و حصولها للإنسان سيّما مرتبة حق اليقين أو عين اليقين من التوحيد الأفعالى في غاية الصّعوبة. و أغلب هذه المراتب لايحصل إلّا بالرّياضات الدّينيّة و الالهام من ربّ العالمين. فقوله تعالى: ﴿و ما يؤمن اكثرهم بالله إلّا و هم مشركون﴾ ثابتٌ بالتجربة و الاختبار. فنعوذ بالله من الشّرك الّذي يكون من ارذال الرّذائل. نعم غالب هذه الاقسام غير مضرّ بالاسلام.

---

١ ـ نور الثّقلين، ج ٢، ص ٤٧٥.

٢ ـ الحمد / ٥.

قال الرّضا عليه السلام في ذيل هذه الآية الشّريفة: «شرك لا يبلغ به الكفر».[١]

و استفادة ذلك من الآية الشّريفة ايضاً ليست بمشكلة، لانّ الآية الشّريفة اثبتت الايمان اولاً لأكثر الناس ثمّ أشارت إلى مزج إيمانهم بالشرك.

و ملخّص القول انّ عدم حصول غالب تلك الاقسام غير مضرّ بالاسلام، و إلّا فيجب أن يحكم بأنّ المسلمين كلّهم إلّا الأوحديّ منهم غير مسلمين، و هو كما ترى.

بل انّ عدم حصول غالب تلك الأقسام غير مضرّ بالنّجات و لا يشمله قوله تعالى: **﴿انّ الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**.[٢]

فالآية تختصّ بالشّرك الجليّ، و غالب تلك الاقسام من الشّرك الخفيّ، نعم وصول الإنسان إلى مقام اللّقاء في الدّارين يحتاج إلى تحصيل تلك الأقسام كلّها.

---

١ ـ نور الثّقلين، ج ٢، ص ٤٧٥.

٢ ـ النّساء / ٤٨.

روايات في فضل التّوحيد

ابن شريح بن هاني عن أبيه قال: انّا عرابياً قام يوم الجمل إلى اميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا اميرالمؤمنين أتقول: انّ الله واحد؟

قال: فحمل النّاس عليه و قالوا: ياا عرابيّ أما ترى ما فيه اميرالمؤمنين من تقسّم القلب فقال اميرالمؤمنين عليه السلام: دعوه، فانّ الّذي يريده الاعرابيّ هو الّذي نريده من القوم.

ثمّ قال: ياا عرابيّ انّ القول في انّ الله واحد على اربعة اقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّوجلّ، و وجهان يثبتان فيه.

فامّا اللّذان لا يجوزان عليه فقول القائل: واحد يقصد به باب الاعداد فهذا، ما لا يجوز، لانّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الاعداد. أما ترى انّه كفر من قال انّه ثالث ثلثه؟ و قول القائل: هو واحد من النّاس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز، لانّه تشبيه، وجلّ ربّنا و تعالى عن ذلك.

و امّا الوجهان اللّذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له في الاشياء شبه، كذلك ربّنا. و قول القائل: انّه عزّوجلّ احدىّ المعني يعني به انّه لا ينقسم في وجود و لا عقل و لا وهم، كذلك ربّنا عزّوجلّ». [1]

عن هشام بن الحكم قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام ما الدليل على انّ الله واحد؟

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٣، ص ٢٠٦، ح ١.

قال: اتّصال التّدبير و تمام الصنع، كما قال عزّوجلّ: لو كان فيهما لفسدتا».[١]

عن الرضا عليه‌السلام قال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمّد يقول: سمعت أبي محمّد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي بن ابي طالب يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهم‌السلام يقول: سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله جلّ جلاله يقول: «لا اله إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي. (قال:) فلمّا مرّت الرّاحلة نادانا: بشروطها و أنا من شروطها».[٢]

قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «التّوحيد ثمن الجنّة».[٣]

في خبر اسماء النبيّ و اوصافه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «.... فبالتّوحيد حرّم اجساد امّتي على النّار».[٤]

عن اميرالمؤمنين عليه‌السلام عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عن جبرئيل سيّد الملائكة قال: قال الله سيّد السادات جلّ و عزّ «انّي انا الله لا اله إلّا أنا من اقرّلي بالتّوحيد دخل حصني و من دخل حصني أمن عذابي».[٥]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٣، ص ٢٢٩، ح ١٩.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٣، ص ٧، ح ١٦.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٣، ص ٣، ح ٣.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٣، ص ٣، ح ٤.

٥ ـ بحار الانوار، ج ٣، ص ١٠، ح ٢٢.

روايات في فطريّة التّوحيد

عن زرارة قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ «**فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها**»؟ قال: فطرهم على معرفته انّه ربّهم، و لولا ذلك لم يعلموا ـ إذا سئلوا ـ من ربّهم و لا من رازقهم».(۱)

عن زرارة قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام من قول الله «**حنفاء لله غير مشركين به**» ما الحنيفية؟ قال: هي الفطرة الّتي فطر النّاس عليها، فطر الله الخلق على معرفته».(۲)

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «كلّ مولود يولد على الفطرة، يعني على المعرفة بانّ عزّوجلّ خالقه، فذلك قوله: **و لئن سألتهم من خلق السموات و الارض ليقولنّ الله**».(۳)

عن علاء بن الفضيل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «سألته عن قول الله عزّوجلّ «**فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها**»؟ قال: التّوحيد».(٤)

عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال قلت: «**فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها**»؟ قال: التّوحيد».(٥)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: **فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها**، قال:

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۳، ص ۲۷۹، ح ۱۳.

۲ ـ بحار الانوار، ج ۳، ص ۲۷۹، ح ۱۲.

۳ ـ بحار الانوار، ج ۳، ص ۲۷۹، ح ۱۱.

٤ ـ بحار الانوار، ج ۳، ص ۲۷۷، ح ٤.

٥ ـ بحار الانوار، ج ۳، ص ۲۷۷، ح ٥.

فطرهم على التّوحيد».[1]

و قد يستفاد من هذه الرّوايات ان التّوحيد باقسامه كمعرفته عزّوجلّ فطرى.

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۳، ص ۲۷۷، ح ٦.

الرّذيلة الثّانية: الشّرك

هذه الرّذيلة من أرذل الرّذائل و أقبحها، بل لا رذيلة مثلها حتّى الكفر و الالحاد، لانّ الملحد يظلم نفسه و لكنّ المشرك يظلم الله تعالى حيث جعله كالحجر و الشّجر و الإنسان الضّعيف بل الحيوان و ذلك بجعلها الهة كما جعل الله تعالى الهاً، تعالى الله عمّا يقول المشركون فلذا عبّر عن الشّرك في الذكر العزيز بالظلم العظيم.

قال الله تعالى: ﴿**و إذ قال لقمان لأبنه و هو يعظه يا بنيّ لا تشرك بالله انّ الشّرك لظلم عظيم**﴾.[1]

و هذه الرّذيلة تزيل استعداد المغفرة فمن مات مشركاً لا يغفر الله له كما يظهر ذلك من القرآن.

قال تعالى: ﴿**انّ الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾.[2]

و جملة القول انّ المشرك ساقط في الغاية، قال الله تعالى: ﴿**و من يشرك بالله فكانّما خرّ من السّماء فتخطفه الطّير او تهوى به الرّيح في مكان سحيق**﴾.[3]

و الانصاف انّ من جعل مثل الحجر و الشّجر و الحيوان و الإنسان بل مثل الشّيطان

١ـ لقمان / ١٣.　　٢ـ النّساء / ٤٨.　　٣ـ الحجّ / ٣١.

الهة كما جعل الله الهاً حقيقٌ أن يقال له: ﴿و قاتلوا المشركين كافّة﴾[١] و ﴿انّما المشركون نجس﴾[٢] و ﴿لإن اشركت ليحبطنّ عملك﴾.[٣]

قال تعالى: ﴿يا ايّها النّاس ضرب مثل فاستمعوا له انّ الّذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له و ان يسلبهم الذّباب شيئاً لا يستنقذوه ضعف الطّالب و المطلوب * ما قدروا الله حقّ قدره انّ الله لقويّ عزيز﴾.[٤]

و هذه الآيات المباركات سيّما قوله تعالى: ﴿ما قدروا الله حقّ قدره﴾ تثبت اوّلاً دنائة هذه الرّذيلة، و ثانياً تشير إلى أنّه يحقّ للمشرك لو قيل له: ﴿قتل الإنسان ما اكفره﴾.[٥]

و بالضّرورة ليس كفران أقبح و اشدّ من الشّرك و جعل المخلوق تلواً للذّات الجامع لجميع صفات الجمال و الجلال، سبحان الله عمّا يقول المشركون.

ثمّ لابدّ أن نذكر انّ للشّرك اقساماً كما للتّوحيد اقسام و جميع أقسام الشرك قبيحٌ. و حيث انّا قد فصّلنا الكلام في التّوحيد فلا نحتاج إلى تفصيل أقسام الشرك، فنختم البحث بنكتة لطيفة و هي:

ان الله تعالى جعل الهوى الهاً و قال: ﴿أفرأيت من اتّخذ الهه هواه﴾[٦] كما جعل الاصنام الهة و منع عن متابعتهما.

فعند اهل الله لا فرق بين من عبد آلة الرجوليّته او الأنوثيّة كما يشاهد في بعض الجهلة الغفلة من الملل السفلة، و بين من تابع الشّهوة الجنسيّة، فكلاهما شرك، احدهما شرك العوام و الاخر شرك الخواصّ. كما لا فرق بين من جعل الشّيطان معبوداً و بين من تابعه، فلذا يشاهد انّ القرآن جعل اتباعه عبادته و قال: ﴿الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشّيطان﴾[٧] و ما الفرق بين من جعل بعض الكواكب ربّاً و رأى انّه يؤثّر في حيوته، و بين

---

١ ـ التّوبة / ٣٦.   ٢ ـ التّوبة / ٢٨.   ٣ ـ الزّمر / ٦٥.   ٤ ـ الحجّ / ٧٣ و ٧٤.

٥ ـ عبس / ١٧.   ٦ ـ الجاثية / ٢٣.   ٧ ـ يس / ٦٠.

من رأى عقله بل مكره دخيلاً و مؤثّراً في تعيّشه، و بين من رأى فلاناً مؤثّراً في رئـاسته فيتملّق له ليصل عنده إلى مآربه.

اعاذنا الله من الشّرك الّذي الخلاص عنه في غاية الصّعوبة.

و في الخاتمة نذكر بعض الآيات تتميماً للبحث:

آيات في الشرك

﴿و لا تـدع مـن دون الله مـا لا يـنفعك و لا يـضرّك فـان فـعلت فـانّك إذاً مـن الظالمين﴾.[1]

﴿قل من ربّ السّموات و الارض قل الله قل أفاتّخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً و لا ضرّاً قل هل يستوى الأعمى و البصير أم هل تستوى الظّلمات و النور ام جعلوا الله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾.[2]

﴿لو كان فيهما الهة إلّا الله لفسدتا﴾.[3]

﴿و من اضلّ ممّن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة و هم عن دعائهم غافلون﴾.[4]

﴿انّما تعبدون من دون الله أوثاناً و تخلقون إفكاً انّ الّذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرّزق و اعبدوه و اشكروا له إليه ترجعون﴾.[5]

﴿ام اتّخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً و لا يعقلون﴾.[6]

﴿ما اتّخذ الله من ولد و ما كان معه من اله إذاً لذهب كلّ إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون﴾.[7]

---

١ ـ يونس / ١٠٦. ٢ ـ الرّعد / ١٦. ٣ ـ الانبياء / ٢٢. ٤ ـ الاحقاف / ٥.

٥ ـ العنكبوت / ١٧. ٦ ـ الزّمر / ٤٣. ٧ ـ المؤمنون / ٩١.

﴿و اتّخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً و هم يخلقون و لا يملكون لأنفسهم ضرّاً و لا نفعاً و لا يملكون موتاً و لا حياة و لا نشوراً﴾.(۱)

﴿ذلكم الله ربّكم له الملك و الّذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * ان تدعوهم لا يسمعوا دعائكم و لو سمعوا ما استجابوا لكم﴾.(۲)

﴿لا تسجدوا للشّمس و لا للقمر و السجدوا الّذي خلقهنّ ان كنتم ايّاه تعبدون﴾.(۳)

﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً و هم يخلقون * و لا يستطيعون لهم نصراً و لا أنفسهم ينصرون * و ان تدعوهم إلى الهدى لا يتّبعوكم سواء عليكم أدعو تموهم ام أنتم صامتون * انّ الّذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين * الهم أرجل يمشون بها ام لهم أيد يبطشون بها ألم لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركائكم ثم كيدون فلا تنظرون﴾.(٤)

﴿و إذا مسّ الإنسان ضرّ دعا ربّه منيباً إليه ثمّ إذا خوّله نعمة منه نسى ما كان يدعوا إليه من قبل و جعل لله انداداً ليضلّ عن سبيله قل تمتّع بكفرك قليلاً انّك من اصحاب النّار﴾.(٥)

---

۱ ـ الفرقان / ۳. ۲ ـ الفاطر / ۱۳ و ١٤. ۳ ـ فصّلت / ۳۷.

٤ ـ الاعرف / ۱۹۱ ـ ۱۹۵. ٥ ـ الزّمر / ۸.

الفصل الثّالث

الفضيلة الثّالثة: التفكّر

الرّذيلة الثّالثة: الغفلة

الرّذيلة الرابعة: المكر و الخدعة و الكيد

الفضيلة الثّالثة: التفكّر

مقدّمة

١ ـ مبدأ الفكر:

هذا فضيلة نعمّا هو، حيث انّ خير الدّنيا و الاخرة مرهون له، و هو افضل العبادات حتّى روى: «تفكّر ساعة خير من عبادة سنة».[1]

و قبل الورود في بيان فضله و ما يترتّب عليه من المباحث ينبغي أن نبيّن مبدأ التفكّر و هذا التّبيين مفيد جدّاً لما نحن بصدده من المباحث، لانّه يبيّن معنى القلب و النّفس و الرّوح، و معلوم انّ التحقيق حول الفكر يتوقّف على تبيين هذه المعاني الثلاث و نظائرها الراجعة إلى حقيقة الانسان.

و قبل الورود ينبغي التّنصيص على انّ هذا التّبيان قائمٌ على أساس القرآن و الرّوايات و ما يستفاد منهما، لا من وجهة نظر الفلسفة و العرفان، لانّ ذلك خارج عن المقام و يطلب له مقاماً اخر. نعم قد ينتهي الكلام إلى البحث عن المستفاد منهما ايضاً إلّا انّه يكون طرداً

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٢٧، باب التّفكّر، ح ٢٢.

للباب لا بالأصالة.

۲ ـ تركيب الإنسان من المادّة و الروح أو من الجسم و النّفس:

ان الإنسان مركب من بعدين، بل وجهتين: بعد ملكوتي و بعد ناسوتي. و بعبارةٍ أخرى بعد روحاني و بعد مادّي.

و دليل تركبّه منهما و ان كان كثيراً جدّاً، كادّخار معلوماته و وجودها معه مع تبدّل جهته المادّيّة على الدوام، فربّ معلوم علمه في الشّباب ثمّ يستفيد منه في المشيب مع تغيير كلّي فيه من حيث مادّته فيعلم انّ وعاء المعلومات ليس جهته هذه، و نحو بقاء تشخّصه من اوّل عمره إلى اخره مع تبدّل جهته المادّية، و نحو انّ فيه نفسيّةٌ تعمل بالالات و الجوارح، فتقول: افكّر بالدماغ و احسّ بالقلب وارى بالعين و اسمع بالاذن. ولكنّ الاجود من الكلّ الّذي تطمئنّ إليه النفس هو قوله تعالى:

﴿الّذي أحسن كلّ شيء خلقه و بدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثّم سوّاه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السّمع و الابصار و الافئدة قليلاً ما تشكرون﴾.(۱)

و قوله تعالى: **﴿فاذا سوّيته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾**.(۲)

و قوله تعالى: **﴿و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثمّ خلقنا النّطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثمّ انشاناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين﴾**.(۳)

و قوله تعالى: **﴿و يسئلونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربّي و ما اوتيتم من العلم إلّا**

---

۱ ـ السّجدة / ۷ ـ ۹.   ۲ ـ الحجر / ۲۹.   ۳ ـ المؤمنون / ۱۲ ـ ۱٤.

قليلاً﴾.[1]

٣ ـ كيفيّة تركيب الانسان:

و كيفيّة تركيبه من المبهمات لا يعلمها إلّا الله تعالى، كما هو في حقيقته. و لعلّ معنى قوله تعالى: ﴿قل الرّوح من أمر ربّى﴾ انّ الإنسان لا يمكن له ان يدرك حقيقته. و يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿و ما اوتيتم من العلم إلّا قليلاً﴾.

و مستخلص القول فيه ما ذهب إليه مفكّروا العالم برمّتهم، من كون حقيقة الروح و تركيب الإنسان منه و من مادّته من المجهولات المطلقة الّتي لا علم لأحدٍ بالنسبة إليها، فقول الحكماء: انّه الحيوان الناطق يشير إلى فصله المشهور لا حقيقته.

و يمكن ان يقال انّ تركيبه تركيب تدبيرى تدبّر النّفس جهة الإنسان المادّية، ثمّ تستكمل النس بها. و ان شئت قلت انّ الجهة المادّيّة آلة لها، فهو يتعقّل بالدماغ و يفهم بالقلب و يرى بالعين و يسمع بالاذن و ينطق باللسان. و لذا اشتهر: انّه في وحدته كلّ القوى.

٤ ـ اسماء الرّوح في القرآن:

الف ـ النّفس الملهمة، قال تعالى: ﴿و نفس و ما سويها فالهمها فجورها و تقويها﴾.[2]

و لعلّ تسميتها بهذا الاسم لكونها تجد الفضائل و الرّذائل و تدركها من غير تعلّم، فتدرك الفضائل كالعفّة و الشجاعة بالعلم الحضوري كما تدرك الرذائل بنفس العلم.

و قد مرّ شطر من الكلام فيها في صدر الكتاب.

ب ـ النّفس اللوّامه، قال تعالى: ﴿لا اقسم بيوم القيامة * و لا اقسم بالنّفس

---

١ ـ الاسراء / ٨٥.   ٢ ـ الشمس / ٨.

اللوّامه﴾.[١]

و لعلّ تسميتها بهذا الاسم لأنّها تلوم صاحبها بعد الاتيان بقبيح، لانّها قبله تكـفّ صاحبها عنه و تزجره بعده و تلومه، كما انّه قبل العمل الحسن ترغّبه إليه و بـعد العـمل تحسّنه. فلذا يمكن تسميتها بهذه الجهة النّفس المحسّنة.

ج ـ الفطرة، قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ اكثر النّاس لا يعلمون﴾.[٢]

و سمّاها الله بالفطرة، لانّ الفطرة لغة هو الركز و الصّوت الخفي، و حيث انّ لها الالهام، كما قال تعالى: ﴿و نفس و ما سويها فالهمها فجورها و تقويها﴾[٣] يقال لها الفطرة.

قال الرّاغب في المفردات: «.... و فطرة الله هي ما ركز فيه من قوّته على معرفة الايمان، و هو المشار إليه بقوله: ﴿و لئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله﴾.

د ـ الرّوح، قال تعالى: ﴿و يسئلونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربّى﴾.[٤]

و سمى الرّوح روحاً، لانّه لطيفة ربّانيّة يدبّر البدن فكانّه نفخ فيه، قال الله تعالى: ﴿و نفخت فيه من روحى﴾.[٥]

هـ ـ العقل، قال تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكن اياته لعلّكم تعقلون﴾.[٦] و قدأ عيد ذكر قوله تعالى ﴿لعلكّم تعقلون﴾ في الذكر الحكيم و هي تدلّ على انّ التّعقّل محبوب له تعالى، و تستفاد من هذه الآية و نظائرها انّ من العلل الغائية لنزول القرآن هو التّعقّل، و سيأتي ذكر بعض الايات.

بل القرآن جعل من لا يعقل اخسّ من كلّ دابّة و جعل الرّجس عليه.

قال الله تعالى: ﴿انّ شرّ الدّوابّ عند الله الصّمّ البكم الّذين لا يعقلون﴾.[٧]

---

١ ـ القيامة / ١ و ٢. ٢ ـ الرّوم / ٣٠. ٣ ـ الشّمس / ٨. ٤ ـ الاسراء / ٨٥.
٥ ـ الحجر / ٢٩. ٦ ـ البقرة / ٢٤٢. ٧ ـ الانفال / ٢٢.

و قال الله تعالى: ﴿و يجعل الرّجس على الّذين لا يعقلون﴾.[١]

و اخيراً قال حاكياً من أهل النّار: ﴿و قالوا لو كنّا نسمع او نعقل ما كنّا في أصحاب السّعير﴾.[٢]

و العقل من العقال، و هو الامساك و الكفّ، فلذا سمّى الدّية عقلاً، لأنّها تكفّ عن سفك الدّماء و سمّى العقل عقلاً، لانّه يكفّ صاحبه عن القبائح و الخطايا و ابقائه على صراط مستقيم.

و ـ اللّبّ، قال تعالى: ﴿و من يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً و ما يذّكّر إلّا اولوا الالباب﴾.[٣]

و قيل: انّ اللّبّ هوالعقل الخالص، فلا يطلق على العقل المشوب بالقبائح و الأباطيل.

و لعلّ السر في تسمية الحق جلّ و علا ايّاه به لانّ اللّبّ صميم الشّئ و حقيقته، فكذلك الرّوح بالنّسبة إلى الانسان.

ز ـ القلب، قال تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال و لا بنون * إلّا من أتى الله بقلب سليم﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿انّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار﴾.[٦]

و ممّا يدلّ على جلالة القلب قوله تعالى: ﴿و اعلموا انّ الله يحول بين المرء و قلبه﴾،[٧] لانّ المراد بذلك انّ الله تعالى هو مقلّب القلوب فقلوب الناس بيده يقلّبها كيف يشاء، و سمّى القلب بذلك قلباً.

و قيل: انّ قوله: ﴿يحول بين المرء و قلبه﴾ اشارة إلى قلوب الخواصّ من عباده الّذين ارادتهم بيده تعالى و تابعة لارادته، قال تعالى: ﴿و ما تشائون إلّا ان يشاء الله﴾.[٨]

---

١ ـ يونس / ١٠٠. ٢ ـ الملك / ١٠. ٣ ـ البقرة / ٢٦٩. ٤ ـ الشّعراء / ٨٨ و ٨٩.
٥ ـ ق / ٣٧. ٦ ـ غافر / ٣٥. ٧ ـ الانفال / ٢٤. ٨ ـ الانسان / ٣٠.

و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرّحمن يقلبه كيف يشاء».[١]

و قيل: انّ معناه انّ قوام القلب بالله تعالى، فهو اقرب اليكم من قلبكم.

و ملخّص الكلام فيه انّه سمّي القلب قلباً، لكونه في التّقلّب و الانقلاب دائماً. فان كان بيد الشّيطان فيقلّب دائماً بالخواطر و الاضطرابات، و ان كان بيد الله فبالالهامات و العنايات الخاصّة.

اللّهمّ اجعل قلبنا بيدك و الهمنا الخيرات و تفضّل علينا بالعنايات و البركات.

ح ـ النّفس المطمئنّة، قال تعالى: ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنّة ارجعى إلى ربّك راضية مرضيّة فادخلى في عبادى و ادخلى جنّتى﴾.[٢]

و سمّي بذلك لانّ روح الإنسان المستيقن مطمئنّ، لانّ اليقين كما مرّ هو ثبات الفكر و ليس للوهم فيه تصرّف، ففي الحقيقة أُريد من النّفس المطمئنّة القلب المطمئنّ الّذي لا اضطراب فيه و لا خواطر وهميّة او شيطانيّة فيه، و انّه بيد الله تعالى محفوظ من كلّ شرّ شيطانى من نفس او جنّ او انس.

ط ـ الصّدر، قال تعالى: ﴿افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين﴾.[٣]

و قال الله تعالى: ﴿ربّ اشرح لى صدرى * و يسّر لى امرى * واحلل عقدة من لسانى * يفقهوا قولى﴾.[٤]

و سمّاه الله صدراً، لانّ القلب وقع فيه، فهو من باب المجاز.

و القرينة على ذلك قوله تعالى: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ بعد قوله:

---

١ ـ مراة العقول، ج ١٠، باب من اذى المسلمين، ص ٣٩٣ و ٣٩٤.
٢ ـ الفجر / ٢٧ ـ ٣٠.
٣ ـ الزّمر / ٢٢.
٤ ـ طه / ٢٥ ـ ٢٧.

﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام﴾. هكذا قيل، ولى في هذا الكلام نظر.

و الاقوى انّ الرّوح انّ الدّماغ و القلب و الخيال و العين تعدّ من آلاته فكذلك الصّدر، فبتلك الالة يحصل السّعة و التّحمّل لكسب الخيرات و الصّبر في الشّدائد. فلهذا يقال: شرح الصّدر و لا يقال شرح القلب او شرح العقل و يقال: سعة الصّدر و لا يقال سعة العقل او القلب.

ى ـ النّفس، قال تعالى: ﴿و اذكر ربّك في نفسك تضرّعاً و خيفة و دون الجهر من القول بالغدوّ و الاصال و لا تكن من الغافلين﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿ربّكم اعلم بما في نفوسكم﴾.[٢]

و سمّاه الله نفسا لانّ النّفس هي عين الشّئ و واقعه، و حيث انّ بالرّوح حقيقة الإنسان و انسانيّته و هو الفصل له و قوامه به، فكانّه هو. فلذا اشتهر: انّ حقيقة الشّئ بصورته لا بمادّته. و ان كان هذا القول لايخلو عن مجاز.

هذا ما يخطر بالبال في اطلاقات الرّوح و اسمائه ولكنّ الّذي ظهر من مطاوي ما ذكرنا انّها كلّها الفاظ تشير إلى حقيقةٍ واحدة و هي لطيفة ربّانيّة، و هي ذات مراتب. فهي في الدّماغ عقل، و في القلب قلب، و في الصّدر صدر، بل و في العين عين، و في الاذن اذن.... ، فهي في وحدتها كلّ القوى.

هذا كلّه إذا كان الحكم و السّلطة للبعد الملكوتي و امّا ان كانت السّلطنة للبعد النّاسوتي فمن المنظر القرآني يطلق عليه حينئذ النّفس الامّارة، قال تعالى: ﴿انّ النّفس لامّارة بالسّوء إلّا ما رحم ربّى﴾.[٣] و الذكر العزيز على ذلك البعد المادّي اطلاقات عديدة و كما انّه يصفها باوصاف مختلفة. منها:

الف ـ النّفس الملهمة من الشّيطان.

---

١ ـ الاعراف / ٢٠٥. ٢ ـ الاسراء / ٢٥. ٣ ـ يوسف / ٥٣.

قال تعالى: ﴿و انّ الشّياطين ليوحون إلى اوليائهم﴾.[١]

و تسميتها بهذا الاسم لكون الشّيطان ينفث في قلب الفاسق و يوحى إليه من غير التفاتٍ منه، بل في روايات: «ما من مؤمن إلّا و لقلبه اذنان في جوفه. اذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس، و اذن ينفث فيها الملك»[٢] و سيأتي ذكر الروايات.

ب ـ النّفس المحسنّة للسّيّئات أو النّفس غير اللائمة على القبائح.

قال تعالى: ﴿قل هو ننبّئكم بالاخسرين اعمالاً * الّذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدّنيا و هم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿فانّك لا تسمع الموتى و لا تسمع الصّمّ الدّعاء إذا ولّوا مدبرين﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و قالوا لو كنّا نسمع او نعقل ما كنّا في أصحاب السّعير﴾.[٥]

ج ـ النّفس اللّاجّة، قال تعالى: ﴿كلّا انّه كان لاياتنا عنيداً﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿أمّن هذا الّذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجّوا في عتوّ و نفور﴾.[٧]

د ـ النّفس الشّيطانيّة، قال الله تعالى: ﴿و ما ارسلنا من قبلك من رسول و لا نبيّ إلّا تمنّى القى الشّيطان في امنيّته فينسخ الله ما يلقى الشّيطان ثمّ يحكم الله اياته و الله عليم حكيم﴾.[٨]

و قال تعالى: ﴿و من يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين﴾.[٩]

و قال تعالى: ﴿يوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتنى اتّخذت مع الرّسول سبيلاً * يا ويلتى ليتنى لم اتّخذ فلاناً خليلاً * لقد اضلّنى عن الذّكر بعد إذ جائنى و كان الشّيطان للانسان خذولاً﴾.[١٠] بناء على كون المراد من الشّيطان في الايات هو الشّيطان

---

١ ـ الانعام / ١٢١. ٢ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٢٦٧، ح ٣. ٣ ـ الكهف / ١٠٣ و ١٠٤.
٤ ـ الرّوم / ٥٢. ٥ ـ الملك / ١٠. ٦ ـ المدّثر / ١٦. ٧ ـ الملك / ٢١.
٨ ـ الحجّ / ٥٢. ٩ ـ الزّخرف / ٣٦. ١٠ ـ الفرقان / ٢٧ ـ ٢٩.

الانسى كما هو الاظهر سيّما في الآية الاولى بل فيها هو المتعيّن.

هـ ـ النّفس الخادعة و الماكرة، قال تعالى: ﴿و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين﴾.(١)

و قال تعالى: ﴿و مكروا مكراً كبّاراً﴾.(٢)

و قال تعالى: ﴿يخادعون الله و الّذين امنوا و ما يخدعون إلّا أنفسهم و ما يشعرون﴾.(٣)

فلذلك لمّا سئل عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام: «فالّذي كان في معاوية؟ قال: تلك النّكراء، تلك الشّيطنة».(٤) و سيأتي ذكر الرّوايات ان شاء الله تعالى.

و ـ النّفس المغشوشة، قال الله تعالى: ﴿كلّا بل ران قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.(٥)

و قال تعالى: ﴿فلمّا زاغوا ازاغ الله قلوبهم﴾.(٦)

و قال تعالى: ﴿انّا جعلنا على قلوبهم اكنّة ان يفقهوه و في اذانهم و قراً﴾.(٧)

ز ـ النّفس المطبوع عليها و المختوم عليها و الغافلة، قال تعالى: ﴿كذلك نطبع على قلوب المتعتدين﴾.(٨)

و قال تعالى: ﴿كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار﴾.(٩)

و قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتّخذ الهه هواه و اضلّه الله على علم و ختم على سمعه و قلبه﴾.(١٠)

و قال تعالى: ﴿و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و

---

١ ـ آل عمران / ٥٤. ٢ ـ نوح / ٢٢. ٣ ـ البقرة / ٩.

٤ ـ اصول الكافى، ج ١، كتاب العقل و الجهل، ص ١١، ح ٣. ٥ ـ المطفّفين / ١٤.

٦ ـ الصّف / ٥. ٧ ـ الكهف / ٥٧. ٨ ـ يونس / ٧٤. ٩ ـ غافر / ٣٥.

١٠ ـ الجاثيّة / ٢٣.

لهم اعين لا يبصرون بها و لهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون﴾.(١)

ح ـ النّفس المضطربة، قال تعالى: **﴿لا يزال بنيانهم الّذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾.(٢)**

و قال تعالى: **﴿و لا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحلّ قريباً من دارهم﴾.(٣)**

و قال تعالى: **﴿و من يشرك بالله فكانّما خرّ من السّماء فتخطفه الطّير او تهوى به الرّيح في مكان سحيق﴾.(٤)**

ط ـ النّفس الضيّقة، و بعبارةٍ أوفى النّفس القاسية.

قال تعالى: **﴿فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كانّما يصّعّد في السّماء كذلك يجعل الله الرّجس على الّذين لا يؤمنون﴾.(٥)**

و قال تعالى: **﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾.(٦)**

ى ـ النّفس الامّارة بالسّوء، قال تعالى: **﴿انّ النّفس لامّارة بالسّوء إلّا ما رحم ربّى﴾.(٧)**

٥ ـ روايات في الإنسان و ابعاده:

عن اميرالمؤمنين عليه السلام انه قال: «اجب ما في الإنسان قلبه و له موادّ من الحكمة، و اضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اذله الطمع، و ان هاج به الطمع اهلكه الحرص،

---

١ ـ الاعراف / ١٧٩. ٢ ـ التوبة / ١١٠. ٣ ـ الرّعد / ٣١. ٤ ـ الحجّ / ٣١.

٥ ـ الانعام / ١٢٥. ٦ ـ الزّمر / ٢٢. ٧ ـ يوسف / ٥٣.

و ان ملكه اليأس قتله الاسف، و ان عرض له العضب اشتّد به الغيظ، و ان سعد بالرضا نسى التحفظ، و ان ناله الخوف شغله الحذر، و ان اتّسع له الأمن استلبته الغرّة، و ان جدّدت له النعمة اخدته العزّة، و ان اصابته مصيبة فضحه الجرع، و ان استفاد ما لا اطغاه الغنى، و ان عضّته فاقة شغله البلاء، و ان جهده الجوع قعد به الضعف، و ان افرط في الشبع كظّته البطنة، فكل تقصير به مضرّ و كلّ افراط به مفسد».[١]

عن علي بن الحسين عليه السلام: «.... اَلا انّ للعبد اربع اعين: عينان يبصر بهما أمر دينه و دنياه، و عينان يبصره بهما أمر آخرته، فاذا اراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللّتين في قلبه، فابصر بهما الغيب و أمر آخرته، و إذا اراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه».[٢]

عن محمّد بن سنان، عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام: قال سمعته يقول لرجل: «اعلم يا فلان انّ منزلة القلب من السجد بمنزلة الامام من النّاس، الواجب الطاعة عليهم. الاترى انّ جميع جوارح الجسد شُرط للقلب و تراجمه له مودّية عنه، الاذنان و العينان و الانف و الفم و اليدان و الرّجلان و الفرج، فانّ القلب إذا همّ بالنظر فتح الرجل عينيه، و إذا همّ بالاستماع حرّك ادنيه و فتح مسامعه فسمع، و إذا همّ القلب بالشّم استنشق بانفه فادّى تلك الرائحة إلى القلب، و إذا همّ بالنطق تكلّم باللسان، و إذا همّ بالحركة سعت الرّجلان، و إذا همّ بالشهوة تحرّك الّذكر، فهذه كلّها مودّية عن القلب بالتحريك، و كذلك ينبغي للامام ان يطاع للامر منه».[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام: «انّ القلب ينقلب من لدن موضعه إلى حنجرته ما لم يصب الحقّ، فاذا اصاب الحقّ قرّ، ثمّ ضمّ اصابعه ثمّ قرأ هذه الاية: ﴿**فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجا**﴾ قال: و قال ابو عبدالله عليه السلام

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٥٢، باب ٤٤، ح ١٣.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٥٢، باب ٤٤، ح ١٦.
٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٥٢، باب ٤٤، ح ١٤.

لموسى بن اشيم: أتدري ما الحرج؟ فهذه كلّها مودّية عن القلب بالتحريك، و كذلك ينبغي للامام ان يطاع للامر منه».[١]

عن أبي جعفر عليه السلام: «انّ القلب ينقلب من لدن موضعه إلى حنجرته ما لم يصب الحقّ، فاذا اصاب الحقّ قرّ، ثمّ ضمّ اصابعه ثمّ قرأ هذه الاية: ﴿فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً﴾ قال: و قال ابو عبدالله عليه السلام لموسى بن اشيم: أتدري ما الحرج؟ قال: قلت: لا. فقال بيده و ضمّ اصابعه كالشئ المصمت لا يدخل فيه شيء و لا يخرج منه شيءٌ».[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: «وا علموا ان الله يحول بين المرء و قلبه» قال: هو ان يشتهي الشّيء بسمعه و بصره و لسانه و يده، أما انّه لا يغشى شيئاً منها و ان كان يشتهيه فانّه لا يأتيه إلّا و قلبه منكر لا يقبل الّذي يأتي، يعرف ان الحق ليس فيه.[٣]

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «ناجى داود ربّه فقال: الهي لكلّ ملك خزانة فأين خزانتك؟

قال جلّ جلاله: لي خزانة اعظم من العرش، و اوسع من الكرسيّ و اطيب من الجنّة، وازين من الملكوت: ارضها المعرفة، و سماؤها الايمان، و شمسها الشّوق، و قمرها المحبّة،

و نجومها الخواطر، و سحابها العقل، و مطرها الرحمة، و اثمارها الطاعة، و ثمرها الحكمة. و لها اربعة ابواب: العلم و الحلم و الصبر و الرضا، اَلا و هي القلب».[٤]

قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: «اعدى عدوّك نفسك الّتي بين جنبيك».[٥]

عن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «انّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بعث سريّة فلمّا رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر و بقي عليهم

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٥٢، باب ٤٤، ح ١٤.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٥٧، باب ٤٤، ح ٣١.
٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٥٨، باب ٤٤، ح ٣٣.
٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٥٩، باب ٤٤، ح ٣٧.
٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٦٤، باب ٤٥، ح ١.

الجهاد الاكبر.

قيل: يا رسول الله و ما الجهاد الأكبر؟

قال صلى الله عليه و آله و سلم: جهاد النّفس. ثمّ قال صلى الله عليه و آله و سلم: أفضل الجهاد ن جاهد نفسه الّتي بين جنبيه». [١]

قال الصادق عليه السلام: طوبى لعبد جاهد لله نفسه و هواه، و من هزم جند هواه ظفر برضا الله. و من جاور عقله [نفسه] الامّارة بالسوء بالجهد و الاستكانة و الخضوع على بساط خدمة الله تعالى فقد فاز فوزاً عظيماً. و لا حجاب أظلم و أوحش بين العبد و بين الربّ من النّفس و الهوى، و ليس لقتلهما في قطعهما سلاح و آلة، مثل الافتقار إلى الله و الخشوع و الجوع، و الظمأ بالنّهار، و السّهر باللّيل، فان مات صاحبه مات شهيداً، و ان عاش و استقام ادّاه عاقبته الرضوان الاكبر قال الله عزّوجلّ ﴿و الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا و انّ الله لمع المحسنين﴾. [٢]

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «رجعنا من الجهاد الاصغر إلى الجهاد الاكبر. و قال: من غلب علمه هواه فهو علم نافع. و من جعل شهوته تحت قدميه فرّ الشّيطان من ظلّه. و قال صلى الله عليه و آله و سلم يقول الله تعالى: ايّما عبد اطاعني لم أكله إلى غيري، و ايّما عبد عصاني و كلته إلى نفسه، ثمّ لم أُبال في ايّ و اده هلك». [٣]

دخل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رجل اسمه مجاشع، فقال: يا رسول الله كيف الطريق معرفة الحق؟

قال صلى الله عليه و آله و سلم: معرفه النفس. فقال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى موافقة الحق؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم: مخالفة النفس. فقال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى رضا الحقّ؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم:

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٦٥، باب ٤٥، ح ٧. ٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٦٩، باب ٤٥، ح ١٥.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٧١، باب ٤٥، ح ٢١.

سخط النفس؟ فقال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى وصل الحـقّ؟ قـال ﷺ: هـجر النفس؟ فقال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى طاعة الحقّ؟ قال ﷺ: عصيان النفس. فقال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى ذكر الحق؟ قال ﷺ: نسيان النفس. فـقال: يـا رسول الله فكيف الطريق إلى قرب الحق؟ قال ﷺ: التّباعد من النفس. فقال: يا رسول الله فكيف الطريق انس الحقّ؟ قال ﷺ: الوحشة من النفس. فقال: يا رسول الله فكيف الطريق ذلك؟ قال ﷺ: الاستعانة بالحقّ على النفس».[1]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٧٢، باب ٤٥، ح ٢٣.

فضل التّفكّر

إذا تقرّرت هذه المقدّمة، فنقول: ان التّفكّر من اعظم العبادات بل لا عبادة افضل و لا عمل اعظم منه، و يتوقّف كلّ عبادة و عمل عليه، و لا ينال الإنسان مرتبطة من مراتب عالمي المادّة و المعنى إلّا به و هو فاكهة انسانيّة الإنسان و ثمرتها و به يمتاز عن غيره من الموجودات.

فهو كالوجود، فكما انّ الوجود موجود بذاته و موجد لغيره فكذلك التّفكّر موجود بذاته و موجد كلّ علم. و كالنّور، فكما انّ النّور ظاهر بذاته مظهر لغيره فكذلك التّفكّر ظاهر بذاته و كاشف عن كلّ معلوم.

فالتّرقّي و التّعالى مادّيّة كانت أو معنويّة يحصل بالتّفكّر فهو أفضل من كلّ شيء و عبادة.

و هو ذو مراتب باعتبار المتعلّق و كذلك ذو مراتب باعتبار المتّفكّر. فربّ تفكّر في شيء يثمر و ينتج لصاحبه و مجتمعه آثاراً عظيمه و سعادة الدّارين، و ربّ تفكّر ينفع للمتفكّر او لغيره نفعاً قليلاً.

و في آيات كثيرة جاء قوله: «لعلّكم تتفكّرون» انّه محبوب لديه تعالى، بل في آيات اعرب الله تعالى عن انّ نزول الذكر للتّفكّر و التأمل و التدبر فيه و انّها علّته الغائية، منها:

قوله تعالى: ﴿و انزلنا اليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نُزّل إليهم و لعلّهم يتفكّرون﴾.[١]

بل هذه الآية تشير إلى أنّه هو العلّة الغائية لارسال الرّسل ايضاً.

و ملخّص القول فيه انّ إعادة التنزيل قوله تعالى «أفلا يتفكّرون»، و «أفلا ينظرون»، و «أفلم يسيروا في الارض»، و «أفلا تعقلون» و ... تشير إلى ما للتفكّر من العظمة.

نعم يظهر من القرآن انّ التّفكّر في معرفة الحقّ أعظم و أعلى من التّفكّر في غيرها. و على هذا السياق يمكن ان يقال انّ أعلى درجات التّفكّر با عتبار المـتعلّق، هـو التّـفكّر في المعارف الالهيّة من المبدء و المعاد و النّبوّة و الامامة و القرآن الكريم ثمّ التّفكّر في الافاق و الأنفس، و القرآن أكّد عليه تاكيداً بليغاً كانّه هو المفتاح لمعرفة الله تعالى. ثمّ التّـفكّر في التاريخ و احوال الماضين من الصّالحين و الطّاليحن، ثمّ التّفكّر في العلوم فالاولى منها هو ما يحتاج إليه الإنسان في أمر معاده، ثمّ العلوم الّتي يحتاج اليها في دنياه.

هذه خلاصة من مباحث مفصّلة. و نذكر في المقام ما يدلّ عليه من الرّوايات:

---

١ ـ النّحل / ٤٤.

روايات في فضل التّفكّر

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان اميرالمؤمنين عليه السلام يقول: نبّه بالتّفكّر قلبك و جاف عن اللّيل جنبك و اتق الله ربّك».[1]

عن الحسن الصيقل قال: «سألت ابا عبدالله عليه السلام عمّا يروى النّاس انّ تفكّر ساعة خير من قيام ليلة، قلت: كيف يتفكّر؟ قال: يمرّ بالخربة او بالدّار، فيقول: أين ساكنوك؟ و اين بانوك؟ مالك لا تتكلمين؟».[2]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أفضل العبادة ادمان التّفكّر في الله و في قدرته».[3]

سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام: «يقول ليس العبادة كثرة الصلاة و الصوم انّما العبادة التفكّر في أمر الله عزّوجلّ».[4]

قال ابو عبدالله عليه السلام: «قال اميرالمؤمنين عليه السلام: التّفكّر يدعوا إلى البرّ و العمل به».[5]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان أكثر عبادة أبي ذرّ رحمه الله التّفكّر والاعتبار».[6]

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجى فيها ربّه عزّوجلّ، وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكّر فيما صنع الله عزّوجلّ اليه، وساعة

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣١٨، باب ٨٠، ح ١.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٢٠، باب ٨٠، ح ٢.
٣ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٢١، باب ٨٠، ح ٣.
٤ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب التّفكّر، ص ٤٥، ح ٤.
٥ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب التّفكّر، ص ٤٥، ح ٥.
٦ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٢٣، باب ٨٠، ح ٦.

يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال».[۱]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام فيما أوصى به الحسن عليه السلام: «لا عبادة كالتفكّر في صنعة الله عزّوجلّ».[۲]

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «اغفل النّاس من لم يتّعظ بتغيّر الدّنيا من حال إلى حال».[۳]

عن اسماعيل بن بشير بن عمّار قال: «كتب هارون إلى موسب بن جعفر عليه السلام عظني و اوجز. قال: فكتب اليه: ما من شيء تراه عينك إلّا و فيه موعظة».[٤]

عن أبي محمّد العسكري عليه السلام قال: «ليست العبادة كثرة الصيام و الصلاة و انّما العبادة كثرة التّفكّر في أمر الله».[٥]

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «فكرة ساعة خير من عبادة سنة، و لا ينال منزلة التفكّر إلّا من قد خصّه الله بنور المعرفة و التّوحيد».[٦]

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۱، ص ۳۲۳، باب ۸۰، ح ۷.

۲ ـ بحار الانوار، ج ۷۱، ص ۳۲٤، باب ۸۰، ح ۱۱.

۳ ـ بحار الانوار، ج ۷۱، ص ۳۲٤، باب ۸۰، ح ۱۲.

٤ ـ بحار الانوار، ج ۷۱، ص ۳۲٤، باب ۸۰، ح ۱٤.

٥ ـ بحار الانوار، ج ۷۱، ص ۳۲٥، باب ۸۰، ح ۱۷.

٦ ـ بحار الانوار، ج ۷۱، ص ۳۲٦، باب ۸۰، ح ۲۰.

آيات في التّفكّر في الآفاق و الأنفس

﴿انّ في خلق السموات و الارض و اختلاف اللّيل و النّهار لآيات لاولى الالباب * الّذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكّرون في خلق السموات و الارض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النّار﴾.[1]

﴿هو الّذي جعل لكم اللّيل لتسكنوا فيه و النّهار مبصراً انّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾.[2]

﴿و هو الّذي مدّ الارض و جعل فيها رواسى و أنهاراً و من كلّ الثّمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى اللّيل النّهار ان في ذلك لايات لقوم يتفكّرون * و في الارض قطع متجاورات و جنّات من اعناب و زروع و نخيل صنوان و غير صنوان يسقى بماء واحد و نفضّل بعضها على بعض في الأكل انّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾.[3]

﴿يا ايّها النّاس ان كنتم في ريب من البعث فانّا خلقناكم ن تراب ثم من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مخلّقة و غير مخلّقة لنبيّن لكم و نقرّ في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمّىً ثمّ نخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم و منكم من يتوّفي و منكم من يرّد إلى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً و ترى الارض ها مدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت و

---

١ ـ آل عمران / ١٩٠ و ١٩١.　　٢ ـ يونس / ٦٧.　　٣ ـ الرّعد / ٣ و ٤.

ربت و انبتت من كلّ زوج بهيج﴾.[١]

﴿و من آياته ان خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنشرون و من آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها و جعل بينكم مودّة و رحمة انّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون﴾.[٢]

﴿الله الّذي يرسل الرّياح فتثير سحاباً فيبسطه في السّماء كيف يشاء و يجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذاهم يستبشرون﴾.[٣]

﴿الّذي جعل لكم من الشّجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون﴾.[٤]

﴿الله يتوفّى الانفس حين موتها و الّتي لم تمت في منامها فيمسك الّتي قضى عليها الموت و يرسل الاخرى إلى اجل مسمّىً انّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون﴾.[٥]

﴿و من اياته الجوار في البحر كالاعلام * ان يشاء يسكن الرّيح فيظلن رواكد على ظهره انّ في ذلك لآيات لكلّ صبار شكور﴾.[٦]

﴿أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه‌ام نحن الزّارعون * لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكّهون * انّا لمغرمون * بل نحن محرومون * أفرأيتم الماء الّذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن ام نحن المنزلون * لو نشأ لجعلناه أُجاجا فلولا تشكرون * أفرأيتم النّار الّتي تورون * أأنتم أنشأتم شجرتها ام نحن المنشئون﴾.[٧]

﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه * إنّا صببنا الماء صبّاً * ثمّ شققنا الارض شقّاً * فأنبتنا فيها حبّا * و عنباً و قضباً * و زيتوناً و نخلاً * و حدائق غلباً * و فاكهة و أبّاً * متاعاً لكم و لانعامكم﴾.[٨]

---

١ ـ الحج / ٥. ٢ ـ الرّوم / ٢٠ و ٢١. ٣ ـ الرّوم / ٤٨. ٤ ـ يس / ٨٠.
٥ ـ الزّمر / ٤٢. ٦ ـ الشورى / ٣٢ و ٣٣. ٧ ـ الواقعة / ٦٣ ـ ٧٢.
٨ ـ عبس / ٢٤ ـ ٣٢.

آيات في التّفكّر في القرآن

قال الله تعالى: ﴿و ان كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين﴾.[1]

﴿قل فأتوا بسورة مثله و ادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾.[2]

﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾.[3]

﴿و ننزّل من القران ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين﴾.[4]

﴿قل لئن اجتمعت الانس و الجنّ على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾.[5]

﴿و قال الرسول يا ربّ انّ قومى اتّخذوا هذا القران مهجوراً﴾.[6]

﴿أفلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها﴾.[7]

﴿و لقد يسّرنا القران للذّكر فهل من مدّكر﴾.[8]

﴿لو انزلنا هذا القران على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله﴾.[9]

﴿انّه لقران كريم * في كتاب مكنون * لا يمسّه إلّا المطّهرون﴾.[10]

---

١ ـ البقرة / ٢٣. ٢ ـ يونس / ٣٨. ٣ ـ هود / ١٢. ٤ ـ الاسراء / ٨٢.

٥ ـ الاسراء / ٨٨. ٦ ـ الفرقان / ٣٠. ٧ ـ محمّد / ٢٤. ٨ ـ القمر / ١٧.

٩ ـ الحشر / ٢١. ١٠ ـ الواقعة / ٧٧ ـ ٧٩.

آيات في التّفكّر في الموت

﴿اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدّة﴾.[1]

﴿قل انّ الموت الّذي تفرّون منه فانه ملاقيكم ثمّ تردّون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.[2]

﴿حتّى إذا جاءَ احدهم الموت قال ربّ ارجعون * لعلى اعمل صالحاً فيما تركت كلّا انها كلمة هو قائلها﴾.[3]

﴿الّذين يتوفيهم الملائكة طيّبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون﴾.[4]

---

١ ـ النّساء / ٧٨.　　٢ ـ الجمعة / ٨.　　٣ ـ المؤمنون / ١٠٠ ـ ٩٩.

٤ ـ النّحل / ٣٢.

روايات في التّفكّر في الموت

«جاء رجل إلى الصادق عليه السلام، فقال: سئمت الدنيا فاتمّنى على الله الموت. فقال: تمّن الحياة لتطيع لا لتعصي، فالن تعيش فتطيع خير لك من ان تموت فلا تعصى و لا تطيع».[1]

«.... فقام إليه رجل، فقال: يابن رسول الله ما بالنا نكره الموت و لا نحبّه؟ قال الحسن عليه السلام: انّكم اخرتكم و عمّرتم دنياكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب».[2]

عن الصادق عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اكيس النّاس من كان اشدّ ذكراً للموت».[3]

قال الصادق عليه السلام: «ذكر الموت يميت الشهوات في النّفس، و يقلع منابت الغفلة، و يقوى القلب بمواعد الله، و يرقّ الطبع، و يكسر اعلام الهوى، و يطفئ نار الحرص، و يحقّر الدنيا و هو معنى ما قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فكر ساعة خير من عبادة سنة».[4]

قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت و أفضل العبادة ذكر الموت، و أفضل التفكّر ذكر الموت، فمن اثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنّة».[5]

عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: اتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رجل فقال: ما لي لا احب الموت؟ فقال له: الك مال؟ قال نعم، قال: فقدّمته؟ قال: لا... قال: فمن ثمّ لا تحبّ الموت».[6]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦، ص ١٢٨، باب ٤، ح ١٥.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٦، ص ١٢٩، باب ٤، ح ١٨.
٣ ـ بحار الانوار، ج ٦، ص ١٣٠، باب ٤، ح ٢١.
٤ ـ بحار الانوار، ج ٦، ص ١٣٣، باب ٤، ح ٣٢.
٥ ـ بحار الانوار، ج ٦، ص ١٣٧، باب ٤، ح ٤١.
٦ ـ بحار الانوار، ج ٦، ص ١٢٧، باب ٤، ح ٩.

آيات في التّفكّر في المعاد

﴿ولو ترى إذ يتوفّى الّذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم و ادبارهم و ذوقوا عذاب الحريق﴾.[١]

﴿ولو ترى إذ الظّالمون في غمرات الموت و الملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن اياته تستكبرون﴾.[٢]

﴿أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً و انّكم الينا لا ترجعون﴾.[٣]

﴿و ضرب لنا مثلاً و نسى خلقه قال من يحيى العظام و هي رميم قال يحيها الّذي أنشاها اوّل مرّة و هو بكل خلق عليم﴾.[٤]

﴿يا ايّها النّاس اتّقوا ربّكم ان زلزلة السّاعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كلّ مرضعة عما ارضعت و تضع كلّ ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾.[٥]

---

١ ـ الانفال / ٥٠. ٢ ـ الانعام / ٩٣. ٣ ـ المؤمنون / ١١٥. ٤ ـ يس / ٧٨.

٥ ـ الحجّ / ١ و ٢.

الرّذيلة الثّالثة: الغفلة

من اضداد التّفكّر هي الغفلة الّتي تعدّ من أرذل الرذائل. و يظهر من القرآن انّها تخرج الإنسان عن انسانيّته، و لا اقلّ من انّها توجب الطّبع على القلب و عماء البصيرة، فتسوقه إلى الجحيم.

قال تعالى: ﴿و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿اولئك الّذين طبع الله على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم و اولئك هم الغافلون﴾.[2] و تترتّب على هذه الرّذيلة مفاسد عظيمة توجب خسران الدّارين و خذلانها. و نحن نذكر هنا بعض تلك المفاسد:

مفاسد الغفلة:

الف ـ الغفلة عن الرّقباء الّذين يراقبونه في الخلوة و الجلوة و قد مرّ ذكرهم في البحث عن قانون المراقبة.

و لولا مفسدة إلّا الغفلة عن الله تعالى و مراقبته العبد لكفى بها رذيلة، و لقدأعيد في

---

١ ـ الاعراف / ١٧٩. ٢ ـ النّحل / ١٠٨.

الذكر الحكيم مرّات عديدة قوله تعالى ﴿و ما الله بغافل عمّا تعملون﴾[١].

ب ـ الغفلة عن سخط الله تعالى.

قال تعالى: ﴿أفامن اهل القرى ان ياتيهم بأسنا بياتاً و هم نائمون * أو امن اهل القرى ان ياتيهم بأسنا ضحى و هم يلعبون * أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و لا تحسبنّ الله عاقلاً يعمل الظّالمون انّما يوخّرهم ليوم تشخص فيه الابصار * مهطعين مقنعي رئوسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم و افئدتهم هواء﴾.[٣]

ج ـ الغفلة عن نفسه و مقدّراته و كمالاته الممكنة الحصول له، و يحرم عن تلك الكمالات بغفلته عن نفسه، و تضاع تلك الاستعدادات.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا اتّقوا الله و لتنظر نفس ما قدّمت لغد و اتقوا الله انّ الله خبير بما تعملون * و لا تكونوا كالّذين نسوا الله فانسيهم انفسهم اولئك هم الفاسقون * لا يستوى اصحاب النّار و اصحاب الجنّة اصحاب الجنّة هم الفائزون﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنّة * ارجعى إلى ربّك راضية مرضيّة * فادخلى في عبادى * و ادخلى جنّتى﴾.[٥]

د ـ ذهول العمر الّذي يكون ذخراً و شرفاً له، و هو ممّا لا قيمة له، إذ به يكتسب خير الدّنيا و الاخرة.

قال تعالى: ﴿و هم يصطر خون فيها ربّنا اخرجنا نعمل صالحاً غير الّذي كنّا نعمل او لم نعمّركم ما يتذّكر فيه من تذكّر و جائكم النّذير فذوقوا فما للظّالمين من نصير﴾.[٦]

---

١ ـ البقرة / /٧٤. ٢ ـ الاعراف / ٩٧ ـ ٩٩. ٣ ـ ابراهيم / ٤٢ و ٤٣.

٤ ـ الحشر / ١٨ ـ ٢٠. ٥ ـ الفجر / ٢٧ ـ ٣٠. ٦ ـ فاطر / ٣٧.

و قال تعالى: ﴿ربّ ارجعون * لعلّى اعمل صالحاً فيما تركت كلّا﴾.[١]

هـ ـ الغفلة عن القبر و القيامة و عن الجنّة و النّار.

قال تعالى: ﴿الهيكم التّكاثر * حتّى زرتم المقابر﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿يودّ المجرم له يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه * و صاحبته و اخيه * و فصيلته الّتي تؤويه * و من في الارض جميعاً ثمّ ينجيه * كلّا﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿جنّات عدن يدخلونها يحلّون فيها من اساور من ذهب و لؤلؤاً و لباسهم فيها حرير * و قالوا الحمدلله الاذي ذهب عنّا الحزن انّ ربّنا لغفور شكور * الاذي حلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصب و لا يمسّنا فيها لغوب * و الّذين كفروا لهم نار جهنّم لا يقضى عليهم فيموتوا و لا يخفّف عنهم من عذابها كذلك نجزى كلّ كفور﴾.[٤]

و ـ الغفلة عن الدّنيا الدّنيّة، قال تعالى: ﴿يا ايّها النّاس انّ وعد الله حقّ فلا تغرّنّكم الحيوة الدّنيا و لا تغرّنّكم بالله الغرور﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿و يوم يعرض الّذين كفروا على النّار أذهبتم طيّباتكم في حيوتكم الدّنيا و استمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحقّ و بما كنتم تفسقون﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿و ما هذه الحيوة الدّنيا إلّا لهو و لعب و انّ الدّار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون﴾.[٧]

ز ـ الغفلة عن الشّيطان العدوّ المبين الّذي حذّر اللّه تعالى عنه في التنزيل العزيز مرّاة عدّة، منها قوله تعالى: ﴿فبما اغويتنى لا قعدّن لهم صراطك المستقيم * ثمّ لاتينّهم من

---

١ ـ المؤمنون / ٩٩ و ١٠٠. ٢ ـ التّكاثر / ١ و ٢. ٣ ـ المعارج / ١١ ـ ١٥.
٤ ـ فاطر / ٣٣ ـ ٣٦. ٥ ـ لقمان / ٣٣. ٦ ـ الاحقاف / ٢٠. ٧ ـ العنكبوت / ٦٤.

بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم فلا تجد اكثرهم شاكرين﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿قال فبعزّتك لاغوينّهم اجمعين * إلّا عبادك منهم المخلصين﴾.[٢]

ح ـ الغفلة عن النّعم الالهيّة ظاهرة و باطنة.

قال تعالى: ﴿الم تروا انّ الله سخرّ لكم ما في السّموات و الارض و اسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة﴾.[٣]

ط ـ الغفلة عن الشّكر، إذ بغفلته عن النّعماء الالهيّة يغفل عن شكرها، و هو الكفران، قال الله تعالى: ﴿و لأن شكرتم لا زيدنّكم و لأن كفرتم انّ عذابى لشديد﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و ضرب الله مثلاً قرية كانت امنة مطمئنّة ياتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون﴾.[٥]

ى ـ الغفلة عن الله تعالى و عبوديّته، و عن الرّسول و طاعته، و عن العترة و متابعتهم، و عن القرآن و العمل به و التّدبّر فيه. و هذه المفسدة اعظم المفاسد. و كفاك فيها قوله تعالى: ﴿و من اعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكاً و نحشره يوم القيامة اعمى * قال ربّ لم حشرتنى اعمى و قد كنت بصيراً * قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى﴾.[٦]

هذا ملخّص القول في ذلك و تفصيله يحتاج إلى افراد كتاب نرجو من الله تعالى ان يوفّقنا لافراد كتابٍ له مستفيداً من الايات و الرّوايات و كلمات كبار العلماء.

و نختم البحث بذكر كلام أعاده السّيّد الاستاذ العلّامة الطباطبايي ﷺ عند حضور الموت، فانه كان يقول بالفارسيّة: انتبه ـ انتبه ـ انتبه.

و بعد ذلك، نلفت نظر القارىء الكريم إلى هذه الآيات و الرّوايات.

---

١ ـ الاعراف / ١٦ و ١٧.　٢ ـ ص / ٨٢ و ٨٣.　٣ ـ لقمان / ٢٠.

٤ ـ ابراهيم / ٧.　٥ ـ النحل / ١١٢.　٦ ـ طه / ١٢٤ ـ ١٢٦.

آيات في الغفلة

﴿و لقد ذرانا لجهنم كثيراً من الجن و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون﴾.[1]

﴿فاليوم ننجّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية و انّ كثيراً من النّاس عن آياتنا لغافلون﴾.[2]

﴿انّ الّذين لا يرجون لقاءَنا و رضوا بالحيوة الدّنيا و اطمأنّوا بها و الّذين هم عن اياتنا غافلون * اولئك مأويهم النّار بما كانوا يكسبون﴾.[3]

﴿يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا و هم عن الاخرة هم غافلون﴾.[4]

﴿سأصرف عن اياتى الّذين يتكبّرون في الارض بغير الحقّ و ان يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها و ان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً و ان يروا سبيل الغىّ يتخذّوه سبيلاً ذلك بانّهم كذبوا باياتنا و كانوا عنها غافلين﴾.[5]

﴿و لقد خلقنا فوقكم سبع طرائق و ماكنا عن الخلق غافلين).[6]

﴿و إذ اخذ ربّك من بنى ادم من ظهورهم ذرّيتهم و اشهدهم على أنفسهم الست

---

١ ـ الاعراف / ١٧٩.　٢ ـ يونس / ٩٢.　٣ ـ يونس / ٧ و ٨.　٤ ـ لاروم / ٧.

٥ ـ الاعراف / ١٤٦.　٦ ـ المؤمنون / ١٧.

بربّكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنّا عن هذا غافلين﴾.[١]

﴿اقترب للنّاس حسابهم و هم في غفلة معرضون﴾.[٢]

﴿و اقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الّذين كفروا يا ويلنا قد كنّا في غفلة من هذا بل كنّا ظالمين﴾.[٣]

﴿و أنذرهم يوم الحسرة قضى الامر و هم في غفلة و هم لا يؤمنون﴾.[٤]

﴿من يضلل الله فلا هادى له و يذرهم في طغيانهم يعمهون﴾.[٥]

﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾.[٦]

﴿ذرهم يأكلوا و يتمتّعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون﴾.[٧]

﴿فذرهم يخوضوا و يلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الّذي يوعدون﴾.[٨]

﴿فذرهم حتّى يلاقوا يومهم الّذي فيه يصعقون﴾.[٩]

١ـ الاعراف / ١٧٢. ٢ـ الانبياء / ١. ٣ـ الانبياء / ٩٧. ٤ـ مريم / ٣٩.

٥ـ الاعراف / ١٨٦. ٦ـ الانعام / ٩١. ٧ـ الحجر / ٣. ٨ـ الزّخرف / ٨٣.

٩ـ الطور / ٤٥.

روايات في الغفلة

عن جابر قال: «دخلت على أبي جعفر عليه السلام، فقال: يا جابر و الله انّى لمحـزون و انّى لمشغول القلب!

قلت: جعلتُ فداك، و ما شغلك و ما حزن قلبك؟

فال: يا جابر انّه من دخل قلبه صافي خالص دين شغل قلبه عمّا سواه.

يا جابر ما الدّنيا و ما عسى أن تكون الدنيا؟ هل هي إلّا طعام أكلته أو ثوب لبسته أو امرأة اصبتها؟

يا جابر انّ المؤمنين لم يطمئّنوا إلى الدنيا ببقائهم فيها و لم يأمنوا قدومهم الآخرة.

يا جابر الآخرة دار قرار، و الدنيا فناء و زوال، ولكن اهل الدنيا اهل غفلة، و كـانّ المؤمنين هم الفقهاء اهل فكرة و عبرة، لم يصمتهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم و لم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة، ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم».[1]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «لمّتان: لمّة من الشّيطان و لمّة من الملك، فلمّة الرّقة و الفهم، و لمّة الشّيطان السهو و القسوة».[2]

قال الصادق عليه السلام: «ان كان الشّيطان عدّواً فالغفلة لماذا؟ و ان كان الموت حقّاً فالفرح

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٣، ص ٣٦، باب ١٢٢، ح ١٧.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٣، ص ٣٩٧، باب ١٤٥، ح ٢.

لماذا؟».[١]

عن الرضا عليه السلام عن ابائه عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: «كلّما الهى عن ذكر الله فهو من الميسر».[٢]

عن علي بن جعفر عن اخيه عن أبيه عليه السلام قال: «اوحى الله عزّوجلّ إلى موسى عليه السلام يا موسى لا تفرح بكثرة المال، و لا تدع ذكرى على كلّ حال، فانّ كثرة المال تنسئ الذنوب و ان ترك ذكرى يقسى القلوب».[٣]

قال الصادق عليه السلام: «اعراب القلوب على اربعة انواع: رفع و فتح و خفض و وقف، فرفع القلب في ذكر الله، و فتح القلب في الرّضا عن الله، و خفض القلب في الاشتغال بغير الله، و وقف القلب في الغفلة عن الله. ألاترى انّ العبد إذا ذكر الله بالتعظيم خالصاً ارتفع كلّ حجاب كان بينه و بين الله من قبل ذلك. و إذا انتقاد القلب لمورد قضاء الله بشرط الرضا عنه كيف ينفتح القلب بالسرور و الروح و الراحة. و إذا اشتغل قلبه بشيءٍ من اسباب الدّنيا كيف تجده إذا ذكر الله بعد ذلك و اياته منخفضاً [مظلماً] كبيت خراب خاوياً، و ليس فيه العمارة و لا مونس. و إذا غفل عن ذكر الله كيف تراه بعد ذلك موقوفاً محجوباً قد قسى و أظلم منذ فارق نور التعظيم».[٤]

روى عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: «على كلّ قلب جاثم من الشيطان، فاذا ذكر اسم الله خنس و ذاب، و إذا ترك ذكر الله التقمه الشيطان، فجذبه و اغواه و استزلّه و أطغاه».[٥]

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «اغفل النّاس من لم يتعظ بتغير الدنيا من حال إلى حال».[٦]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٣، ص ١٥٧، باب ١٢٥، ح ١.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٣، ص ١٥٧، باب ١٢٥، ح ٢.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٥٥، ح ٢٣.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٥٥، ح ٢٥.

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٦١، باب ٤٤، ح ٤٢.

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٢٤، ح ١٢.

الرّذيلة الرّابعة: المكر و الخدعة و الكيد

و من اضداد التّفكّر هو المكر و الخدعة و الكيد، بل انّه نوع فكرٍ ينشأ من غلبة الهوى على المتفكّر، اي: إذا كانت السّلطة للنّفس الامارة.

و معنى المكر و الخدعة و الكيد صرف غيره عمّا هو بصدده خفيّة اي من غير التفاته إلى ذلك الامر.

و ذلك الصّرف ان كان عن الأمور الشّرّ فهو المكر المحمود و الخدعة الخير و الكيد الحسن، و ان كان عن الأمور الخير فهو المكر السّيئ و الخدعة الشّريرة و الكيد السّوء.

قال تعالى: ﴿و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿انّ المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿انّهم يكيدون كيداً و اكيد كيداً﴾.[3]

و هو من المهلكات العظيمة، و معصيته اشدّ من معصية اصابة المكروه إلى غيره علانية.

و لقد اجاد المحقّق النّراقي في جامع السّعادات بقوله :

---

١ ـ آل عمران / ٥٤.　٢ ـ النّساء / ١٤٢.　٣ ـ الطارق / ١٥ و ١٦.

«ثمّ المكر من المهلكات العظيمة، لانّه اظهر صفات الشّيطان، و المتّصف به اعظم جنوده، و معصيته اشدّ من معصية اصابة المكروه إلى الغير في العلانيّة إذ المطّلع بارادة الغير ايذائه يحتاط و يحافظ نفسه عنه، فربّما دفع اذّيته. و امّا الغافل فليس في مقام الاحتياط، لظنّه انّ هذا المكّار المحيل محبّ و ناصح له، فيصل إليه ضرّه و كيده في لباس الصّداقة و المحبّة».[۱]

قال تعالى: ﴿يخادعون الله و الذّين امنوا و ما يخدعون إلّا أنفسهم و ما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً و لهم عذاب اليم﴾.[۲]

و قال تعالى: ﴿و الّذين يمكرون السّيّئات لهم عذاب شديد و مكر اولئك هو يبور﴾.[۳]

و قال تعالى: ﴿و لا يحيق المكر السّيّئ إلّا باهله فهل ينظرون إلّا سنّة الاوّلين فلن تجد لسنّة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلاً﴾.[٤]

و انّه نوع نفاق، فإذا ذنبه اعظم و اشدّ من الفعل الواقع علانية. فلو قتل شخصاً بالسّمّ مكراً فذلك اشدّ و اعظم معصية من القتل علانية، لانّه قتله على سبيل الاحسان اليه، كما فعل ذلك خلفاء بني العبّاس لعنهم الله تعالى بالائمّة عليهم السلام و بعض الاولياء. فهو القاتل المنافق، و المنافق في الدرك الاسفل من النّار.

ولو زنى و العياذ بالله بإمرأة اخيه او صديقه سيّما في بيته فهو الزّاني المنافق الخائن صديقه، ولو تصاحب و سرق مال اخيه المؤمن مكراً فهو السّارق المنافق.

فلو قيل: انّ المكر و الخدعة و الكيد اخبث الرّذائل و صاحبه معدودٌ في المنافقين لكان قولا سديداً. و الذكر الحكيم قد أقرّ عليه في مفتتح سورة البقرة.

۱ـ جامع السّعادات، ج ۱، ص ۳۲۸، سطر ۱۰. ۲ـ القرة / ۹ و ۱۰. ۳ـ فاطر / ۱۰.
٤ـ فاطر / ٤۳.

قال تعالى: ﴿و من النّاس من يقول امنّا بالله و باليوم الاخر و ما هم بمؤمنين يخادعون الله و الّذين امنوا﴾.[١]

و في سورة المنافقين أمر بالتّحذير عنهم فقال: ﴿فاحذرهم قاتلهم الله انّى يوفكون﴾.[٢]

و الحقّ و الحقّ اقول: قاتلهم الله انّى يؤفكون.

و القرآن ذمّ الرّاجع ي الطّلاق مكراً و اضراراً بالمرأة حتّى جعله كالمستهزء بايات الله.

قال تعالى: ﴿و إذا طلقتم النّساء فبلغن اجلهّن فامسكوهنّ بمعروف او سرّ حوهن بمعروف و لا تمسكوهنّ ضراراً لتعتدوا و من يفعل ذلك فقد ظلم نفسه و لا تتّخذوا ايات الله هزواً﴾.[٣]

و اصحاب السبت لمّا حرم اللّه عليهم صيد الحيطان يوم السبتِ فمكروا باتّخاذ الحياض ليصيدونها يوم الأحد لمسخهم اللّه بمكرهم وكيدهم هذا.

قال تعالى: ﴿فلمّا عتوا عمّا نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾.[٤]

ولو لم ترد في مذمّته غير قوله تعالى: ﴿و لا تتّخذوا ايات الله هزواً﴾ لكان كافياً لكونه من اخبث الرّذائل.

و في الذّيل نذكر ايات و روايات واردةٍ فيه:

---

١ ـ البقرة / ٨ و ٩. ٢ ـ المنافقين / ٤. ٣ ـ البقرة / ٢٣١. ٤ ـ الاعراف / ١٦٦.

آيات في الكيد

﴿يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً و لا هم ينصرون﴾.[١]

﴿فقاتلوا اولياء الشّيطان انّ كيد الشّيطان كان ضعيفاً﴾.[٢]

﴿ذلكم و انّ الله موهن كيد الكافرين﴾.[٣]

﴿ذلك ليعلم انّى لم اخنه بالغيب و انّ الله لا يهدى كيد الخائنين﴾.[٤]

﴿و ما كيد الكافرين إلّا في ضلال﴾.[٥]

﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾.[٦]

﴿و أملى لهم انّ كيدى متين﴾.[٧]

﴿ام يريدون كيداً فالّذين كفروا هم المكيدون﴾.[٨]

﴿انّهم يكيدون كيداً و اكيد كيداً﴾.[٩]

﴿و إلّا تصرف عنّى كيدهنّ اصب اليهنّ﴾.[١٠]

---

١ ـ الطّور / ٤٦. ٢ ـ النّساء / ٧٦. ٣ ـ الانفال / ١٨. ٤ ـ يوس / ٥٢.

٥ ـ غافر / ٢٥. ٦ ـ الفيل / ٢. ٧ ـ الاعراف / ١٨٣. ٨ ـ الطّور / ٤٢.

٩ ـ الطّارق / ١٦. ١٠ ـ يوسف / ٣٣.

آيات في المكر

﴿و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين﴾.[1]

﴿و قد مكر الّذين من قبلهم فلله المكر جميعاً يعلم ما تكسب كلّ نفس و سيعلم الكفّار لمن عقبى الدار﴾.[2]

﴿قد مكر الّذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم و أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾.[3]

﴿و مكروا مكراً و مكرنا مكراً و هم لا يشعرون فانظروا كيف كان عاقبة مكرهم انّا دمرّناهم و قومهم اجمعين﴾.[4]

﴿و كذلك جعلنا في كلّ قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها و ما يمكرون إلّا بانفسهم و ما يشعرون﴾.[5]

﴿و إذا جائتهم آية قالوا لن نؤمن حتّى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله، الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الّذين اجرموا صغار عند الله و عذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾.[6]

﴿و الّذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد و مكر اولئك هو يبور﴾.[7]

---

١ ـ آل عمران / ٥٤.　٢ ـ الرّعد / ٤٢.　٣ ـ النّحل / ٢٦.　٤ ـ النّحل / ٥٠ و ٥١.

٥ ـ الانعام / ١٢٣.　٦ ـ الانعام / ١٢٤.　٧ ـ فاطر / ١٠.

﴿افامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون﴾.[١]

﴿فلمّا جائهم نذير ما زاد هم إلّا نفوراً استكباراً في الارض و مكر السّئ و لا يحيق السئ إلّا باهله﴾.[٢]

﴿و إذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضرّاء مسّتهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكراً ان رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾.[٣]

---

١ ـ الاعراف / ٩٩. ٢ ـ فاطر / ٤٣. ٣ ـ يونس / ٢١.

روايات في المكر

عن الصادق عليه السلام قال: «ان كان العرض على الله عزّوجلّ حقّاً فالمكر لماذا».[1]

محمد بن الحسن بن علي بى ابي طالب عن ابيه عن جده عليهم السلام انه كان يقول: «المكر و الخديعة في النّار».[2]

عن الصادق عليه السلام قال، قال رسول الله عليهم السلام «ليس منّا من ماكر مسلماً».[3]

قال علي عليه السلام: «لولا انّ المكر و الخديعة في النّار لكنت امكر العرب».[4]

عن زاذان قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: «لولا انّى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «انّ المكر والخديعة و الخيانة في النّار لكنت امكر العرب».[5]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «لولا انّ المكر و الخديعة في النّار لكنت امكر النّاس».[6]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٢٨٤، باب ٧٢، ح ١.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٢٨٥، باب ٧٢، ح ٧.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٢٨٥، باب ٧٢، ح ٨.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٢٨٥، باب ٧٢، ح ٩.

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٢٨٥، باب ٧٢، ح ١٠.

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٢٨٥، باب ٧٢، ح ١١.

الفصل الرّابع

الفضيلة الرّابعة: الشّجاعة

الفضيلة الرّابعة: الشّجاعة

الشّجاعة فضيلة هامّة بحيث انّ القرآن الشّريف ذكرها في عداد أُسَس الحكم الإلهي.

قال الله تعالى: ﴿انّ الله اصفيه عليكم وزاده بسطة في العلم و الجسم﴾.[1]

و جعلها مورد محبّته و عنايته الخاصّة.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم و يحبّونه اذلّة على المؤمنين اعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومة لائم﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿انّ الله يحبّ الّذين يقاتلون في سبيله صفّاً كانّهم بنيان مرصوص﴾.[3]

و ذكرها في صفات المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿محمّد رسول الله و الّذين معه اشدّاء على الكفّار رحماء بينهم﴾.[4]

تعريف الشّجاعة

---

١ ـ البقرة / ٢٤٧. ٢ ـ المائدة / ٥٤. ٣ ـ الصّفّ / ٤. ٤ ـ الفتح / ٢٩.

و معنى الشّجاعة قوّة القلب و هي مقولة بالتّشكيك فالمرتبة الضّعيفة منها مطلوبة و الرّتبة الشّديدة منها اشدّ مطلوباً منها، فليس مرتبة منها ضعيفة كانت او شديدة غير مطلوبة. فلا يتصوّر فيها طرفا تفريط و افراط.

فما قيل من انّ تفريطها هو الجبن و هو من الرّذائل و انّ افراطها هو التّهوّر و هو من الرّذائل ايضاً ليس بسديد، لانّ التّهوّر ليس افراط الشّجاعة، بل انّه من مقولة الفعل لا من مقولة الصّفات. و انّ الجبن عدم قوّة القلب، فهو ايضاً ليس تفريط الشّجاعة، بل انّه من باب العدم و الملكة لا من باب الصّفات.

توضيح ذلك: انّ التّهوّر بمعنى السّقوط، كما لوبنى بنّاءٌ على أرض رخوةٍ لا قرار لها، فالعامل تهوّر في عمله، و البِناء متهوَّر.

قال تعالى: ﴿أفمن اسّس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير امّن اسّس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنّم و الله لا يهدى القوم الظّالمين﴾.[١]

فمن استعمل قوّته القلبيّة في غير محلّها الّذي لم يقرّ عليه العقلاء يقال له المتهوّر، كمن جعل نفسه في معرض التّهلكة و كمن يدنو إلى الاسد او إلى العدوّ من غير سلاح و بلا داع عقلائي او شرعي.

قال تعالى: ﴿و لا تلقوا بايديكم إلى التّهلكة﴾.[٢]

فالتّهوّر من الافعال المذمومة لا من رذائل الصّفات، فهو من القبائح العقليّة و المحرمات الشّرعيّة لا من الرّذائل الخُلقيّة. كما انّ الجبن بمعنى ضعف القلب، فمن ليس بشجاع ذيقوة القلب يقال له الجبان، فالجبن ليس بامر وجودي حتّى يقال انّه من الافعال او الصّفات او يقال انّه تفريط الشّجاعة.

نعم من كان جباناً فهو محروم عن كثير من النّعم و يصيبه كثير من النّقم فلو لم تحرم إلّا

---

١ ـ التوبة / ١٠٩. ٢ ـ البقرة / ١٩٥.

عن الجهاد و الامر بالمعروف و النّهى عن المنكر و نظائرها لكفاه ان يقال انّه محروم من السّعادت الأبديّة، كما انّه لو لم يكن له إلّا الكسل و الذّلّ و المهانة و عدم الثّبات و العار من قبول الفضائح لكفى به أن قال انّه كتب عليه الشّقاء، إلّا انّ ذلك كلّه لعدم قوّة القلب، فجبنه يمنعه عن النّعم الكثيرة و يسوقه إلى النّقم الكثيرة.

كما انّ المتهوّر مضافاً إلى كفران النّعمة، لاستعمال نعمة الشّجاعة العظيمة في غير محلّها، يوقع نفسه بل غيره في الهلكات فيوجب مفاسد كثيرة. و بعض اصحاب الائمّة عليهم السلام المتهوّرون لتهوّرهم كانوا يفشون الاسرار و يوقعون الشّيعة في معرض التّهلكة، فلذا كانوا عليهم السلام يؤاخذونهم و يلومونهم.

مراتب الشّجاعة:

انّ للشّجاعة مراتب ضعفاً و شدّة و لكلّ منها مراتب أخر شدّة و ضعفاً.

فاوّل مرتبتها هي الغلبة على العدوّ في المعركة او غيرها او الغلبة في البحث او الغلبة في السبّق و .... و إلى هذه الرّتبة اشار قوله تعالى: ﴿**انّ الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم و الجسم**﴾.[1]

و الثّانية منها هي الغلبة على النّفس الامّارة و الهوى.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «اشجع النّاس من غلب هواه».[2] و قال: «مرحبا بقوم قضوا الجهاد الاصغر و بقى عليهم الجهاد الاكبر، قيل: يا رسول الله و ما الجهاد الاكبر؟ قال: جهاد النّفس».[3]

و الغلبة في هذا الميدان لا يتأتّى إلّا بفضل الله و رحمته.

---

١ ـ البقرة / ٢٤٧.
٢ ـ نهج الفصاحة، ح ٢٩٩.
٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٦٤، ح ١.

قال تعالى: ﴿انّ النّفس لامّارة بالسّوء إلّا ما رحم ربّى﴾.[١]

قال تعالى: ﴿و إلّا تصرف عنّى كيدهنّ اليهنّ و اكن من الجاهلين﴾.[٢]

و الثّالثة هي الغلبة على الصّعاب في جزر الدّنيا و مدّها و زخرفها و زبرجها و في سنن الله من الابتلائات و الامتحانات.

قال تعالى: ﴿احسب النّاس ان يتركوا ان يقولوا امنّا و هم لا يفتنون و لقد فتنّا الّذين من قبلهم و ليعلمنّ الله الّذين صدقوا و ليعلمنّ الكاذبين﴾.[٣]

فالكتاب و السّنة و الاختبار و التّاريخ شاهدة على انّ الإنسان مغلوب إلّا ما رحم الله.

قال تعالى: ﴿انّ الإنسان خلق هلوعاً إذا مسّه الشّرّ جزوعاً و إذا مسّه الخير منوعاً إلّا المصلّين﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿فامّا الإنسان إذا ما ابتليه ربّه فاكرمه و نعّمه فيقول ربّى اكرمن و امّا إذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربّى اهانن كلّا﴾.[٥]

الرّابعة و هي المرتبة العالية الأخيرة الّتي ليست مرتبة اعلا منها، هي الغلبة على الصّفات الرّذيلة سيّما قلعها عن نفسه و غرس الفضائل في النّفس خلفه. و هي و لاتمكن لاحد إلّا برحمته و فضله.

قال تعالى: ﴿و لولا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من احد ابداً ولكنّ الله يزكّى من يشاء﴾.[٦]

و لقد اجاد من قال: انّ هذه الغلبة كحفر بئر بالابرة ولكن هذه المكافحة لازمة، بل مرّ الكلام في انّها من اوجب الواجبات عقلاً و شرعاً.

قال تعالى بعد أن أتى بأحد عشر قسماً مع تأكيدات بليغة: ﴿قد افلح من زكيّها و قد

١ـ يوسف / ٥٣. ٢ـ يوسف / ٣٣. ٣ـ العنكبوت / ٢ و ٣. ٤ـ المعارج / ١٩ـ ٢٢.

٥ـ الفجر / ١٥ـ ١٧. ٦ـ النّور / ٢١.

خاب من دسّيها﴾.[١]

ثمّ نقل قصّة ثمود و شمول عذاب الاستيصال لهم لطغيانهم و لجاجهم، فالسّورة المباركة من اوّلها إلى اخرها تدلّ على انّ تهذيب النّفس من أوجب الواجبات.

١ـ الشّمس / ٩ و ١٠.

روايات في الشّجاعة

عن عبدالله بن بكر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «انا لنحبُّ من كان عاقلاً، فهماً، فقيهاً، حليماً، مدارياً، صبوراً، صدوقاً، وفيّاً انّ الله عزّوجلّ خص الانبياء بمكارم الاخلاق، فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك، و من لم تكن فيه فليتضرّع إلى الله عزّوجلّ و ليسئله اياها.

قال، قلت: جعلتُ فداك و ما هنّ؟

قال: هنّ الورع و القناعة و الصبر و الشكر و الحلم و الحياء و السخاء و الشجاعة و الغيرة و البرّ و صدق الحديث و اداء الامانة».[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اعطينا اهل البيت سبعاً لم يعطن احد كان قبلنا و لا يعطاهن احد بعدنا: الصباحة و الفصاحة و السماحة و الشجاعة و العلم و المحبة في النساء».[2]

عن عبدالله بن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ان الله عزّوجلّ خصّ رسله بمكارم الاخلاق، فامتحنوا أنفسكم فان كانت فيكم فاحمدوا الله، و اعلموا ان ذلك من خير، و ان لا تكن فيكم فاسئلوا الله و ارغبوا إليه فيها.

قال: فذكر (ها) عشرة: اليقين و القناعة و الصبر و الشكر و الحلم و حسن الخلق و السخاء و الغيرة و الشجاعة و المروّة».[3]

---

١ ـ اصول الكافي، ج ٢، باب المكارم، ص ٥٦، ح ٣.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٤٣٠، باب ٣٨، ح ١٠٥.

٣ ـ اصول الكافي، ج ٢، ص ٥٦، باب المكارم، ح ٢.

الفصل الخامس

الفضيلة الخامسة: الخوف من الله تعالى

الفضيلة الخامسة: الخوف من الله تعالى

الخوف من الله تعالى من اعظم النّعم و من اهمّ الصّفات الحسنة، و هو يوجب تقوى النّفس عن مخالفة الله تعالى. و بهذا الاعتبار استعملت كلمة التّقوى و ما يشتقّ منها في الخوف حتّى صار الاستعمال مجازاً مشهوراً لو لم نقل انّه صار معناها الحقيقي بغلبة الاستعمال.

و استعملت هذه الكلمة ازيد من مأة مرة في القرآن مريداً منها معنى الخوف. ولو لم يكن له شأن إلّا هذا لكفى بك ان تقول لهذه الصّفّة شأن في السير إلى جنابه تعالى. فبناء عليه كلّ ما رسم في الذكر للمتّقين من خير الدّنيا و الاخرة فهو لمن يخافه تعالى، لانّ المتّقي هو الخائف من الله في اصطلاح القرآن، بل عرفاً و لغة.

و ملخّص القول انّ هذه الصّفة توجب سعادة الدارين، امّا الاخرة فكفاك فيه قوله تعالى: ﴿و امّا من خاف مقام ربّه و نهى النّفس عن الهوى * فانّ الجنّة هي المأوى﴾[١] و قوله تعالى: ﴿و لمن خاف مقام ربّه جنّتان﴾.[٢]

و المراد بالجنّتان جنّة العوام و هي الّتي وصفت في القرآن في آيات كثيرة و ذكر فيها

---

١ ـ النّازعات / ٤٠ و ٤١.

٢ ـ الرّحمن / ٤٦.

نعمها من القصور والمأكولات و المشروبات و الحور و الملابس و.... و لها مراتب من الجنّة و العدن و الرّضوان و لكلّ مراتب أخر. و جنّة الخواص، و هي الّتي يشير اليها قوله تعالى: ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنّة * ارجعي إلى ربّك راضية مرضيّة * فأدخلي في عبادي * و ادخلي جنّتي﴾.[١]

و قوله تعالى: ﴿انّ المتّقين في جنّات و نهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾.[٢]

و يكفيك للدّنيا قوله تعالى: ﴿ولو انّ اهل القرى امنوا و اتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السّماء و الارض﴾.[٣] و قوله تعالى: ﴿انّ الارض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتّقين﴾.[٤]

ولو لم يكن في اهميّة التّقوى البالغة و الخوف منه تعالى إلّا قوله: ﴿انّما يتقبّل الله من المتّقين﴾[٥] لكفى بها فضلاً و نبلاً.

مراتب الخوف:

و للخوف درجات و مراتب:

الف ـ خوف العوام، و هو يوجب الابتعاد عن المحرّمات، و اجود منها هو التّقوى عن الشّبهات، و اجود منها هو التّقوى عن المكروهات.

قال تعالى: ﴿فاتّقوا الله حقّ تقاته﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿و اتّقوا الله ما استطعتم﴾.[٧]

ب ـ خوف الخواصّ، و هو يوجب الابتعاد عن ترك الاولى بحسب القدرة البشريّة. و هذا الخوف يختصّ بالانبياء سيّما المرسلين. قال تعالى: ﴿فعصى ادم ربّه فغوى﴾.[٨]

---

١ ـ الفجر / ٢٧ ـ ٣٠. ٢ ـ القمر / ٥٤ و ٥٥. ٣ ـ الاعراف / ٩٦. ٤ ـ الاعراف / ١٢٨.
٥ ـ المائدة / ٢٧. ٦ ـ آل عمران / ١٠٢. ٧ ـ التّغابن / ٦١. ٨ ـ طه / ١٢١.

الا ترى انّ يوسف عليه السلام لمّا قال اذكرني عند ربّك لمن علم انّه ناجٍ من السّجن و ذاهب العزيز، قضى الله تعالى عليه السّجن بضع سنين.

قال تعالى: ﴿و قال للّذى ظنّ انّه ناج منهما اذكرنى عند ربّك فانسيه الشيطان ذكر ربّه فلبث في السّجن بضع سنين﴾.[1]

قال تعالى: ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدّو و الاصال رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾.[2]

و إلى هذه المراتب اشار الفيلسوف الاسلامي قدس سره في منظومته بقوله:

كـدرج التّـوب مـراتب التّـقى من حرمة او حلّ او غـير اللّـقاء

اقسام الخوف:

الخوف على قسمين: خوف الرّهبة و خوف الخشية.

و المراد من الأوّل هو الخوف من سخط الله و غضبه، و بعبارةٍ أخرى هو الخوف من عدله، و بعبارة القرآن هو الخوف من مقامه تعالى.

قال تعالى: ﴿و امّا من خاف مقام ربّه و نهى النّفس عن الهوى * فانّ الجنّة هي المأوى﴾.[3]

و هذا الخوف على اقسام:

١ ـ الخوف من عذابه الاخرويّ.

قال تعالى: ﴿يا ايّها النّاس اتّقوا ربّكم انّ زلزلة السّاعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كلّ مرضعة عمّا ارضعت و تضع كلّ ذات حمل حملها و ترى النّاس سكارى و ما هم

---

١ ـ يوسف / ٤٢. ٢ ـ النّور / ٢٧. ٣ ـ النّازعات / ٤٠ و ٤١.

بسكارى و لكنّ عذاب الله شديد﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً و ما علمت من سوء تودّلو انّ بينها و بينه امداً بعيداً و يحذّركم الله نفسه و الله رئوف بالعباد﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿فاتّقوا النّار الّتي وقودها النّاس و الحجارة﴾.[٣]

٢ ـ الخوف من عذابه الدّنوىّ.

قال تعالى: ﴿و اتّقوا فتنة لا تصيبن الّذين ظلموا منكم خاصّة﴾.[٤]

٣ ـ الخوف من سوء العاقبة.

قال تعالى: ﴿قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾.[٥]

٤ ـ الخوف من سوء عاقبة أولاده و ذويه.

قال تعالى: ﴿و ليخش الّذين لو تركوا من خلفهم ذريّة ضعافاً خافوا عليهم فليتّقوا الله و ليقولوا قولاً سديداً﴾.[٦]

و امّا خوف الخشية فهو الخوف من عظمتة و جبروته و ابّهته. و هذا الخوف يتوقّف على المعرفة، فكلّما زادت المعرفة اشتدّ الخوف، فلذا يختصّ بالعارفين. قال تعالى: ﴿انّما يخشى الله من عباده العلماء﴾.[٧]

و الفرق بين الخوفين انّ خوف الرّهبة ينشأ من سخطه فعلى الحقيقة نشأ ممّا اغترف من ذنوبه، فلذا ورد في الرّوايات «و لا يخافنّ إلّا ذنبه»[٨] و امّا خوف الخشية فينشأ من حبّه، فلذا قال اميرالمؤمنين عليه السلام في دعاء الخضر المشتهر بالكميل: «يا الهي و سيّدي و مولاي و ربّي صبرت على عذابك فيكف اصبر على فراقك و هبني يا الهي صبرت على حرّ نارك

---

١ ـ الحجّ / ١ و ٢. ٢ ـ آل عمران / ٣٠. ٣ ـ البقرة / ٢٤. ٤ ـ الانفال / ٢٥.

٥ ـ النّمل / ٦٩. ٦ ـ النّساء / ٩. ٧ ـ فاطر / ٢٨.

٨ ـ نهج البلاغة، قصار الحكم / ٨٢.

فكيف اصبر عن النّظر إلى كرامتك».

فبين الخوفين كمال المباينة إلّا انّهما يجتمعان في عباداللہ الصّالحين، فمثل اميرالمؤمنين الّذي يخاف الله خوف الخشية كما يخافه خوف الرّهبة، قال في نفس الدعاء: «اللّهمّ لا اجد لذنوبي غافراً و لا لقبائحي ساتراً و لا لشيئ من عملي القبيح بالحسن مبدّلاً غيرك».

الخوف مقول بالتشكيك:

ظهر من مطاوى ما ذكرنا انّ الخوف من باب التّشكيك سواء كان خوف الرّهبة او خوف الخشية، فالمرتبة الضّعيفة منه حسنة مطلوبة، و كلّما زاد في شدّته زاد في حسنه، و لا يعقل فرض التّفريط و الافراط فيه. فما اشتهر في كتب الأخلاق من فرض التّفريط و الافراط له، و قيل: انّ افراطه ـ و هو حدّ القنوط و اليأس من رحمته تعالى ـ مذموم، ليس بسديد.

ضرورة انّ الحدّ الضّعيف منه و هو خوف العوام من سخط الله تعالى مطلوب، لانّه يمنع عن الالتفات إلى غير الله فضلاً عن مخالفة أوامره تعالى واجبة كانت او مستحبّة، و نواهيه محرّمة كانت او مكروهة.

و ليس معنى العصمة إلّا الخوف الشّديد من الله تعالى الحاصل من العلم باسمائه و صفاته و من المعرفة بها على منتهى مراتبها البشريّة.

و الادعية المأثورة منهم كدعاء كميل و ابي حمزة و عرفة، تنشأ من هذا الخوف اي خوف الرّهبة تارة و خوف الخشية اخرى.

و امّا القنوط و اليأس من رحمة الله تعالى فلا ينشأ من الخوف الشّديد، بل من عدم الرّجاء. و سيأتي ان شاء الله تعالى الكلام في انّه يجب الرّجاء مع الخوف و الخوف مع الرّجاء و انّ احدهما من دون الاخر نقص يجب رفعه فوجودهما متلازمان تلازمَ القرآن و العترة.

آيات في الخوف

﴿و امّا من خاف مقام ربّه و نهى النّفس عن الهوى فانّ الجنّة هي المأوى﴾.[1]

﴿و لمن خاف مقام ربّه جنّتان﴾.[2]

﴿و لنسكننّكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى﴾.[3]

﴿انّما تنذر من اتّبع الذّكر و خشى الرّحمن بالغيب﴾.[4]

﴿من خشى الرّحمن بالغيب و جاء بقلب منيب﴾.[5]

﴿رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك لمن خشى ربّه﴾.[6]

﴿انّما يخشى الله من عباده العلماء﴾.[7]

﴿انّ الّذين يخشون ربّهم بالغيب لهم مغفرة و اجر كبير﴾.[8]

﴿تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم﴾.[9]

﴿و من يطع الله و رسوله و يخش الله و يتّقه فاولئك هم الفائزون﴾.[10]

﴿يا ايّها النّاس اتّقوا ربّكم و اخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده و لا مولود هو جاز عن والده شيئاً انّ وعد الله حق فلا تغرّنّكم الحيوة الدّنيا و لا يغرّنّكم بالله الغرور﴾.[11]

---

١ ـ النّازعات / ٤٠. ٢ ـ الرّحمن / ٤٦. ٣ ـ ابراهيم / ١٤. ٤ ـ يس / ١١.

٥ ـ ق / ٣٣. ٦ ـ البيّنة / ٨. ٧ ـ فاطر / ٢٨. ٨ ـ الملك / ١٢.

٩ ـ الزّمر / ٢٣. ١٠ ـ النّور / ٥٢. ١١ ـ لقمان / ٣٣.

﴿سيذّكّر من يخشى﴾.[١]

﴿يا ايّها النّاس اتّقوا ربّكم انّ زلزلة السّاعة شيء عظيم﴾.[٢]

﴿انّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله و جلت قلوبهم﴾.[٣]

﴿الّذين إذا ذكر الله و جلت قلوبهم﴾.[٤]

﴿قل انّي اخاف ان عصيت ربّي عذاب يوم عظيم﴾ ﴿لهم من فوقهم ظلل من النّار و من تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتّقون﴾ ﴿الله نزّل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله﴾.[٥]

﴿يوفون بالنّذر و يخافون يوماً كان شرّه مستطيراً * انا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾.[٦]

﴿و ايّاي فارهبون﴾.[٧]

﴿و اقام الصلوة و اتى الزكاة و لم يخش إلّا الله﴾.[٨]

﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تودّ لو انّ بينها و بينه امداً بعيداً و يحذّركم الله نفسه﴾.[٩]

﴿أفامن اهل القرى ان ياتيهم بأسنا نياتاً و هم نائمون * او امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحىً و هم يلعبون * أفامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون﴾.[١٠]

---

١ ـ الاعلى / ١٠. ٢ ـ الحجّ / ١. ٣ ـ الانفال / ٢. ٤ ـ الحجّ / ٣٥.

٥ ـ الزّمر / ١٣ و ١٦ و ٢٣. ٦ ـ الدّهر / ٧ و ١٠. ٧ ـ البقرة / ٤٠.

٨ ـ التّوبة / ١٨. ٩ ـ آل عمران / ٣٠. ١٠ ـ الاعراف / ٩٧ ـ ٩٩.

روايات في الخوف

عن اسحاق بن عمّار قال، قال ابو عبدالله عليه السلام: «يا اسحاق! خف الله كانّك تراه، و ان كنت لا تراه فانه يراك، و ان كنت ترى أنّه لا يراك فقد جعلته من أهون الناظرين عليك».[1]

قال ابو عبدالله عليه السلام: «انّ من العبادة شدّه الخوف من الله عزّوجلّ ﴿انّما يخشى الله من عباده العلماء﴾ و قال جلّ ثناؤه: ﴿فلا تخشوا الناس و اخشونى﴾ و قال تبارك و تعالى: ﴿و من يتقّ الله يجعل له مخرجاً﴾ قال: و قال ابو عبدالله عليه السلام: انّ الشرف و الذكر لا يكونان في قلب الخائف الرّاهب».[2]

في مناهي النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخالفة الله عزّوجلّ حرّم الله عليه النار و آمنه من الزع الأكبر و أنجز له ما وعده في كتابه في قوله عزّوجلّ: ﴿و لمن خاف مقام ربّه جنّتان﴾.[3]

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «بينا ثلاثة نفر فيمن كان قلبهم يمشون أذ اصابهم مطر، فأووا إلى غار، فانطبق عليهم. فقال بعضهم لبعض: يا هؤلاء و الله ما ينجيكم إلّا الصدق، فليدع كلّ رجل منكم بما يعلم الله عزّوجلّ انّه قد صدق فيه.

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۳۵۵، باب ۵۹، ح ۲.	۲ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۳۵۹، باب ۵۹، ح ۵.

۳ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۳٦۵، باب ۵۹، ح ۱۳.

فقال احدهم: اللّهم ان كنت تعلم انّه كان لى اجير عمل لى على فرق أُرز.

فزرعته فصار من أمره إلى ان اشتريت من ذلك الفرق بقراً.

ثمّ اتانى فطلب اجره. فقلت: اعمد إلى تلك البقر فسقها.

فقال: انّما لي عندك فرق من أُرز.

فقلت: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فانّها من ذلك. فساقها.

فان كنت تعلم انّى فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنّا فانساحت الصخرة عنهم.

و قال الاخر: اللّهم ان كنت تعلم انّه كان لي ابوان شيخان كبيران فكنت اتيهما كلّ ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ذات ليلة، فاتيتهما و قد رقدا، و اهلي و عيالى يتضاغون من الجوع. و كنت لا اسقيهم حتّى يشرب ابواى، فكرهت ان او قظهما من رقدتهما، و كرهت ان ارجع فيستيقظا لشربهما. قلم أزل انتظرهما حتّى طلع الفجر.

فان كنتت تعلم انّى فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنّا، فانساحت عنهم الصّخرة حتّى نظروا إلى السماء.

و قال الاخر: اللّهم ان كنت تعلم انّه كانت لي ابنة عمّ احبّ النّاس الىّ و إنّى راودتها عن نفسها، فابت علىّ إلّا ان اتيها بمأة دينار. فطلبتها حتّى قدرت عليها، فجئت بها فدفعتها اليه، فامكنتنى من نفسها.

فلمّا قعدت بين رجليها قالت: اتّق الله و لا تفضّ الخاتم إلّا بحقّه فقمت عنها و تركت لها المأة.

فان كنت تعلم انّى فعلت ذلك من خشيتك فـفرّج عـنّا فـفرّج الله عـزّوجلّ عـنهم فخرجوا».[١]

عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «من خاف الله عزّوجلّ اخاف الله منه كلّ شيءٍ، و من لم

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٧٩، باب ٥٩، ح ٢٩.

يخف الله عزّ وجلّ اخافه الله من كلّ شيءٍ». [١]

عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: «انّ المؤمن لا يصبح إلّا خائفاً و ان كان محسناً، و لا يمسى إلّا خائفاً و ان كان محسناً، لانّه بين امرين: بين وقت قد مضى لا يدرى ما الله صانع به، و بين اجل قد اقترب لا يدرى ما يصيبه من الهلكات». [٢]

عن الثّمالي قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: ابن آدم! لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، و ما كانت المحاسبة من همّك، و ما كان الخوف لك شعاراً و الحزن لك دثاراً، ابن آدم!

انّك ميت و مبعوث و موقوف بين يدى الله عزّوجلّ و مسئول، فاعدّ جواباً». [٣]

قال الله تعالى: «و عمل صالحاً» من هؤلاء المؤمنين «فلهم اجرهم» ثوابهم «عند ربّهم» في الآخرة «لا خوف عليهم» هناك حين يخاف الفاسقون «و لا هم يحزنون» إذا حزن الظالمون، لأنّهم لم يعلموا من مخافة الله ما يخاف من فعله و لا يحزن له. و نظر اميرالمؤمنين عليّ عليه السلام رجل أث وف عليه، فقال: و ما بالك؟

قال: إنّى أخاف الله.

فقال: يا عبدالله خف ذنوبك، و خف عدل الله عليك مظالم عباده، و أطعه فيما كلفك، و لا تعصه فيما يصلحك. ثم لا تخف الله بعد ذلك، فانّه لا يظم أحداً و لا يعذّبه به فوق استحقاقه ابداً إلّا ان تخاف سوء العاقبة بأن تغيّر او تبدّل، فان أردت ان يؤمنّك الله سوء العاقبة فاعلم انّ ما تأتيه من خير فبفضل الله و توفيقه، و ما تأتيه من سوء فبامهال الله و

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٨١، باب ٥٩، ح ٣٢.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٨٢، باب ٥٩، ح ٣٤.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٨٢، باب ٥٩، ح ٣٥.

إنظاره ايّاك و حلمه و عفوه عنك».[١]

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «من كان بالله أعرف كان من الله أخوف و قال صلى الله عليه و آله و سلم: يا ابن مسعود اخش الله بالغيب كأنّك تراه، فان لم تره فانّه يراك. يقول الله تعالى: ﴿من خشى الرّحمن بالغيب و جاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود﴾ و روى انّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم كان يصلّي و قلبه كالمرجل يغلى من خشية الله تعالى».[٢]

و كان اميرالمؤمنين عليه السلام: إذا أخذ في الوضوء يتغيّر وجهه من خيفة الله تعالى.

و كانت فاطمة عليها السلام تنهج[٣] في الصلاة من خيفة الله تعالى.[٤]

و كان الحسن إذا فرغ من وضوئه تتغيّر لونه، فقبل له: في ذلك؟ فقال: حقّ على من أراد أن يدخل على ذى العرش ان تتغيّر لونه. و يروى مثل هذا عن زين العابدين عليه السلام

و روى المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال حدثنى أبي عن أبيه عليه السلام: انّ الحسن بن علي عليه السلام كان أعبد النّاس في زمانه و أزهدهم و أفضلهم، و كان إذا حجّ حجّ ماشياً و رمى ماشياً، و ربما مشى حافياً، و كان إذا ذكر الموت بكى، و إذا ذكر البعث و النشور بكى، و إذا ذكر الممّر على الصراط بكى، و إذا صلاته ترتعد فرائصه بين يدى ربّه عزّوجلّ، و كان إذا ذكر الجنّة و النّار اضطرب اضطراب السليم، و سأل الله الجنّة، و تعوّذ بالله من النّار.

و قالت عايشة: كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يحدّثنا و نحدّثه، فاذا حضرت الصلاة فكانّه لم يعرفنا و لم نعرفه».[٥]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٩١، باب ٥٩، ح ٦٠.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٩٣، باب ٥٩، ح ٦٤.

٣ ـ تتابع نفسه و تنبهر.

٤ ـ عده الداعى، ١٣٩.

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٩٩، باب ٥٩، ح ٧٢.

سوء العاقبة

و ممّا اكّد عليه اهل القلوب الدّعاء لحسن العاقبة، و من اورادهم و اذكارهم الّتي يتمادون عليها قولهم: «اللّهم اجعل عاقبة امرنا خيراً» حتّى نقل: انّ جمعاً من ايران كانوا بمحضر الميرزا الكبير الشيرازي ﵀ فعندما أرادوا الخروج من عنده طلبوا منه دعاءً لحسن العاقبة فلّما ذهبوا قال ﵀ لجلسائه: طلبوا منّي اهمّ الادعيّة و ما دعاء افضل و اهمّ منه.

و ملخّص القول انّ حسن العاقبة من النّعم الهامّة كما انّ سوء العاقبة من النّقم الهامّة.

معاني سوء العاقبة:

الف ـ الذّلّة بعد العزّه في الدّنيا و النّقمة بعد النّعمة فيها، و القرآن يخوّف العباد في آيٍ كثيرة عن هذا الامر.

قال الله تعالى: ﴿**ضرب الله مثلاً قرية كانت امنة مطمئنّة ياتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون**﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿**قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين**﴾.[2]

ب ـ الكفر و الفسق بعد الايمان او التّقوى، و معلوم انّها من القسم الاوّل، و كم من الزّهاد بل العلماء المتّقين مالوا إلى الفسق بل الكفر، نعوذ بالله من سخطه و خذلانه.

---

١ ـ النّحل / ١١٢. ٢ ـ النّمل / ٦٩.

قال تعالى: ﴿و اتل عليهم نبأ الاذي آتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشّيطان فكان من الغاوين﴾.[١]

و سيأتي قصص و حكايات في ذلك ان شاء الله تعالى.

ج ـ الخروج من الدّنيا بلا ايمان أو مع الفسق.

قال تعالى: ﴿فلا تعجبك اموالهم و لا اولادهم انّما يريد الله ليعذّبهم بها في الحيوة الدّنيا و تزهق انفسهم و هم كافرون﴾.[٢]

و ربّ كلمة كفر او فسق سمعت من لسان بعض دون الموت، و في روايات كثيرة انّ الشّيطان يسلب الايمان بحيل عند الموت و لولا الاستعانة بالولاية لكان دخول القبر مصحوباً الايمان في نهاية الصّعوبة.

موجبات سوء العاقبة:

الف ـ الذّنب سيّما الظّلم بل مطلق حقّ النّاس.

قال تعالى: ﴿ثمّ كان عاقبة الّذين اساءوا السّوای ان كذّبوا بايات الله﴾.[٣]

ب ـ الصّفات الرّذيلة

قال تعالى: ﴿قل ان كان ابائكم و ابنائكم و اخوانكم و ازواجكم و عشيرتكم و اموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها احبّ اليكم من الله و رسوله و جهاد في سبيله فتربّصوا حتّى يأتى الله بامره﴾.[٤]

و السّرّ في ذلك مضافاً إلى انّ الصّفات الرّذيلة سيّما حبّ الدّنيا مانعة عن الرضى بالموت فبالعنف يخرجونه من الدّنيا مبغضاً و لا اقلّ من اكراهه للولاية و الملائكة المقرّبين بل الله تعالى،

١ـ الاعراف / ١٧٥. ٢ـ التّوبة / ٥٥. ٣ـ الرّوم / ١٠. ٤ـ التّوبة / ٢٤.

انّ الصّفات الرّذيلة حجاب بينه و بين الرّب فيحضر الرّبّ محتجباً بها.

قال تعالى: ﴿كلاّ انّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون﴾.[١]

ج ـ ضعف الايمان.

قال تعالى: ﴿و من النّاس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأنّ بـه و ان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدّنيا و الاخرة ذلك هو الخسران المبين﴾.[٢]

فلو كان الايمان صرف لقلقة اللّسان فيقدر العدوّ من الانس و الجنّ ان يسلبه سيّما في الفتن كتراكم الاهوال عند الموت، حتّى انّ الايمان الرّاسخ في العقل كان في خطر عظيم.

نعم لو رسخ الايمان في القلب بالرّياضات الدّينيّة و المجاهدات الشّرعيّة فهو في امان الله.

قال تعالى: ﴿انّه ليس له سلطان على الّذين امنوا و على ربّهم يـتوكّلون * انّـما سلطانه على الّذين يتولّونه﴾.[٣]

---

١ ـ المطففين / ١٥.　　٢ ـ الحجّ / ١١.　　٣ ـ النّحل / ٩٩ و ١٠٠.

آيات في سوء العاقبة

﴿ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾.(١)

﴿ثمّ كان عاقبة الّذين اساؤوا السّوأى ان كذّبوا بايات الله﴾.(٢)

﴿فانظر كيف كان عاقبة الظّالمين﴾.(٣)

---

١ ـ آل عمران / ٨. ٢ ـ الرّوم / ١٠. ٣ ـ يونس / ٣٩.

روايات في سوء العاقبة

عن المفضل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ان الحسرة و الندامة و الويل كلّه لمن لم ينتفع بما ابصر و من لم يدر الامر الّذي هو عليه مقيم انفع هو لهام ضرر.

قال، قلت: فبما يعرف الناجى؟

قال: من كان فعله لقوله موافقاً فاثبت له الشهادة بالنجاة، و من لم يكن فعله لقوله موافقاً فانّما ذلك مستودع».[1]

عن عيسب شلقان قال: «كنت قاعداً، فمرّ ابوالحسن موسى عليه السلام و معه بهمةٌ، قال، فقلت: يا غلام ما ترى ما يصنع ابوك؟ يأمرنا بالشى ثم ينهانا عنه: امرنا ان نتولى ابا الخطاب، ثمّ امرنا ان نلعنه و نتبرّأ منه؟

فقال ابوالحسن عليه السلام: و هو غلام ان الله خلق خلقاً للايمان لا زوال له، و خلق خلقاً للفكر لا زوال له، و خلق خلقاً بين ذلك اعارهم الايمان، يسمّون المعارين، إذا شاء سلبهم، و كان ابو الخطاب ممن اعير الايمان.

قال: فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فاخبرته بما قلت لأبي الحسن عليه السلام و ما قال لي. فقال أبو عبدالله عليه السلام: انه نبعة نبوّة».[2]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ان الله جبل النبيين على نوّتهم فلا يرتدّون ابداً، و جبل

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٦، ص ٢١٨، باب ٣٤، ح ٢. ٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٦، ص ٢١٩، باب ٣٤، ح ٣.

الاوصياء على وصايا هم فلا يرتّدون ابداً، و جبل بعض المؤمنين على الايمان فلا يرتّدون ابداً،

و منهم من يعير الايمان عارية، فاذا هو دعا و الحّ في الدعا، مات على الايمان».[1]

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه‌السلام، قال قلت: «هو الاذي ّنشأكم من نفس واحدة فمستقر و مستودع»؟

قال: ما يقول اهل بلدك الاذي ّنت فيه؟

قال: قلت، يقولون: مستّقر في الرحم، و مستودع في الصلب.

فقال: كذّبوا، المستقر ما استقر الايمان في قلبه، فلا ينزع منه ابداً، و المستودع الّذي يستودع الايمان زماناً ثم يسلبه، و قدكان الزبير منهم».[2]

عن جعفر بن مروان قال: «ان الزبير اخترط سيفه يوم قبض النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و قال: لا اغمده حتّى ابايع لعلى، ثم اخترط سيفه فضارب علياً. فكان ممن اعير الايمان، فمشى في ضوء نوره، ثم سلبه الله اياه».[3]

عن احمد بن محمّد قال: «وقف على ابوالحسن الثاني عليه‌السلام في بنى زريق فقال لي و هو رافع صوته: يا احمد! قلت: لبيّك، قال: انّه لمّا قبض رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم جهد النّاس على إطفاء نور الله، فابى الله إلّا ان يتّم نوره باميرالمؤمنين عليه‌السلام. فلمّا توّفي ابوالحسن عليه‌السلام جهد على بن ابى حمزة و اصحابه على اطفاء نور الله، فابى الله إلّا ان يتم نوره. و انّ اهل الحق إذا دخل فيهم داخل سروّا به، و إذا خرج منهم خارج لم يجزعوا عليه. و ذلك انّهم على يقين من امرهم. و ان اهل الباطل إذا دخل فيهم داخل سروّا به، و إذا خرج عنهم خارج جزعوا عليه، و ذلك انّهم على شك من امرهم. ان الله يقول: «فمستقرّ و مستودع». قال ثمّ قال ابو

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٦، ص ٢٢٠، باب ٣٤، ح ٤.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٦، ص ٢٢٢، باب ٣٤، ح ٨.
٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٢٣، باب ٣٤، ح ٩.

عبدالله عليه‌السلام : لمستقر الثابت و المستودع المعار».[۱]

عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «ان العبد يصبح مؤمناً و يمسى كافراً، و يصبح كافراً و يمسى مؤمناً، و قوم يعارون الايمان ثم يسلبو ته، و يسمّون المعارين، ثمّ قال: فلان منهم».[۲]

من خطبة له عليه‌السلام : «فمن الايمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب، و منه ما يكون عوارى بين القلوب و الصدور إلى اجل معلوم، فاذا كانت لكم برائة من احد فقفوه حتّى يحضره الموت، فعند ذلك يقع حدّ البرائة».[۳]

عن جعفر بن محـمّد عن أبيه عليه‌السلام انّ علياً عليه‌السلام قال: «انّ حقيقة السعادة ان يختم للمرء عمله بالسعادة، و انّ حقيقة الشقاء ان يختم للمرء علمه بالشقاء».[٤]

قال سيّدنا عليه‌السلام عيسى بن مريم: «يا معشر الحواريّين بحقّ اقول لكم انّ النّاس يقولون: انّ البنا بأساسه، و انّي لا اقول لكم كذلك.

قالوا: فماذا تقول يا روح الله ؟

قال: بحقّ اقول لكم: انّ آخر حجر يضعه العالم هو الاساس. قال ابو فروة: انّما اراد خاتمة الامر».[٥]

«قوله عزّوجلّ: ﴿الّذين يظنون انهم ملاقوا ربّهم﴾ الّذين يقدّرون انّهم يلقون ربّه اللقاء الّذي هو اعظم كراماته، و انّما قال: «يظنون» لانّهم لا يرون بما ذا يختم لهم، و العاقبة مستورة عنهم. «و انّهم إليه راجعون» إلى كراماته و نعيم جنّاته لايمانهم و خشوعهم، لا يعلمون ذلك يقيناً، لانّهم لا يأمنون ان يغيّروا و يبدلوا.

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٢٣، باب ٣٤، ح ١٤.

۲ ـ بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٢٥، باب ٣٤، ح ١٧.

۳ ـ بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٢٧، باب ٣٤، ح ١٩.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٦٤، باب ٩٠، ح ٣.

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٦٤، باب ٩٠، ح ٥.

قال رسول الله ﷺ: «يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة لا يتيقَّنَ الوصـول إلى رضوان الله حتّى يكون وقت نزع روحه و ظهور ملك الموت له».[١]

١ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٦٦، باب ٩٠، ح ١٣.

قصص في سوء العاقبة

علي بن أبي حمـزة سالم البطائني كان من اصحاب أبي الحسن الكاظم عليه السلام، و انه و اصحابه جهدوا بعد موت أبي الحسن الكاظم عليه السلام في اطفاء نور الله، فابى الله إلّا ان يتمّ نوره، و انّه اوّل من أظهر الاعتقاد بالوقف مع زياد القندي و عثمان بن عيسى الرواسي طمعاً في الاموال الّتي كانت عندهم. فكان عند علي بن أبي حمزة ثلاثون الف دينار و عند زياد سبعون الف.[1]

روى الشيخ قدس سره عن أبي غالب الزراري ما حاصله: انه كان ابو جعفر محمّد بن علي الشلمغاني في اوّل الامر مستقيماً من قبل الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح «رضى الله عنه» و كان النّاس يقصدونه و يلقونه، لأنه كان سفيراً بينه و بينهم في حوائجهم و مهمّاتهم.

و ممن قصده ابو غالب الزراري، قال: دخلتُ عليه مع رجل من اخواننا، فرأينا عنده جماعة من أصحابنا فسلّمنا عليه و جلسنا.

فقال لصاحبي: من هذا الفتى معك؟ فقال له: رجل من آل زرارة بن أعين.

فاقبل علي فقال: من ايّ زرارة انت؟ فقلت: يا سيدي انا من ولد بكير بن اعين اخي زرارة.

فقال: اهل بيت جليل عظيم القدر في هذا الامر.

---

١ ـ سفينة البحار، ج ٢، ص ٢٤٢، باب العين بعده اللام.

ثم قال له صاحبي: اريد الكتابة في شيء الدعاء. فقال: نعم.

و انا اضمرت في نفسي الدعاء من أمر قد اهمّني و لا اسمّيه و هو حال والدة أبي العباس ابني، و كانت كثيرة الخلاف و الغضب عليّ و كانت منّى بمنزلة. فقلت: و انا اسئل حاجة، و هي الدعاء لي بالفرج من أمر قد اهمّني.

قال: فاخذ درجا بين يديه كان اثبت فيه حاجة الرجل، فكتب. و الزراري سئل الدعاء في أمر قد اهمّه، ثمّ طواه.

فقمنا و انصرفنا. فلمّا كان بعد ايّام عدنا اليه. جلسنا إليه اخرج الدرج و فيه مسائل كثيرة قد اجيب في تضاعيفها. فاقبل على صاحبي و قرءَ عليه جواب ما سئل، و اقبل عليّ و هو يقرء:

و امّا الزراري و حال الزوج و الزوجه فاصلح الله ذات بينهما.

فورد عليّ أمر عظيم، لأنه سر لم يعلمه إلّا الله تعالى و غيرى.

فلمّا ان عدنا إلى الكوفة، فدخلت داري و كانت امّ ابي العباس مغاضية لى في منزل اهلها، فجائت اليّ فاسترضتني و اعتذرت و وافقتني و لم تخالفني حتّى فرّق الموت بيننا.

اقول: محمّد بن علي الشلمغاني يعرف بابن أبي العزاقر بالعين المهملة و الزّاي و القاف و الراء اخيراً له كتب و روايات و كان مستقيم الطريقة متقدماً في اصحابنا، فحمله الحسد للشيخ أبي القاسم بن روح على ترك المذهب و الدخول في المذاهب الردّية، فتغيّر و ظهرت عنه مقالات منكره حتّى خرجت فيه توقيعات، فاخذه السطان و قتله و صلبه ببغداد.[1]

ثعلبة بن حاطب الانصاري و هو الّذي قال للنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم ادع الله ان يرزقني مالاً، و الّذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لا عطين كلّ ذي حق حقه.

فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «اللّهم ارزق ثعلبة مالاً».

---

١ ـ سفينة البحار، ج ١، ص ٧١٣، باب شكا.

فاتّخذ غنماً، فنمت غنمه كما ينمي الدود. فضاقت عليه المدينة، فتنحىّ عنها. فنزل و ادياً من اوديتها. ثم كثرت حتّى تباعد من المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة و الجماعة.

و بعث رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم المصدّق ليأخذ الصدقة.

فابى و بخل، و قال: ما هذا إلّا اخت الجزية.

فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يا ويح ثعلبة، فانزل الله: **«و منهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقّن و لنكونن من الصالحين».**[١]

و أبو الخطاب هو محمّد بن مقلاص الاسدّي الكوفي و كان في اوّل الحال ظاهراً من اجلاء اصحاب الصادق، ثم ارتدّ و ابتدع مذاهب باطلة، و لعنه الصادق عليه السلام و تبرّأ منه.[٢]

قصة الزبير ـ و هو كان في الأوّل من الاخيار، ان الزبير كان احد الاربعة الّذين استجابوا لاميرالمؤمنين عليه السلام لما دعاهم بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لاخذ حقّه.

و في رواية سليم و الاحتجاج عن سلمان قال: و كان الزبيّر اشدّنا بصيرة في نصرته.

و كان الزبير احد الاربعة الّذين لم يجدهم اميرالمؤمنين عليه السلام خامساً، و هم سلمان و ابوذر و مقداد و الزبير قبل نكثه بيعته.

ان الزبير وهب حقه يوم الشورى لعليّ عليه السلام لمّا دخلته من حميّة النسب....

كان الزبير ممّن شهد دفن فاطمة عليها السلام باللّيل....

ان الزبير كان ممّن اعير الايمان و كان ايمانه مستودعاً فمشى في ضوء نوره، ثمّ سلبه الله ايّاه.

و ان الزبير احد الخمسة الّذين هم ائمة الكفر في الاسلام.[٣]

---

١ ـ سفينة البحار، ج ١، ص ١٣١، باب ثعب.

٢ ـ بحار الانوار، كتاب الايمان و الكفر، ج ٦٩، ص ٢٢٠.

٣ ـ سفينة البحار، ج ١، ص ٥٤٤، «مادّة زبر».

﴿و اتل عليهم نبأ الاذي ّتيناه اياتناه فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ فانها نزلت في بلعم بن با عورا و كان من بني اسرائيل.

و حدثني أبي عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: انّه اعطى بلعم بن با عورا الاسم الاعظم، و كان يدعو به فيستجيب له. فمال إلى فرعون.

فلمّا مرّ فرعون في طلب موسى و اصحابه قال فرعون، لبلعم: ادع الله على موسوى و اصحابه ليحبسه علينا.

فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى، فامتنعت عليه حمارته، فاقيل يضربها، فانطقها الله عزّوجلّ فقالت: و يلك على ماذا تضربني؟ اتريد ان اجئ معك لتدعو على نبيّ الله و قوم مؤمنين؟

فلم يزل يضربها حتّى قلتها و انسلخ الاسم من لسانه و هو قوله: **﴿فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنّه اخلد إلى الارض و اتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث﴾** و هو مثل ضربه.[1]

١ ـ بحار الانوار، ج ١٣، ص ٣٧٧، باب ١٣.

قصص في حسن العاقبة

عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال، قال: انّ رجلاً ركب البحر بأهله، فكسر بهم، فلم ينج ممّ كان في السفينة إلّا امرأة الرجل، فانّها نجت على لوح من الواح السفينة حتّى ألجأت على جزيرة من جزائر البحر.

و كان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق و لم يدع لله حرمة إلّا انتهكها، فلم يعلم إلّا و المرأة قائمة على رأسه، فرفع رأسه اليها، فقال: انسيّة جنية؟

فقالت: انسيّة .

فلم يكلّمها كلمة حتّى جلس مجلس الرجل من اهله. فلمّا ان همّ بها اضطرابت! فقال لها: مالك تضطرين ؟

فقالت: أفرق من هذا و او مأت بيدها إلى السماء.

قال: فصنعت من هذا شيئاً؟

قالت: لا و عزّته.

قال: فأنت تفرقين منه هذا الفرق و لم تصنعي من هذا شيئاً، و انّما استكرهك استكراهاً و الله اولى بهذا الفرق و الخوف و احقّ منك. قال: فقام و لم يحدث شيئاً و رجع إلى اهله و ليست له همّة إلّا التوبة و المراجعة.

فبينا هو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق، فحميت عليهما الشمس. فقال

الراهب للشاب: ادع الله يظلّنا بغمامه، فقد حميت علينا الشمس.

فقال الشّاب: ما اعلم ان لي عند ربّي حسنة فأتجاسر على ان أسأله شيئاً.

قال: فاد عوانا و تؤمّن انت؟ قال: نعم.

فأقبل الراهب يدعو و الشابّ يؤمّن. فما كان با سرع من ان اظلّتهما غمامة.

فمشيا تحتها مليّاً من النهار، ثم تفرّقت الجادّة جادّتين، فاخذ الشابّ في واحدة و اخذ الراهب في واحدة، فاذا السحاب مع الشابّ.

فقال الراهب: انت خير مني، لك استجيب و لم يستجب لي فاخبرني ما قصتك ؟

فأخبره بخبر المرأة.

فقال: غفر لك ما مضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون فيما تستقبل.[1]

عن علي بن أبي حمزة قال: كان لي صديق من كتاب بني امية، فقال لي: استأذن لي على أبي عبدالله عليه السلام فاستأذنت له (عليه)، فأذن لي.

فلمّا ان دخل سلّم و جلس، ثمّ قال: جعلتُ فداك اني في ديوان هؤلاء لهم الفئ، و يقاتل عنهم، و يشهد جماعتهم لما سلبونا حقّنا. ولو تركهم النّاس و ما في ايديهم ما وجدوا شيئاً إلّا ما وقع في ايديهم.

قال، فقال الفتي: جعلت فداك فهل لي مخرج منه؟

قال: ان قلت لك تفعل؟ قال: افعل.

قال: ان قلت لك تفعل؟ قال: افعل.

قال له: فأخرج من جميع ما كسبت (اكتسبت) في ديوانهم، فمن عرفت منهم رددت عليه ماله، و من لم تعرف تصدّقت به، و انا اضمن لك على الله عزّوجلّ الجنّة.

فأطرق الفتي طويلاً، ثمّ قال له: لقد فعلت جعلت فداك.

---

١ ـ اصول الكافي، ج ٢، ص ٦٩، باب الخوف و الرّجاء، ح ٨.

قال ابن أبي حمزة: فرجع الفتي معنا إلى الكوفة، فما ترك شيئاً على وجـه الارض إلّا خرج منه حتّى ثيابه الّتي كانت على بدنه.

قال فقسمت له و اشترينا ثياباً و بعثنا إليه بنفقة.

قال: فما أتى عليه إلّا اشهر قلائل حتّى مرض، فكنّا نعوده. قال: فدخلت يوماً و هو في السوق، قال: ففتح عينيه ثم قال لي: يا علي و في لي و الله صاحبك. قال: ثم مات، فتولينا امره.

فخرجت حتّى دخلت على أبي عبدالله، فلمّا نظر اليّ قـال لي: يـا عـلي وفـينا و الله لصاحبك.

قال، فقلت: صدقت فداك و الله هكذا و الله قال لي عند موته.[١]

و قد نقل بعض الأجلاء قصة في حالات ملّا حسينقلي الهمداني «رحمه الله»: كان رجل شرور في النجف الاشرف يسمّى عَبِدْ فرّار و هو مخفف عبدٍ فرّار، معاصراً لملا حسينقلي، و هو يوذي النّاس و يخافون منه شديداً و لقد مرّ يوماً وقت العصر على حسينقلي الهمداني، و هو جالس في صحن الامام علي عليه‌السلام و لم يعتن به و لم يكرمه، فآخذه عبد فرّار و قال: هلّا تعرفني انا عبد فرّار؟ لماذا لم تكرمني؟

فسئل عنه ملا حسينقلي «رحمه الله» لماذا سميّت عبد فرّار؟ أمن الله فـررت ام مـن رسوله؟

فلمّا سمع ذلك عبد فرّار انقلب، و رجع إلى بيته متفكراً.

فلما اصبح حسينقلي «رحمه الله» قال لتلاميذه: لقدمات في الليلة الماضية رجل مـن الاخيار فعلينا تشييعه.

فأخذوا في الذهاب إلى تشييعه من دون ان يعلم التلاميذ من هو المتوفي. فاذاً بباب

---

١ ـ وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٤٥، باب ٤٧، من ابواب ما يكتسب به.

عبد فرّار، فتعجبوا من ذلك و قالوا للاستاذ، هذا باب عبد فرّار، قال الاستاذ حسينقلي: نعم، فشيّعوه.

ثمّ سئل التلاميذ من زوجته كيفيّة فوته؟

فأجابت بانّ عبد فرّار كان صحيحاً سالماً في الماضي، و هو في وقت العصر رجع إلى البيت بعد خروجه، و كان متغيّر الحال في تفكّر عميق. انقضى الليلة الماضية في غرفته في البكاء، و لا يزال يبكي حتّى مات.

ثمّ قال الآخند ملّا حسينقلي الهمداني «سلك عبد فرّار مسافة السنين في المعرفة في ليلة واحدة».

انّ الحرّ بن يزيد الرياحي صار مأموراً من قبل عبيدالله بن زياد (لعنة الله) لمواجهة الحسين عليه‌السلام و ارتكب اعمالاً قبيحة ثمّ رجع و تاب و لحق بالحسين عليه‌السلام فلمّا دنى منهم قلّت ترسه فقالوا: أمستأمن حتّى إذا عرفوه سلّم على الحسين عليه‌السلام و قال: جعلني الله فداك يابن رسول الله انا صاحبك الّذي لا اله إلّا هو ما ظننت انّ القوم يردون عليك ما عرضت عليهم ابداً. و لا يبلغون منك هذه المنزلة فقلت في نفسي لاابالي ان اصانع القوم في بعض امرهم و لا يظنون اني خرجت من طاعتهم.... و اني قد جئتك تائباً ممّا كان منّي إلى ربّي، و مواسياً لك بنفسي حتّى اموت بين يديك، أفترى لي توبة ؟

قال: نعم، يتوب الله عليك و يغفر لك، فانزل.

قال: انا لك فارساً خير مني راجلاً. اقالتهم على فرسي ساعة. فحمل على القوم و قاتلهم. ثمّ شدّت جماعة على الحرّ فقتلوه فلما صرع وقف عليه الحسين عليه‌السلام و قال له: انت كما سمّتك امّك الحرّ حرّ في الدّنيا و سعيد في الاخرة.[١]

قال أبو بصير: كان لي جار تتبع السطان، فاصاب مالاً. فاتّخذ قياناً و كان يجمع الجموع

---

١ ـ تلخيص من المقاتل.

و يشرب المسكر و يؤذيني فشكوته إلى نفسه غير مرّة فلم ينته. فلمّا الححت عليه قال: يا هذا انا رجل مبتلى، و انت رجل معافى، فلو عرّفتني لصاحبك رجوت ان يستنقذني الله بك. فوقع ذلك في قلبي.

فلمّا صرت إلى أبي عبدالله عليه‌السلام ذكرت له حاله.

فقال لي: إذا رجعت إلى الكوفة فانه سيأتيك، فقل له: يقول لك جعفر بن محمّد عليه‌السلام ما انت عليه و اضمن لك على الله الجنّة.

قال: فلمّا رجعت إلى الكوفة أتاني فيمن اتى، فاحتبسته حتّى خلا منزلي، فقلت: يا هذا انّي ذكرتك لأبي عبدالله عليه‌السلام، فقال: اقرئه السلام و قل له: يترك ما هو عليه و اضمن له على الله الجنّة.

فبكى ثمّ قال: الله قال لك جعفر عليه‌السلام هذا؟

قال: فحلفت له انّه قال لي ما قلت لك.

فقال لي: حسبك و مضى. فلمّا كان بعد ايّام بعث اليّ و دعاني، فاذا هو خلف باب داره عريان، فقال: يا أبا بصير ما بقي منزلي شيء إلّا و خرجت عنه و انا كما ترى.

فمشيت إلى اخواني فجمعت له ما كسوته به.

ثمّ لم يأت عليه إلّا يسيرة حتّى بعث اليّ اني عليل فائتني.

فجعلت اختلف إليه و اعالجه حتّى نزل به الموت، فكنت عنده جالساً و هو يجود بنفسه، ثم غشي عليه غشية ثم افاق. فقال: يا ابا بصير قد و في صاحبك لنا، ثمّ مات.

فحججت، فاتيت ابا عبدالله عليه‌السلام فاستأذنت عليه. فلمّا دخلت قال: مبتدئاً من داخل البيت واحدى رجلي في الصحن و الاخرى في دهليز داره، يا ابا بصير قد وفينا لصاحبك.[1]

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۴۷، ص ۱۴۵، باب معجزات الامام جعفر الصادق عليه‌السلام.

الفصل السّادس

الفضيلة السّادسة : الرجاء بالله تعالى

الفضيلة السّادسة: الرّجاء بالله تعالى

و هذه الفضيلة كفضيلة الخوف من اهمّ الفضائل، بل الرّجاء افضل من الخوف من جهات،

لانّ الخوف يوجب التّقوى، و الرّجاء توجب المحبّة، و المحبّة أفضل من التّقوى بمراتب.

و لانّ الخوف ينشأ من سخطه او من عظمته و كبريائه، و امّا الرّجاء فتنشأ من رحمته و رأفته.

و القرآن اهتمّ بهذه الصّفة كمال الاهتمام حتّى صدّر جميع السور بقوله: ﴿**بسم الله الرّحمن الرّحيم**﴾ و أعاده اكثر من مائة مرّة. و عالم الوجود من الدّرة إلى الذّرة من كن الرّحمانيّة كما انّ الجنّة بمراتبها مظهر كن الرّحيميّة.

و لانّ الرّجاء كالماء البارد للظّمآن، و الخوف كالنّار للحطب، فالرّجاء ثلج الفؤاد و الخوف حرقة القلب، فالرّجاء مسكن القلب و الخوف يضطره، حتّى قال اهل القلوب: انّ تحريك الرّجاء إلى المقصود اوفي و اولى و اسرع من الخوف.

نعم هما بالنّسبة إلى الافراد و الاشخاص متفاوتان، فالخوف اجود و اصلح لمن غرّ برحمة الله تعالى و انغمر في الذّنوب، كما انّ الرّجاء دواء لمن غلب عليه القنوط و اليأس من

رحمته تعالى. و امّا العادلون في سيرتهم فيجب عليهم المساواة فيها بحيث لا يزيد احدهما على الاخر كما أمر به في الآيات و الرّوايات. و سيأتي ان شاء الله تعالى التعرض لها.

و ملخّص القول انّ الرّجاء فضيلة لابدّ لكلّ انسان يريد السّعادة دنيويّة كانت او اخرويّة التشبّث بها، فمن ليس له الرّجاء و يتوقّع ما يحبّ و ما يريد من الدّنيا او الاخرة فهو في معرض الهلاک، لانّه ربّما يرتكب الجرائم فلايجد منها مخلصاً و لا اقلّ من تسلّط اليأس عليه فينجرّ الهلكة او على الأقلّ يتوقّف عن الحركة، و من موت القلب و ذهاب النّشاط عنه.

فلذا عدّ القرآن اليأس من رحمة الله في حد الكفر، قال: **﴿لا تيأسوا من روح الله انّه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون﴾**.[1]

و التّرغيب و التّحريص إلى الرّجاء في الايات و الرّوايات كثير و يكفيك فيه قوله تعالى: **﴿ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت ايدى النّاس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون﴾**.[2]

و جملة «يتضرّعون» أو «يضّرّعون» او «يرجعون» قدأعيدت في التنزيل العزيز بعد التهديد بعذاب الاستيصال، تنبيهاً على انّ الله تعالى رئوف بعباده، فلو ابتلاهم بعذاب ليس إلّا لكونه من سوء نيّاتهم و اقوالهم و افعالهم.

حتّى قال اهل القلوب: انّ جهنّم من الطاف الله تعالى، لانّها رافعة الأدران لمن له استعداد دخول الجنّة، فيدخل فيها بعد رفع الادران بالنّار.

و قوله تعالى: **﴿له معقّبات من بيده يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله﴾**.[3]

فترى انّ الرّحمن بعباده جعل لحفظ كلّ انسان ولو كان كافراً معقبات لحفظهم عن البليّات.

۱ـ يوسف / ۸۷. ۲ـ الرّوم / ۴۱. ۳ـ الرّعد / ۱۱.

و قوله تعالى: ﴿قل يا عبادى الّذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله انّ الله يغفر الذّنوب جميعاً﴾.[۱]

بل في آية أخرى وعد تبديل السّيّئات بالحسنات.

قال تعالى: ﴿إلّا من تاب و امن و عمل عملاً صالحاً فاولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات﴾.[۲]

و قوله تعالى: ﴿و لسوف يعطيك ربّك فترضى﴾.[۳]

و ارجى آيات في القرآن هي آيات الشّفاعة و ما ذُيّلت به من الروايات، كما انّ عفو الرّحمن و مغفرته يوم القيمة يحيي الرّجاء في قلوب المذنبين.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم﴾.[٤]

فكأنّه تعالى يلقّن الإنسان ان يقول: «كرمك».

و قد ورد انّ: «الرّحمة عند الله مأة جزء، فقسّم بين الخلائق جزءاً و اخّر تسعاً و تسعين يوم القيمة».[٥]

و سيأتي نقل الايات و الرّوايات في ذلك ان شاء الله تعالى.

مراتب الرّجاء:

ثمّ اعلم انّ الرّجاء كالخوف مشكّك، فلا يفرض فيه الافراط و لا التّفريط. فالمرتبة الضّعيفة منه مطلوبة، و كلّما زاد في شدّته زاد في مطلوبيته. فحينئذ يمكن ان يقال انّ مرتبة منه للعوام، و مرتبة منه للخواصّ، و مرتبة منه لاخصّ الخواصّ كما كان في الخوف و مراتبه. و كلّ مرتبة تطابق مرتبةً من مراتب الايمان، فبازدياد الايمان يزاد في رجاءه. و قد مرّ انّ

---

١ ـ الزّمر / ٥٣.　　٢ ـ الفرقان / ٧٠.　　٣ ـ الضّحى / ٥.　　٤ ـ الانفطار / ٦.

٥ ـ نهج الفصاحة، ح ١٦٨٩.

الرّجاء ينشأ من بحر المحبّة، فايّ مؤمن يستقي ازيد من ذلك البحر يكون رجائه اشدّ.

نعم قد يشتبه الرّجاء بالحمق فيتخيّل انّه في العوام ازيد فيذم و هو الّذي يطلق عليه الرّجاء المذموم. فبعض المغرورين تركوا الصّلوة بل الواجبات مطلقاً و اتوا بالمحرّمات كأنّ الله تعالى امرهم بالمحرّمات و ترك الواجبات، ولكنّهم يرجون رحمة الله تعالى و يعترضون على من يذكّرهم نار الله الموقدة للعاصين و نسوا حال الانبياء و الاوصياء الّذين صرفوا اعمارهم في الطّاعات مع كونهم اعلم برجاء الله، بل لهم المراتب الشّديدة منه.

اَلا ترى انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع علمه بسعة رحمة الله و كونه ارجى من كلّ مخلوقٍ، تورّمت قدماه من كثرة العبادة، حتّى نزلت فيه قوله تعالى: ﴿طه * ما انزلنا عليك القران لتشقى﴾؟[1] و عبادات الزّهرا عليها السلام و الائمة عليهم السلام مشهورة عند الجميع.

حُكى انّ الحجّاج بن يوسف الثّقفي نادى عند الموت: انّ النّاس حكموا بدخولي النار ولكن نسوا سعة رحمة الله تعالى و انا ارجوها.

فمثل هذه الكلمات تسويل من الشّيطان، و قد نبّه القرآن عليه مرّات عدّة.

قال تعالى: ﴿يا ايّها النّاس انّ وعد الله حقّ فلا تغرنّكم الحيوة الدّنيا و لا يغرنّكم بالله الغرور﴾.[2]

فمثل هذه آلاية الشّريفة تدلّ على انّ رجاء الحجّاج و نظائره ليس إلّا من مهار الشّيطان.

نعم انّ الرّجاء كالخوف يتوقف كلّ على الاخر فاحدهما من دون الاخر يتضمّن مفاسد.

و في بعض الافراد يكون الرّجاء لا الحمق ولكنّه يكون من دون قرينه، فيوجب البطل و الكسل بل الغرور. فليس الرّجاء بمذموم، بل تلك المفاسد المترتّبة على عدم الخوف. و

١ـ طه / ١ و ٢. ٢ـ الفاطر / ٥.

الان نبحث في هذه الدّقيقة الّتي اهتمّ بها القرآن و الحديث.

الخوف و الرّجاء مقرونان متلازمان

انّ الخوف و الرّجاء كالقرآن و العترة، فكما انّ القرآن من دون العترة ناقص، قال الله تعالى: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً﴾[١] و العترة من دون القرآن ناقص، فلذا جعلها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في رواية الثّقلين تلوه فقال: «انّى تارك فيكم الثّقلين قالوا يا رسول الله و ما الثّقلان؟ فقال: كتاب الله و عترتي أهل بيتي، فانّه قد نبّأني اللّطيف الخبير انّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض»[٢] فكذلك الخوف و الرّجاء. فهما مع كونهما مشكّكين، كلّما زاد شدّتهما زاد في حسنهما و فضلهما. ولكن وجود احدهما من دون الاخر ناقص يترتّب عليه مفاسد. لا اقول انّ المفاسد ينشأ من وجود احدهما، بل تنشأ من عدم الاخر. فالمفاسد كلّها كالشّرور تترتّب على الاعدام فمن لم يكن له الخوف يكون له الغرور و الحمق و الكسل و الامانّي.

قال تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون و المنافقات للّذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرّحمة و ظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنّكم فتنتم انفسكم و تربّصتم و ارتبتم و غرّتكم الامانىّ حتّى جاء أمر الله و غرّكم بالله الغرور﴾.[٣]

و من لم يكن له الرّجاء يكون له اليأس و هو ينتهى إلى مفاسد، بل إلى الكفر، فلذا عدّ اليأس من رحمة الله من الكبائر.

قال تعالى: ﴿فلا يتأسوا من روح الله انّه لا ييأس من روح الله إلّا القوم

---

١ ـ المائدة / ٣.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٣٧، ص ١١٤، باب ٥٢، ح ٥.
٣ ـ الحديد / ١٤.

الكافرون﴾.[۱]

و على هذا ثبت ديدن القرآن من التّعادل و التّوازن بينهما، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿انّما المؤمنون الّذين إذ ذكر الله وجلت قلوبهم﴾[۲] و إلى قوله تعالى: ﴿انّ الّذين امنوا و الّذين هاجروا و جاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله﴾.[۳]

كما و قد وصف المؤمنين فقال: ﴿و يدعوننا رغباً و رهباً﴾[٤] و قال: ﴿يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً﴾[٥] و موجز القول فيه ما في هذه الكريمة: ﴿نبّئ عبادى انا الغفور الرّحيم و انّ عذابى هو العذاب الأليم﴾.[٦]

فالسّائر إلى الله تعالى لابدّ له من المراقبة الكاملة على التوازن بين الفضيلتين بعد ايجادهما في النّفس على نحو الملكة، و المراقبة الكاملة لبقاء ذلك التّوازن، لأنّه بغفلة يزيد احدهما على الاخر و يوجب الضّلالة. فمن سلب عنه الرّجا يصير مصداق قوله تعالى: ﴿و من يقنط من رحمة ربّه إلّا الضّالّون﴾[۷] و من سلب عنه الخوف يصير مصداق قوله تعالى: ﴿و امّا من طغى و اثر الحيوة الدّنيا فانّ الجحيم هي المأوى﴾.[۸]

---

۱ ـ يوسف / ۸۷. ۲ ـ الانفال / ۲. ۳ ـ البقرة / ۲۱۸. ٤ ـ الانبياء / ۹۰.

٥ ـ السّجدة / ۱٦. ٦ ـ الحجر / ٤۹ و ٥۰. ۷ ـ الحجر / ٥٦. ۸ ـ النّازعات / ۳۷ ـ ۳۹.

آيات في الرّجاء

﴿و إلى مدين اخاهم شُعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله و ارجوا اليوم الآخر و لا تعثوا في الارض مفسدين﴾.[1]

﴿اذهبا إلى فرعون انّه طغى * فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذّكر او يخشى﴾.[2]

﴿قل انّما انا بشر مثلكم يوحى اليّ انّما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا القاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربّه احداً﴾.[3]

﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجوا الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيراً﴾.[4]

﴿أمّن هو قانت آناء اللّيل ساجداً و قائماً يحذر الآخرة و يرجوا رحمة ربّه قل هل يستوى الّذين يعلمون و الّذين لا يعلمون انّما يتذكّر اولو الالباب﴾.[5]

﴿ان الّذين امنوا و الّذين هاجروا و جاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله و الله غفور رحيم﴾.[6]

﴿انّ الّذين لا يرجون لقائنا و رضوا بالحيوة الدّنيا و اطمأنّوا بها و الّذين هم عن اياتنا غافلون﴾.[7]

---

١ ـ العنكبوت / ٣٦. ٢ ـ طه / ٤٣ و ٤٤. ٣ ـ الكهف / ١١٠. ٤ ـ الاحزاب / ٢١.

٥ ـ الزّمر / ٩. ٦ ـ البقرة / ٢١٨. ٧ ـ يونس / ٧.

﴿اولئك الّذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ايّهم اقرب و يرجون رحمته و يخافون غذابه ان عذاب ربّك كان محذوراً﴾.[1]

﴿انّ الّذين يتلون كتاب الله و اقاموا الصلوة و انفقوا ممّا رزقناهم سراً و علانيةً يرجون تجارة لن تبور﴾.[2]

﴿قل يا عبادى الّذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انّه هو الغفور الرّحيم﴾.[3]

﴿قال و من يقنط من رحمة ربّه إلّا الضّالّون﴾.[4]

﴿و الاذي ّطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾.[5]

---

١ ـ الاسراء / ٥٧. ٢ ـ فاطر / ٢٩. ٣ ـ الزّمر / ٥٣. ٤ ـ الحجر / ٥٦.

٥ ـ الشّعراء / ٨٢.

روايات في الرّجاء

قال الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك و تعالى رحمته حتّى يطمع ابليس في رحمته».[1]

عن ابن رئاب قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: يؤتي بعبد يوم القيامة ظالم لنفسه، فيقول الله له: الم آمرك بطاعتي؟ الم أنهك عن معصيتي؟

فيقول: بلى يا ربّ ولكن غلبت عليّ شهوتي، فان تعذّبني فبذنبي لم تظلمنى، فيأمر الله به إلى النّار.

فيقول: ما كان ظنّي بك.

فيقول: ما كان ظنّك بيّ؟

قال: كان ظنّي بك أحسن الظّن.

فيأمر الله به إلى الجنّة.

فيقول الله تبارك و تعالى: لقد نفعك حسن ظنّك بي الساعة».[2]

عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إذا دخل اهل الجنّة الجنّة باعمالهم فأين عتقاء الله من النّار».[3]

عن أبي عبيدة قال، قلت: «جعلت فداك أدع الله لي، فانّ لي ذنوباً كثيرة.

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧، ص ٢٨٧، باب ١٤، ح ١.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧، ص ٢٨٨، باب ١٤، ح ٤.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦، ص ٥، باب ١٩، ح ٥.

فقال: مه يا ابا عبيدة لا يكون الشّيطان عوناً على نفسك، ان عفو الله لا يشبهه شي».(١)

عن أبي جعفر عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله «قال الله تبارك و تعالى: لا يتّكل العاملون على امواهم الّتي يعملونها لثوابي، فانّهم لو اجتهدوا و اتعبوا أنفسهم ـ اعمارهم ـ في عبادتي، كانوا مقصرّين غير بالغين في عبادتهم نه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي و النعيّم في جنّاتي و رفيع الدّرجات العلى في جواري، ولكن برحمتي فليثقوا، و فضلي فليرجوا، وحسن الظّن بي فليطمئنّوا، فانّ رحمتي عند ذلك تدركهم. و منّي يبلّغهم رضواني و معفرتي تلبسهم عفوي، فانّي أنا الله الرّحمن الرّحيم و بذلك تسميّت».(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال و هو على منبره: و الّذي لا اله إلّا هو ماأعطى مؤمن قطّ خير الدّنيا و الآخرة إلّا بحسن ظنّه بالله، و رجائه له، و حسن خلقه، و الكفّ عن اغتياب المؤمنين. و الّذي لا اله إلّا هو لا يعذّب الله مؤمنا بعد التوبة و الاستغفار إلّا بسوء ظنّه بالله، و تقصيره من رجائه، و سوء خلقه، و اغتيابه للمؤمن، لانّ الله كريم بيده الخيرات، يستحيي انّ يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ ثم يخلف ظنّه و رجاءه، فأحسنوا بالله الظنّ و ارغبوا اليه».(٣)

عن الرّضا عليه السلام قال: «احسن الظنّ بالله، فان الله عزّوجلّ يقول: انا عند حسن ظنّ عبدى المؤمن بي، ان خيراً فخيراً و ان شراً فشراً».(٤)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يموتنّ احدكم حتّى يحسن ظنّه بالله عزّوجلّ، فان حسن

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦، ص ٥، باب ١٩، ح ٦.

٢ ـ اصول الكافي، ج ٢، ص ٧١، باب حسن الظّنّ بالله، ح ١.

٣ ـ اصول الكافي، ج ٢، ص ٧٢، باب حسن الظّنّ بالله، ح ١.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٦٦، باب ٥٩، ح ١٥.

الظنّ بالله عزّوجلّ ثمن الجنّة».[1]

و اروى عن العالم عليه السلام انه قال: «و الله ما أُعطِى مؤمن قطّ خير الدّنيا و الآخرة إلّا بحسن ظنّه بالله جلّ و عزّ، و رجائه منه، و حسن خلقه، و الكفّ عن اغتياب المؤمنين. و أيم الله لا يعذّب الله مؤمناً بعد التوبة و الاستغفار إلّا بسود الظنّ بالله، و تقصيره من رجائه لله، و سوء خلقه، و من اغتيابه للمؤمنين. و الله لا يحسن عبد مؤمن ظنّا بالله إلّا كان الله عند ظنّه به، لانّ الله عزّوجلّ كريم، يستحيى ان يخلف ظنّ عبده و رجائه. فاحسنوا الظنّ بالله و ارغبوا اليه. و قد قال الله عزّوجلّ: الظّانين بالله ظنّ السوء عليهم دائرة السوء».[2]

قال الصادق عليه السلام: «الخوف رقيب القلب، و الرجاء شفيع النفس. و من كان بالله عارفا كان من الله خائفاً و إليه راجياً. و هما جناحا الايمان، يطير العبد المحقّق بهما إلى رضوان الله و عينا عقله يبصر بهما إلى وعد الله و وعيده، و الخوف طالع عدل الله ناهى وعيده، و الرجاء داعى فضل الله، و هو يحيى القلب و الخوف يميت النفس».[3]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «يا بنيّ خف الله خوفاً انّك لو أتيته بحسنات أهل الارض لم يقبلها منك، و ارج الله رجاءً انّك لو أتيته بسّيئات اهل الارض غفرها لك».[4]

قال النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: «اوحى الله عزّوجلّ إلى داود كما لا تضيّق الشمس على من جلس فيها كذلك لا تضيّق رحمتي على من دخل فيها».[5]

عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: و الله يختّص برحمته من يشاء» ، قال: المختّص

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۳۸۵، باب ۵۹، ح ٤٦.

۲ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۳۸۸، باب ۵۹، ح ٥٦.

۳ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۳۹۰، باب ۵۹، ح ٥٨.

٤ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۳۹٤، باب ۵۹، ح ٦٤.

۵ ـ سفينة البحار، ج ۱، ص ۵۱۷، مادّة «رحم».

بالرّحمة بنى الله و وصيّه «صلوات الله عليهما و آلهما» ان الله خلق مأة رحمة تسعة و تسعون رحمة عنده مذخورة لمحمّد و علي و عترتهما عليهم السلام ، و رحمة واحدة مبسوطة على ساير الموجودين».[۱]

روى انه قيل لعلي بن الحسين عليه السلام يوماً: «ان الحسن البصري قال ليس العجب ممن هلك كيف هلك، و انّما العجب ممّن نجى كيف نجى. فقال عليه السلام: انا اقول ليس العجب ممّن نجى كيف نجى، و امّا «انّما» العجب ممّن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله».[۲]

---

۱ ـ

۲ ـ سفينة البحار، ج ۱، ص ۵۱۷، مادّة «رحم».

ادعيّة في الرّجاء

في دعاء كميل:

هيهات انت اكرم من ان تضيّع من ربيّته او تبعد من ادنيته او تشرّد من اويته او تسلّم البلاء من كفيته و رحمته، و ليت شعرى يا سيّدي و الهي و مولاي اتسلّط النّار على وجوه خرّت لعظمتك ساجدة و على السُن نطقت بتوحيدك صادقة و بشكرك مادحة و على قلوب اعترفت بالهيّتك محقّقه و على ضمائرت حوت من العلم بك حتّى صارت خاشعة و على جوارح سعت إلى اوطان تعبّدك طائعة و اشارت باستغفارك مذ عنة ما هكذا الظّنّ بك و لا اخبرنا بفضلك عنك يا كريم يا ربّ.

فباليقين اقطع لولا ما حكمت به من تعذيب جاحديك و قضيت به من اخلاد معانديك لجعلت النار كلها برداً و سلاماً.

يا سريع الرضا اغفر لمن لا يملك إلّا الدعاء.

و في دعاء أبي حمزة الثمالي:

اللّهم أنت اقائل و قولك حقّ و وعدك صدق و اسئلوا الله من فضله ان الله كان بكم رحيماً و ليس من صفاتك يا سيّدي أن تأمر بالسّؤال و تمنع العطيّة ....

ادعوك يا ربّ راهباً راغباً راجياً خائفاً إذا رأيت مولاى ذنوبى فزعت و إذا رأيت كرمك طمعت ....

لست اتّكل في النجاة من عقابك على اعمالنا بل بفضلك علينا لأنّك اهل التّقوى و اهل امغفرة تبدئ بالاحسان نعماً و تعفو عن الذنب كرماً.

دعوناك و نحن نرجو ان تستجيب لنا فحقّق رجائنا مولانا فقد علمنا ما نستوجب باعمالنا ولكن علمك فينا و علمنا بانّك لا تصرفنا عنك و ان كنّا غير مستوجبين لرحمتك فأنت اهل ان تجود علينا و على المذنبين بفضل سعتك ....

انت الهى اوسع فضلاً و أعظم حلماً من ان تقايسني بفعلى و خيطيئتى فالعفو العفو العفو سيّدي سيّدي ....

سيّدي من لي و من يرحمني ان لم ترحمني و فضل من أؤمّل ان عدمت فضلك يوم فاقتي و إلى من الفرار من الذنوب إذا انقضي أجلي. سيّدي لا تعذّبني و انا أرجوك الهي حقّق رجائى و امن خوفى. فانّ كثرة ذنوبي لا ارجو فيها إلّا عفوك سيّدي انا اسئلك ما لا استحقّ و أنت اهل التّقوى و اهل المغفرة فاغفر لي و البسني من نظرك ثوباً يغطّي علىّ التّبعات و تغفرها لى و لا أُطالبُ بها انّك ذو منّ قديم و صفح عظيم و تجاوز كريم الهى انت الّذي تفيض سيبك على من لا يسئلك و على الجاحدين بربوبيّتك فكيف سيّدي بمن سئلك و ايقن ان الخلق لك و الامر اليك تباركت و تعاليت يا ربّ العالمين سيّدي عبدك ببابك اقامته الخصاصة بين يديك يقرع باب احسانك بدعائه فلا تعرض بوجهك الكريم عنّى و اقبل منى ما اقول فقد دعوت بهذا الدّعاء و انا ارجو ان لا تردّنى معرفة منّى برأفتك و رحمتك .....

الفصل السّابع

الفضيلة السّابعة: كرامة النّفس

الرّذيلة الخامسة: دناءة النّفس

الفضيلة السّابعة: كرامة النّفس

هذه الفضيلة من الفضائل الّتي يترتّب عليها آثار عدّة، و كلّ واحد منها خير من الدّنيا بما فيها؛

منها الثّبات و التّحمّل في الشّدائد و المصائب. فصاحبها كالجبل الرّاسخ لاتحرّكه العواصف،

و منها علوّ الهمّة الّذي به يرتقي الإنسان إلى أعلى المراقي في النشأتين، و لا يتوقّف عند حدٍّ و درجة، بل كلّما وصل إلى درجة يرى أعلى منها فيرتقي دائماً، و لا يرضى بما وصل اليه. فلذلك لايحصل له عجب اصلاً، و لا يتكبّر بما وصل إليه على من لم يصل. و العجب و التّكبّر من صغر النّفس و دنوّ الهمّة. و سيأتي بيانهما ان شاء الله تعالى.

و منها التّواضع لأهله و الكبّر عند مستحقّه، قال الله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم و يحبّونه اذلّة على المؤمنين اعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومة لائم﴾.[1]

و منها سعة الصّدر الّتي بها يتمكّن من حلّ المشاكل فضلاً عن تحمّلها، و تصير الأمور

---

١ ـ المائدة / ٥٤.

له يسراً بعد ما كان عسراً، و تحصل له الإرادة النافذة. و إلى ذلك اشار تعالى بقوله: ﴿ربّ اشرح لى صدرى * و يسر لى امرى * و احلل عقدة من لسانى * يفقهوا قولي﴾.[١]

و مستخلص القول انّ هٰذه الفضيلة آثاراً و لكلّ أثر آثار، فلقائل أن يقول انّ هـذه الفضيلة هي ام الفضائل و بجدتها.

ولو لم يكن لها إلّا الحرّيّة و الاباء عن سلطان طواغيت الانس و الجنّ لكفاك ان تعدّها من خير الفضائل كلّها. و للذكرالحكيم دلالة واضحة على انّ من قبل سلطة الأجـانب لا كرامة له و لا ذاتيّة، فليس بشيءٍ، قال تعالى: ﴿لا يتّخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلّا ان تتّقوا منهم تقيّة و يحذّركم الله نفسه و إلى الله المصير﴾.[٢]

و هكذا يقول انّ المؤمن التّقي ليس عليه سلطان الشّيطان، قال تعالى: ﴿انّه ليس له سلطان على الّذين امنوا و على ربّهم يتوكّلون * انّما سلطانه على الّذين يتولّونه﴾.[٣]

و السّرّ في ذلك انّ المذنب اهان نفسه اوّلاً ثمّ اذنب و اعتدى على النّاس. فلو كان له كرامة و شخصيّة لم يتسلّط عليه الشّيطان.

قال تعالى: ﴿ان اكرمكم عندالله اتقيكم﴾.[٤]

و القرآن اهتمّ بكرامة الإنسان غاية الاهتمام، فلذا عدّه:

اوّلاً خليفة اللّه، قال تعالى: ﴿انّى جاعل في الارض خليفة﴾.[٥]

و ثانياً نسب روحه إليه تعالى و ان كانت النّسبة تشريفياً فهي كرامة على كرامة.

قال تعالى: ﴿فاذا سوّيته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجديدين﴾.[٦]

و ثالثاً جعله مسجود الملائكة.

---

١ ـ طه / ٢٥ ـ ٢٨. ٢ ـ آل عمران / ٢٨. ٣ ـ النّحل / ٩٩ و ١٠٠.

٤ ـ الحجرات / ١٣. ٥ ـ البقرة / ٣٠. ٦ ـ الحجر / ٢٩.

قال تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلّهم اجمعون * إلّا ابليس استكبر و كان من الكافرين﴾.[١]

و رابعاً جعله امين الله فقال: ﴿انّا عرضنا الامانة على السّموات و الارض و الجبال فابين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الإنسان انّه كان ظلوماً جهولاً﴾.[٢]

و خامساً وجّهه بتاج الكرامة و قال: ﴿و لقد كرّمنا بنى ادم﴾.[٣]

و سادساً خلق العالم لأجله و خلقه لنفسه و قال: ﴿الم تروا انّ الله سخرّلكم ما في السموات و ما في الارض﴾[٤] و قال: ﴿و اصطنعتك لنفسى﴾.[٥]

و سابعاً جعل قيمته قيمة النّاس جميعاً، قال تعالى: ﴿من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكانّما قتل النّاس جميعاً و من احياها فكانّما احيى النّاس جميعاً﴾.[٦]

مراتب الكرامة و اقسامها:

كبر النّفس و الهويّة كسائر الفضائل لا تنقسم إلى اقسام بل انّها من باب التّشكيك و انّها ذات مراتب ضعفاً و شدة، فالضّعيفة منها مطلوبة و الشّديدة منها اشدّ مطلوباً حتّى تصل شدّتها إلى العقل الكلّ صلّى الله عليه و آله و سلّم إلّا انّها با عتبار اضافتها إلى الغير تنقسم إلى اقسام ثلاثة: الشّخصيّة الفرديّة، و الشّخصيّة الاجتماعيّة، و الشّخصيّة الدّينيّة.

و المراد من الاولى ادراك الإنسان نفسه حيث يرى ذاتيّة نفسه و قيمتها و هي تمنعه عن ارتكاب الافعال الدّنيّة عرفيّة كانت او شرعيّة.

و المراد من الثّانية ادراك المجتمع شخصيّة ذلك الإنسان و هويّته. و هذا هو الّذي سمّى في القرآن بالودّ تارة.

---

١ ـ ص / ٧٣ و ٧٤. ٢ ـ الاحزاب / ٧٢. ٣ ـ الاسراء / ٧٠. ٤ ـ لقمان / ٢٠.

٥ ـ طه / ٤١. ٦ ـ المائدة / ٣٢.

قال تعالى: ﴿انّ الّذين امنوا و عملوا الصالحات سيجعل لهم الرّحمن ودّاً﴾.[1]

و بالوجاهة اخرى.

قال تعالى: ﴿يا مريم انّ الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدّنيا و الاخرة و من المقرّبين﴾.[2]

و المراد من الثّالثة تطابق ذاتيّته مع ذاتيّة الإنسان المتصوّرة في الشرع. و في عرف القرآن لا يكون احدٌ ذاكرامة إلّا التّقي، قال تعالى: ﴿انّ اكرمكم عند الله اتقيكم﴾.[3]

الشّخصيّة ذاتيّة و اكتسابيّة:

انّ رفعة النّفس و عظمتها قد تكون ذاتيّة للنّفس فلها علوّ الهمّة و الثّبات و الاستقامة في الشّدائد وسعة الصّدر و التّواضع و الحرّيّة، و قد تكون اكتسابية. فبايجاد الكمالات و السّجايا الحميدة يحصل له تلك الفضيلة. و اكثر استعمال الشّخصيّة سيّما عند علماء معرفة النّفس في هذا القسم من الشّخصيّة حتّى انّهم اطلقوا على نفس السّجايا و الكمالات «الشّخصيّة».

و قد مرّ انّ الشريعة ترى التّقي المتزّين بنور العلم، ذاكرامة و رفعة و قال: ﴿يرفع الله الّذين امنوا و الّذين اوتو العلم درجات﴾.[4]

و لا يخفى انّه ليس مرادنا بكونها ذاتيّة، ذاتيّ باب البرهان بحيث تكون لازمة للانسان غير منفكّة عنه، بل مرادنا بالذّاتيّة نظير مطلق الفضائل للانسان كالرّحمة و العفّة و الشّجاعة. فهي كسائر الفضائل قابلة للزّوال و قابلة لورود الضّعف و الشّدة عليها، فبالغفلة تزول كما انّها تزول بارتكاب ما ينافيها، و باعمالها و ترتب الاثار عليها تشتدّ، و كلّما زاد العمل و ترتّب الاثر زاد الاشتداد.

---

١ ـ مريم / ٩٦. ٢ ـ آل عمران / ٤٥. ٣ ـ الحجرات / ١٣. ٤ ـ المجادلة / ١١.

الرّذيلة الخامسة: دنائة النّفس

هذه الرّذيلة ضدّ رفعة النّفس و الذاتيّة، ولو لم يكن لها تبعة إلّا الاضطراب و التّذبذب في الامور، و الشّك و الارتياب في الإرادة و عدم القدرة على العزم، و الجزع و الفزع عند المصائب و الشّدائد، و الالام حسبك ان تصدّق خسّتها و دانائتها مع انّ لها اثاراً سوء و تبعات مهلكة موجبة لشقاء الدّارين.

منها ارتكاب الافعال الدّنيّة في الشّرع أو النّاس و اغتراب الجرائم كلها استجلاباً لهذه الدّنيا الدّنيّة.

و منها حصول عقدة مركّب النّقص له، لعدم القدرة على تنحي الميول.

و منها التّكبّر سيّما عند الاستغناء فهو جزوع عند النّقمة و منوع عند النّعمة.

قال تعالى: **﴿انّ الإنسان خلق هلوعاً * إذ مسّه الشّرّ جزوعاً * و إذا مسّه الخير منوعاً﴾**.[1]

و قال تعالى: **﴿و امّا الإنسان إذا ما ابتليه ربّه فاكرمه و نعّمه فيقول ربّى اكرمن * و امّا إذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربّى اهانن كلّا﴾**.[2]

---

١ ـ المعارج / ١٩ ـ ٢١.   ٢ ـ الفجر / ١٥ و ١٦.

و منها قبول السّلطة و هو مصيبة عظيمة كنار تحرق صاحبه و من يتعلّق به، بل غالباً تحرق مملكة و لا اقلّ من مدينة. و التّاريخ شاهد على انّ الظّالمين و الستغلّين سيّما في القرون الاخيرة لم يتسلّطوا على المالك الاسلاميّة او غير الاسلاميّة إلّا بحكّام و عوامل ضرب عليهم الّذلّة و المسكنة بصغر النّفس و عقدة مركّب النّقص.

و ملخّص القول انّ هذه الرّذيلة امّ الرّذائل كما قلنا في ضدّها و هو كبر النّفس و ترفّعها المطلوب انّها امّ الفضائل.

و يظهر من القرآن انّ الإنسان خلق هلو عاً اي صغير النّفس كما خلق كفوراً و عجولاً و ظلوماً و جهولاً و يؤوساً و طاغياً و خاسراً.

و لا يبعد ان يقال انّ هذه الرذائل تصيبه لصغر نفسه و دناءة طبعه.

و قد مرّ الكلام مفصّلاً في انّ الإنسان من جهة الرّوح في كمال العلو، و انّه من هذه الجهة كبير النّفس و له هويّة عظيمة حتّى اطلق القرآن عليه روح الله، و انّه في احسن تقويم، و انّه كادح إلى ربّه فملاقيه. ولكنّه من جهة الجسم في غاية الدّناءة، فهو كفور عجول يؤوس طاغ خاسر. نعم يتمكّن بالرّياضات المشروعة و التّوفيقات الصّمدانيّة من تغليب روحه على جسمه و ازالة دنائة طبعه و ما يترتّب عليها من الآثار السّوء فيصير كبير النّفس، فيترتّب عليه اثار حسنة كعلوّ الهمّة وسعة الصّدر.

مراتب دنائة النّفس و اقسامها:

هذه الرّذيلة مقولة بالتّشكيك فليس لها اقسام، بل لها مراتب ضعفاً و شدّة، فكلّما زادت في شدّتها زادت في قبحها و اثارها السّوء المترتّبة عليها، ولكن بالنّسبة إلى الخارج تنقسم اقسام ثلاثة صغر النّفس الشّخصيّة، و صغر النّفس الاجتماعيّة، و صغر النّفس الدّينيّة.

و المراد بالأوّل دناءة طبع المرء الذاتيّة، و هو غالباً يحصل من جراء قانون الوارثة و سوء التّربية ـ عن الصّادق عن ابائه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ايّاكم و خضراء الدّمن، قيل: يا رسول الله و ما خضراء الدّمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السّوء».[۱]

نعم قد يحصل بارتكاب الافعال الدّنيّة في الشّرع او العرف فتصير ملكة و طبيعة ثانويّة له. و ان شئت سميّت الأوّل بالذّاتيّة و الثّاني بالاكتسابيّة.

و المراد بالثّاني اشتهاره بذلك عند النّاس لعدم تقيّده بالعرفيّات و الاداب و التّقاليد الاجتماعيّة.

و لعلّ ما روى عن الائمّة عليهم السلام من حرمة اذلال النّفس يشير إلى هذا القسم. و المشهور عند الفقهاء اشتراط ذلك التّقيّد في العدالة. و لهذا التّقيّد بحث لطيف طويل الذّيل سيأتي ان شاء الله تعالى في مبحث الاخلاقيّات.

و المراد بالثّالث عدم تقيده بظواهر الشّرع، و قد اطلق عليه في الشرع الكفر او الفسق. و في التنزيل العزيز آيات كثيرة تدلّ على انّ الكافر او الفاسق ليس له شخصيّة في الشرع و انّه دنّى عندالله في الغاية، منها:

قوله تعالى: ﴿مثل الّذين حمّلوا التّوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً﴾.[۲]

و قوله تعالى: ﴿فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث﴾.[۳]

و قوله تعالى: ﴿اولئك كالانعام بل هم اضلّ﴾.[٤]

و قوله تعالى: ﴿و يأكلون كما تأكل الانعام﴾.[٥]

و قوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا و يتمتّعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون﴾.[٦]

---

١ ـ وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ١٩، باب ٧، من ابواب مقدمات النّكاح، ح ٧. ٢ ـ الجمعة / ٥.
٣ ـ الاعراف / ١٧٦. ٤ ـ الاعراف / ١٧٩. ٥ ـ محمّد / ١٢. ٦ ـ الحجر / ٣.

و قوله تعالى: ﴿كذلك حقّت كلمة ربّك على الّذين فسقوا﴾.[1]

و قوله تعالى: ﴿فحقّ عليها القول فدمّرنا تدميراً﴾.[2]

و قوله تعالى: ﴿انّ الله لا يهدى القوم الفاسقين﴾.[3]

و قوله تعالى: ﴿انّما يتقبّل الله من المتّقين﴾.[4]

---

١ ـ يونس / ٣٣. ٢ ـ الاسراء / ١٦. ٣ ـ المنافقون / ٦. ٤ ـ المائدة / ٢٧.

روايات في ذمّ السّؤال و دنائة النّفس

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا اباذرّ آياك و السّؤال، فانّه ذلّ حاضر و فقر متعجّلة، و فيه حساب طويل يوم القيمة».(١)

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «السّؤال يضعف لسان المتكلّم و يكسر قلب الشّجاع، و يوقف الحرّ موقف العبد الذليل، و يذهب بهاء الوجه، و يمحق الرّزق».(٢)

قال الباقر عليه السلام: «طلب الحوائج إلى النّاس استلاب للعزّة و مذهبة للحياء، و اليأس ممّا في ايدى النّاس عزّ المؤمنين، و الطمع هو الفقر الحاضر».(٣)

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «المسألة طوق المذلّة تسلب العزيز عزّه و الحسيب حسبه».(٤)

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «التّقرب إلى الله بمسألته و إلى النّاس بتركها».(٥)

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «.... شيعتي من لم يهرّ هرير الكلب، و لم يطمع طمع الغراب، و لم يسأل النّاس ولو مات جوعاً».(٦)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ لئن ادخل يدى في فم التّنّين إلى المرفق احبّ الىّ من

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٧، ص ٦٠.

٢ ـ ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٣٨، ح ٨٠٧٣.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٩٦، ص ١٥٨، ح ٣٧.

٤ ـ ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٣٩، ح ٨٠٧٦.

٥ ـ ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٣٩، ح ٨٠٧٧.

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، ص ٢٨، ح ٩٥.

ان اسأل من لم يكن ثمّ كان».[١]

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «من سأل غير الله استحق الحرمان».[٢]

عن مولانا الحسين عليه السلام: «إذا ما عضّك الدّهر فلا تجنح إلى خلق، و لا تسأل سوى الله تعالى قاسم الرّزق، فلو عشت و طوّفت من الغرب إلى الشّرق، لما صادفت من يقدر أن يسعد او يشق».[٣]

«قال رجل للنّبي صلى الله عليه و آله و سلم: يا رسول الله علّمني عملاً لا يحال بينه و بين الجنّة. قال صلى الله عليه و آله و سلم: لا تغضب و لا تسأل النّاس شيئاً».[٤]

قال النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: «ما فتح رجل على نفسه باب مسئله إلّا فتح الله عليه باباً من الفقر».[٥]

عن أبي ذرّ «و قد اشترط النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم على ان لا يسأل النّاس شيئاً قلت: نعم، قال: و لا سوطك ان يسقط منك حتّى تنزل إليه فتأخذه».[٦]

قال الرضا عليه السلام: «المسألة مفتاح البؤس».[٧]

عن لقمان انّه قال لأبنه: «يا بني ذقت الصبر و اكلت لحا الشّجر فلم اجد شيئاً هو امرّ من الفقر، فان بليت به يوماً فلا تظهر النّاس عليه فيستهينوك و لا ينفعوك بشيءٍ».[٨]

قال النبّي صلى الله عليه و آله و سلم: «انّ المسألة لا تحلّ إلّا لفقر مدقع او غرم مقطع».[٩]

قال ابو جعفر عليه السلام: «يا محمّد (ابن مسلم) لو يعلم الس؟ائل ما في المسالة ما سأل احدٌ

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٧، ص ٥٩.

٢ ـ ميزان الحكمة ج ٤، ص ٣٤٠، ح ٨٠٨٥.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، ص ١٢٣.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٩٦، ص ١٥٠، ح ٢.

٥ ـ بحار الانوار، ج ٩٦، ص ١٥٦، ح ٢٩.

٦ ـ ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٤١، ح ٨٠٩٢.

٧ ـ بحار الانوار، ج ٩٦، ص ١٥٧، باب ١٦، ح ٣٥.

٨ ـ وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٣١١.

٩ ـ بحار الانوار، ج ٩٦، ص ١٥٦، باب ١٦، ح ٢٩.

احداً ، .... ثمّ قال: يا محمّد انّه من سأل بظهر غنيّ لقى الله مخموشا وجهه يوم القيمة».[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من سأل النّاس و عنده قوت ثلاثة ايّام لقى الله عزّوجلّ يوم لقاه و ليس على وجهه لحم».[٢]

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من سأل النّاس اموالهم تكثّراً فانما هي جمرة فليستقل منه او ليستكثر».[٣]

قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لو انّ احدكم يأخذ حبلاً، فيأتى بحزمة خطب على ظهره، فيبيعها، فيكفّ بها وجهه خير له من ان يسأل».[٤]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره».[٥]

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «ساعة ذلّ لا تفي بعزّ الدهر».[٦]

من وصيّة اميرالمؤمنين عليه السلام: «اكرم نفسك عن دنيّة و ان ساقتك إلى الرغائب، فانّك لن تعتاض بما تبذل من دينك و عرضك بثمن و ان جلّ».[٧]

عن مولانا الحسين عليه السلام: «موت في عزّ من حياة في ذلّ و انشأ يوم قتل: الموت خير من ركوب العار والعار اولى من دخول النّار والله ما هذا و هذا جارى».[٨]

قال ابوالحسن الثالث عليه السلام: «من هانت عليه نفسه فلاتأ من شرّه».[٩]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٩٦، ص ١٥٥، باب ١٦، ح ٢٦.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٩٦، ص ١٥٤، باب ١٦، ح ٢٠.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٩٦، ص ١٥٦، باب ١٦، ح ٢٩.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٩٦، ص ١٥٨، باب ١٦، ح ٣٧.

٥ ـ نهج البلاغة، قصار الحكم ٣٤٦.

٦ ـ ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٤٤٠، ح ٦٥٠٦.

٧ ـ بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٢٠٧.

٨ ـ بحار الانوار، ج ٤٤، ص ١٩٢.

٩ ـ تحف العقول، ص ٣٥٨.

قال عليه‌السلام: «انّ الله تبارك و تعالى فوّض إلى المؤمن كلّ شيء إلّا اذلاله نفسه».[۱]

«لا ينبغي للمؤمن ان يذلّ نفسه.

قيل له: و كيف يذلّ نفسه

قال: يتعرّض لما لا يطيق فيذلّها».[۲]

قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «.... و من اقرّ بالذّل طائعاً فليس منّا اهل البيت».[۳]

عن الحسين بن علي عليه‌السلام: «اَلا و انّ الدّعى بن الدّعى قد ركز بين اثنتين بين القـلّة [السّلة] و الذّلة، و هيهات ما اخذ الدنيه، ابى الله ذلك و رسوله و جدود طابت، و حجور طهرت، و انوف حميّة و نفوس ابيّه، لا نوثر مصارع اللئام على مصارع الكرام».[٤]

عن علي بن الحسين عليه‌السلام: «ما يسرني بنصيبي من الذّلّ حمر النّعم».[٥]

اشتدّت حال رجل من اصحاب النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فقالت له امرأته لواتـيت رسـول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فسألته.

فجاء إلى النبيّ، فلمّا راه النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قال: من سألنا اعطيناه و من استغنى اغناه الله.

فقال الرّجل: ما يعنى غيرى، فرجع إلى امرأته فاعلمها. فـقال: انّ رسـول الله بـشر فاعلمه.

فاتاه، فلمّا راه رسول الله قال: من سألنا اعطيناه و من استغنى اغناه الله. حتّى فـعل الرّجل ما ذكرته ثلاثاً. ثمّ ذهب الرجل فاستعار معولاً، ثمّ أتى الجبل، فصعده فقطع حطباً، ثمّ جاء به فباعه بنصف مدّ من دقيق فرجع فأكلوه. ثمّ ذهب من الغد فصعده فجاء باكثر من ذلك فباعه. فلم يزل يعمل و يجمع حتّى اشترى معولاً. ثمّ جمع حتّى اشترى بكرين و غلاماً.

---

۱ ـ ميزان الحكمة، ج ۳، ص ٤٤١، ح ٦٥١٢.

۲ ـ ميزان الحكمة، ج ۳، ص ٤٤١، ح ٦٥١٣.

۳ ـ بحار الانوار، ج ۷۷، ص ١٦٢، باب ۷، ح ١٨١.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٤٥، ص ۹، باب ۳۷.

٥ ـ بحار الانوار، ج ٤٦، ص ١٠٠، باب ٥، ح ٨٨.

ثمّ أثرى حتّى ايسر.

فجاء النبيّ فا علمه كيف جاء يسأله و كيف سمع النبيّ.

فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم قد قلت لك: من سألنا اعطيناه و من استغنى اغناه الله». (۱)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «يا عليّ ان الله جعل الفقر امانة عند خلقه فمن سرّه الله اعطاه الله مثل اجر الصائم القائم، و ن افشاه إلى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله. اما انّه ما قتله بسيف و لا رمح ولكنّه قتله بما نكى من قلبه». (۲)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال، قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: «يا علي الحاجة امانة الله عند خلقه، فمن كتمها على نفسه اعطاه الله ثواب من صلّى، و من كشفها إلى من يقدر ان يفرّج عنه و لم يفعل فقد قتله، امّا انّه لم يقتله بسيف و لا سنان و لا سهم ولكن قتله بما نكا من قلبه». (۳)

قال عليه السلام: «العفاف زينة الفقر و الشكر زينة الغنا». (٤)

عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: «مكتوب في التوراة: من اصبح الدنيا حزنياً فقد اصبح لقضاء الله ساخطاً، و من اصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد اصبح يشكو الله، و من اتى غنياً فتواضع لغانه ذهب الله بثلثى دينه، و من قرء القرآن من هذه الامّة ثمّ دخل النار فهو ممن كان يتّخذ آيات الله هزواً، و من لم يستشر يندم، و الفقر الموت الاكبر». (٥)

عن أبي عبدالله عليه السلام: «من شكى إلى مؤمن شكا إلى الله عزّوجلّ، و من شيك إلى مخالف فقد شكى الله عزّوجلّ». (٦)

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «ان الله يحبّ الحيّي المتعّفف و يبغض البذيّ السائل

---

۱ ـ ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٤٥، ح ٨١١٦.

۲ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٨، باب ٩٤، ح ٦.

۳ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ١٠، باب ٩٤، ح ٩.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٥٣، باب ٩٤، ح ٨٣.

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ١٩٦، باب ١٠٥، ح ٢١.

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٣٢٥، باب ١١٩، ح ٣.

الملحف».[۱]

عن علي عليه‌السلام في حديث الاربعمأه قال: «تعرّضوا للتجارات فان لكم فيها غنى عمّا في ايدى النّاس، و ان الله عزّوجلّ يحب المحترف الامين المغبون غير محمود و لا مأجور».[۲]

عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: ان محمّد بن المنكدر كان يقول: ما كنت اظن (ارى) ان علي بن الحسين عليه‌السلام يدع خلقاً افضل منه حتّى رايت ابنه محمّد بن علي فاردت ان اعظه فو عظني.

فقال له اصحابه: بأى شيء و عظلك؟

فقال: خرجت إلى بعض نواحى المدينة في ساعة حارة، فلقاني ابو جعفر محمّد بن علي عليه‌السلام و كان رجلاً بادنا ثقيلاً و هو متكئ على غلامين اسودين او موليين، فقلت في نفسي: سبحان الله شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على مثل هذه الحالة في طلب الدنيا، أما انى لأعظنه، فدنوت منه، فسلّمت عليه فرّد عليّ بنهر (ببهر) و هو يتصاب عرفاً، فقلت: اصلحك الله شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا، أرايت لو جاء الجلك و انت على هذه الحال؟

فقال: لو جائنى الموت و انا على هذه الحال جائنى و انا في طاعة الله عزّوجلّ، اكفّ بها نفسي و عيالي عنك عن النّاس، و انّما كنت اخاف لو ان جائني الموت و انا على (في) معصية من معاصي الله.

فقلت: صدّقت يرحمك الله، أردت ان اعظك فو عظتني».[۳]

عن عبدالاعلى مولى آل سام قال: «استقبلت ابا عبدالله عليه‌السلام في بعض طرق المدينة في

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۱، ص ۳۳٤، باب ۸۱، ح ۱۳.

۲ ـ وسائل الشيعة، ج ۱۲، ص ٤، باب ۱، من ابواب مقدماتها، ح ٦.

۳ ـ وسائل الشيعة، ج ۱۲، ص ۱۰، باب ٤، من ابواب مقدماتها، ح ۱.

يوم صائف شديد الحرّ فقلت: جعلت فداك حالك عندالله عزّوجلّ و قرابتك من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و انت تجهد نفسك (لنفسك) في مثل هذا اليوم؟

فقال: يا عبدالاعلى خرجت في طلب الرزق لاستغنى به عن مثلك».[1]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: من طلب الدنيا استعفافاً (استغناء) عن النّاس وسعياً على اهله و تعطّفاً على جاره، لقى الله عزّوجلّ يوم القيمة و وجهه مثل القمر ليلة البدر».[2]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ليكن طلبك للمعيشة فوق كسب المضيّع، و دون طلب الحريض الراضي بدنياه المطمئن اليها، ولكن انزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف (النصف خ ل) المتعفّف ترفع نفسك عن منزلة الواهن الضّعيف و تكسب ما لابّد للمؤمن منه ....».[3]

---

١ ـ وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٠، باب ٤، من ابواب مقدماتها، ح ٢.

٢ ـ وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١١، باب ٤، من ابواب مقدماتها، ح ٥.

٣ ـ وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٠، باب ١٣، من ابواب مقدماتها، ح ٣.

الفصل الثّامن

الفضيلة الثّامنة : الغيرة و الحميّة

الفضيلة الثامنة: الغيرة و الحميّة

هذه الفضيلة علامة المروّة، بل يظهر من الرّوايات انّها علامة الايمان. فمن لا غيرة له لايعدّ من الرجال و لا من المؤمنين، فلذلك روي عن اميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال لأهل الكوفة الّذين لم يدافعوا عن حريم الاسلام: «يا اشباه الرجال و لا رجال».[1]

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «الغيرة من الايمان»[2] بل القرآن ايضاً جعلها علامة للايمان و قال: ﴿**محمّد رسول الله و الّذين معه اشدّاءُ على الكفّار**﴾.[3]

و معنى الآية الشريفة و نظيرها ـ و اللّه أعلم ـ ان المؤمن هو الّذي يدافع عن حريم الاسلام ما تمكّن منه.

و الغيرة هي ملكةٌ باعثة على الدّفاع عن مهام الأمور العرفيّة او الشرعيّة و على المجاهدة على حفاظها، و يقال لذلك الدفاع الحميّة، فالحميّة من الحمايه. فهي عن مقولة الفعل، و الغيرة اصلها و هي تنشأ منها. فهي من مقولة الصفات. نعم قد تطلق الغيرة على الحميّة و الحميّة على الغيرة مجازاً.

---

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٤٢، باب ٨٤، ح ٢.

٣ ـ الفتح / ٢٩.

و هذه الفضيلة ذات مراتب كسائر الفضائل، فالمرتبة الضعيفة منها مطلوبة و كلما اشتدت زادت مطلوبيتها فليس لها طرفا افراط و تفريط حتّى يكونا مذمومين.

نعم قد تستعمل في غير محلها جهلاً، فهي مذمومة بالعرض اي باعتبار استعمال الشّيء في غير محلّه. و يقال لها حينئذٍ التعصب الجاهلي و الحميّة الجاهلية، حتّى يطلق عليها الحسد ايضاً.

قال علي بن الحسين عليه السلام: «العصبيّة الّتي بها صاحبها ان يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم اخرين، و ليس من العصبيّة ان يحب الرجل قومه، ولكن من العصبيّة ان يعين قومه على الظلم».[١]

و قال تعالى: ﴿إذ جعل الّذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهلية﴾.[٢]

و اطلق عليهم الحميّة الجاهلية، لأنهم منعوا في الحديّبيه ان يسجلّ «البسملة» في عقد الاسلام، و منعوا ان يدخل المسلمون المسجد الحرام، و ان يبلغ الهدى محلّه.

و قال الباقر عليه السلام: «غيرة النساء الحسد».[٣]

اقسام الغيرة و الحميّة:

و الغيرة و الحميّة بحسب المتعلق تنقسم إلى اقسام:

الف ـ الغيرة و الحميّة في الدين، و هذه أحسن الاقسام و أجودها، و الدفاع عن حريم الشرع من اوجب الواجبات و ليس في الاسلام واجب اوجب منه، و يجب على كلّ مسلم بذل كلّ ما يجب في سبيل الاسلام.

قال تعالى: ﴿قل ان كان ابائكم و ابنائكم و اخوانكم و ازواجكم و عشيرتكم و اموال

---

١ ـ نور الثقلين، ج ٥، ص ٧٣، ح ٧٠.　　٢ ـ الفتح / ٢٦.

٣ ـ فروع الكافي، ج ٥، ص ٥٣٧.

اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها احب اليكم من الله و رسوله و جهاد في سبيله فتربصوا حتّى يأتي الله بامره و الله لا يهدى القوم الفاسقين﴾.[١]

و يجب على كلّ مسلم المجاهدة على محافظة الاسلام، فلذا اوجب اللّه الامر بالمعروف و النهى عن المنكر مؤكدّاً حتّى جعل المسلمين خير امة، لكونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

قال تعالى: ﴿كنتم خير امّة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر﴾.[٢]

كما و قد أوجب اللّه ما يوجب بقاء الاسلام و تقويته، فأوجب تأسيس الحوزات العلميّة.

قال تعالى: ﴿فلو لا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون﴾.[٣]

و اوجب تأسيس لجنة الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر.

قال تعالى: ﴿ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر﴾.[٤]

و اوجب تعظيم الشعائر.

قال تعالى: ﴿و من يعظم شعائر الله فانّها من تقوى القلوب﴾.[٥]

و رتّب ثواباً عظيماً و أجراً جزيلاً على المجاهدة في سبيله تعالى و تقوية الاسلام والدفاع عن حريمه و السعى على محافظته حتّى قدّم ذلك على مثل سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام.

---

١ ـ التّوبة / ٢٤. ٢ ـ آل عمران / ١١٠. ٣ ـ التّوبة / ١٢٢. ٤ ـ آل عمران / ١٠٤.
٥ ـ الحج / ٣٢.

قال تعالى: **﴿اجعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الاخر و جاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله و الله لا يهدى القوم الظالمين * الّذين امنوا و هاجروا و جاهدوا في سبيل الله باموالهم و انفسهم اعظم درجه عندالله و اولئك هم الفائزون * يبشرهم ربّهم برحمة منه و رضوان و جنّات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها ابداً ان الله عنده اجر عظيم﴾**.(١)

ب ـ الغيرة و الحميّة على حفظ عفّة أهله و أسرته و اكثر استعمالها في هذا المعنى. فالدفاع عن حريم امرأته و السعي على حفاظ على عفتها لازم حتّى ان القرآن الشريف أمر باستيذان النساء و الاطفان غير البالغين حين أن خلى المرء بزوجته.

قال تعالى: **﴿يا ايّها الّذين امنوا ليستأذنكم الّذين ملكت ايمانكم و الّذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرّات من قبل صلوة الفجر و حين تضعون ثيابكم من الظهيرة و من بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم﴾**.(٢)

ثمّ أمر باستيذان الاطفال و إن لم يكن وقت الخلوة إذا بلغوا الحلم.

قال تعالى: **﴿و إذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الّذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته و الله عليم حكيم﴾**.(٣)

و في روايات نهى عن أن يجامع الرجل امرأته و الصبي في المهد ينظر اليهما، منها: عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «ايّاكم و ان يجامع الرجل امرأته و الصبي في المهد ينظر اليهما».(٤)

و ملخّص الكلام ان الغيرة و الحميّة في هذا المورد من أهمّ الواجبات شرعاً، فلذا اجاز الاسلام قتل المرأة لو رأها بعلها و هي تزني كما اجاز قتل الزاني. و هذا دليل واضح على اهتمام الاسلام بهذا القسم من الغيرة و الحميّة. و سيأتي ذكر روايات فيها.

---

١ ـ التّوبة / ١٩ ـ ٢٢. ٢ ـ النّور / ٥٨. ٣ ـ النّور / ٥٩.

٤ ـ بحار الانوار، ج ١٠٣، ص ٢٩٥، باب ٨، ح ٥١.

ج ـ الغيرة و الحميّة في العفة العامّة. و المراد منها الغيرة على نساء المؤمنين من الاقارب كالبنت و الامّ و الاخت و من غير الاقارب ايّ مرأة كانت بل نساء غير المؤمنين أيضاً. فالدفاع عن عفّتهنّ لازم و السعي فيه واجب. الاقرب فالاقرب.

فأشاعة الفاحشة من الكبائر الموبقه.

قال تعالى: ﴿**انّ الّذين يحبّون ان تشيع الفاحشة في الّذين امنوا لهم عذاب اليم في الدّنيا و الاخرة**﴾.(١)

و القرآن اهتم بهذه العفة اشدّ الاهتمام، فلذا:

اوّلاً اهتماماً بشؤون المسلمين، أمر بجلد الزانية و الزّاني، و لم يكتف بذلك بل أمر بحضور طائفة من المؤمنين عند جلدهما.

قال تعالى: ﴿**الزّانيّة و الزّانى فاجلدوا كلّ واحد منهما مأة جلدة و لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله و اليوم الاخر و ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**﴾.(٢)

و ثانياً نهى عن النظر إلى الاجنبيّة لكونه سهماً من سهام ابليس.

قال تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون * و قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن و يحفظن فروجهنّ**﴾.(٣)

و ثالثاً نهى عن معاشرة الرجل الاجنبيّة و مواجهتها إلّا لضرورة داعية إليها.

قال تعالى: ﴿**و إذا سئلتموهنّ متاعاً فسئلوهنّ من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم و قلوبهن**﴾.(٤)

و رابعاً نهى عن تبرج النساء و ان يجلبن نظر الاجنبي إلى أنفسهنّ.

---

١ ـ النّور / ١٩.　　٢ ـ النّور / ٢.　　٣ ـ النّور / ٣٠ و ٣١.　　٤ ـ الاحزاب / ٥٣.

قال تعالى: ﴿و لا تبرجنّ الجاهليّة الاولى﴾.[١]

و خامساً نهاهنّ عن الخضوع في القول.

قال تعالى: ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الّذي في قلبه مرض و قلن قولاً معروفاً﴾.[٢]

و سادساً امرهنّ بحفظ وجوههنّ و ادناء جلبابهن عليها.

قال تعالى: ﴿يا ايّها النّبيّ قل لازواجك و بناتك و نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهنّ ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين و كان الله غفوراً رحيماً﴾.[٣] ولو لم يكن لحفظ العفاف و اهتمام الشرع به غير ما ذكر من الايات لكفى بها شاهداً عليه. فلذا وردت في الحديث: «ان الله غيور يحبّ كلّ غيور، و من غيرته حرّم الفواحش ظاهرها و باطنها».[٤]

د ـ الغيرة و الحميّة في الاموال و الاولاد و الاقرباء و الجيران و الشعب و الوطن بل مطلق الناس غير المحاربين منهم بل مطلق الحيوانات غير المؤذية. فالدفاع عنهم لازم عقلاً و شرعاً و التفصيل في كلّ ذلك يحتاج إلى افراد كتاب، نرجو منه سبحانه و تعالى أن يوفقنا له . فنقول اجمالاً: ان الاسلام ارشاداً إلى حكم العقل نهى عن تضييع المال.

قال تعالى: ﴿ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين﴾.[٥] وأمر بحفظ الأولاد و تثقيفهم و تأديبهم بالأدب الاسلامي.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا قوا أنفسكم و اهليكم ناراً و قودها الناس و الحجارة﴾.[٦]

و أمر بصلة الرحم و نهى بشدّةٍ عن قطعه.

قال تعالى: ﴿و الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به ان

---

١ ـ الاحزاب / ٣٣. ٢ ـ الاحزاب / ٣٣. ٣ ـ الاحزاب / ٥٩.

٤ ـ وسائل الشيعة، ج ١٤، باب ٧٧، ح ٢. ٥ ـ الاسراء / ٢٧. ٦ ـ التّحريم / ٦.

يوصل و يفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة و لهم سوء الدّار﴾.[١]

و أمر بمراعاة الجيران حتّى سلب وصف الايمان عمن لا يراعى حق الجار، بل هدّده بالويل الّذي هو من ألفاظ القهر والعذاب. و كذلك أمر بمراعاته الامة الاسلاميّة و برفع حوائجهم على الميسور.

قال تعالى: ﴿بسم الله الرّحمن الرّحيم * أرايت الّذي يكذّب بالدين فذلك الّذي يدع اليتيم و لا يحضّ على طعام المسكين فويل للمصلين الّذين هم عن صلوتهم ساهون الّذين هم يراؤون و يمنعون الماعون﴾.[٢] و قال تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته و من قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلّف الله نفساً إلّا ما اتاها﴾.[٣]

و أمر الإنسان على الاطلاق بالبرّ.

قال تعالى: ﴿لا ينهكم الله عن الّذين لم يقاتلوكم في الدّين و لم يخرجوكم من دياركم‌ان تبروهم و تقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين * انّما ينهكم الله عن الّذين قاتلوكم في الدين و اخرجوكم من دياركم و ظاهروا على اخراجكم ان تولوهم و من يتولهم فاولئك هم الظّالمون﴾.[٤]

و استفادة ما اشتهر عن «حب الوطن من الايمان» من الآية الشريفة ليست بصعب، كما ان استفادة البر إلى مقاتلي المسلمين في غير الدين من المقاتلة في الاغراض الشخصيّة او القوميّة ليست بمشكل. و اما حسن البر بالحيوانات غير الموذيه و الدفاع عن تلك الحيوانات و السعى على محافظتها و الحماية عنها فقد وردت في ذلك رواياتٌ، منها:

عن الصادق عليه السلام قال: «اقذر الذنوب ثلاثة، قتل البهيمة، و حبس مهر المرأة، و منع الاجير اجره».[٥]

---

١ ـ الرّعد / ٢٥.　　٢ ـ الماعون.　　٣ ـ الطلاق / ٧.　　٤ ـ الممتحنه / ٨ ـ ٩.

٥ ـ وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٣٩٧، من ابواب احكام الدّوابّ، ح ٢.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ان امرئة عذّبت في هرّة قد ربطتها حتّى ماتت عطشاً».[۱]

و عن الصادق عليه السلام قال، قال علي بن الحسين عليه السلام لابنه محمّد عليه السلام حين حضرته الوفاة: «انى قد حججت على ناقتي هذه عشرين حجّةً فلم اقرعها بسوط قرعة. فاذا نفقت فادفنها لا يأكل لحمها السباع».[۲]

و عن الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله: «للدابّة على صاحبها حقوق: يبدأ بعلفها إذ انزل، و يعرض عليها الماء إذا مرّ به، و لا يضرب وجهها، فانّها تسبّح بحمد ربّها و لا يقف على ظهرها إلّا في سبيل الله، و لا يحملها فوق طاقتها ولا يكلفها عن المشي إلّا ما تطيق».[۳]

و عن رسول الله صلى الله عليه و آله: «انّ الدّوابّ إذا لعنت لزمتك اللّعنة».[٤]

و عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «لا تضربوا الوجوه و لا تلعنوها، فان الله عزّوجلّ لعن لاعنها».[٥]

هذا كلّه في هذه الفضيلة ولكن لابد من ان نذكر في الخاتمة امرين:

الف ـ ان أقسام الغيرة و الحميّة المشار إليها هي بحسب الواقع و كذلك بحسب المعنى اللغوى، و لكن بحسب المتفاهم العرفي فاستعمالها في غير المعنيين الثاني و الثالث تكلف فلذا قلنا ان الشائع في استعمال العرف الغيرة هي في العفّة الخاصّة او العامة، ولكن الّذي يسهّل الخطب كوننا بصدد بيان الملكات من الفضائل و الرّذائل و ما يترتب عليها، و لسنا بصدد

---

۱ ـ وسائل الشيعة، ج ۸، ص ۳۹۷، باب ۵۳، من ابواب احكام الدّوابّ، ح ۱.

۲ ـ وسائل الشيعة، ج ۸، ص ۳۹۷، باب ۵۱، من ابواب احكام الدّوابّ، ح ۱.

۳ ـ وسائل الشيعة، ج ۸، باب ۹، من ابواب احكام الدّوابّ، ح ۱.

٤ ـ وسائل الشيعة، ج ۸، باب ۱۰، من ابواب احكام الدّوابّ، ح ۸.

٥ ـ وسائل الشيعة، ج ۸، ص ۳۹۸، باب ۱۰، من ابواب احكام الدّوابّ، ح ٦.

بيان المعاني و موارد الاستعمالات حتّى نحتاج إلى تدقيق في ذلک.

ب ـ قد ذكر علماء الأخلاق لهذه الفضيلة طرفي افراط و تفريط ثمّ جعلهما من الرّذائل قالوا: ان الافراط من الغيرة هو العصبيّة و التّجسس في البواطن، وان طرف التفريط منها هو الاهمال في الحفاظ على ما يجب عقلاً او شرعاً.

ولكن هذه الكلام ليس بسديد، لأن الغيرة و الحميّة مقولتان مشكّكتان كما مرّ في اوائل البحث، لكنّ الشدة و العصبيّة و تجسّس البواطن ليست من مقولة الغيرة و من مراتبها، وإن كانت من الملكات او الافعال الرّذيلة. و سيأتي ذكرها و بيان ما يترتب عليها من المفاسد.

نعم قد يستعمل الجاهل بمواقع الأمور تلك الفضيلة في غير محلّها. قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام في رسالته إلى ابنه الإمام المجتبى عليه‌السلام: «ايّاك و التغاير في غير موضع الغيرة، فان ذلك يدعوا الصحيحة منهنّ إلى السقم».(۱)

فترى ان اميرالمؤمنين عليه‌السلام لم ير الشدّه على النساء من مراتب الغيرة، بل يرى الشدة عليهن من استعمال الغيرة في غير محلّها و ليس هو إلّا من فعل الجاهل الخسيس، فيقال لها تارة التعنّت و الشدة و أخرى الغيرة الجاهلية.

موجز ما سيأتي ان شاء الله من بيان رذيلة الشدة: ان الشدة من الرّذائل الّتي يترتب عليها مفاسد إذ لا يرى صاحبها شيئاً إلّا يخاف منه. فالشدة في الدين هو تحميل ما لا يطاق، بل ما هو صعب على الناس على نفسه أَو على غيره فينتهى إلى المال عنه و قد تنتهى إلى سوء الظّنّ بالدين بل إلى الكفر.

قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق، و لا تكرهوا عبادة

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۷، ص ۲۱٤.

الله عباد الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبّت الّذي لا سفراً قطع و لا ظهراً ابقى».[1] و هذه الرواية هي أسوة المؤمنين في استعمال الغيرة و قد روى شيخنا الكليني «رضوان الله تعالى عليه» في باب الاقتصاد في العبادة روايات عدّة فراجع و تأمل فيها. و اما الشدة في العفة فتنتهى إلى فواحش باطنة أو ظاهرة فالمراقبة على النساء بافراطٍ و المحافظة البالغة عليهنّ لأجل الاوهام المرجوحة عقلاً و شرعاً و المبالغة على حفظهن الستر غير المتعارف عند المتدينين. و منعهن عن الخروج عن البيت إلى المجالس الراجحة و التجسّس عن حالهن في الخلوات و الجلوات و.... ينتهى ذلك كلّه إلى الفساد و إلى اللجاج و إلى الفحشاء و...

فاذا اطمئن المرء من عفّتهن و دينهن فيلزم عليه ان يعطيهنّ نحو استقلال في الامور، فهو مع قيمومته[2] عليهن يعطيهنّ الاستقلال في امورهن و في حفظهن عن الاجانب و في حفظ عفتهنّ و في جميع شؤونهنّ و ملخّص القول ان المراقبة عليهن لازمة و اعمال الغيرة في عفتهن واجبة ولكن الرفق و المدارى و عدم الشدة عليهنّ ايضاً لازم واجب. و بكلمة أخرى ان الغيرة و الحميّة لابدّ من ان تكون مع الرفق و المدارى و إلّا استعملت غالباً في غير محلها فتوجب المفاسد.

و اما الشّدة على الاولاد في تربيتهم فتوجب عقدة النقص فيفعل الولد خلاف ما يقصده الوالدان و المربّي. فلو شدّد على الاولاد في تثقيفهم او غلظ عليهم في الكلام أو ضربهم و شتمهم لما حصل على الغاية المطلوبة، بل النعكس الامر ضدّه.

و القرآن الشريف حين ان أشار إلى سيرة سيّدنا لقمان في تثقيفه و تأديبه ولده يعلّمنا معاشر المؤمنين التلطّف بالأولاد و المداراة معهم.

قال تعالى: ﴿إذ قال لقمان لأبنه و هو يعظه يا بنّى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم

---

١ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٨٦ و ٨٧، باب الاقتصاد في العباد، ح ١.

٢ ـ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما انفقوا، النساء / ٣٤.

عظيم﴾.[۱]

و ان كانت في بعض الموارد في محلّها.

و اما الشدّة في الاموال فهو البخل الّذي نهى عنه القرآن.

قال تعالى: **﴿و لا يحسبّن الّذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌّ لهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾.**[۲]

و هو ينتهي إلى ترك الانفاقات الواجبة و المندوبة، فاذا لا يكون المال عليه إلّا وزراً و وبالاً.

قال تعالى: **﴿و الّذين يكنزون الذّهب و الفّضة و لا ينفقونها في سبيل الله فبشرّهم بعذاب اليم * يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾.**[۳]

و بما ذكرنا يظهر تبعات الشدة في الاقرباء و في الجيران و في الامة و الشعب و في الوطن و القومية، و التفصيل يوجب الملال و الخروج عما نحن بصدده.

و ملخّص الكلام ان الشدّة في كلّ شيء غير جائز، و الرفق و المداراة في كلّ شيء لازم. فعليك بالرفق و المداراة و ايّاك و الشدة و التعنّت و الحميّة الجاهليّة و الغيرة بهذا المعنى الّتي ليست بغيرة، بل انّها مبغوضة عند العقل و الشرع.

قال رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم: «من الغيرة غيرة يبغضها الله و رسوله و هي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة».[٤]

و قال اميرالمؤمنين علیه السّلام: «لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك».[٥] هذا كله في الافراط في الغيرة.

---

١ ـ لقمان / ١٣.　　٢ ـ آل عمران / ١٨٠.　　٣ ـ التوبة / ٣٤ ـ ٣٥.

٤ ـ جامع السعادات، ج ١، ص ٣٠٥، مبحث الغيره.　　٥ ـ جامع السعادات، ج ١، ص ٣٠٥، مبحث الغيره.

و اما طرف التفريط فقيل: انه عدم الغيرة، ولكن معلوم ان العدم لا يعقل ان يكون من مراتب الشيء.

و لا يترتب عليه شيء. فما قيل: تبعاتها من الدّياثة و القيادة و من ترك الامر بالمعروف و النهى عنى المنكر و الجهاد في سبيل الله و من اشاعة الفحشاء و من سوء تربية الاولاد و من تسلط الظالمين عليه و على وطنه و .... فغير صحيح. لأنّ هذه التبعات لأجل حرمانه عن فضيلة الغيرة.

فمن كانت له الغيرة و الحميّة فليس بديوث و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يجاهد في سبيل الله بماله و نفسه و يمنع عن اشاعة الفحشاء و يسعى في تثقيف عياله و تربيتهم و يمنع الظالم عن ظلمه. و من ليست له تلك الفضيلة فمحروم عن هذه المثوبات و الحسنات فليس عدم الغيرة بشيءٍ و لا يترتب عليه شيء.

روايات في الغيرة

عن غياث بن ابراهيم عن جعفر عن أبيه انه قال: «إذا دخل عليك رجل يريد أهلك و مالك فابدره بالضربة ان استطعت، فان اللص محارب لله و لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم فما تبعك منه من شيء فهو عليّ»:

و رواه الحميرى في قرب الاسناد عن .... عن جعفر عن أبيه مثله إلّا انه قال: «فاقتله فما تبعك منه من شيء فهو عليّ».[1]

روى «انّ من راى زوجته تزنى فله قتلها».[2]

عن الصادق عليه السلام قال: «ان الله تبارك و تعالى خصّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكارم الأخلاق فامتحنوا انفسكم فان كانت فيكم فاحمدو الله عزّوجلّ و ارغبوا إليه في الزّيادة منها. فذكرها عشرة: اليقين، والقناعة، و الصبر، والشكر، و الحلم و حسن الخلق و السّخا و الغيرة و الشجاعة و المروءة».[3]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأسارى فامر بقتلهم خلا رجل من بينهم.

---

١ ـ وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٥٩٠، باب ٥، من ابواب الدفاع، ح ١.

٢ ـ وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٤٠٣، باب ٤٥، من ابواب حدّ الزنا، ح ٢.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٦٨، ح ٥.

فقال الرّجال: بابى انت و امّى يا محمّد كيف اطلقت عنّى من بينهم؟

فقال: أخبرني جبرئيل عن الله عزّوجلّ أنّ فيك خمس خصال يحبه الله عزّوجلّ و رسوله: الغيرة الشديدة على حرمك، و السّخاء، و حسن الخلق و صدق اللسان و الشجاعة.

فلما سمعها الرجل اسلم و حسن اسلامه و قاتل مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قتالاً شديداً حتّى استشهد».(١)

قال الرضا عليه السلام: «في الديك الابيض خمس خصال من خصال الانبياء معرفته باوقات الصلوة، و الغيرة، و السخاء و الشجاعة و كثرة الطروقة».(٢)

عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن ابائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «الغيرة من الايمان و البذاء من النفاق».(٣)

قال الباقر عليه السلام: «غيرة النساء الحسد، و الحسد هو اصل الكفر. انّ النّساء إذا غرن غضبن،

و إذا غضبن كفرن إلّا المسلمات منهنّ».(٤)

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «انّ الله يغار للمؤمن فليغر، من لا يغار فانّه منكوس القلب».(٥)

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «كان أبي ابراهيم غيوراً و أنا اغير منه و ارغم الله انف من لا يغار من المؤمنين».(٦)

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «قدر الرّجل على قدر همّته .... و شجاعته على قدر أنفته، و

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٨٣، ح ٤٥.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٤٢، باب ٨٤ ح ١.
٣ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٤٢، باب ٨٤ ح ٢.
٤ ـ فروع الكافى، ج ٥، ص ٥٣٧.
٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٩، ص ١١٥، باب ٨٤ ح ٦.
٦ ـ وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ١٠٩، ح ٧.

عفّته على قدر غيرته».[۱]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «ما زنى غيور قطّ».[۲]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «انّ الله غيور يحبّ غيور و من غيرته حرم الفواحش ظاهرها و باطنها».[۳]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا اغير الرّجل في أهله أو بعض مناكحه من مملوكه، فلم يغرو لم يغير، بعث الله إليه طايراً يقال له القفندر، حتّى يسقط على عارضة، بابه، ثم يمهله أربعين يوماً، ثم يهتف به: ان الله غيور يحبّ كلّ غيور، فان هو غار و غير فانكر ذلك. و إلاطار حتّى يسقط على رأسه، فيخفق بجناحيه ثم يطير عنه. فينزع الله بعد ذلك منه روح الايمان و تسميه الملائكة الدّيوث».[٤]

قال النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: «انّ الجنّة ليوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عالم و لا يجدها عاق و لا ديّوث؟

قبل يا رسول الله و ما الديّوث؟

قال: الّذي تزني امرأته و هو يعلم بها».[٥]

من وصايا اميرالمؤمنين لابنه الحسن عليه السلام: «ايّاك و التّغاير في غير موضع الغيرة، فانّ ذلك يدعو الصّحيحة منهنّ إلى السّقم، ولكن احكم امرهنّ فان رأيت عيباً فعجّل النكير على الكبير و الصّغيرة».[٦]

---

۱ ـ نهج البلاغة، حكم ٤٧.
۲ ـ نهج البلاغة: حكم ۳۰۵.
۳ ـ وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ١٠٧، ح ٢.
٤ ـ وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ١٠٨، باب ٧٧، من ابواب مقدمات النكاح، ح ٤.
٥ ـ من لا يحضر، الفقيه، ج ٣، ص ٢٨١.
٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٧، ص ٢١٤.

عن الصادق عليه السلام: «لا غيرة في الحلال».[١]

عن عليّ عليه السلام: «غيرة الرّجل ايمان، غيرة المرأة عدوان».[٢]

عن عليّ عليه السلام: «غيرة المرأة كفر، و غيرة الرّجل ايمان».[٣]

«ذكر رجل لأبي عبدالله عليه السلام أمرأته فأحسن عليها الثّناء. فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أغرتها؟

قال: لا.

قال: فأغرها فثبتت.

فقال: لأبي عبدالله عليه السلام: انّي أغرتها فثبتت.

فقال: هي كما تقول».[٤]

١ ـ الوسائل، ج ١٤، ص ١٧٦.

٢ ـ غرر الحكم.

٣ ـ نهج البلاغة، الحكم ١٢٤.

٤ ـ فروع الكافي، ج ٥، ص ٥٠٤.

الفصل التّاسع

الفضيلة التّاسعة: التأنّي والسّكينة

الرّذيلة السّادسة: العجلة

الرّذيلة السّابعة: اضطراب الخاطر

الرّذيلة الثّامنة: الهلع

الرّذيلة التّاسعه: المزلّة و التّذبذب

الفضيلة التّاسعة: التأنّي والسّكينة

هناك آية تتضمّن دعوة من الله تعالى لبعض عباده الصّالحين تشتمل على الطاف خاصّة و ليس في القرآن مثلها و هي قوله تعالى: ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنّة * ارجعى إلى ربّك راضية مرضيّة * فادخلى في عبادى و ادخلى جنّتى﴾.[1]

و هذه الدّعوة اولاً تدعو إلى ضيافة الله تعالى، ولكن لا إلى جنّته، بل إلى جواره تعالى، لقوله: «ارجعى إلى ربّك» و قوله: «و ارخلى جنّتى». و ثانياً توصف المدعوّين بصفة هي عند اهل القلوب من اجود الصّفات و احسن الحالات و هي قوله تعالى: «راضية مرضيّة» فهم من محبوبهم و معبودهم و ربّهم راضون و هو عنهم راض.

و ثالثاً دعتهم إلى جوار الرسول والعترة الطاهرةعليهم السلام لقوله تعالى: «فادخلى في عبادى».

و هذه الدّعوة الفاضلة الشريفة كما ترى تكون للنّفوس المطمئنّة. و المراد منهم الّذين لهم السّكينة و التّأنى و الثّبات و الوقار. و كلّها قريب المعنى. نعم انّ الاطمئنان و السّكينة و التّأني للقلب و الثّبات اعمّ منه، لانّه ينسب إلى القلب تارة و إلى الافعال و الاقوال اخرى.

---

١ ـ الفجر / ٢٧ ـ ٣٠.

ولكنّ الوقار يختصّ بالاعمال و ينشأ عن الملكة الرّاسخة في القلب و سيأتي زيادة توضيح لذلك في ضمن الكلام.

و تلك النّفوس لمّا كانت مطمئنّة فالافعال و الاقوال الصّادرة عنها في كمال الوقار.

قال تعالى: ﴿و عباد الرّحمن الّذين يمشون على الارض هوناً و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً .... و إذا مرّوا باللّغو مرّوا كراماً﴾.[1]

فهم الّذين لا تحرّكهم العواصف، فعند المصائب تطمئنّ نفوسهم، فلاجل ذلك الاطمئنان لا جزع و لا فزع لهم. و كأنّه بهم عجن معهم قوله تعالى: ﴿ما اصاب من مصيبة في الارض و لا في انفسكم إلّا في كتاب من قبل ان نبرأها انّ ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما اتيكم﴾.[2]

و تلك النّفوس لا يدخلها الاضطراب و لا يقرّبها الرّعب ابداً، فهم بريئون عن الحزن من قبل و عن الخوف من بعد.

قال تعالى: ﴿اَلا انّ اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.[3]

فهم كالبنيان المرصوص عند الحوادث و المشاكل فالمشكلة لو تحلّ لقاموا بحلّها وإلّا فبتحمّلها، قال تعالى: ﴿انّ الله يحبّ الّذين يقاتلون في سبيله صفّاً كانّهم بنيان مرصوص﴾.[4]

فبسعة صدورهم يحلّون المشاكل و بقدرتهم يتحمّلون المصائب فلا يفزعون عندها بل يرونها موجبة للكمال، فهي من هذه الجهة نعمة لهم.

قال تعالى: ﴿و لنبلونّكم بشيءٍ من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثّمرات و بشرّ الصّابرين * الّذين إذا اصابتهم مصيبةٌ قالوا انّا لله و انّا إليه راجعون *

---

١ ـ الفرقان / ٦٢ ـ ٧٢. ٢ ـ الحديد / ٢٢ و ٢٣. ٣ ـ يونس / ٦٢. ٤ ـ الصّفّ ٤ /.

اولئك عليهم صلوات من ربّهم و رحمة و اولئك هم المهتدون﴾.[١]

فهم لا يطلبون شيئاً قبل اوانه، و يرون انّ الاشياء مرهونة باوقاتها، و لا يطلبون إلّا رضى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿فانزل الله سكينة على رسوله و على المؤمنين و الزمهم كلمة التّقوى و كانوا احقّ بها و اهلها و كان الله بكلّ شيء عليماً﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿يثبت الله الّذين امنوا بالقول الثّابت في الحيوة الدّنيا و في الاخرة﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿كذلك لنثبّت به فؤادك و رتّلناه ترتيلاً﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم و يثبّت اقدامكم﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿ربّنا افرغ علينا صبراً و ثبّت اقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿و ما كان قولهم إلّا ان قالوا ربّنا اغفرلنا ذنوبنا و اسرافنا في امرنا و ثبّت اقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين﴾.[٧]

و هم لايعملون شيئاً و لا يقولون إلّا يتفكّرون قبلها، فاعمالهم و اقوالهم اعمال العقلاء لا اعمال الحمقاء. إذ الاحتياط و التّفكّر و التّأنيّ في الأمور سيرتهم. فتأنيّهم و تفكّرهم يحثّهم على العمل على سبيل و الاحتياط.

قال تعالى: ﴿فبّشر عباد الّذين يستمعون القول فيتّبعون احسنه اولئك الّذين هديهم الله و اولئك هم اولو الالباب﴾.[٨]

١ـ البقرة / ١٥٥ ـ ١٥٧.　٢ـ الفتح / ٢٦.　٣ـ ابراهيم / ٢٧.

٤ـ الفرقان / ٣٢.　٥ـ محمّد / ٧.　٦ـ البقرة / ٢٥٠.　٧ـ آل عمران / ١٤٧.

٨ـ الزّمر / ١٧ و ١٨.

هذه وجيزة من تفصيل بيان شرف هذه الفضيلة المتضمّنة لفضائل كثيرة و المترتّبة عليها حسنات و اثار. فلو لم يكن لها اثر إلّا الثّبات و التّسلط على الاقوال و الافعال و الحركات و السّكنات حسبها فضيلة و رفعةً.

ثمّ انّ الذكر الحكيم في آيات كثيرة يذكّر انّ هذه الفضيلة لا تحصل إلّا بالرّياضات الدّينيّة و العبادات الشّرعيّة.

قال تعالى: ﴿فانزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿الّذين امنوا و تطمئنّ قلوبهم بذكر الله اَلا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿يثبّت الله الّذين امنوا بالقول الثّبت في الحيوة الدّنيا و في الاخرة﴾.[٣]

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم و يثبّت اقدامكم﴾.[٤]

فمن يطلب الاطمئنان و الثّبات لا بدّله من ان يهتمّ بالواجبات و المندوبات ولا سيّما باجتناب المحرّمات. و من يطلب التّأنّي و الاحتياط فعليه بتحصيل ملكة التّقوى.

فلذا يشاهد في آيات كثيرة التلازم بين الذّلّة و المسكنة و الاضطراب و الرّيب و التّذبذب. و بين أفعال من لا تقوى له و لا ايمان و سيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى.

و جملة القول انّ الامن القلبيّ مرهون بالتّقوى و قد نبّه عليه القرآن في آيات كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿فايّ الفريقين الحقّ بالامن ان كنتم تعلمون الّذين امنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن و هم مهتدون﴾.[٥]

---

١ ـ الفتح / ٢٦. ٢ ـ الرّعد / ٢٨. ٣ ـ ابراهيم / ٢٧. ٤ ـ محمّد / ٧.

٥ ـ الانعام / ٨٢.

و قوله تعالى: ﴿فمن اسّس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير ام من اسّس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنّم و الله لا يهدى القوم الظالمين﴾.[۱]

و قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً قرية كانت امنة مطمئنّة ياتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون﴾.[۲]

دفع وهم:

قد مرّ الكلام في اوّل الكتاب في أنّ الفضائل كلّها من الفطريّات. فالانسان بفطرته و دركه الباطني يميّز الفضائل عن الرّذائل كما انّه يميّز بعض الفضائل عن الآخر و بعض الرّذائل عن الآخر.

فهو يميّز التّأني مثلا عن الصّبر، و يميّزهما عن الطّمأنينة، و الثلاثة عن السّكينة، و السّكينة عن الوقار، و يميّز الجميع عن الثّبات و هكذا. كما انّه يميّز العجلة عن الهلع، و يميّزهما عن الاضطراب، و الثلاثة عن التّذبذب و هي عن المذلّة.

نعم كثيراً ما يشتبه بعض الفضائل ببعض في النّظرة الاولى سيّما مع استعمال بعض في بعض تسامحاً. مثلاً انّ حقيقة التّأنّى هي طلب الشّئ في وقته و ان لا يطلبه قبل اوانه و لكن يطلق عليه الصّبر تسامحاً اطلق عليه الصّبر، مع انّ حقيقة الصّبر هي التّحمّل عند البأساء و الضّرّاء و عن الشّهوات و الميول، فبينهما بون بعيد.

و قد يتشبه كبر النّفس بالتّكبّر، و صغر النّفس و دنائة الطّبع و الهمّة بالتّواضع، و هكذا. فمن هذه الجهة يشاهد في كتب الأخلاق وقوع اشتباه في ذلك.

مثلاً انّ المحقّق النّراقى «رضوان الله تعالى عليه» في البحث عن التّأنّي جعل ملكة السّكينة و ملكة الطّمأنينة و ملكة الثّبات مرادفة للتّأنّى، و جعل الوقار ناشئاً عن ملكة

---

۱ ـ التّوبة / ۱۰۹. ۲ ـ النّحل / ۱۱۲.

التأنّى، ثمّ ذكر العجلة مايضادّ هذه الملكات، مع انّ العجلة و ان كانت ضدّ التّأنى، لانّ التأنّى هو طلب الشيئ في وقته، و العجلة هي طلب الشيئ في غير اوانه فهما ضدّان، لكنّها ليست ضدّ الطّمأنينة و لا الثّبات و لا السّكينة.

لانّ ضدّ الطّمأنينة هو الاضطراب، و ضدّ الثّبات هو المزلة، و ضدّ السّكينة هو الهلع. فعلى قاعدة تعرف الاشياء باضدادها يعرف تفاوت هذه الملكات عن الاخرى فليست بمرادفاتٍ.

توضيح ذلك: انّ التأنّى هو ملكة طلب الاشياء في اوانها و اثرها هو الكفّ و التّوقّف و الاحتياط. و ضدّها العجلة و هي ملكة طلب الاشياء في غير اوانها كما في مفردات الرّاغب، و اثرها هو استعمال الشّيئ في غير محلّه و اجتناء الفاكهة في غير اوانها.

و انّ ملكة الطّمأنينة تخلو النّفس عن الهمّ و الغمّ و الخوف، و اثرها النّشاط و تقوية الإرادة و....

و ضدّها ملكة الاضطراب الّتي توجب الهموم و الغموم و صاحبها يخاف من كلّ شيئ إلّا الله، و اثره الحزن و ضعف الإرادة و الانهيار العصبى.

و امّا السّكينة فهي ملكة تجعل النّفس كانّها جبل راسخ لا تحرّكها العواصف، و اثرها الوقار و السلطة على الاعصاب و ...

و ضدّها الهلع و يقال له بالفارسيّة «سبك سرى» و اثره الجزع و الفزع عند نزول مصيبة ما و المنوع عند حدوث نعمة ما.

قال تعالى: ﴿انّ الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسّه الشّرّ جزوعاً * و إذا مسّه الخير منوعاً﴾.[۱]

و امّا الثّبات فهو ملكة توجب الاحكام في الايمان و القلب، و اثره الاحكام بحسب

---

۱ ـ المعارج / ۱۹ ـ ۲۱.

الاعمال الّتي تكون في عرف القرآن بثبوت الاقدام.

قال تعالى: ﴿ان تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم﴾.[1]

و ضدّها هو التّذبذب الّذي ذمّه الذكر العزيز في آيات كثيرة، منها :

قوله تعالى: ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء﴾.[2]

و قوله تعالى: ﴿و من النّاس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأنّ به و ان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدّنيا و الاخرة ذلك هو الخسران المبين﴾.[3]

و قوله تعالى: ﴿انّ الّذين امنوا ثمّ كفروا ثمّ امنوا ثمّ كفروا ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم و لا ليهديهم سبيلاً﴾.[4]

و اثر هذه الملكة هو عدم استقرار صاحبها موقف واحد. كما قال تعالى: ﴿فان اصابه خير اطمأنّ به و ان اصابته فتنة انقلب على وجهه﴾.[5]

هذا ملخّص الكلام و على هذا نرى التباين الواقع بين هذه الكلمات. ثمّ انّا في هذه الفصول نقتفي أثر القوم في الفضائل و ما يرتبط بها و نخالفهم في الرذائل و ما يرجع إليها بمعنى ادماج البحث عن فضائل متعدّدة في بحثٍ واحدٍ ثمّ إفراد البحث عن كلّ رذيلةٍ في بابٍ خاصٍ.

١ـ محمّد / ٧.　　٢ـ النّساء / ١٤٣.　　٣ـ الحجّ / ١١.　　٤ـ النّساء / ١٣٧.

٥ـ الحجّ / ١١.

الرّذيلة السّادسة: العجلة

و هي ما يضادّ التّأنّي و معناها كما في المفردات: طلب الشّيء قبل اوانه. و غالباً تصاحب الحمق، بمعنى انّ ما يترتّب عليها من الاعمال يصدر من غير تفكّر و تعقلّ فلذا انّ القرآن نقل عمّن يرضى بالعاجلة من الاخرة انّهم قالوا: ﴿**لو كنّا نسمع او نعقل ما كنّا في اصحاب السعير**﴾.(١)

و انّها صفة مذمومة تترتّب عليها آثار مذمومة. و كلّ من الصّفة و ما تترتّب عليها من الاثار سمّيت بالعجلة، كما انّ لفظة العجلة كثيراً ما تستعمل في غير هذا المعنى و هو التّقدم اي العاجل مقابل الآجل، فهو ليس بمذموم كما في قوله تعالى: ﴿**فلا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه**﴾.(٢)

و قوله تعالى: ﴿**لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجّل لهم العذاب**﴾.(٣)

و قوله تعالى: ﴿**اتى أمر الله فلا تستعجلوه**﴾.(٤)

و قوله تعالى: ﴿**فانّ للّذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون**﴾.(٥)

---

١ ـ الملك / ١٠. ٢ ـ طه / ١١٤. ٣ ـ الكهف / ٥٨. ٤ ـ النّحل / ١.

٥ ـ الذّاريات / ٥٩.

و نظيرها في القرآن و الرّوايات و الاستعمالات كثير جدّاً.

و هذه الرّذيلة نظير الحسد و الكبر موجودة في غالب الافراد إلّا الاوحدى منهم و كانّ الإنسان عجين بها.

قال تعالى: ﴿**خلق الإنسان من عجل**﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿**و يدع الإنسان بالشّرّ دعائه بالخير و كان الإنسان عجولاً**﴾.[2]

و هذه الآية الشّريفة تدلّ على انّ العجلة تستجلب الشرّ، فكانّ الشّرّ خير للمستعجل فيطلبه، كما و قد تشير إلى انّ التعجيل في الأمر يوجب أن يذر الاخرة و ياخذ الدّنيا الدّنيّة.

قال تعالى: ﴿**كلّا بل تحبّون العاجلة * و تذرون الاخرة**﴾.[3]

و قال تعالى: ﴿**انّ هؤلاء يحبّون العاجلة و يذرون ورائهم يوماً ثقيلاً**﴾.[4]

و قال تعالى: ﴿**من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثمّ جعلنا له جهنّم يصليها مذموماً مدحوراً * و من اراد الاخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً * كلّاً نمدّ هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربّك و ما كان عطاء ربّك محظوراً**﴾.[5]

و في هذه الايات اشارة إلى انّ من يذر الاخرة و ياخذ الدّنيا يكون عجولاً، فلذا سميت الدّنيا فيها بالعاجلة.

و من المعلوم انّ من يتأنّى في الأمر و يطلب الشّيء في وقته لا يطلب لذّته في الدّنيا، لانّ متاعها قليل، بل ليس متاعها ازيد من ظاهر.

قال تعالى: ﴿**يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا و هم عن الاخرة هم غافلون**﴾.[6]

نعم من كان عجولا يرضى بالحيوة الدّنيا من الاخرة.

---

۱ ـ الانبياء / ۳۷. ۲ ـ الاسراء / ۱۱. ۳ ـ القيامة / ۲۰ و ۲۱. ٤ ـ الإنسان / ۲۷.

۵ ـ الاسراء / ۱۸ ـ ۲۰. ٦ ـ الرّوم / ۷.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الارض أرضيتم بالحيوة الدّنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدّنيا في الاخرة إلّا قليل﴾.[١]

و جملة القول ان العجول يذر مقام اللّقاء و لا يطلب الكمال و البقاء و يأخذ الفناء و يصرف عن ملك لا يبلى إلى دار الغرور و ملك لا يبقى، و يشتغل باللّذات الفانية عن اللّذات الباقية حتّى يخاطب يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿اذهبتم طيّباتكم في حيوتكم الدّنيا و استمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحقّ و بما كنتم تفسقون﴾.[٢]

و الحاصل انّ العجلة من تسويلات الشّيطان و انّها عنانه و لبئس العنان، فلذا روى: «انّه اوصى جنوده بان يأتوا بنى ادم من قبل العجلة».

المسارعة و المسابقة إلى الخيرات:

قد اشتهر انّ العجلة في الخيرات ليست بمذمومة، و قد استدّل بايات و روايات منها:

قوله تعالى: ﴿و سارعوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها السّموات و الارض اعدّت للمتّقين﴾.[٣]

و قوله تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾.[٤]

و عن الصّادق عليه السلام: «من همّ بشيئ من الخير فليعجّله، فانّ كلّ شيئ فيه تأخير فانّ للشّيطان فيه نظرة».[٥]

١ـ التّوبة / ٣٨. ٢ـ الاحقاف / ٢٠. ٣ـ آل عمران / ١٣٣. ٤ـ المائدة / ٤٨.

٥ـ اصول الكافي، ج ٢، باب تعجيل فعل الخير، ص ١٤٣، ح ٩.

و قوله رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم: «انّ الله يحبّ من الخير ما يعجّل».[1]

ولكن هذا خطأ واضحٌ، لانّ التّعجيل في أمور الخير هو عدم تأخيره عن وقته و عدم تفويت الفرصة، لا طلب الشّيئ في غير وقته و من غير تفكّر فيه حتّى يصير من مصاديق العجلة فيكون مذموماً. و رواية الصّادق عليه السلام المذكورة في الكافي الشّريف كالصّريح فيما ذكرنا.

فالعجلة مطلقاً مذمومة في الخير كانت او في الشّرّ، و كلّما زادت في شدّتها زادت في ذمّها. فالعجلة المذمومة في الخيرات نظير اقامة الصلوات قبل وقتها لا المسارعة إلى الخيرات. فالتسابق إلى الصّلوة في وقتها ممّا اكّد عليه في الاسلام غاية التأكيد، و ليست من العجلة المذمومة، بل انّها خير يقع في محلّه.

و الظّاهر انّ هذا الخطأ ناش من اللفظ، و قد مرّ في اوّل البحث. و انّ العجلة كثيراً ما تستعمل و يراد منها التّقدّم مقابل التّأخرّ، و ذلك المعنى ليس بمذموم و العجلة المذمومة غيره.

و ليس بينهما وحدة و لا اشتراك إلّا لفظاً.

و الحاصل انّ العجلة في امور الخير بمعنى ايقاع الخير في محلّه بلا تأخير خير، لانّه ربّما يندم عليه فيتركه، و ربّما ينسى و يأخذ الشّيطان نصيبه منه، و ربّما يمنعه مانع فيفوت عنه الفرصة. فلذا اكّد القرآن و الرّوايات على تعجيل الخيرات و عدم تأخيرها. و هي ليست بالعجلة المذمومة، لانّها كما مرّ تعريفها، هي طلب الشّيء في غير اوانه، فهي مذمومة ملكة كانت او عملاً، قولاً كانت او فعلاً حركة كانت او سكوناً.

---

١ ـ اصول الكافى، ج ٢، باب تعجيل فعل الخير، ص ١٤٢، ح ٤.

روايات في التّأنّي و العجلة

قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام: «العجل يوجب العثار».[١]

قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام: «الزّلل مع العجل».[٢]

من وصايا اميرالمؤمنين عليه‌السلام عند الوفاة: «انهاك عن التّسرّع في القول و الفعل».[٣]

قال الباقر عليه‌السلام: «انّما أهلك النّاس العجلة، ولو انّ النّاس تثبّتا لم يهلك احد».[٤]

قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام: «العجول مخطئ و ان ملك، المتأنّى مصيب و ان اهلك».[٥]

قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام: «اصاب متأنّ او كاد، اخطأ مستعجل او كاد».[٦]

قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام: «التأنّى في العقل يؤمن الخطل، التروّى في القول يؤمن الزلل».[٧]

قال الباقر عليه‌السلام: «إلاناة من الله و العجلة من الشيطان».[٨]

قال الصّادق عليه‌السلام: «مع التثّبت تكون السّلامة و مع العجلة تكون الندامة و من ابتدأ بعمل في غير وقته كان بلوغه في غير حينه».[٩]

---

١ ـ غرر الحكم.
٢ ـ غرر الحكم.
٣ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٣٩، ح ٥.
٤ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٤٠، ح ١٠.
٥ ـ غرر الحكم.
٦ ـ غرر الحكم.
٧ ـ غرر الحكم.
٨ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٤٠، ح ١٠.
٩ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٣٨، ح ٣.

من وصايا اميرالمؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «اخرّ الشرّ فانّك إذ شئت تعجّلته».[1]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «تأخير الشرّ افادة».[2]

من كتاب اميرالمؤمنين عليه السلام للأشتر لمّا ولّاه مصر: «و لا تعجلن إلى تصديق ساع، فانّ السّاعى غاشّ و ان تشبّه بالنّاصحين».[3]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «ن كمال الحلم تأخير العقوبة».[4]

قال الصّادق عليه السلام كان ابى يقول: «إذا هممت بخير فبادر، فانّك لا تدرى ما يحدث».[5]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «إذا عرض شيء من أمر الاخرة فابدأ به، و إذا عرض شيء من أمر الدّنيا فتأنّه حتّى تصيب رشدك فيه».[6]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «التؤدّة ممدوحة في كلّ شيء إلّا في فرص الخير».[7]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «التثّبت خير من العجلة إلّا في فرص البرّ، العجلة مذمومة في كلّ أمر إلّا فيما يدفع الشّرّ».[8]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «لا يستقيم قضاء الحوائج إلّا بثلاث: باستصغارها لتعظم، و باستكتامها لتظهر، و بتعجيلها لتهنؤ».[9]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «ايّاك و العجلة بالامور قبل اوانها، و التّساقط فيها عند زمانها».[10]

---

١ ـ نهج البلاغة كتاب ٣١. ٢ ـ غرر الحكم. ٣ ـ نهج البلاغة، كتاب ٥٣.

٤ ـ غرر الحكم. ٥ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ١٤٢، ح ٣.

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٢١٥، ح ١٦. ٧ ـ غرر الحكم. ٨ ـ غرر الحكم.

٩ ـ نهج البلاغة، حكم ١٠١. ١٠ ـ بحار الانوار، ج ٧٧، ص ٢٦٤.

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «من الخرق العجلة قبل الامكان و الأناة بعد الفرصة».[۱]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «لعجل قبل الامكان يوجب الغصّة».[۲]

من وصايا اميرالمؤمنين عليه السلام لمحمّد ابن أبي بكر لمّا ولّاه مصر: «صلّ الصّلوة لوقتها الموقّت لها و لا تُعجّل وقتها لفراغ، و لا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال».[۳]

و من خطبة له عليه السلام يؤمى فيها إلى الملاحم: «فلاتستعجلوا ما هو كائن مرسد، و لا تستبطئوا ما يجيء به الغد، فكم من مستعجل بما ان ادركه ودّ انّه لم يدركه».[٤]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ١٤.   ٢ ـ غرر الحكم.   ٣ ـ نهج البلاغة، كتاب ٢٧.

٤ ـ نهج البلاغة، خطبة ١٥٠.

الرّذيلة السّابعة: اضطراب الخاطر

هذه الرّذيلة بلاء عظيم و نار موقدة تطلع على الافئدة، فهي كفُلكٍ متلاطمٍ مشرفٍ على الغرق، فضربت عليها الهم و الغم المتضمنة للوحشة الشديدة. فلا محالة فاكهة تلك الافئدة ليست إلّا ضعف النّفس و انهيار الإرادة و عدم القدرة على التصميم و فوت القابليات و البدائع فحينئذ لا يكون صاحبها إلّا زايداً على مجتمعه، إذ لا نشاط له. هذا قليل من كثير اثار هذه الرّذيلة.

و طريق تهذيب النّفس عن هذه الرّذيلة و تزيينها بضدّها و هو اطمينان الخاطر، فقد مضت الاشارة إليه مفصّلاً فراجع و اعمل به. إلّا انّه لابدّ لنا من ان نذكر هنا دقيقة و هي انه يظهر من غير واحد من الايات ان هذه الرّذيلة تنبت في النفس تحت لواء الكفر و الفسق كما مرّ الكلام في فضيلة اطمئنان الخاطر من انها ليست إلّا تحت لواء الايمان و التقوى.

فتلك الايات لو سلم بانّها لا تدل على كون الايمان و التّقوى علة منحصرة للأطمينان و كذلك لا تدل على كون الكفر و الفسق علة منحصرة لاضطراب الخاطر إلّا ان دلالتها على كون الايمان و التّقوى علة في الجملة للطّمأنينة و على كون الكفر و الفسق علة كذلك لأضطراب الخاطر مما لا يمكن انكاره. توضيح ذلك: ان قوله تعالى: ﴿فايّ الفريقين احق

بالامن ان كنتم تعلمون * الّذين امنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن و هم مهتدون﴾.[١]

يدلّ بالمنطوق بوضوح على ان الطمأنينة و أمن القلب مرهونة للايمان و التّقوى كما يدلّ بالمفهوم على أنّ اضطراب الخاطر و عدم امنه مرهون للكفر و الفسق. و انكار هاتين الدّلالتين مكابرة.

نعم لا دلالة فيها على حصر العلّة في الايمان و التّقوى من ناحية و في الكفر و الفسق من ناحية أخرى.

و كذلك قوله تعالى: ﴿و من يشرك بالله فكانما خرّ من السماء فتخطّفه الطير او تهوى به الريح في مكان سحيق﴾[٢] دل بتشبيه المعقول على المحسوس على ان من خرّ من السماء فتخطّفه الطير او تهوى به الريح في مكان سحيق كيف غلب عليه الاضطراب و الوحشة، و كيف هجم عليه الحزن، و كيف دق ورق و استرق بحسب الجسم و الروح. فكذلك من كفر بالله العظيم او اشرك به او فسق.

و كذلك قوله تعالى: ﴿لا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحلّ قريباً من دارهم﴾.[٣] يدلّ بتشبيه المعقول على المحسوس على ان من يكفر بالله العظيم يعيش في اضطراب دائم، كمن تصيبه قارعة او تصيب تلك القارعة اقربائه على الدوام.

و كذلك قوله تعالى: ﴿لا يزال بنيانهم الّذي بنوا ريبة في قلوبهم إلّا ان تقطّع قلوبهم﴾.[٤] يدلّ بتشبيه المعقول على المحسوس على ان الظالم لنفسه او غيره يغلب عليه الرّيبة و الاضطراب حتّى يقطع قلبه كالباني أمره على ما لا أساس له. فكما انه دائماً في الاضطراب الّذي يقطع القلب فكذلك الكافر و الفاسق و الظالم. و كذلك قوله تعالى: ﴿و الّذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتّى إذا جائه لم يجده شيئاً و وجد

١ـ الانعام / ٨١ و ٨٢. ٢ـ الحجّ / ٣٢. ٣ـ الرّعد / ٣١. ٤ـ التّوبة / ١١٠.

الله عنده فوفيّه حسابه و الله سريع الحساب * او كظلمات في بحر لجّى يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا اخرج يده لم يكد يراها و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور﴾.[١] يدلّ بالتشبيه على ان الكافر حيوته و عيشه كسراب لا حقيقة له، فيموت شيئاً فشيئاً في حياته بينما أنّ الجاهلين يخيّلون انّه في راحة و ريحان.

و يدلّ على انه في ظلمة شديدة موحشة فهو كمن يسبح في بحر لجّى يغشيهُ موج من فوقه موج من فوقه سحاب فتغلب حينئذٍ عليه الظلمات، فكذلك الكافر بهجوم الظلمات و الوحشة عليه يصير حيارى سكارى فلا يدرك شيئاً و لا يهدى إلى طريق و لا يستطيع حيلة و لا يهتدى إلى سبيلٍ.

هذا التفسير بناءً على كون الاعمال في قوله تعالى: **﴿مثل الّذين كفروا اعمالهم﴾** بمعنى حيوتهم و عيشهم. و امّا لو كان بمعنى الطاعات فالمعنى انّ اعمال الكافر يوم القيامة كسرابٍ هباءٌ منثور موحشةٌ، فلادلالة إذاً للكريمة على ما نحن بصدده إلّا على القول بدلالتها على تجسّم الأعمال. بتقريب ان الاعمال يوم القيامة هي الاعمال في الدنيا، فمن كان حيوته و اعماله في الدنيا كسراب موحشة فهي في الاخرة ايضاً كذلك، قال تعالى: **﴿من كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى و اضل سبيلا﴾**[٢] ولكن الاظهر هو الّذي فسّرنا به الآية الشريفة.

---

١ ـ النّور / ٣٩ و ٤٠. ٢ ـ الاسراء / ٧٢.

الرّذيلة الثّامنة: الهلع

و هي ضدّ السكينة، و المراد بها عدم استقرار القلب عند تهاجم النقم او ظهور النعم. فالهلع يتلاطم قلبه عند وصول نقمة أو نعمة اليه، فتحرك العواصف و المشكلات قلبه، بل لعاصفةٍ مّا أو مصيبة صغيرة أن تكسر ظهره، و كذلك النغم، فبمجرّد وصول نعمة إليه ولو كانت صغيرة ينسى نفسه و ربّه و يغلب عليه الرّذائل كالكبر و سوء الخلق و العجب و ....

قال الله تعالى: ﴿انّ الإنسان خلق هلوعاً * فاذا مسّه الشّر جزوعاً * و إذا مسه الخير منوعاً﴾.[1]

وقال تعالى ﴿فأمّا الإنسان إذا ما ابتلاه ربّه فأكرمه و نعّمه فيقول ربّي أكرمن * و أمّا إذا ما ابتليٰه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلّا﴾.[2]

و جملة القول ان الهلع ضدّ السكينه، فهي ملكة تمنع صاحبها عن السكون، بالجزع و الفزع و لغلغة اللسان و عيّه و اضطراب البدن و تغيير لون الوجه. فهذه الافعال كلها اثار الهلع فيضادّ الوقار. نعم قد تكون من اثار الخوف ايضاً فهو يضادّ الشجاعة او يناقضها

---

١ ـ المعارج / ١٩ ـ ٢١.　　٢ ـ الفجر / ١٧ ـ ١٥.

فتأمل.

قال تعالى: ﴿فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالّذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنةٍ حداد﴾.[۱]

و قال تعالى: ﴿فاذا انزلت سورة محكمة و ذكر فيها القتال رأيت الّذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشّى عليه من الموت فاولى لهم﴾.[۲]

و قال تعالى: ﴿و إذا رأيتهم تعجبك اجسامهم و ان يقولوا تسمع لقولهم كانّهم خشب مسنّدة يحسبون كلّ صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انّى يؤفكون﴾.[۳]

فلو لم تكن لهذه الرّذيلة إلّا قوله تعالى ﴿فاولى لهم﴾ و قوله تعالى: ﴿قاتلهم الله﴾ لكفاك ان تزيل هذه الرّذيلة عن نفسك بالمجاهدات المشروعة و التضرع إلى الله تعالى و الدعاء و التوسّل حتّى يرفعه الله تعالى و يزينّه بملكة السّكينة و الوقار.

۱ـ الاحزاب / ۱۹. ۲ـ محمّد / ۲۰. ۳ـ المنافقون / ٤.

الرّذيلة التّاسعة: المزلّة و التذبذب

و هي رذيلة مشؤومة توجب القلق الدائم والخيالات الواهية و الشكوك الواهية في جميع الأمور و صاحبها دائماً في حالة التردّد حتّى في الا عتقادات، و الذكر الحكيم انبأ عن ترتّب خسران الدّارين عليها.

قال الله تعالى: ﴿و من النّاس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به و ان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا و الاخرة ذلك هو الخسران المبين﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿ان الّذين امنوا ثمّ كفروا ثمّ امنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم و لا ليهديهم سبيلاً﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء﴾.[3]

و من المؤسّف عليه جداً أنّ كثيراً من النّاس يعدّون من مصاديق هذه الايات الشريفه و السبب في ذلك ان من لا يكون عالماً و لا متعلماً يكون همجاً و يميل إلى كلّ شيء مال إليه المجتمع و يذهب إلى كلّ طريق يترسم له حقاً كان او باطلاً.

---

١ ـ الحجّ / ١١.　　٢ ـ النّساء / ١٣٧.　　٣ ـ النّساء / ١٤٣.

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «النّاس ثلاثه: اما عالم او متعلم او همج».[1]

بل القرآن في آيات كثيرة يقول: ﴿اكثرهم لا يعلمون﴾، ﴿اكثرهم لا يعقلون﴾ و السبب في ذلك ايضاً ان من لم يستقر الايمان في قلبه يكون مذبذباً. فوصفهم التنزيل المبارك بقوله معيداً إيّاه: ﴿اكثرهم لا يؤمنون﴾، ﴿اكثرهم لا يشكرون﴾.

و قال تعالى: ﴿قالت الاعراب امنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا و لما يدخل الايمان في قلوبكم﴾.[2]

و جملة القول فيها ان هذه الرّذيلة محكّمةٌ على اكثر الناس، بل الإنسان بطبعه يكون مذبذباً.

قال تعالى: ﴿و إذ انعمنا على الإنسان اعرض و نابجانبه و إذا مسّه الشركان يؤساً﴾.[3]

كما انه بطبعه كان هلوعاً.

قال تعالى: ﴿ان الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسه الشّر جزوعاً * و إذا مسّه الخير منوعاً﴾.[4]

فازالة هذه الرّذيلة تحتاج إلى العلم و العمل و المجاهدة حتّى ترفع و تقلع عن النفس و بعد ذلك تثبت فيها فضيلة الثبات في النظر.

قال تعالى: ﴿ان تنصر الله ينصركم و يثبّت اقدامكم﴾.[5]

اقسام التذبذب و الثبات:

هذه القسمة باعتبار المتعلق، و إلّا فنفس هذه الرّذيلة كضدها و هي الثبات من باب

---

١ ـ نهج البلاغة، قصار الحكم، ١٤٧. ٢ ـ الحجرات / ١٤. ٣ ـ الاسراء / ٨٣.

٤ ـ المعارج / ١٩ ـ ٢١. ٥ ـ محمّد / ٧.

التشكيك، فلها مراتب شدة و ضعفاً و ليس لها اقسام.

الف ـ التذبذب في الدين، و معلوم ان هذا من اضرّ الأقسام بالمذبذب و أقبحها، لأنه ينزّل صاحبه إلى حدّ الكفر و عدم التّوفيق للتوبة.

قال تعالى: ﴿انّ الّذين امنوا ثمّ كفروا ثمّ امنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم و لا ليهديهم سبيلاً﴾.[١]

و ذلك التذبذب يوجب التلاعب بالدين و التبعّض فيما يقبله منه و ما لا يقبله.

قال تعالى: ﴿و قال الّذين لا يرجون لقائنا ائت بقران غير هذا او بدّله﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و يقولون نؤمن ببعض و نكفر ببعض و يريدون ان يتّخذوا بين ذلك سبيلاً﴾.[٣]

ب ـ التذبذب في أمورهم الراجعة إلى الشرع و الدّار الاخرة، فليس لهم استقامة فيها و لا عزم، بل يكون ارادتهم في غاية الضعف فيقدّمون رِجلاً و يؤخّرون أخرى، فهم دائماً في الطريق من غير الوصول إلى المقصود. اذ يتذبذبون بين الإقبال و الإدبار من غير التوسط في الأمور فلاتوفيق لهم ولانجاح في معايشهم. فيمثّلون قوله تعالى: ﴿خسر الدنيا و الاخرة ذلك هو الخسران المبين﴾.[٤]

و هذا هو السرّ في وصيّة الذكر الحكيم المؤمنين أوّلاً بالثبات و اخذ كلّ شيء بقوّة و بالاستقامة، قال تعالى: ﴿خذو ما اتيناكم بقوّة﴾[٥] و قال تعالى: ﴿فأستقم كما امرت و من تاب معك﴾.[٦]

و ثانياً بأن خير الدارين مرتّبٌ على الاستقامة. قال تعالى: ﴿انّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزل عليهم الملائكة إلّا تخافوا و لا تحزنوا و ابشروا بالجنّة الّتي كنتم

١ـ النّساء / ١٣٧. ٢ـ يونس / ١٥. ٣ـ النّساء / ١٥٠. ٤ـ الحجّ / ١١.

٥ـ البقرة / ٩٣. ٦ـ هود / ١١٢.

توعدون * نحن اوليائكم في الحيوة الدنيا و في الاخرة﴾.[١]

قال تعالى: ﴿انّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و ان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾.[٣]

ج ـ التذبذب في العهود و الأيمان و في الصداقة و الرفقة حتّى في النكاح. إذ نقض العهود و المواثيق ينشأ من هذه الرّذيلة، فيتبدّل الرفقة بالعداوة و الزواج بالطلاق و الظفر في المحاربات بالانكسار و الهزم فيها.

فاياك ثمّ ايّاك و التذبذب في أمر آخرتك و دنياك. و الذكر الحكيم شبّه المذبذب في الامر بشيخةٍ غزلت اولاً ثمّ نقضها تقبيحاً لهذه الصفة المذمومة و للمتّصف بها.

قال تعالى: ﴿و لا تكونوا كالّتي نقضت غزلها من بعد قوّة انكاثاً﴾.[٤]

فالمذبذب لا ثبات له، فيعتصم يوماً بحبل الرحمن جلّ و علا و يوماً آخر بحبل الشيطان، و ذلك باتيانه عملاً تارةً و تركه تارةً اخرى.

قال تعالى: ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء﴾.[٥]

فليس من ابناء الدنيا و لا من ابناء الاخرة فيخسرهما و ذلك هو الخسران المبين.

---

١ ـ فصّلت / ٣٠ و ٣١. ٢ ـ الاحقاف / ١٣. ٣ ـ الجنّ / ١٦. ٤ ـ النّحل / ٩٢.

٥ ـ النّساء / ١٤٣.

الفصل العاشر

الفضيلة العاشرة: حسن الظّنّ

الرّذيلة العاشرة: سوء الظّنّ و الوسوسة الفكريّة

الفضيلة العاشرة: حُسن الظّنّ

هذه الفضيلة ملكة تنشأ من سلامة النّفس و نزاهتها، لأن القلب السليم لا يخطر فيه من اعمال الصالحين إلّا خيراً، بل من عملٍ يُحمَل على الخير ولو صدر عن غيرهم، ضرورة ان الطيب لا يخرج عنه إلّا الطيب كما ان الخبيث لا يخرج عنه إلّا الخبيث.

قال الله تعالى: ﴿و البلد الطيب يخرج نباته باذن ربّه و الّذي خبث لا يخرج إلّا نكداً﴾.[1]

فمن حصّلت له هذه الملكة لا يرى إلّا خيراً، فليس احتمال الخلاف عنده مفقوداً، أو مغفولا عنه. و لذلك قد استعمل الذكر الحكيم الظنّ و مشتقّاته بدل العلم فيما كان احتمال الخلاف فيه مغفولاً عنه.

قال تعالى: ﴿حتّى إذ استيأس الرسل و ظنّوا انهم قد كذبوا﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿و ظنوا ان لا ملجأ من الله إلّا اليه﴾.[3]

و جملة القول انّ من كانت له ملكة حسن الظّنّ لا يرى في عالم الوجود إلّا حسناً فضلاً في المؤمنين، قال تعالى: ﴿الاذي حسن كلّ شيء خلقه﴾.[4]

---

١ ـ الاعراف / ٥٨.　٢ ـ يوسف / ١١٠.　٣ ـ التّوبة / ١١٨.　٤ ـ السّجدة / ٧.

و قال تعالى: ﴿الّذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون في خلق السموات و الارض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النّار﴾.[١]

ولله درّ من أنشد بالفارسيّة:

به جهان خرّم از آنم كه جهان خرّم از اوست
عاشقم بر همه عالم كه همه عالم از اوست
به ارادت بخورم زهر كه شاهد ساقى است
به ارادت بكشم درد كه درمان هم از اوست

اقسام حسن الظن:

حسن الظّنّ و ان كان من باب التشكيك فليس له اقسام إلّا انه با عتبار المتعلق ينقسم إلى أقسام:

الف ـ حسن الظّنّ بالله العظيم، و هو من أفضل مراتبه و قد رغب إليه في الوحي و الحديث و قد مرّ الكلام عنه في البحث عن الرجاء كما روينا هناك بعض الايات و الرّوايات الرّاجعة إليه فراجع، و سيأتي نقل بعض الرّوايات تأكيداً و ترغيباً.

و قلنا هنا انه يكفي للالتفات إلى ذلك ان الله تعالى خلق موسى عليه السلام خارقاً للعادة، ثمّ جعله في بيت عدوه و ربّاه هناك.

قال تعالى: ﴿و القيت عليك محبّة منى و لتصنع على عينى﴾.[٢]

ثمّ أرسله إلى شعيب عليه السلام ليعلّم عنه ما يحتاج إليه.

قال تعالى: ﴿فلبث سنين في اهل مدين﴾.[٣]

ثمّ بعثه رسولاً و اعطاه معجزات باهرة.

---

١ ـ آل عمران / ١٩١. ٢ ـ طه / ٣٩. ٣ ـ طه / ٤٠.

قال تعالى: ﴿و انا اخترتك فاستمع لما يوحى .... قال القها يا موسى فالقيها فاذاً هي حيّةٌ تسعىٰ .... و اضمم يديك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى﴾.(١)

ثمّ امره اولا بالذهاب إلى عدوّه الاذي دّعى الربوبية، و اوصاه ان يتلطف به ليعلم انه يريد ان يرجع و يتذكر و يخشى و ذلك لهدايته و صلاحه.

قال تعالى: ﴿اذهبا إلى فرعون انه طغى * فقولا له قولاً ليّناً لعله يتذكر او يخشى﴾.(٢)

و أهمّ من ذلك كله ان الله تعالى انزل كلمتيه التشريعيّة و هي القرآن، و التكوينيّة و هي الرّسول صلّی الله علیه و آله و سلّم و عترته الطاهرة علیهم السّلام من الأفق الأعلى إلى أدنى مراتب الوجود، و هو هذه الدنيا الدنيّة تحت حجب النور و الظلمة من الكرسى إلى العرش، و من العرش إلى القلم، و منه إلى اللوح، و منه إلى السموات السبع و الارضين السبع، فبذلك الحجب مكّن الإنسان من ان يدركهما بعض الادراك، و لم يكن ذلك كله إلّا لهداية الانسان.

قال تعالى: ﴿شهر رمضان الاذي نّزل فيه القران هدىً للنّاس و بيّنات من الهدى و الفرقان﴾.(٣)

و قال تعالى: ﴿و ما ارسلناك إلّا كافّة للنّاس بشيراً و نذيراً﴾.(٤)

و قال رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم: «انّی تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى».(٥)

هذا مع ان الله علم ان النّاس سيقتلونهم صبراً و زجراً و يهجرون القرآن هجراً ولكن مع ذلك كلّه حبّاً لهم قد أنزل الكتاب إليهم كما أرسل الرسول لهدايتهم.

قال تعالى: ﴿يا ربّ ان قومى اتخذوا هذا القران مهجوراً﴾.(٦)

١ـ طه / ١٣ـ٢٣. ٢ـ طه / ٤٣ و ٤٤. ٣ـ البقرة / ١٨٥. ٤ـ النّبا / ٢٨.

٥ـ بحار الانوار، ج ٣٧، ص ١١٤، باب ٥٢، ح ٥. ٦ـ الفرقان / ٣٠.

و قال رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم: «ما اوذی نبیّ مثل ما اوذیت».[1]

هذا شطر من رحمة الله تعالی علی عباده، فما ظنك بعد ذلك بربّ العالمین و ما ظنك با رحم الراحمین.

روایات في حسن الظنّ بالله

عن الرضا علیه السلام: «احسن الظّنّ بالله، فانّ الله عزّوجلّ یقول: أنا عند حسن ظنّ عبدی المؤمن بی ان خیراً فخیراً و ان شراً فشراً».[2]

عن أبي عبدالله علیه السلام: «حسن الظّنّ بالله ان لا ترجو إلّا الله و لا تخاف إلّا ذنبك».[3]

قال الصّادق علیه السلام انه قال: «و الله ما اعطی مؤمن قطّ خیر الدّنیا و الاخرة إلّا بحسن ظنّه بالله جلّ و عزّ و رجائه منه، و حسن خلقه، و الکفّ عن اعتباب المؤمنین، و أیم الله یعذّب الله مؤمناً بعد التّوبة و الاستغفار إلّا بسوء الظّنّ بالله و تقصیره من رجائه لله».[4]

و عن أبي جعفر علیه السلام قال: وجدنا في كتاب عليّ بن أبي طالب علیه السلام انّ رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم قال و هو علی منبره: و الله الّذي لا اله إلّا هو ما اعطی مؤمن خیر الدّنیا و الاخرة إلّا بحسن ظنّه بالله و رجائه، و حسن خلقه، و الكفّ عن اغتیاب المؤمنین.

و الله الّذي لا اله إلّا هو لا یعذّب الله مؤمنا بعد التّوبة و الاستغفار إلّا بسوء ظنه بالله و تقصیر من رجائه بالله، و سوء خلقه، و اغتیابه للمؤمنین.

و الله ال+ذي لا اله إلّا هو لا یحسن ظنّ عبد مؤمن بالله كان الله عند ظنّ عبده المؤمن به، لانّ الله كریم بیده الخیرات، یستحی ان یكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ و الرّجاء ثمّ یخلف ظنّه و رجاءه له، فاحسنوا بالله الظّنّ و ارغبوا الیه.

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٦٦، ح ١٥.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٦٦، ح ١٥.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٦٧، ح ١٦.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٨٤، ح ٣٩.

و قال عليه السلام: ليس من عبد ظنّ به خيراً إلّا كان عند ظنّه به و ذلك قوله عزّوجلّ ﴿ذلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرديكم فاصبحتم من الخاسرين﴾.

عنه عليه السلام قال، قال داود النّبيّ عليه السلام: «يا ربّ ما امن بك من عرفك فلم يحسن الظّنّ بك».(۱)

عن أبي جعفر عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال الله عزّوجلّ لا يتّكل العاملون على اعمالهم الّتي يعملون بها لثوابي، فانّهم لو اجتهدوا و أتعبوا انفسهم اعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي، فيما يطلبون من كرامتي و النعيم في جنّاتي و رفيع الدّرجات العلى في جواري، ولكن برحمتي فيثقوا و فضلي فيرجوا، و إلى حسن الظّنّ بي فليطمئنّوا، فانّ رحمتي عند ذلك تدركهم و بمنّي ابلّغهم رضواني و البسهم عفوي، فانّي انا الله الرّحمن الرّحيم بذلك تسمّيت».(۲)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يموتنّ احدكم حتّى يحسن ظنّه بالله عزّوجلّ، فانّ حسن الظّنّ عزّوجلّ ثمن الجنّة».(۳)

من كتاب اميرالمؤمنين عليه السلام للاشتر: «انّ البخل و الجور و الحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظّنّ بالله كنونها في الاشرار».(٤)

و في نهج البلاغة: انّ البخل و الجبن و الحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظّنّ بالله».(٥)

ب ـ حسن الظنّ بالتكوين و التشريع أي: حسن الظنّ بما سواه تعالى. هذه الحالة توجب السرور الدائم و الرضىٰ منه تعالى و مما يصيبه في الدّنيا فالعيش له هنيء و هو عنه تعالى راض.

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۳۹٤، ح ٦٤.

۲ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۳۸٥، ح ٤٥.

۳ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۳۸٥، ح ٤٦.

٤ ـ بحار الانوار، ج ۷۷، ص ۲٤۳، باب ۱۰، ح ۱.

٥ ـ نهج البلاغة، كتاب ٥۳.

و في الادعية عن بعضهم عليه السلام: «اللّهم انی اسئلك ايمانا تباشر به قلبی و يقيناً حتّى اعلم انه لن يصيبني إلّا ما كتبت لي و رضّني من العيش بما قسمت لي يا ارحم الراحمين».[١]

بل في الكافي روى ان هذاالدعاء من ودائع الانبياء.

و هذه الحالة توجب ان يرى نظام الخلق اتم و احسن و اجمل و لا يرى فيه نقصاً و لا عيباً و لا قبحاً، فلا يرى شيئاً غير موزون. فلو رآه ينشد قول الحكيم ولله درّه:

ما ليس موزوناً لبعض من نغم ففي نظام الكون كلّ منتظم[٢]

و يتشبث بقوله تعالى: ﴿و ان من شيء إلّا عندنا خزائنه و ما ننزّله إلّا بقدر معلوم﴾.[٣]

و قوله تعالى: ﴿انا كلّ شيء خلقناه بقدر﴾.[٤]

و قوله تعالى: ﴿انزل من السّماء ماءً فسالت اودية بقدرها﴾[٥] و يقول انّ ما يشاهد من السّيئة فهو من نفسي لا غيرى فلا من الله و لا من عالم الخلقة.

و قال تعالى: ﴿ما اصابك من حسنة فمن الله و ما اصابك من سيّئة فمن نفسك﴾.[٦]

و هذه الحالة توجب ان يرى البلايا و المصائب من الالطاف الخفيّة فيقول: قال الله تعالى: ﴿و لنبلوّنكم بشيءٍ من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات و بشّر الصابرين الّذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله و انا إليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربّهم و رحمة و اولئك هم المهتدون﴾.[٧]

و هذه الحالة توجب ان يرى اليسر مرهون العسر فلا يتوانىٰ عند ظهور المشاكل، بل يتلو قوله تعالى: ﴿فان مع العسر يسراً * ان مع العسر يسراً﴾.[٨]

---

١ ـ آخر دعا ابی حمزة الثمالي. ٢ ـ المنظومة للحكيم السبزواری، ص ١٢٣.

٣ ـ الحجر / ٢١. ٤ ـ القمر / ٤٩. ٥ ـ الرّعد / ١٧. ٦ ـ النّساء / ٧٩.

٧ ـ البقرة / ١٥٥. ٨ ـ الانشراح / ٦ ـ ٥.

و توجب ان يدرك ان وجوده ليس عبثاً و لا باطلاً، قال تعالى: ﴿أفحسبتم انّما خلقناكم عبثاً و انّكم الينا لا ترجعون﴾.[١] و ان خلقه لم يكن إلّا للوصول إلى الكمالات غير المتناهية و على مصطلح علم الأخلاق للوصول إلى اللقاء و مراتبه اللايتناهى، قال تعالى: ﴿يا ايّها الإنسان انّك كادح إلى ربّك كدحاً فملاقيه﴾.[٢] هذا نموذج من التكوين و كذلك في التشريع لان هذه الحالة توجب ان لا يرى الدين إلّا مسعدةً له، قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر او انثى و هو مؤمن فلنحيينّه حيوة طيّبة و لنجزينّهم باحسن ما كانوا يعملون﴾.[٣]

فيدرك انّ الرسول رحمة و قرآنه نورٌ و هداية، قال: ﴿و ما ارسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿قد جائكم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام و يخرجهم من الظّلمات إلى النّور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم﴾.[٥]

و توجب ان لا يرى كلفة و مشقة في التشريع و ان كانت نفس التكليف ذات مشقة و كلفة فلذا سميت العبادات و اجتناب المحرمات بل المكروهات تكاليف و السّرّ في ذلك انه ينظرالتكاليف بنظرة ايجابيّة فيعتقد ان الطاعة فوز عظيم و توفيق منه تعالى و يؤمن ان التشريع ان هو إلّا لطف منه تعالى، فيسهل له كلّ صعب و يتيّسر له كلّ عسر. فيلتفت إلى ان التشريع لم يكن إلّا لطفاً منه تعالى و لا اقل من انه يتوجه إلى أجره الاخروى، فيسرّ له كلّ عسيرٍ. بداهة ان الاجراء إذا توجّهوا إلى اجورهم لايكون العمل لهم إلّا سعادة. هذه حال الاجراء.

و اما العارفون فالطاعة لهم الذّ من كلّ لذيذ فحسن ظنّهم خارج عن إطار البحث

١ـ المؤمنون / ١١٥. ٢ـ الانشقاق / ٦. ٣ـ النحل / ٩٧. ٤ـ الانبياء / ١٠٧.
٥ـ المائدة / ١٦.

رزقنا الله تعالى قطرة من ذلك البحر.

ج ـ حسن الظّنّ بنفسه. و هذا ايضاً من المواهب العظيمة لأن التقدم و التعالى لا يحصل إلّا بذلك.

توضيح ذلك: ان الإنسان اعجوبة الدهر، خليفة الله، مسجود الملائكة، امين الله، وروحه و ... فبذلك الامتياز له ان يصل إلى ما لا يمكن ان يوصف بل لا تعلم نفس ما اخفى له من قرة اعين. فحيئذ حسن الظّنّ بنفسه و علمه بذلك و رجاؤه امكان الوصول إلى الدرجات العلى يحثّه على العمل حتّى يصل إلى ما شاء بل إلى ما لا يتصوّره من المراتب العالية.

و الحاصل ان هذا القسم من حسن الظّنّ يوجب الكمال و لا يصل الإنسان إليه إلّا بهذا القسم منه.

فاذا كان له هذا القسم من حسن الظّنّ لا يقول لا اقدر و لا يمكن لي، بل يقول لو شئت و ليمكن. فبحسن ظنّه هذا يتمكّن من تسخير الملك و الملكوت.

قال تعالى: **﴿الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا و لا تحزنوا و ابشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون نحن اوليائكم في الحيوة الدنيا و في الاخرة﴾**.[۱]

و قال تعالى: **﴿الم تروا ان الله سخّر لكم ما في السّموات و ما في الارض و اسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة﴾**.[۲]

د ـ حسن الظّنّ بالنّاس و هذا القسم هو الاذي اهتم الاسلام به و اوصى مؤكّداً به في علمي الأخلاق و الفقه و اتفق الاصحاب على وجوب ذلك، كما و قد صنّف كثير من الفقهاء كتبا و رسائل في ذلك. و هذا هو المسمّى في الفقه باصالة الصّحة في فعل الغير. و معناها انه

---

۱ ـ فصّلت / ۳۰.　　　۲ ـ لقمان / ۲۰.

إذا سمعت قولا او رايت عملاً من اخيك المسلم او من اختك المسلمة و احتملت فيهما الفساد، فيجب عليك ان تلغى ذلك الاحتمال و ان تضعه على الحسن، و يجب عليك ان تجعل لقولهما او فعلهما محملاً بل محامل، حيث روى: يجب ان يجعل لفعلهما سبعون محملاً.[1] فلو لم تقدر على ان تضعه على الوجه الحسن فلا تلومنّ إلّا نفسك، لانّه يكشف عن ضعفك في اتّصافك بهذه الملكة. و ملخّص القول ان ذلك من الواجبات المؤكّدة و تدل على وجوب ذلك الادلّة الاربعة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون و المؤمنات بانفسهم خيراً و قالوا هذا افك مبين﴾.[2]

و من الرّوايات قول اميرالمؤمنين عليه‌السلام: «ضع أمر اخيك على أحسنه حتّى يأتيك منه ما يغلبك، و لا تظننّ بكلمة خرجت من اخيك سوءً و انت تجد لها في الخير محملاً».[3]

و امّا العقل فادراك العقل و الفطرة السليمة حسن هذه الملكة مما لا اشكال فيه كما ان ادراكهما قبح ضدها و هو ملكة سوء الظّنّ واضحُ كذلك.

فحينئذٍ يمكن أن يقال: إنّ مثل الآية و الروايات المذكورة ليس إلّا ارشاداً إلى حكم العقل و تاكيداً له كما في سائر الفضائل و الرّذائل.

و امّا الاجماع فقد مرّ انّ الفقهاء و علماء الأخلاق اتّفقوا على وجوب حمل فعل المؤمن على الصحيح و على حرمة حمله على القبيح و سيأتي زيادة توضيح لذلك ان شاء الله تعالى.

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٩٦، باب ٦٢، ح ١٢.

٢ ـ النّور / ١٢.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٩٦، باب ٦٢، ح ١١.

الرّذيلة العاشرة: سوء الظّنّ و الوسوسة الفكريّة

هذه الرّذيلة تنشأ من خبث الباطن، فصاحبها كمن يضع على عينيه نظارات سوداء فيرى الكون من منظر اسود و هو الّذي ذكره التنزيل العزيز في معرض الهلاک، قال الله تعالى: ﴿و ظننتم ظن السّوء و كنتم قوماً بوراً﴾.[1]

فهو لا يرى الاقوال و الافعال الاسيّئة حتّى الاقوال و الافعال التيّ لا جهة لها إلّا جهة الحسن. فهو كما لا يحمل ما يكون ذاوجهين من الحسن و القبح على الحسن و لا يلغي و لا يغفل عن جهة السوء، كذلك لا يجعل الحسن حسنا بل يلبّسه لباساً قبيحاً و يلفّق لذلك جهة قبحٍ.

و ربّما تترتب عليها آثار تنتهى إلى الكفر و القتل و الانتحار و .... لانّ سوء الظّنّ بالله العظيم كثيراً ما ينتهى إلى الكفر، و سوء الظّنّ بالنّاس كثيراً ما يؤدىّ إلى التّفسيق بل إلى الحكم بوجوب قتلهم، و سوء الظّنّ بالخلقة كثيراً ما ينتهى إلى الانتحار و لا اقل من البطل و الكسل و الانغزال حتّى يكون الإنسان كأنّه عضواً زائداً بل عضواً فلجاً للمجتمع و سوء الظّنّ بنفسه ينتهى إلى اليأس الّذي تترتب عليه مفاسد. و سيأتي زيادة توضيح لذلك كله

---

١ ـ الفتح / ١٢.

ان شاء الله.

و ملخّص القول ان هذه الرّذيلة ضدّ حسن الظّنّ، فكما ان المتّصف بحسن الظّنّ يغفل عن السّوء فكذلك من له سوء الظّنّ يغفل عن جهة الحسن في الأعمال. فلا يرى إلّا سوءً و لا يقدر على ان يضع الاقوال و الافعال على محملٍ حسنٍ. فله سوء الظّنّ حتّى بالنسبة إلى نفسه فضلا عن غيره و إلى الله تعالى فضلاً عن غيره تعالى. و هوداء عظيم يتزايد يوما فيوماً بل آناً فآناً.

و السر في ذلك انه ينشأ من تسلط قوة الخيال عليه، و ان شئت قلت من استخدام الشّيطان تلك القوة لا ضلاله و اسقاطه إلى الدرك الأسفل من الخسران في الدارين. فكلما يتابع تلك القوّة و ان شئت قلت الشّيطان يستحكم التسلط عليه حتّى تؤثّر على اعضائه فيرى و يسمع ما لا واقع له و ....

و قد اشتهر بين علماء معرفة النفس، انه داء لادواء له، فهو سرطان الروح يميت روح الإنسان كما ان السرطان يميت جسده ولكنه ليس بسديد، لانه و ان كان داء عظيم ولكن دوائه في غاية السهولة و هو عدم الاعتناء به، و التلقين و البناء على ضده، و هو حسن الظّنّ و عدم ترتيب الاثر عليه اصلا، بل ترتيب اثر الضد. فبمرور الزمان قطعا يقلع عرق تلك المادّة الخبيثة. و سيأتي زيادة توضيح لذلك في البحث عن اقسام هذه الرّذيلة ان شاء الله.

و علينا ان ننبّه صاحب هذه الرّذيلة على ان الشّيطان يوسوسه أنّ هذه الرّذيلة مستمرة البقاء لا علاج لها. مع ان التجربة تثبت انها داء له الدواء و دوائها سهل المؤنة و هو مخالفة هذه الرّذيلة و كسر أنف الشّيطان بتلك المخالفة.

نعم مخالفة الهوى سيما هذه الهوى يعدّ من الجهاد الأكبر صعوبة و لكنّها ممكنةٌ للانسان لو انضمّ إليها التبتّل إلى الله تعالى بالدّعاء و باسمائه الحسنى و هم اهل البيت عليهم السلام، و اعادة كلمة: ﴿لا حول و لا قوة إلّا بالله العظيم﴾ مؤثرة في ذلك.

اقسام سوء الظّنّ و الوسوسة الفكريّة:

لهذه الرّذيلة كضدها و هو حسن الظّنّ اقسام:

الف ـ سوء الظّنّ بالله تعالى و هو اردء الاقسام و قد رُتّب عليه في الذكر الحكيم عذاب شديد و جُعل الاتصاف به من صفات المنافقين و المشركين و الجاهلين. ثمّ رُتّب عليه غضب الله تعالى و لعنه قال تعالى: ﴿و يعذّب المنافقين و المنافقات و المشركين و المشركات الظّانين باللّه ظنّ السوء عليهم دائرة السوء و غضب الله عليهم و لعنهم و اعدّ لهم جهنم وسائت مصيراً﴾[۱]. و باقتران هذه الآية الشريفة يفهم معنى الّتي قبلها ان المؤمنين الّذين يظنّون بالله الظن الحسن مضافاً إلى وصولهم إلى المقصود، لهم ثوابٌ عظيمٌ.

قال تعالى: ﴿هو الاذي نّزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم و لله جنود السّموات و الارض و كان الله عليماً حكمياً ليدخل المؤمنين و المؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها و يكفّر عنهم سيّئاتهم و كان ذلك عند الله فوزاً عظيماً﴾.[۲]

و قال تعالى: ﴿يظنّون بالله غير الحق ظنّ الجاهلية﴾.[۳]

و هذا القسم من سوء الظنّ مضافاً إلى ان يسلب من الإنسان سناده، و معلوم ان من لا سناد له في الدنيا سيا عند المصائب و المشاكل ليهلك و يغلب عليه المصائب و تحطّمه في غالب الأحيان يسوقه إلى الكفر و الشّك في عدل الله تعالى و رحمته و عناياته فلا محالة ينتهی انكار ذاته، تعالى الله عما يقول الظالمون.

ب ـ سوء الظّنّ بالخلقة، لأن من غلبت عليه هذه الرّذيلة يرى عالم الكون الّذي هو مظهر الرحمة و على مصطلح الفلاسفة هو كن الرحمانيّة، شوماً. فهو من اصحاب المشئمة

---

۱ ـ الفتح / ٦.　　۲ ـ الفتح / ٥.　　۳ ـ آل عمران / ١٥٤.

فلذا يرى العالم منبعثاً من المشئمة. فكثيراً ما يُعرب عمّا في ضميره في شعرٍ او نثرٍ كما قال:

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه　　و جاهل جاهل تلقاه مـرزوقاً

هذا الّذي ترك الاوهام حائرة　　و صيّر العالم النحرير زنديقاً

و قال بالفارسية:

اگـر دسـتم رسـد بـر چـرخ گـردون　　از او پرسم كه اين چون است و آن چون

يكـى را دادهاى صـد نـاز و نـعمت　　يكـى را نـان جـو آغشـته بـا خـون

و قال ايضاً بالفارسية:

گر بر فـلكم دست بـدى چـون يـزدان　　بـرداشـتمى مـن ايـن فـلك را ز مـيان

وز نـو فـلكى دگـر چـنان سـاختمى　　كـازاده بـه كـام خـود رسـيدى آسـان

و نظير هذه الأشعار نظماً و نثراً في كلمات أهل الرذيلة كثير حتّى نقل ان ابا العلاء المعرّي اوصى ان يكتب على قبره:

هـذا جـناة أبـي عـليّ　　و ما جنيتُ عـلى أحـد

و انت ترى ان هذه كلها لو لم تكن بشرك و كفر جلّي فلا اقل من كونها من الشرك و الكفر الخفي، و انت تعرف خسران صاحب هذه الرّذيلة حق المعرفة إذا تأمّلت في مثل قول القائل بالفارسية:

جهان چون چشم و خدّ و خال و ابروست　　كه هر چيزش به جاى خويش نيكو است

و في مثل قوله بالفارسية:

از دست دوست هـر چـه سـتانى شكـر بـود

سعدى رضاى خود مطلب چون رضاى اوست

و نظير ذلك كثيرٌ جدّاً، لأنه مثل تلك المقالات ينشأ من تركّب النقص و سوء الظّنّ على عكس هذه المقالات الّتي تنشأ من نشاط القلب و حسن الظن. فمثل صدر المتألهين

يقول لولا التضاد ما صحّ دوام الفيض في المبدء الجواد. و بعضهم يقول بالفارسية:

دارنـــده چـو تـركيب طـبائع آراست — از بهر چه افكند ورا دركم و كـاست؟

گر نيك آمد شكستن از بهر چـه بـود — ور نيك نيامد اين صور عيب كـراست

فذاك حكيم و هذا حكيم، و الفرق انه غلب عليه حسن الظّنّ و هذا غلب عليه سوء الظن.

فمثل المولوى يقول:

از جـــمادى مـــردم و نـامى شـدم — وز نـما مـردم بـه حـيوان سـر زدم

مـــردم از حـــيوانـــى و آدم شـدم — پس چه ترسم كى ز مردن كم شـدم

حـــملهاى ديگـــر بـــميرم از بشـر — تـا بـرآرم چـون مـلائك بـال و پـر

وز مـلك هـم بـايدم جسـتن ز جـو — كـــــلّ شـــيء هـــالك إلّا وجـــهه

و آخر يقول:

گـــر آمــدنم بــه خــود بــدى نـامدمى — ور نيز شدن به مـن بـدى كـى شـدمى

به ز آن نبدى كـه انـدرين ديـر خـراب — نـــه آمـــدمى نـــه شـدمى نـه بـدمى

فذاك عارف حكيم و هذا عارف حكيم، ولكن بينهما بون بعيد كبعد الارض من السّماء. في كلام هذا نشاط الحياة و في كلام ذلك خمول الموت. شعر هذا يثلّج الصدر و ذلك يحرق القلب. فهل ينشآن من الاسلام و الكفر، كلّا؟ بل ليس المنشاء إلّا حسن الظّنّ و سوء الظن، فكأنّ الأوّل ينشاء من التفاته إلى قوله تعالى:

﴿قل اللّهم مالك تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممّن تشاء و تعّز من تشاء و تذلّ من تشاء بيدك الخير انّك على كلّ شيء قدير﴾.[1]

وكأنّ الثّاني ينشأ من توجهه إلى قوله تعالى:

---

۱ ـ آل عمران / ۲۶.

﴿قالوا ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً باضعفاً في النّار * و قالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الاشرار * أتّخذناهم سخريّاً ام زاغت عنهم الابصار * ان ذلك لحقّ تخاصم اهل النّار﴾.[١]

في الحقيقة التفات الرجلين إلى هاتين الطّائفتين من الايات ليس إلّا من حسن الظّنّ أو سوءه.

ج ـ سوء الظّنّ بنفسه و هو على قسمين:

الأوّل ـ اعتقاده بأنه ضعيف غير قادر، ضعيف غير عالم و لا يمكن ان يحصّل القدرة و العلم. و هذه من مكائد الشياطين الانس لاستغلال الغير.

فعصبة الجبّارين و المستكبرين في كلّ زمان على هذه السيرة الخبيثة سيّما في زماننا هذا فهم يلقّنون الدول الضعيفة بحسب العلم و القدرة أن لا قدرة و لا علم لها و ليس لها أن تعلم و تقدر على شيءٍ. و هذا من اهمّ علل انحطاط تلك الدول. فتظنّون أن لا حياة لها إلّا بامدادٍ من الدول العظمى ذوات القدرة و العلم. و لعلّ القرآن اشار إلى ذلك بقوله تعالى:

﴿ان فرعون علا في الارض و جعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح ابنائهم و يستحي نسائهم انه كان من المفسدين﴾[٢] و على كلّ حال انّه ورد النهى عن ذلك في جملة من آي الذكر، منها:

قوله تعالى: **﴿يا ايّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً و دوّا ما عنّتم قد بدت البغضاء من افواههم و ما تخفى صدورهم اكبر قد بيّنا لكم الآيات ان كنتم تعقلون﴾**.[٣]

الثّاني ـ التشكيك في صحّة ما يصدر عنه من الأعمال و الأقوال، فيكون شكّاكاً بل قطّاعا ببطلانه، و هو الّذي اشتهر في الالسن بالوسواس، و في الاصطلاح بالوسوسة العملية.

---

١ ـ ص / ٦١ ـ ٦٤.　　٢ ـ القصص / ٤.　　٣ ـ آل عمران / ١١٨.

فهو قد يشكّ بل يقطع فيما يضره و لا يقطع و لا يشك فيما ينفعه إلّا بعسر و مشقة و إعادة الفعل بعدا عادته. و هو بلاء عظيم نعوذ بالله منه.

و هو غالباً يوجد في المتقدسين في اعمالهم العباديّة كالطهارة و النجاسة و الصلوة و الوضوء و الغسل، و قلّما يوجد في العبادات الماليّة ايضاً كالخمس و الزكوة و المعاملات كما انه قد يوجد في النظافة في المتجددين الّذين يقطعون الخبز بالسكين لئلا تصل ايديهم إليه مع علمهم بكيفيّة طبخه.

و هو نوع من الجنون، فلذا ان الرّاوى لمّا وصف رجلاً عند أبي عبدالله عليه‌السلام بالعقل و الدراية ثمّ قال لكنّه وسواسي في عباداته تعجب عليه‌السلام عن قوله و قال: و ايّ عقل له و هو يطيع الشيطان[۱]!

نعم انّه موجب لخسران الدنيا و الآخرة. و انهم كما يظلمون أنفسهم يظلمون الاقرباء و الاصدقاء بل هو ظلم عظيم على انفسهم و على غيرهم.

و هو من مكائد الشّيطان الّذي يأتى الإنسان من طريق الدين و على حدّ تعبير التنزيل العزيز يأتيه عن ايمانه.

قال تعالى: ﴿**فبما اغويتنى لأقعدّن لهم صراطك المستقيم * ثمّ لآتينّهم من بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم و لا تجد اكثرهم شاكرين**﴾.[۲]

و العجب ان الشّيطان ليوحى إليه اموراً دقيقة و ليلق إليه القاءات لايدركه أحد من الناس غير الوسواسيّين، فإبليسه هو الخنّاس الّذي أمر القرآن ان يتعوذ منه بالله تعالى. فهو بتلك الالقاءات يحسب انه مهتد و يقطع بما لا واقع له.

قال تعالى: ﴿**ان الشياطين ليوحون إلى اوليائهم**﴾.[۳]

۱ـ وسائل الشيعه، ج ۱، باب ۱۰، من ابواب مقدمات العبادات، ح ۱.
۲ـ الاعراف / ۱۶ و ۱۷.
۳ـ الانعام / ۱۲۱.

و قال تعالى: ﴿و من يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين و انّهم ليصدّونهم عن السّبيل و يحسبون انّهم مهتدون﴾.[١]

و قال الله تعالى: ﴿قل اعوب بربّ النّاس * ملك النّاس * اله النّاس * من شرّ الوسواس الخنّاس * الّذي يوسوس في صدور النّاس * من الجنّة و النّاس﴾.[٢]

و لهذا الداء العظيم آثار سوء و كلها من المصائب العظيمة كهجوم الهموم و الغموم و الاضطرابات و الخوف على قلبه، و كرفع النشاط عنه، و كحبّه الانعزال و الكسل، و كاليأس عن روح الله و عن سعادة الدارين، و كتسلط النفرة حتّى عن نفسه عليه، و اعظم من الكل تخيله انّه يحسن صنعاً و النّاس كلّهم يتطرقون طريق الباطل، و هو خسران مبين، لأنه جهل مركّب يؤدّى بصاحبه إلى الخسران، كما قد أنبأ عنهم الذكر الحكيم بأنّهم الأخسرين اعمالاً.

قال تعالى: ﴿هل نبيّئكم بالأخسرين اعمال؛ * الّذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدّنيا و هم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً﴾.[٣]

و علاج هذا الداء العظيم ـ كما مرّ الكلام فيه ـ بعدم الاعتناء به و العمل بما يضاده و رفع اليد عن تلك الالقاءات الفاسدة. و الرّوايات اكدت على ذلك تأكيدات بليغة و نحن سنذكرها.

نعم الدعاء والتوسل إلى المعصومين عليهم السلام و العبادة و اجتناب المعاصي مؤثرة جدّاً في علاجه و على تلك الاشياء ايضاً اكدت الرّوايات و نحن نذكرها ايضاً. كما ان مثل قوله تعالى: ﴿و من يعش عن ذكر الرّحمن نقّيض له شيطاناً فهو له قرين﴾[٤] يدلّ على ذلك.

و لابدّ من ان يتذكر الواسواسي ان قطعه ليس بحجّة و شكه ليس بشيءٍ، و قد اجمع

١ـ الزخرف / ٣٦. ٢ـ النّاس. ٣ـ الكهف / ١٠٣ و ١٠٤.

٤ـ الزخرف / ٣٦.

الفقهاء على ذلك. و قد اشتهر بينهم أنّ قطع الوسواسی ليس بحجة، و شكّه ليس بشيءٍ و يبني في اعماله على ما ينفعه لا على ما يضرّه. كما انّه اشتهر بينهم ان اعماله الموجبة للعسر حرام عليه، بل اشتهر ان اعماله الناشئة عن الوسوسة مطلقاً حرام، بل اشتهر انّها فاسد.

ولكن الّذي لابدّ من ان يعلم و يتذكر دائماً انّه يوجب خسران الدارين و تترتب عليه المفاسد الّتي مرّ بعضها. فهل يمكن القول بأنّ هذا الامر ليس بحرام بعنوان ثانوي؟ فلذا ترى ان الآيات و الرّوايات تطابقان على الحرمة المؤكّدة، فتلك الحرمة لو لم تكن من الاحكام الأوليّة فلا اقل من كونها من الاحكام الثانوية.

في الختام نحن نوصي الوسواسي بهذه العبارة: ايّاك ثمّ ايّاك عن هذا الامر الشنيع الموجب لخسران الدارين، و خف ثم خف و ارفع اليد عن هذه الالقاءات الواهية الشيطانية. واعمل ثم اعمل بالسيرة العرفية، و افعل ثم افعل بما يفعل المتشرعة، و ايّاك ثمّ ايّاك بما تريد من اعادة الفعل، لأن ذلك فاسد، بل أعد على نفسك ان علمي فاسد وانه ليس بشيءٍ. فعليك ثم عليك بالتّلقين بمثل هذه العبارات و العمل على طبق ذلك التلقين و رفع اليد عن الموهومات اعتقاداً و عملاً.

لانّه لادواء لهذا الداء العظيم المخرّب للبيوت، المزيل للمحبّة سيما محبّة الزّوجين كلّ واحدٍ منهما بالنسبة إلى الآخر، المزيل لسعادة الدارين إلّا ما قلنا و هي المقاومة السلبيّة.

فعليك ثم عليك بهذه المقاومة حتّى يقلع عرقه عن نفسک، و لا يمكن قلع مادته الفاسدة إلّا بالمداومة المستمرة. فبمرور الزمان يقلع عرقه شريطة كون المقاومة مستمرّةً و يكون بالجملة لا في الجملة. بمعنى انّه من يبتلى بالوسواس في الطهارة، و النجاسة مثلاً لابدّ له من ان لا يعمل على قطعه فضلاً عن شكه.

و ذلك لا يتحقق يوماً او اياماً بل يكون مادام الداء موجوداً. و كذلك لا يكون غبّاً و يوماً فيوماً او برهة من الزمان دون برهة منه اوفي بعض الأزمان دون بعض اوفي بعض

الأمكنة دون بعضٍ آخر بل يلزم ان يكون مستمراً. فبذلك الدوام و الاستمرار يرفع ذلك الداء العظيم و البلاء الشديد. و في روايات كثيرة هو شاهد لما قلنا فنذكر بعضها.

روايات في الوسواس وفي العمل و علاجه

عن رجل صالح [موسى بن جعفر] عليه السلام قال: «سألته عن الرّجل يشكّ فلا يدرى واحدة صلّى او اثنتين او ثلاثاً أو أربعاً تلتبس عليه صلاته؟

قال: كلّ ذا؟[1]

قال، قلت: نعم.

قال: فليمض في صلاته و يتعوّذ بالله من الشّيطان، فانّه يوشك ان يذهب عنه».[2]

عن أبي عبدالله عليه السلام: في الرّجل يكثر عليه الوهم في الصّلوة فيشكّ في الركوع فلا يدري أركع أم لا؟ و يشكّ في السّجود فلا يدري أسجدام لا؟

فقال: لا يسجد و لا يركع و يمضى في صلاته حتّى يستيقن يقيناً».[3]

قال الرضا عليه السلام: «إذا كثر عليك السّهو في الصّلوة فامض على صلاتك و لا تعد».[4]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا عليك السّهو فامض على صلوتك، فانّه يوشك أن يد عك

---

١ ـ يعني: كلّ صلوة كذلك؟

٢ ـ وسائل الشيعة، ج ٥، باب ١٦، من أبواب الخلل في الصلوة، ص ٣٣٠، ح ٤.

٣ ـ وسائل الشيعة، ج ٥، باب ١٦، من ابواب الخلل في الصلوة، ص ٣٣٠، ح ٥.

٤ ـ وسائل الشيعة، ج ٥، باب ١٦، من ابواب الخلل في الصلوة، ص ٣٣٠، ح ٦.

انّما هو من الشّيطان».[1]

عن زراره و أبي بصير جميعاً قالا، قلنا له: «الرّجل يشكّ كثيراً في صلاته حتّى لا يدرى كم صلّى و لا ما بقى عليه؟

قال: يعيد.

قلنا: فانّه يكثر عليه ذلك كلّما اعاد شكّ؟

قال: يمضى في شكّه، ثمّ قال: لا تعوّدوا الخبيث من أنفسكم نقض الصّلوة فتطمعوه، فانّ الشّيطان خبيث معتاد لما عوّد، فليمض احدكم في الوهم و لا يكثرّن نقض الصّلوة، فانّه إذا فعل ذلك مرّات لم يعد إليه الشّك.

قال زرارة: ثمّ قال: انّما يريد الخبيث ان يطاع، فاذا عصى لم يعد إلى احدكم».[2]

انّ الصادق عليه‌السلام قال: «كان الرّجل ممن يسهو في كلّ ثلاث فهو ممّن كثر عليه السّهو».[3]

عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «لا سهو على من اقرّ على نفسه بسهو».[4]

عن عبدالله بن سنان، قال: «ذكرت لأبي عبدالله عليه‌السلام رجلاً مبتلى بالوضوء و الصلوة و قلت هو رجل عاقل؟ فقال ابو عبدالله عليه‌السلام: و ايّ عقل له و هو يطيع الشيطان؟ فقال: سله، هذا الّذي يأتيه من ايّ شيء هو؟ فانّه يقول لك: ن عمل الشيطان».[5]

---

۱ ـ وسائل الشيعة، ج ۵، ص ۳۲۹، باب ۱٦، من ابواب الخلل في الصلوة، ح ۱.

۲ ـ وسائل الشيعة، ج ۵، ص ۳۲۹، باب ۱٦، من ابواب الخلل في الصلوة، ح ۲.

۳ ـ وسائل الشيعة، ج ۵، ص ۳۳۰، باب ۱٦، من ابواب الخلل في الصلوة، ح ۷.

٤ ـ وسائل الشيعة، ج ۵، ص ۳۳۰، باب ۱٦، من ابواب الخلل في الصلوة، ح ۸.

۵ ـ وسائل الشيعة، ج ۱، ص ٤٦، باب ۱۰، من ابواب مقدمة العبادات، ح ۱.

روايات في الوسوسة وفي التفكّر و علاجها

عن محمّد بن حمران قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الوسوسة و إنْ كثرت؟ فقال: لا شيء فيها، تقول: لا اله إلّا الله».[1]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال، قلت له: إنّه يقع في قلبي أمر عظيم، فقال: قل لا اله إلّا الله. قال جميل: فكلّما وقع في قلبي شيء قلت: لا اله إلّا الله فيذهب عنّي».[2]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله هلكت، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: أتاك الخبث فقال لك: من خلقك؟ فقلت: الله فقال لك: الله من خلقه؟ فقال: إي بعثك بالحقّ لكان كذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ذلك و الله محض الايمان.

قال ابن أبي عمير: فحدّثت بذلك عبدالرّحمن بن الحجّاج فقال: حدّثني أبي، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنى بقوله هذا «و الله محض الايمان» خوفه أن يكون قد هلك حيث عرض له ذلك في قلبه».[3]

عن علي بن مزيار قال: «كتب رجل إلى أبي جعفر عليه السلام يشكو إليه لمماً يخطر على باله، فأجابه في بعض كلامه: إنّ الله عزّوجلّ إن شاء ثبّتك فلا يجعل لا بليس عليك طريقاً. قد شكى قوم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمماً يعرض لهم، لأن تهوى بهم الرّيح او يقطّعوا حبّ إليهم من

---

١ ـ اصول الكافي، ج ٢، ص ٤٢٤، ح ١.

٢ ـ اصول الكافي، ج ٢، ص ٤٢٤، ح ٢.

٣ ـ اصول الكافي، ج ٢، ص ٤٢٥، ح ٣.

أن يكلّموا به.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أتجدون ذلك؟

قالوا: نعم.

فقال: و الّذي نفسي بيده إنّ ذلك لصريح الايمان، فاذا وجدتموه فقولوا: امنّا بالله و رسوله و لا حول و لا قوّة إلّا بالله».[۱]

عن أبي جعفر عليه السلام: قال: «إنّ رجلاً أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا رسول الله إنّني نافقت، فقال: و الله ما نافقت ولو نافقت ما أتيتني. تعلمني ما الّذي رابك؟ اظنّ العدوّ الحاضر [الخاطر] أتاك فقال لك: من خلقك؟ فقلت: الله خلقني. فقال لك: من خلق الله؟

قال: إي و الّذي بعثك بالحق لكان كذا. فقال: إنّ الشّيطان أتاكم من قبل الاعمال فلم يقو عليكم فأتاكم من هذا الوجه لكي يستزلكم، فاذا كان كذلك فليذكر احدكم الله وحده».[۲]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أتى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم رجل فقال: يا نبي الله الغالب عليّ الدّين و وسوسة الصّدر، فقال له: النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قل: «توكّلت على الحيّ الّذي لا يموت، الحمدلله الّذي لم يتّخذ صاحبة و لا ولدا و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له وليّ من الذّلّ و كبّره تكبيراً».

قال: فصبر الرّجل ما شاء الله، ثمّ مرّ على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فهتف به فقال: ما صنعت؟ فقال: أدمنت ما قلت لي يا رسول الله فقضى الله دين و أذهب وسوسة صدرى».[۳]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «جاء رجل إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا رسول الله قد لقيت شدّة من وسوسة الصّدر و أنا رجل مدين معيل محوج، فقال له: كرّر هده الكلمات: «توكّلت

---

۱ ـ اصول الكافي، ج ۲، ص ۴۲۵، ح ۴. ۲ ـ اصول الكافي، ج ۲، ص ۴۲۵، ح ۵.

۳ ـ اصول الكافي، ج ۲، ص ۵۵۴، ح ۲.

على الحيّ الّذي لا يموت و الحمدلله الّذي لم يتّخذ صاحبة و لا ولداً و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له وليّ من الذّلّ كبرّه تكبيراً».

فلم يلبث أن جاءه فقال: أذهب الله عنّي وسوسة صدرى و قضى عنّي دينى و وسّع عليّ رزقى». [١]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «صوم ثلاثة ايّام من كلّ شهر: أربعاء بين خميسين وصوم شعبان يذهب بوسواس الصدر و بلابل القلب». [٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال، قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «صيام شهر الصبر و ثلاثة ايّام في كلّ شهر يذهبن ببلابل الصدر». [٣]

عن الصادق عليه السلام: «ذكرنا اهل البيت شفاء من الوعك و الاسقام و وسواس الرّيب». [٤]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم». [٥]

قال الصادق عليه السلام: «بسم الله و بالله محمّد رسول الله و لا حول و لا قوّة إلّا بالله العلى العظيم امسح عنّي ما احذر». [٦]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اعوذ بالله القوى من الشّيطان الغوى و اعوذ بمحمّد الرضى من شرّ ما قُدّر و قضى و اعوذ بالله النّاس من شرّ الجنّة و النّاس اجمعين». [٧]

و قد روى: «ان اكل الرمان و غسل الرأس بالسّدر و السواك و شرب ماء النّيسان لرفع الوسوسة مؤثر». [٨]

---

١ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٥٥٥، ح ٣.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٩٧، ص ٧٢، باب ٥٦.
٣ ـ بحار الانوار، ج ٩٧، ص ١٠٠، باب ٥٩.
٤ ـ بحار الانوار، ج ٨١، ص ٢٠٣، باب ٤٥.
٥ ـ مفاتيح الجنان.
٦ ـ مفاتيح الجنان.
٧ ـ مفاتيح الجنان.
٨ ـ مفاتيح الجنان.

د ـ سوء الظّنّ بالغير.

قال الله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا اجتنبوا كثيراً من الظّنّ انّ بعض الظّنّ اثم﴾.[١]

يظهر من الآية الشّريفة انّ سوء الظّنّ مطلقاً حرام إلّا انّ العذاب لا يترتّب عليه إلّا إذا أظهره باللّسان، و ما لم يظهر فهو معفو عنه، لانّه صرف خطور و الخطورات معفو عنها. و قد استفاضت الرّوايات في ذلك، منها رواية الرّفع المشهورة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: وضع عن امّتي تسع خصال: الخطأ و النّيسان و مالا يعلمون و ما لا يطيقون و ما اضطرّوا إليه و ما استكرهوا عليه و الطّيرة و الوسوسة في التّفكّر في الخلق و السحد ما لم يظهر بلسان او يد».[٢]

و ملخّص الكلام انّ الآية تدل على حرمة سوء الظّنّ اخلاقياً و ان كان غير حرام فقهاً ما لم يظهره. و لعلّ رفع العذاب عنه لانّه كالحسد يكون كثير الابتلاء لعموم النّاس.

ولكن لابدّ ان يعلم انّه بلاء عظيم، لذلك سلب اميرالمؤمنين عليه السلام عن صاحبه الايمان و قال: «لا ايمان مع سوء الظّنّ»[٣] و أمر بالاتقاء عن صاحبه و جعله شرّ النّاس و قال: «شرّ النّاس من لا يثق باحد لسؤ ظنّه»[٤] بل جعله شرّ الاثم و اقبح الظّلم و قال: «سوء الظّنّ بالمحسن شرّ الاثم و اقبح الظّلم».[٥]

و نظير هذه الرّوايات كثير يأتى ذكرها ان شاء الله تعالى.

و هذه الرّذيلة تنشأ منها مفاسد عظيمة كالغيبة و الاسائة و الاشاعات المذعومة و البهتان و التّفسيق و التّكفير و القتل و الفرقة بين الاحبّة و الطّلاق بين الزّوجين. و ربّما رأينا تفسيق الاخيار و تكفيرهم و قتلهم لهذه الرّذيلة الفاسدة المفسدة. و ربّما رأينا نسبه الفحشاء إلى ذوات العفاف لهذه الرّذيلة الفاسدة المفسدة. و ربّما رأينا ترتّب المعاصي

---

١ ـ الحجرات / ١٢. ٢ ـ اصول الكافى، ج ٢، ص ٤٦٣، ح ٢. ٣ ـ غرر الحكم.

٤ ـ غرر الحكم. ٥ ـ غرر الحكم.

العظيمة كالتّهمة و الغيبة و الاسائة لهذه الرّذيله الفاسدة المفسدة.

فايّاك و هذه الرّذيلة الّتي تجمع رذائل كثيرة و ذنوباً عظيمة. فلو لم يكن تنبّه لفساد هذه الرّذيلة و افسادها إلّا حديث الافك في القرآن و قوله تعالى: ﴿**إذ تلقّونه بالسنتكم و تقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم و تحسبونه هيّناً و هو عندالله عظيم .... انّ الّذين يحبّون ان تشيع الفاحشة في الّذين امنوا لهم عذاب اليم في الدّنيا و الاخرة**﴾[1] لكفاك ان تقلع مادّه هذه المفسدة العظيمة عن نفسك.

و هذا الدّاء العظيم ضرب من الجنون و كثيراً ما تيخيّل و يترتّب على ذلك التّخيّل ما يضحك به الثّكلى، كالظّان انّ المصوّت وراء جدار البيت يتكلّم مع زوجته، أو الظّانة انّ الملطّف بأمّه أو أخته يحبّها حبّ الجنس؛ و كلا الظّنّين يضحك بهما حتّى الأطفال و المجانين.

و ملخّص الكلام انّ سوء الظّنّ بالغير خطره عظيم، فيجب رفعه و عدم الاعتناء به و عدم ترتّب الاثر عليه حتّى ييبس و يقلع عرقه. فقبل احراق ايمان صاحبه و شخصيّته و حيثيّته و شرفه، برفع اليد عن ترتّب الاثار عليه يحرق اصله و فرعه و قد استفاضت الرّوايات في الامر بحسن الظّنّ و النّهى عن سوء الظّنّ، و نذكر بعض تلك الرّوايات تيمنّاً و تبرّكاً. و نرجوا ان يستعين صاحب سوء الظّنّ بتلك الرّوايات و يقلع مادّة الفساد، و ينوّر بنورها قلبه، و يرفع ظلمات تلك الرّذيلة ان شاء الله تعالى.

---

١ ـ النّور / ١٥ ـ ١٩.

روايات في حسن الظّنّ و سوء الظّنّ

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «ضع أمر اخيك على احسنه حتّى يأتيك منه ما يغلبك و لا تظنّن بكلمة خرجت من أخيك سوءً و ادنت تجد لها في الخير محملاً».[١]

قال النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: «اطلب لأخيك عذراً فان لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً».[٢]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «حسن الظّنّ من افضل السجايا و اجزل العطايا».[٣]

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «حسن الظّنّ راحة القلب و سلامة الدّين».[٤]

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «من حسن ظنّه بالنّاس حاز منهم المحبّة».[٥]

قال الصادق عليه السلام: «خذ من حسن الظّنّ بطرف تروح به قلبك و يروح به امرك».[٦]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «افضل الورع حسن الظّنّ».[٧]

من كتاب اميرالمؤمنين عليه السلام للأشتر لمّا و لّاه المصر: «ثمّ اعلم انّه ليس شيء بأدعى لحسن ظنّ و ال برعيّته من احسانه إليهم، و تخفيفه المؤونات عليهم و قلّة استكراهه ايّاهم على ما ليس له قبلهم، فيكن في ذلك أمر تجتمع لك به حسن ظنّك برعيتك، فانّ حسن الظّنّ يقطع عنك نصباً طويلاً. و انّ أحقّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده و أحقّ من

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٩٦، ح ١١.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٩٧، ح ١٥.
٣ ـ غرر الحكم.
٤ ـ غرر الحكم.
٥ ـ غرر الحكم.
٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، ص ٢٠٩، ح ٨٤.
٧ ـ غرر الحكم.

ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده».[١]

عن اميرالمؤمنين عليه السلام: «ايّاك أن تغلبك نفسك على ما تظنّ و لا تغلبها على ما تستيقن فانّ ذلك من اعظم الشرّ».[٢]

قال المسيح بن مريم عليه السلام: «يا عبيد السّوء تلومون النّاس على الظّنّ و لا تلومون أنفسكم على اليقين».[٣]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الجبن و البخل و الحرص غريزة واحدة يجمعها سوء الظّنّ».[٤]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «لا ايمان مع سوء الظّنّ».[٥]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «سوء الظّنّ يفسد الأمور و يبعث على الشّرور».[٦]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «سوء الظّنّ بمن لا يخون من اللؤم».[٧]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «طوء الظّنّ بالمحسن شرّ الاثم و اقبح الظّلم».[٨]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «إيّاك أن تسيء الظّنّ فانّ سوء الظّنّ يفسد العبادة».[٩]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «شرّ النّاس من لا يثق باحد لسوء ظنّه و لا يثق به احد لسوء ظنّه».[١٠]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «انّ احقّ من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده».[١١]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «ليس من العدل القضاء على الثّقة بالظّنّ».[١٢]

---

١ ـ نهج البلاغة، كتاب ٥٣.
٢ ـ غرر الحكم.
٣ ـ تحف العقول، ص ٣٧٣.
٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٣، ص ٣٠٤، ح ٢١.
٥ ـ غرر الحكم.
٦ ـ غرر الحكم.
٧ ـ غرر الحكم.
٨ ـ غرر الحكم.
٩ ـ غرر الحكم.
١٠ ـ غرر الحكم.
١١ ـ نهج البلاغة، كتاب ٥٣.
١٢ ـ نهج البلاغة، حكم ٢٢٠.

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «الرّجل السّوء لا يظّن باحد خيراً لانه لا يـراه إلّا بـوصف نفسه».[١]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «الشّرير لا يظنّ باحد خيراً، لانّه لا يراه إلّا بطبع نفسه».[٢]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «المرء حيث يجعل نفسه من دخل مداخل السّوء اتّهم، مـن عرض نفسه التّهمة فلا يلومنّ من اساء به الظّنّ».[٣]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «مجالسة الاشرار تورث سوء الظّنّ بالاخيار».[٤]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «من ساء ظنّه، ساء وهمه».[٥]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «من ساءت ظنونه اعتقد الخيانة بمن لا يخون».[٦]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «من غلب عليه سـوء الظّـنّ لم يـترك بـينه و بـين خـليل صلحاً».[٧]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «أسو النّاس حالاً من لم يثق باحد لسوء ظنّهع و لم يبق به احد لسوء فعله».[٨]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «من لم يحسن ظنّه استوحش من كلّ أحد».[٩]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «الرّيبة توجب الظّنة».[١٠]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «المريب أبداً عليل».[١١]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «لكلّ انسان أرب، فابعدوا عن الرّيب».[١٢]

---

١ ـ غرر الحكم. ٢ ـ غرر الحكم. ٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، ص ٩٣، ح ١٠٤.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٩٣، ح ٣١. ٥ ـ غرر الحكم. ٦ ـ غرر الحكم.

٧ ـ بحار الانوار، ج ٧٧، ص ٢٢٧. ٨ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، ص ٩٣، ح ١٠٤.

٩ ـ غرر الحكم. ١٠ ـ غرر الحكم. ١١ ـ غرر الحكم. ١٢ ـ غرر الحكم.

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «من كثرت ريبته، كثرت غيبته».[١]

قال الصادق عليه السلام: «حسن الظنّ اصله من حسن ايمان المرء و سلامة صدره، و علامته ان يرى كلّ ما نظر إليه بعين الطهارة و الفضل، من حيث ما ركب فيه و قذف من الحياء و الامانة و الصيانة و الصدق. قال النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: احسنوا ظنونكم بأخوانكم تغتنموا بها صفاء القلب، و نقاء الطبع.

و قال أُبيٌّ بن كعب: إذا رأيتم احد اخوانكم في خصلة تستنكرونها منه فتأوّلوا لها سبعين تأويلاً، فان اطمأنت قلوبكم على احدها و إلّا فلوموا انفسكم حيث لم تعذروه. في خصلة سترها عليه سبعون تاويلاً و انتم اولى بالانكار على انفسكم منه».[٢]

محمّد بن الفضل عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال قلت له: جعلت فداك. الرّجل من اخوانى يلغني عنه الشّيء الاذي كره، فاسأله عنه، فينكر ذلك، و قد اخبرنى عنه ثقات؟

فقال لي: يا محمّد كذّب سمعك و بصرك عن اخيك، فان شهد عندك خمسون قسامة و قال لك قولاً فصدّقه و كذّبهم، و لا تديعنّ عليه شيئاً تشينه به و تهدم مروّته، فتكون من الّذين قال الله عزّوجلّ ﴿انّ الّذين يحبّون ان تشيع الفاحشة في الّذين امنوا﴾.[٣]

عن الصادق عليه السلام قال: «المؤمن اصدق على نفسه من سبعين مؤمناً عليه».[٤]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «ايّها النّاس من عرف من اخيه وثيقة دين و سداد طريق فلا يسمعنّ فيه اقاويل النّاس، أما انّه قد يرمى الرّامى و يخطئ السّهام و يحيل الكلام و باطل ذلك يبور و الله سميع و شهيد، امّا انّه ليس بين الحقّ و الباطل إلّا اربع اصابع.

فسئل عن معني قوله هذا؟

فجمع اصابعه و وضعها بين اذنه و عينه، ثمّ قال: الباطل ان تقول: سمعت، و الحقّ ان

---

١ ـ غرر الحكم. ٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٩٦، باب ٦٢، ح ١٢.

٣ ـ سفينة البحار، ص ١١١، مادّه ظنن. ٤ ـ سفينة البحار، ص ١١١، مادّه ظنن.

تقول: رأيت».[1]

تنبيهان:

بقي أن نذيّل هاتي الفضيلة و الرذيلة أى حسن الظن و سوءه بأمرين هامّين نذكرهما تتميماً لبحث و رفعاً لبعض الشبهات.

التنبيه الاوّل

انّ المؤمن عزيز و انّه اعظم حرمة من كلّ شيء فيحرم اساءته و اذلاله حتّى عُدّ الاساءة عليه اساءة على الله و محاربة معه تعالى. فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «لمّا اسرى بالنبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال يا ربّ ما حال المؤمن عندك؟ قال يا محمّد من اهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة».[2] كما يحرم على المؤمن اذلال نفسه، و لعلّ الرواية الشّريفة تشمل من اهان نفسه ايضاً. و ان ابيت عن ذلك فقد مرّ الكلام مفصّلاً في البحث عن فضيلة كبر النّفس، و ذكرنا هناك روايات في حرمة اذلال النّفس.

و المسموع من بعض مدّعى العرفان غير حضيظٍ منه، من جعل نفسه في مواضع التّهمة لئلّا لايشتهر عند النّاس بالزّهد و التّقوى و لئلا يستقبل النّاس اليه، فهو غير مسموع، بل حرام بيّن، و لا يجوز لأحدٍ أن يتجاهر بالفسق و الفجور ولو كان من أهلها، كما لا يجوز ان يجعل نفسه موضع التّهمة و سوء الظّنّ. و قد استفاضت الرّوايات في ذلك و نذكر بعضها.

فسوء الظّنّ بالمسلمين حرام و جعل المسلم نفسه موضع سوء الظّنّ ايضاً حرام، و قد تطابق الرّوايات على الامرين. امّا حرمة سوء الظّنّ بالمسلمين فقد مرّت الرّوايات فيها، و امّا حرمة جعل نفسه موضع سوء الظّنّ فنذكر بعضاً منها ههنا.

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۵، ص ۱۹۷، ح ۱٦.

۲ ـ اصول الكافى، ج ۲، ص ۳۵۲، ح ۸.

روايات في التّحرز عن مواضع التّهمة

عن سفيان الثوري عن الصادق عليه السلام قال، قال لي أبي: «يا بنيّ من يصحب السوء لا يسلم، و من يدخل مداخل السّوء يتّهم و من لا يملك لسانه يندم».[١]

فيما اوصى به اميرالمؤمنين عليه السلام عند وفاته: «ايّاك و مواطن التتهمة و المجلس المظنون به السوء، فان قرين السوء يغرّ جليسه».[٢]

عن الصادق عليه السلام قال، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اولى النّاس بالتهمة من جالس اهل التّهمة».[٣]

عن أبي جعفر عن أبيه، عن جده عليه السلام قال، قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «من وقف نفسه موقف التهمة فلا يلومنّ من اساء به الظّنّ».[٤]

قال ابوالحسن عليه السلام: قال ابو عبدالله عليه السلام: «اتّقوا مواضع الريب و لا يقفّن احدكم مع أمّه في الطريق، فانّه ليس كلّ احد يعرفها».[٥]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «من دخل مداخل السوء اتّهم، من عرض نفسه التّهمة فلا يلؤمنَّ من اساء به الظّنّ».[٦]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «مجالسة الاشرار تورث سوء الظّنّ بالاخيار».[٧]

التنبيه الثّاني:

١ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٩٠، باب ٤٦، ح ١.

٢ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٩٠، باب ٤٦، ح ٢.

٣ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٩٠، باب ٤٦، ح ٣.

٤ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٩٠، باب ٤٦، ح ٤.

٥ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٩١، باب ٤٦، ح ٧.

٦ـ بحار الانوار، ج ٧٨، ص ٩٣، باب ١٦، ح ١٠٤.

٧ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٩٧، باب ١٤، ح ٣١.

انّ حسن الظّنّ لا ينافي الاحتياط و الحزم و الإحكام في الأمور بل يلائمها كمال الملائمة، بل حسن الظّنّ من دون ذلك يكون في أغلب الاحيان بلهاً و مذموماً.

فالانسان يجب ان يحكم عليه حسن الظّنّ بالغير، و امّا عند المعاملات فيجب عليه ان يكتبها و يأخذ عليها رهاناً و يشهد عليها كما نطق به القرآن الشّريف.

قال تعالى: ﴿**يا ايّها الّذين امنوا إذا تداينتم بدين إلى اجل مسمّى فاكتبوه و ليكتب بينكم كاتب بالعدل و لايأب ان يكتب كما علّمه الله فليكتب و ليملل الّذي عليه الحقّ و ليتّق الله ربّه و لا يبخس منه شيئاً.... و استشهدوا شهيدين من رجالكم .... و لا يأب الشّهداء إذا ما دعوا و لا تسئموا ان تكتبوه صغيراً او كبيراً إلى اجله ذلكم اقسط عندالله و اقوم للشّهادة و ادنى إلّا ترتابوا إلّا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح إلّا تكتبوها و اشهدوا إذا تبايعتم .... و ان كنتم على سفر و لم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة**﴾.[١]

فترى انّ هذه الآية الشّريفة كيف اوصت بالإحكام في باب المعاملات مع انّ قوله تعالى: ﴿**لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيراً**﴾.[٢] أمر موكّداً بحسن الظّنّ بالغير. و انّ قوله تعالى: ﴿**يا ايّها الّذين امنوا اجتنبوا كثيراً من الظّنّ انّ بعض الظّنّ اثم**﴾[٣] نهى عن سوء الظّنّ بالغير. و ليس هذا كلّه إلّا لوجوب حسن الظّنّ و حرمة سوء الظّنّ في الأمور ولكن يجب الإحكام و الاحتياط و الحزم فيها ايضاً.

و بهذا المقال يجمع بين الرّوايات ايضاً، لانّ بعض الرّوايات يدلّ على وجوب حسن الظّنّ بالمسلم و حرمة سوء الظّنّ به كما مرّت الرّوايات في ذلك، ولكن بعض الرّوايات يدلّ على انّه باستيلاء الفساد على المجتمع لايجوز حسن الظّنّ بالغير، منها:

قول الكاظم عليه السلام: «إذا كان الجور اغلب من الحقّ لم يحلّ لاحد ان يظنّ باحد خيراً

---

١ ـ البقرة / ٢٨٢ و ٢٨٣. ٢ ـ النّور / ١٢. ٣ ـ الحجرات / ١٢.

يعرف ذلك منه».[١]

و قول الهادي عليه السلام: «إذا كان زمان العدل فيه اغلب من الجور فحرام ان يظنّ باحد سوء حتّى باحد خيراً حتّى يبدو ذلك منه».[٢]

و نظيرهما كثير فيفهم من مثل هذه الرّوايات انّ المتّهم بالسّوء لا يجوز ان يحسن به الظّنّ و يجوز بل يلزم ان يُساء به.

فالجمع بين هاتين الطائفتين من الرّوايات و تلك الرّوايات بانّه يجب حسن الظّنّ بالغير و يحرم سوء الظّنّ به، كان من كان، إلّا انّه لا يجوز الاعتماد على المتّهم بالسّوء و يجب ان يعامل معه بالحزم و الاحتياط و الاحكام في الامور.

و الشّاهد على ذلك قول أبي عبدالله عليه السلام: «انّي اردت ان استبضع بضاعة إلى اليمن، فاتيت ابا جعفر عليه السلام فقلت: انّي اريد استبضع فلاناً. فقال لي: اما علمت انّه يشرب لخمر؟ فقلت قد بلغني من المؤمنين انّهم يقولون ذلك فقال: صدّقهم، فانّ الله يقول: يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين».[٣]

و هذه الرّواية و امثالها كالنّص فيما ذكرنا سيّما استشهاده عليه السلام بآية الاذن و هي قوله تعالى:

﴿و منهم الّذين يؤذون النّبيّ و يقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين﴾.[٤]

لّان الآية الشّريفة في مقام بيان انّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لا يكون اذناً بل يكون اذن خير، فهو بما له من سعة الصّدر لا يظهر ما علمه من الناس بل يخفيه، و امّا بحسب العمل فيؤمن بالله و يصدّق المؤمنين في بعض الآثار آخذا بيديه الاحتياط و الاجتناب عمّا يقولون في حقّه انّه

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٨، ص ٣٢١، ح ١٦.
٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٩٧، ح ١٧.
٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٩٦، ح ١٣.
٤ ـ التّوبة / ٦١.

كذا و كذا.

يشاهد انّ الايمان بالله تعالى تعدّى بحرف الباء و الايمان للمؤمنين تعدّى بحرف اللّام. و كلّ اشارة إلى انّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم مع حسن ظنّه بالغير يصدّقه عملاً لا اعتقاداً فلا يؤمن بهم، بل يراقبهم، كما كان سيرته في المنافقين كذلك.

و بما ذكرنا يظهر معنى قول الكاظم عليه السلام.

عن محمّد بن الفضل قال: «قلت لموسى بن جعفر عليه السلام الرّجل من اخواني يبلغني عنه الشيء الّذي اكره له. فاسئله عنه فينكر ذلك، و قد اخبرني عنه قوم ثقات؟ فقال لي: يا محمّد كذّب سمعك و بصرك عن اخيك، فان شهد عندك خمسون قسامة انّه قال قولاً، و قال لك لم اقله، فصدّقه و كذّبهم، و لا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به و تهدم به مروّته، فتكون من الّذين قال الله عزّوجلّ: ﴿انّ الّذين يحبّون ان تشيع الفاحشة في الّذين امنوا لهم عذاب اليم في الدّنيا و الاخرة﴾.[۱]

فالمراد من تصديقه و تكذيبهم هو حسن ظنّه به و تبرير ما قالوا عنه لا تصديقه و تكذيبهم في العمل، لانّه كيف يمكن الحكم بتصديق الواحد و تكذيب الخمسين.

فمثل هذه الرّواية لا تنافي وجوب الاجتناب عنه عملاً و الاحتياط و الحزم و الاحكام في معاملاته. و بعبارةٍ أخرى يجب تصديقه اعتقاداً و تصديقهم عملاً، فيصدّقه بانّه مسلم يحمل قوله و عمله على الصّحة و يجب حسن الظّنّ به و يصدّقهم على انّهم مسلمون يحمل قولهم على الصّحة و انّهم لا يقولون إلّا رأفة، فيجب الاحتياط و الحزم و الاحكام في الأمور معه. فترجع الرّوايات كلّها إلى أمر واحد عقليّ و هو انّ المؤمن سليم الصّدر و له حسن الظّنّ و له سعة الصّدر فهو اذن خير، ولكنّه ذو حزم و احتياط في اعماله مع النّاس سيّما المتّهمين بالسّوء. فمثل رئيس القوم مع وجوب حسن ظنّه برعيّته لا يجعل الأمور الهامّة على عاتق

---

۱ ـ سفينة البحار، ج ۲، ص ۱۱۱.

المتّهمين، بل يحذر ممّن يتّهم بالعداوة.

قال اميرالمؤمنين عليه السلام للمالك الأشتر: «الحذر الحذر كلّ الحذر من عدوّك بعد صلحه، فانّ العدوّ ربّما قارب ليتغفّل، فخذ الحزم و اتّهم في ذلك حسن الظّنّ».[1]

و مثل الرّعيّة مع وجوب حسن الظّنّ بالرّئيس لا يعطى أمر دينه و دنياه بالمتّهم بالسّوء منه فضلاً من الفاسق و الفاجر.

قال الصّادق عليه السلام: «إذا رأيتم العالم محبّاً للدّنيا فاتّهموه على دينكم فانّ كلّ محبّ يحوط ما احبّ».[2]

قد تمّ بحمد اللّه تعالى

الجلد الأوّل من كتاب الأخلاق

و يتلوه الجلد الثّاني، و يبدأ بالفصل الحادي عشر

---

١ ـ نهج البلاغة، كتاب ٥٣.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٢، ص ١٠٧، ح ٧.

الفهرس